مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

- تصدر عن -

جامعة طبرق - ليبيا
Tobruk University- libya

رئيس التحرير
د. فوزي عمر الحداد
Fawzi.hadad@tu.edu.ly

العدد الثاني / يوليو 2021 **م**

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق- ليبيا

موقع الجامعة: www.tu.edu.ly

موقع المجلة: d.journal.tu.edu.ly

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 52/ 2021

ISSN : 2788 – 6956

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية التحكيم من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

تُنشر المجلة الكترونيًا على المنصات الآتية :

AskZad | دار المنظومة DAR ALMANDUMAH

هيئة التحرير

د. حسن علـــي حسن	المشرف العـام
د. فـوزي عمر الحـداد	رئيس التحرير
د. علاء جابر الضراط	مدير التحريـر
د. أحمد محمد الميداني	منسق التحرير

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

د. علي ماضي العبودي	كلية التربية جامعة طبرق
د. فيصل عبدالله حيدر	كلية التربية المرج/ جامعة بنغازي
د. فتحي حسن خطاب	كلية الآداب جامعة سبها

الاخراج الفني

أنور الشريف الأمين

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ د. عبدالرحيم محمد البدري	كلية الآداب - جامعة بنغازي
2. أ د. عبدالله سالم مليطان	كلية الآداب - جامعة طرابلس
3. أ د. فتحي رمضان الماقوري	الأكاديمية الليبية للدراسات العليا- طرابلس
4. أ د. فتحي عيسى فرج	كلية الآداب جامعة عمر المختار
5. أ د. مسعود حسين التائب	كلية الآداب - جامعة الزاوية
6. أ د. وليد شعيب آدم	كلية الآداب - جامعة طبرق
7. د. أحمد عيسى فرج الحاسي	كلية الآداب - جامعة عمر المختار
8. د. أحمد مزهار	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-فاس مكناس/المغرب
9. د. حافظ الصديق منصور	كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة طبرق
10. د. خديجة زيدي	كلية الآداب - جامعة سيدي محمد بن عبدالله / المغرب
11. د. زهران عبدالله الرواشدة	كلية الآداب - جامعة درنة
12.د. زهرة عبدالعزيز الثابت	كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
13. د. سليمة عمر التائب	كلية الآداب- جامعة مصراتة
14. د. شوكت نبيل المصري	أكاديمية الفنون- القاهرة / مصر
15. د. عادل إبراهيم المحروق	كلية الآداب - جامعة غريان
16. د. عاصم زاهي العطروز	الجامعة الإسلامية- مينسوتا- أمريكا
17. د. فرحة مفتاح عبدالله	كلية الآداب - جامعة سرت
18. د. فريدة الأمين المصري	كلية اللغات - جامعة طرابلس
19. د. كريمة المبروك الرقيعي	كلية الآداب والعلوم - جامعة درنة
20. د. محمد مفتاح فضيل	كلية الآداب – جامعة عمر المختار
21. د. مهند سامي العلواني	كلية التربية/ جامعة الزاوية
22. د. هاشم منصور مفتاح	كلية الآداب جامعة درنة
23. د. هنئ محلية الصحة	كلية الآداب - جامعة مالانج الحكومية/ إندونيسيا
24.د. هدى عطية عبدالغفار	كلية الآداب - جامعة عين شمس/ مصر
25. د. يحيى عمر القويضي	كلية الآداب - جامعة مصراتة
26. د. وريدة علي محمد المنقوش	كلية التربية - جامعة مصراتة

مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المُحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقًا للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/ Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة ، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الانسانية.

رؤيتنا:

مجلّة علميَّة عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة، والمنهجية، والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين، في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين: العربيةّ, والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث, والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدّم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الالكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي, مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدّم للمجلة مطبوعًا بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4)ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربيّة هو(simplified arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين, وبنط (12) في الهوامش, ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزيّة Times New Roman، بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الالكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولا ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث

نــشر بحثــه أو تقديمــه بأيــة طريقــة لأي جهــة نــشر أخــرى دون إذن كتابــي مــن رئيــس التحريــر.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحــوث المنشــورة في المجلــة تعــبر عــن آراء مؤلفيهــا، ولا تعكــس بالــضرورة آراء هيئــة التحريــر أو جهــة الإصــدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الالكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

ت	المحتويات	الصفحة
1	الصحيح من تحقيق الاحتجاج بقول الصحابيّ في المذهب الشافعي د. معتز عبدالوهاب عبدالله أحمد	14
2	البعد الفكري في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني د. فيصل عبد الله حسين حيدر	50
3	التداولية – د. فرحة مفتاح عبدالله الشريدي	70
4	الحجاج عند ابن حزم في رسالة الرد على الهاتف من بعد فرج صالح عبد الله بلل	92
5	الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته كما يراها معلمو المرحلة الثانية من التعليم الأساسي العام ببلدية الأبيار د. عيسى رمضان محمد مخلوف – د. سامي سليمان حامد الزوي	109
6	واقع البرامج التربوية بمراكز التربية الخاصة للأطفال في وضعية إعاقة ذهنية بالمغرب، فاس أنموذجا د.أحمد مزهار – د. رشيدة كوجيل	138
7	بعض مؤشرات الصدق والثبات لمقياس القلق لدى طلاب جامعة طبرق. د.أبوبكر فضل لامين الحبوني	157
8	الضغوط النفسية لدى مرافقي المرضى النفسيين بمستشفى (على الرويعي) الهواري في مدينة بنغازي ليلى محمد عبد الحفيظ	173
9	صناعة الجرار التريبوليتانية (T.I, T.II, T.III) وصلتها بتجارة حوض المتوسط خلال العصر الروماني د. مفتاح أحمد الحداد	194
10	قورينا 96 – 74 قبل الميلاد ترجمة : د. الشريف امراجع علي حامد د. محمد عمر محمد عبدربه	231
11	التحليل المكاني للنمو السكاني والتوسع المساحي والعمراني في مدينة طبرق "دراسة في جغرافية المدن" د. سعيد حامد محمد الداهية – أ. صلاح منصور صالح شاهين	252
12	تقييم تجربة التحول للصيرفة الاسلامية بالمصارف التجارية في ليبيا د. أحمد بلقاسم تواتي	273

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

على بركة الله نصدر العدد الثاني من دلالات- مجلة العلوم الإنسانية والتربوية، إصدار علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات الأصيلة، المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم الإنسانية كافة.

يأتي هذا العدد ليدشن الانطلاقة المميزة في العدد الأول، الذي حظي بأصداء طيبة، في داخل البلاد وخارجها، ما حفزنا لبذل المزيد من الجهود سعياً لنجاحات أكبر. ويأتي كذلك بعد نجاحات تحققت على الصعيد الدولي، فقد حصلت مجلة دلالات على الرقم المعياري الدولي المعروف بـ issn وهو أشهر نظام دولي لتعريف وتصنيف المطبوعات، وبات يسيراً على الباحثين التعرف على مجلة دلالات والتأكد من أصالتها، والوصول لموقعها بكل سهولة باستخدام هذا الرقم.

كما نجحت هيئة التحرير في تسجيل المجلة ضمن منظومة لجنة اعتماد وضمان جودة المجلات العلمية المحكمة في ليبيا، كما ساهمت مجلة دلالات في تأسيس الجمعية الدولية للمجلات العلمية الناشرة باللغة العربية، وهي مؤسسة دولية تضم في عضويتها أكثر من ألف مجلة علمية حتى الآن، كما أصبح رئيس تحرير المجلة عضواً في لجنة التصنيف ومعامل التأثير الدولي بالجمعية.

تم أيضاً توقيع عقود واتفاقات مع أكبر المنصات البحثية في العالم مثل دار المنظومة وموقع أسك زاد لنشر بحوث المجلة وإتاحتها أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين حول العالم.

هذا وما تزال هيئة التحرير تسعى حثيثاً للارتقاء بمستوى المجلة محلياً وعربياً ودولياً بدعم كبيرٍ ومشكورٍ من رئاسة الجامعة ممثلةً في الدكتور حسن علي خيرالله رئيس جامعة طبرق.

أسرة التحرير

الصحيح من تحقيق الاحتجاج بقول الصحابيّ في المذهب الشافعي

إعداد:
د. معتز عبدالوهاب عبدالله أحمد
قسم الشريعة الإسلامية- كلية القانون- جامعة بنغازي

الاستلام: 30/ 3/ 2021 القبول 1/ 5/ 2021

المستخلص:

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا يُستدلّ فيما اختلفوا فيه بأقوالهم، بل يستدلّ لها بشهادة النبيّ صلى الله عليه وسلّم لأحدهم بمزيّة علم، أو باعتضاد قوله دليلاً كُليّاً قَويَ به، أو بموافقته قياساً ولو خفيّاً، أو كَوْنِ المسألة لا يُتَكَلَّمُ فيها إلا توقيفاً، وفي غيرها لا يستدلّ بأقوالهم مجرّدة.

الكلمات المفتاحية: " الصحابي – الشافعيّ – حجية – الاجماع السكوتي – المذهب "

The authentic argument according to the companions of the Shafi faith

The sayings of the companions of the prophet cannot be taken for granted particularly in the issues that they have disagreement, but can be referred to according these conditions. First the companions' sayings must be supported by the prophet testimony that this particular companion has the intellectual ability. Second, taking the prophet saying as a strong evidence to support this particular issues. Third, if this particular issue cannot be disputed. If these conditions were not achieved, the abstract sayings of the prophet's companions cannot be taken for granted.

Companion Shafi Argument Implicit agreement

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، والأئمة المتبوعين أبي حنيفة ومالك، والشافعيّ وابن حنبل، ومن سار على نهجهم، واستن بسنتهم، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن من أهم مصادر الدين ما يُؤْثَرُ عن الصحابة رضوان الله عليهم من اجتهاد في المسائل، فهم الذين شهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، فكانت أقوالهم أقرب إلى الصواب من غيرهم .

وقد رأيت فيما اطلعت عليه اختلافاً كبيراً في حكم أقوال الصحابي عند الشافعي، فمن علماء المذهب وهم قليل يذهبون إلى حجيّتها مطلقاً، وغيرهم لا يحتجّ به إلا بضوابط، بل إن من غير علماء المذهب، والذين شُهد لهم بالعلم والفضل كابن قيم الجوزية ينسب القول بحجية قول الصحابي عند الشافعيّ مطلقاً، وهذا ممّا يَحتاج إلى تحقيق ونظر، فليس هناك أعلم بمراد الشافعيّ من أصحابه وعلماء مذهبه الذين شُهد لهم بالسبر والتنقيح والتحقيق والتحرير لأقواله.

أهمّية الموضوع وسبب اختياره .

ممّا جعلني أهتم بعرض ذلك استهجان فكرة تسليم الصحة للأقوال إلاّ لأحكام الله سبحانه، ونبيّه صلى الله عليه وسلم بوحيّ أو اجتهاد، وهذا لا يعني أن قول غير الصحابة مقدم على قولهم، بل إن عدم التسليم بأقوالهم يفتح مجال الترجيح بين آرائهم، واختيار بعضها دون غيرها، والتسليم بها مطلقاً يؤدي إلى تعارضها لا محالة، فصار من معنى التأدّب اختيار أقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكن، وعدم التعصب لها، وعدم التسليم بصحتها مطلقاً واختيارها.

وإذا كان ذلك في حقّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي في العلماء من بعده آكدُ، وهي في المعاصرين من علماء زماننا أوجبُ، ولهذا أردت من بحث هذه المسألة أن أشير إلى هذا الملحظ بدراسة منهجية حول حجية أقوال الصحابة لترسيخ الفكرة عند طلاب العلم .

أهداف البحث .

إن من أهم أهداف البحث عدم الاستدلال بأقوال أيّ أحد [1] دون قيد أو شرط، فإن من هوان الدين وضعفه اليوم بين المسلمين، جعل أقوال المعاصرين محلّ الأدلة دون ضوابط تحكمها، وشروط تبيّنها، فكان هذا البحث جواباً على ذلك بمناقشة أقوال أفضل الأمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم .

اشكاليّة البحث .

(1) وقد ذكرت قبلها بأسطر أنه يؤخذ من الجميع ويردّ، إلّا قول الله، واجتهاد نبيّه صلى الله عليه وسلم كما نقل عن العلماء.

تبرز الاشكاليّة من خلال عرض التساؤلات الآتية:
هل يحتجّ الشافعي بأقوال الصحابة مطلقاً؟ أم بقيود يحتج بها؟
ما معنى عدم حجيّة قول الصحابيّ في المذهب الشافعي؟ وما توجيه ذلك؟
كيف يردّ على القائلين بحجيّة قول الصحابيّ؟ وما توجيه احتجاج الشافعي به؟

منهجيّة البحث.

سأسلك في دراسة البحث منهجاً استقرائيّاً لمذاهب العلماء في المسألة، ثم أميل بعد ذلك إلى المنهج الاستنباطي لتحقيق ما أصبو إليه.

خطة البحث .

تصور البحث يظهر في خطة يمكن عرضها فيما يأتي:

المطلب الأول: معنى الصحابيّ الذي يحتج به.
المطلب الثاني: تحديد محلّ النزاع في ما يحتج به من قول الصحابي.
المطلب الثالث: تحقيق حجيّة قول الصحابيّ عند الشافعي – رحمه الله –
المطلب الرابع: تطبيقات احتجاج الشافعيّ بأقوال الصحابة.

المطلب الأول: معنى الصحابيّ الذي يحتج بقوله .

تعد حجية قول الصحابي في المذهب الشافعي من أهم المسائل التي اختلف فيها داخل المذهب وخارجه، فهل كان الشافعي – رحمه الله – يحتجّ بأقوال الصحابة قديماً وجديداً؟ أم أنه يحتج بها في القديم دون الجديد، وهو المشهور في المذهب؟

واختلاف الأصحاب والعلماء أوجب تتبّع المسالة في جلّ كتب أصول المذهب المطبوعة، فسبرتها في كُلّ ما وصلت إليه متعلّقا بالمسألة. (2)

ولعل سبب الاختلاف يرجع إلى أن للشافعي – رحمه الله – في عين المسألة نصوصاً كثيرة متفرقة قديمة وجديدة، فُهم من بعضها الاحتجاج بقول الصحابي في القديم والجديد، وفُهِمَ من بعضها الآخر عدم الاحتجاج به في الجديد، وهو المشهور في المذهب.

ولعرض المسألة وسبرها من خلال التتبع لنصوص الشافعي – رحمه الله – وأقواله، وفهم أصحابه، واختيار الفقهاء والأئمة، نتدرج ببيان معنى الصحابيّ الذي يحتج بقوله، فقد اختلفت مذاهب العلماء في تحديد معنى الصحابيّ اصطلاحاً، غير أن ما أريدهُ هو في غير ما اختلف العلماء فيه، ومع ذلك نوردُ

(2) لقد عزمت على تلخيص ذلك في ما وصلت إليه من كتب المذهب، مع علمي أن من المعاصرين من أفرد لذلك بحثا في حجية قوله في المذاهب عموماً، لكن لمّا رأيت اختلافهم في حجية قوله عند الشافعية بناء على الاختلاف الذي استقرأته من كتبهم، آثرت البحث في المسألة بتأنّ وتؤدة، لخصت ما أراه صواباً في ذلك من خمسة وعشرين كتاباً من كتب أصول الشافعية، وكذلك نظرت في الكتب الفقهية التي اعتمدت عليها في استقراء الفروع، فنظرت في البرهان والاجتهاد والتلخيص للجويني، والمستصفى والمنخول للغزالي، والمحصول للرازي، وشروحه من علماء المذهب وغيرهم؛ كالتحصيل، وشروح المنهاج؛ الإبهاج والنهاية والتيسير، وشروح جمع الجوامع؛ المحلي، والتشنيف، وهمع الهوامع، وكذلك القواطع، والإحكام، والبحر، وغاية الوصول، ونهاية الوصول، وتخريج الفروع على الأصول، والفائق، وإجمال الصحابة، والأشباه والنظائر في القواعد .. وغيرها.

بشكل موجز معناه لغة، وأشهر معانيه اصطلاحاً بين العلماء، ثمّ بعد ذلك أحدّد معنى الصحابي الذي اختلف علماء الشافعيّة في الاحتجاج بقوله.

الفرع الأول: معنى الصحابي لغة واصطلاحاً:

لغة: مشتق من صَحِبَ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً بالضم، وَصَحَابَة بالفتح. (3)

واصطلاحاً: اختلفت مذاهب العلماء في ذلك إلى عدّة آراء أهمها الآتي:

كل من رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن صحبه سَنَة، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة فهو من أصحابه. قال البخاري: " من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه " (4) . وأضاف ابن المديني: " أو رآه ولو ساعة من نهار.. " (5) .

وبمعنى آخر: هو كل من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤمنًا ومات على الإسلام (6) . وهذا التعريف حكاه الآمدي عن أكثر أصحاب الشافعي - رحمه الله - (7) .

وقيل: الصحابي من طالت صحبته بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وكثرت مجالسته له والأخذ عنه (8) .

قال السمعاني: " والظاهر أنه يقع على من طالت صحبته مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكثرة مجالسته، وينبغي أن يطيل المكث معه على طريقة السمع له والأخذ عنه، ولهذا لا يوصف من أطال مجالسته بالعالم من أصحابه إذا لم يكن على طريق التبع له والأخذ عنه" (9) . قال المحليّ: " الصحابي من لقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - مؤمناً ولازمه زمنا طويلا " (10) . وهذا ما يهمّ البحث في معنى الصحابي لعرضه.

وما يجب الإشارة إليه أن المعنى الأول للصحابي هو في حقيقته إطلاق أصحاب

(3) ابن منظور، 915/1. الفيروز آبادي، 401/1. قال أبو بكر بن الطّيب الباقلاني: " لا خلاف بين أهل اللّغة أن الصّحابيّ مشْتقّ من الصّحبة، جار على كل من صحب غيره قليلا أو كثيرا، وهذا يوجب في حكم اللّغة أجزاءه على من صحب النّبي عليْه الصّلاة والسّلام ولو ساعة، قال: ومع هذا فقد تقرر للْأمة عرف في أنهم لا يستعملونه إلّا فيمن كثرت صحْبته، وكذا قال الْخطيب أيْضا: لا خلاف بين أهل اللّغة أن الصّحبة الّتي اشْتقّ منْها الصّحابيّ لا تحدّ بزمن، بل تشْمل صحْبة سنة، وصحْبة ساعة ". القارئ الهروي، ص985.

(4) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، ص 392.

(5) السخاوي، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، ط1، سنة1002م، ص232.

(6) قال ابن حجر: " وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابيّ: من لقي النبيّ صلىّ اللّه عليه وسلم مؤمنا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.. ". الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، 5141 هـ، 851/1.

(7) الآمدي، الإحكام، 372/1. السمعاني، القواطع، 393/1. الزركشي، البحر، 091/6. تشنيع المسامع، 1401/2. الإسنوي، نهاية السول، 372/1. أبي زرعة العراقي، الغيث الهامع، 164/1. صفي الدين الهندي ، نهاية الوصول في دراية الأصول، ط1، 6141 هـ - 6991 م، 9092/7. الفائق في أصول الفقه، ط1، 6241هـ، 881/2.

(8) الغزالي، المستصفى، 561/1. الزركشي، البحر، مرجع سابق، 091/6. صفي الدين الهندي، مرجع سابق، 9092/7.

(9) السمعاني، مرجع سابق، 393/1.

(10) العطار، على شرح الجلال، 591/2.

الحديث جُملة، فتارة يطلقون اسم الصحابي على كل من روى عنه حديثاً، أو كلمة، بل يتوسعون في ذلك إلى حدّ الرؤية ولو للحظة. قال ابن حجر: " هذا الذي ذكره البخاري هو الراجح ". وقال: " هو قول أحمد، والجمهور من المحدثين ". (11)

بخلاف إطلاق الأصوليين، أي المعنى الثاني في أنهم لا يطلقون لفظ الصحابي إلا على من طالت صحبته بالنبي – صلى الله عليه وسلم – مع الملازمة له، والأخذ عنه. (12)

ولما كان الكلام على حجيّة قول الصحابي، صار المعنى الأول – بداية – غير متبادر؛ لأن الموضع في الاحتجاج هنا متعلّق بقوله، ومن غير الممكن أن يبحث الفقهاء حكم قول الصحابيّ، ثم يختلفوا في الاحتجاج بقول الصحابي الذي رأي النبي – صلى الله عليه وسلم – للحظة، أو ساعة.

الفرع الثاني: الصحابي المُحتج بقوله عند علماء الشافعية.

ولما اختلف الأصحاب في المذهب على معنى الصحابي، وغيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى، واقتصرت في ذلك على مذهبين دون غيرهما، طلباً لحصر المعنى الذي أراده علماء الشافعية من الصحابي الذي يحتج بقوله دون غيره، فإن الفقهاء عندما تكلموا عن حجية قوله إنما تكلموا على الصحابي العالم المجتهد لا العاميّ، وهذا الوصف لا يتأتى ويتصوّر إلا في المعنى الثاني لاصطلاح الصحابي، والذي هو إطلاق الأصوليين كما مر.

قال السبكي: " واعلم أن كلامنا هو في الصحابي العالم، وهذا يعرف من قولنا: قول الصحابي، فإن غير العالم لا قول له .. ". (13)

قال الزركشي في شرحه لجمع الجوامع: " وإنما لم يقل المصنف – يقصد تاج الدين السبكي – مذهب الصحابي العالم كما قيّده الحنابلة؛ لأن العاميّ لا قول له " (14).

وعليه أذهب إلى تحقيق حجية قوله وما اختلفوا فيه بشكل يُحدد فيه محلّ النزاع في المسألة إلى ما يأتي:

المطلب الثاني: تحديد ما يحتج به من قول الصحابي.

وفي هذا المطلب أبين ما يعدّ حجة من أقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – عند علماء الشافعية، والإمام الشافعي – رحمه الله – وما لا يعدّ كذلك فيما ما يأتي:

الفرع الأول: تحرير محلّ النزاع.

(11) ابن حجر، الإصابة، مرجع سابق، 1/851.

(12) قال النووي: " أما الصحابي ففيه مذهبان، أصحهما وهو مذهب البخاري وسائر المحدثين وجماعة من الفقهاء وغيرهم، أنه كل مسلم رأى النبي – صلّى الله عليْه وسلّم – ولو ساعة، وإن لم يجالسه ويخالطه. والثاني وهو مذهب أكثر أهل الأصول أنه يشترط مجالسته، وهذا مقتضى العرف، وذاك مقتضى اللغة، وهكذا قاله الإمام أبو بكر بن الباقلاني، رحمه الله، وغيره. ". تهذيب الأسماء واللغات، 1/41.

(13) أبو زرعة ولي الدين العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، 1/196.

(14) الزركشي، تشنيف السامع، مرجع سابق، 3/244.

قول الصحابي على الصحابي الآخر لا يعدّ حجة وفاقاً [15] .

قول الصحابي في الحكم التعبدي الذي لا مجال للاجتهاد فيه، يعد حجة لغلبة التوقيف؛ ولأنه من قبيل المرفوع، والعمل بقوله هنا عمل بالمرفوع [16] .

قال السبكي: " إِنَّ الشَّافِعِيَّ يَسْتَثْنِي من قَوْلِه فِي الجديدِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ التّعبُّدِيِّ الذي لاَ مجَالَ لِلقِيَاسِ فيهِ.. " [17] . ثم ذكر أثر عَلِّي رضي الله عنه: " أَنَّهُ صَلىَّ فِي لَيْلَةٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ سِتَّ سَجَدَاتٍ " قال الشافعي في اختلاف الحديث: " وَلَوْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ لَقُلْت بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْقِيَاسِ فِيهِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ فَعَلَهُ تَوْقِيفًا.. ". [18]

والاحتجاج به لكونه من قبيل المرفوع، لا لأنه قول للصحابيّ فيحتجّ به، وبمعنى آخر: لأن الصحابي في الغالب لا يقوله إلا توقيفاً.

قال زكريا الأنصاري: " والاحتجاج به في الحكم التعبدي من حيث إنه من قبيل المرفوع لظهور أن مستنده فيه التوقيف، لا من حيث إنه قول صحابي.. ". [19]

وقال ولي الدين العراقي: " ليس هذا عملاً بقول الصحابي، وإنما هو تحسين للظن به، في أنه لا يفعل مثل ذلك إلا توقيفًا، فهو مرفوع حكمًا، وهو نظير ما اشتهر من أن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه مرفوع حكمًا، لحمله على أنه سمعه من النبي- صلى الله عليه وسلم - فذاك في القول وهذا في الفعل .. ". [20]

وقال الزركشي في البحر: " لِأَنَّهُ لَا مَحْمَلَ لَهُ إلَّا التَّوَقُّفُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقِيَاسَ وَالتَّحَكُّمَ فِي دِينِ اللَّهِ بَاطِلٌ فَيُعْلَمُ أَنَّهُ مَا قَالَهُ إلَّا تَوْقِيفًا، قَالَ ابْنُ بَرْهَانٍ فِي الْوَجِيزِ: وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ". [21]

---

(15) وهذا متفق عليه بين علماء الشافعية، ولا يخلوا كتابا من النص عليه صراحة.
قال الآمدي: " اتّفق الْكلّ على أنّ مذْهب الصّحابيّ في مسائل الاجْتهاد لا يكون حجّة على غيْره من الصّحابة الْمجْتهدين إماما كان أوْ حاكما أوْ مفْتيا.. " مرجع سابق، 4/ 151.

(16) قال الإسنوي: " قول الصّحابيّ حجّة فيما ليْس فيه للاجْتهاد مجال كذا نص عليْه الشّافعي في اخْتلاف الحديث" ثم ذكر أثر علي - رضي الله عنه - فقال: " لو ثبت ذلك عن عليّ رضي الله عنه لقلت به فإنّه لا مجال للْقياس فيه فالظّاهر أنه فعله توقيفا، هذا كلامه ومنْه نقلت وجزم به أيْضا في الْمحْصول في باب الْأخْبار في الْكلام على كيْفيّة ألْفاظ الصّحابيّ فتفطن له ورأيته مجْزوما به لابْن الصّباغ في كتاب الْيمّان من كتابه الْمسمّى ب الْكامل ". التمهيد في تخريج الأصول على الفروع، مرجع سابق، ص994. ونسبة هذا القول للإمام الرازي ذكرها الإسنوي، والزركشي في شرحه على جمع الجوامع، مرجع سابق، 3/ 344.

(17) ولي الدين أبي زرعة العراقي، مرجع سابق، 1/ 156.

(18) الشافعي، الأم، 01/652.

(19) زكريا الأنصاري، غاية الوصول، ص741.

(20) العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، ص256. ابن إمام الكاملية، مرجع سابق، 6/ 741.

(21) الزركشي، مرجع سابق، 8/ 86. وقال أيضا في موضع آخر: " ويخْرج منْ هذا قوْل آخر أنّه حجّة إذا لمْ يكنْ مدْركا بالْقياس دون ما للْقياس فيه مجال، وهذا الْقوْل هو الْمخْتار. وبه تجْمع نصوص الشّافعيّ - رضي اللّه عنْه -، وهذا حكاه الْقاضي في " التّقْريب " والْغزاليّ اسْتنْباطا منْ قوْل الشّافعيّ في كتاب اخْتلاف الْحديث " أنّه روي عنْ عليّ - كرّم اللّه وجْهه - أنّه صلّى في ليْلة ستّ ركعات، كلّ ركْعة بستّ سجدات، ثمّ قال: إنْ ثبت ذلك عنْ عليّ قلْت به، فإنّه لا مجال للْقياس فيه، فالظّاهر أنّه جعله توْقيفا. هذا لفْظه. قال الْقاضي: وهذا منْ قوْله يدلّ على أنّه كان يعْتقد أنّ الصّحابيّ إذا قال قوْلا ليْس للاجْتهاد فيه مدْخل فإنّه لا يقوله إلّا سمْعا وتوْقيفا وأنّه يجب اتّباعه عليْه، لأنّه لا يقول ذلك إلّا عنْ خبر. انْتهى ". 8/ 76.

والقـول بحجيـة قولـه هنـا: نسـبه تـاج الديـن السـبكي لوالـده تقـي الديـن في جمـع الجوامـع، وحـكاه ولي الديـن العراقـي عنهمـا [22] ، ونقـل الزركـشي حكايـة ذلـك عـن القـاضي في التقريـب، والغـزالي في المسـتصفى اسـتنباطاً مـن كلام الشـافعي - رحمـه اللـه - في اختـلاف الحديـث مـن أثـر عـليّ - رضي اللـه عنـه - السـابق [23] ، ونسـبه المحـلي للإمـام الـرازي [24] ، وكذلـك أكّـده الإسـنوي [25] وفـرع لـه وغـيره مـن الأئمـة قـولَ الشـافعي في مـا رُوِيَ عَـنْ عَـلِيٍّ - رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ - كمـا أكـد عـلى اسـتثنائه في الجديـد - يعنـي اسـتثناء عـدم الحجيـة - ابـن الصبـاغ [26] ، وقـال إلكيـا الهـرّاسي: هـو الصحيـح. [27]

قـول الصحابـي الـذي شـهد لـه النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - بمزيـة علـم إذا وافـق القيـاس - جليـا كان أم خفيـاً - حجـة. وإنمـا يحتـج بقولـه للدليـل عـلى تأكيـد هـذه المزيّـة والأفضليـة مـن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - في ذلـك العلـم [28] ،

---

(22) ولي الدين الراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، 1/ 156.

(23) الزركـشي، البحـر المحيـط، مرجـع سـابق، 8/ 76. غـير أن مـن الـلازم تحقيـق ذلـك مـن كلام الغـزالي، فقـد أورد - رحمـه اللـه - اعتراضـا عـلى ذلـك في كتابـه فقـال تحـت فصـل: فصْـل في تفْريـع الشـافعيّ في الْقديـم عـلى تقْليـد الصّحابـة ونصوصـه، بعـد مـا أورد مـا روي عـن عـلي رضي اللـه عنـه:

" وهـذا غـيْر مـرْضيّ، لأنّـه لـمْ ينْقـلْ فيـه حديثـا حتّـى يتأمّـل لفْظـه ومـوْرده وقرائنـه وفحْـواه ومـا يـدلّ عليْـه ولـمْ نتعبّـدْ إلّا بقبـول خـبر يرْويـه صحابـيّ مكْشـوفا يمْكـن النّظـر فيـه، كمـا كان الصّحابـة يكْتفـون بذكْـر مذْهـب مخالـف للْقيـاس ويقـدّرون ذلـك حديثـا مـنْ غـيْر تصْريـح بـه.. "

(24) العطـار عـلى شرح الجـلال، 2/ 693. قـال الزركـشي في سـياق ذلـك أيضـا: " وادعـى الشـيخ الإمـام أن الشـافعي - رحمـه اللـه - ورضي عنـه اسـتثنى مـن قولـه في الجديـد ليـس بحجـة الأمـر التعبـدي الـذي لا مجـال للقيـاس فيـه، قـال: لأن الشـافعي رضي اللـه عنـه قـال في اختـلاف الحديـث: روي عـن عـلي رضي اللـه عنـه (أنـه صـلى في ليلـة سـت ركعـات في كل ركعـة سـت سـجدات) ولـو ثبـت ذلـك عـن عـلي رضي اللـه عنـه قلـت بـه، فإنـه لا مجـال للقيـاس فيـه، فالظاهـر أنـه نقلـه توقيفـا.. ". ولقـد تتبعـت ذلـك في المحصـول للإمـام الـرازي فوجدتـه يـصرح بذلـك في المحصـول. ينظـر 6/ 531.

(25) الإسنوي، التمهيد،1 مرجع سابق، /994.

(26) قـال صاحـب تيسـير الأصـول: " ولابـن الصبـاغ في الكامـل: يسـتثنى مـن قولـه في الجديـد ليـس بحجـة الحكـم التعبـدي فقولـه فيـه حجـة بظهـور أن مسـتنده فيـه التوقيـف عـن النبـي- صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـال الشـافعي رضي اللـه عنـه روي عـن عـلي رضي اللـه عنـه أنـه صـلى في ليلـة سـت ركعـات، في كل ركعـة سـت سـجدات، ولـو ثبـت ذلـك عـن عـلي رضي اللـه عنـه قلـت بـه؛ لأنـه لا مجـال للقيـاس فيـه، فالظاهـر أنـه فعلـه توقيفـا.. " تيسـير الوصـول إلى منهـاج الأصـول. الزركـشي، البحـر المحيـط، مرجـع سـابق، 8/76.

(27) الزركشي، البحر المحيط، مرجع سابق، 8/ 86.

(28) وهـذا الـذي ظهـر لي مـن خـلال التتبـع للفـروع : فلقـد أخـذ الشـافعي - رحمـه اللـه - بقـول زيـد في الفرائـض لمزيـة الدليـل الشـاهد لـه بالأفضليـة في هـذا العلـم، يقـول الجوينـي: " فاختـار أن يتبـع زيـد بـن ثابـت، ولـم يضـع لأجـل هـذا كتابـاً في الفرائـض، لعلمـه بعلـم النـاس بمذهـب زيـد، وإنمـا نـصّ عـلى مسـائل متفرقـة في الكتـب، فجمعهـا المزنـي، وضـم إليهـا مذهـب زيـد في المسـائل، ولـم يقـل: تحرّيْـت [فيهـا] مذهـب الشـافعي كقولـه في أواخـر الكتـب التـي مضـت؛ فـإن التحـرّي اجتهـاد، ولا اجتهـاد في النقـل. وقـد تحقـق عنـده اتبـاع الشـافعي زيـداً، وتـردد قـول الشـافعي حيـث تـرددت الروايـات عـن زيـد، واعتمـده فيمـا رواه مـن ذلـك مـا رواه الأثبـات عـن رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- أنـه قـال: أفرضكـم زيـد".

وقـد أشـار الزركـشي في البحـر - بعدمـا أورد الخـلاف في المسـألة - في أن الشـافعي أخـذ بقـول زيـد في الجديـد بسـبب الدليـل لا التقليـد، فقـال: " تصرّفـات الشّـافعيّ في الْجديـد تقْتـضي أنّ قوْلـه حجّـة بشرْطـيْن: (أحدهمـا): أنْ لا يكـون للاجْتهـاد فيـه مجـال، (الثّانـي): أنْ يـرد في موافقـة قوْلـه نـصّ، وإنْ كان للاجْتهـاد فيـه مجـال كمـا فعـل في مسـائل الْفرائـض مقلّـدا زيْـدا فيهـا، لقوْلـه - صـلّى اللّـه عليْـه وسـلّم -: «أفْرضكـمْ زيْـد» ". الجوينـي، نهايـة المطلـب، 9/9. الزركـشي، البحـر المحيـط، مرجـع سـابق، 8/ 86.

وقيل قوله حجة وإن لم يوافق القياس [29]. كموافقة الشافعي - رحمه الله - زيداً - رضي الله عنه - في الفرائض، وكترجيحه مذهب علي - رضي الله عنه - في القضاء، وفي مسائل الحلال والحرام معاذاً - رضي الله عنه - ما لم يتعلق الأمر بالفرائض، فالقول قول زيد رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

قال الشافعي: " قول علي في الأقضية كقول زيد في الفرائض، وقول معاذ في التحليل والتحريم إذا لم يتعلق بالفرائض كقول زيد في الفرائض.. ".[30]

ولذلك قال الجويني مُعلّقاً على ذلك: وإن كنا لا نرى التعلق بمذهب الصحابي، إذ الأصل أنه لا يؤثر، وقوله كقول بعض علماء التابعين. [31]

وأيّاً كان الخلاف بين فقهاء المذهب [32]، فقد احتج به الشافعي - رحمه الله - بالمزية كان ذلك أم باعتضاد العِلِّيّة - فالنتيجة واحدة، وهو الرجوع لقوله.

إذا وافق قول الصحابي - وإن لم يشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بمزية

---

(29) وهذ ما ظهر لي أيضاً من خلال التتبع لمذهب الشافعي - رحمه الله - ومذهب زيد - رضي الله عنه - في الفرائض، فتقليد الشافعي لزيد - رحمه لله - للدليل، لا لكون موافقاً للقياس، فلقد خالف زيد القياس، وقلّده الشافعي - رحمه الله - ممّا يؤكد أن تقليده لزيد هو للدليل، وإن كان موافقة القياس لقول الصحابي تعد سبباً من أسباب الاحتجاج بقول الصحابيّ في المذهب الشافعي كما سيأتي في موضع آخر.

قال الزركشي: " وقرّب مذْهب زيْد إلى الْقياس أنّ جعْل الْأمّ دون الْأب في النّصيب، قياس ميراث الذّكر والْأنْثى، وكذا قوْله: أوْلاد الْأبويْن يشاركون ولد الْأمّ لاشْتراكهمْ في الْقرابة، وجعل الْأبويْن مانعيْن الْأخوّة في ردّ الْأمّ إلى السّدس قياساً على جعْل الْبنين في معْنى الْبنات في اسْتحْقاق الثّلثيْن. وقدْ أوْرد على هذا أنّه خالف الْقياس في مسائل الْجدّ والْإخْوة، والْمعادة، وإعْطاء الْأمّ ثلث. ما يبْقى، وليْس فيه كتاب ولا سنّة ولا قياس".

كما أن هناك من علماء المذهب من رفض التعليل السابق في تقليد الشافعي - رحمه الله - لمذهب زيد - رضي الله عنه بأن قال: اجتهاد الشافعي أوصله إلى مذهب زيد ولم يقلّده.

قال ابن إمام الكاملية: " وموافقة الشافعي- رضي الله عنه- لزيد بن ثابت في الفرائض ليس تقليدا له، بل لدليل قام عنده، فوافق اجتهاده اجتهاده، واستأنس به.. "

(30) الجويني، البرهان ، 2/ 242. السمعاني، القواطع، مرجع سابق، 2/ 752. تقي وتاج الدين السبكي، الإبهاج، مرجع سابق، 2/ 282. الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/ 522. تشنيق المسامع، مرجع سابق، 3/ 635.

(31) الجويني، نهاية المطلب، مرجع سابق، 2/ 142. وغالبا ما يتحدث علماء الأصول في المسألة تحت باب الترجيح بين أقوال الصحابة، أو الأقيسة عندما يعتضدها قول صحابي شهد له النبي - صلى الله عليه وسلم - بمزية علم. يقول زكريا الأنصاري: " (ويرجح) كما قال الشافعي فيما إذا وافق كل من الدليلين صحابيا، وقد ميز النص أحد الصحابيين فيما ذكر. (موافق زيد في الفرائض فمعاذ) فيها (فعليّ) فيها (ومعاذ في أحكام غير الفرائض فعليّ) في تلك الأحكام، فالمتعارضان في مسألة في الفرائض يرجح منهما الموافق لزيد، فإن لم يكن له فيها قول فالموافق لمعاذ، فإن لم يكن له فيها قول فالموافق لعليّ، والمتعارضان في مسألة في غير الفرائض يرجح منهما الموافق لمعاذ، فإن لم يكن له فيها قول فالموافق لعليّ... ". زكريا الانصاري، غاية الوصول، 1/ 351.

(32) وكما مرّ فقد اختلف فقهاء المذهب في علة موافقة الشافعي - رحمه الله - لمذهب زيد رضي الله عنه؟ هل كانت تقليدا له؟ أم للمزية الثابتة بالدليل؟ أم أن اجتهاده أوصله لمذهب زيد - رحمه الله -؟ فقال بعضهم أن الشافعي رحمه الله قلّد زيدا - رضي الله عنه - وأخذ يستدل بحجية قول الصحابي عند الشافعي بموافقته لزيد في الفرائض، وقال بذلك من الشافعية الإسنوي وابن الصباغ، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في تتمة التحقيق لحجية قول الصحابي، وقال بعضهم: موافقة الشافعي لزيد، هو في الحقيقة عمل بالدليل ؛ المزية، وقال آخرون إنما وافق الشافعي زيدا لأن اجتهاده أوصله لمذهب زيد - رضي الله عنه - والجواب الثاني والثالث هو ما عليه جل علماء المذهب، والأول بعيد. = ينظر: الغزالي، المنخول 1/ 755. الزركشي، البحر المحيط، مرجع سابق، 8/ 86. تشنيف المسامع، مرجع سابق، 3 / 635 – 545. الجويني، البرهان، مرجع سابق، 2/ 142. العطار على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/ 793. زكريا الأنصاري، غاية الوصول، مرجع سابق، 1/ 741. ولي الدين العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، ص556. ابن إمام الكامليّة، تيسير الأصول، 6/ 541، وما بعدها.

علـم – القيـاس، خفيّـاً كان أم جليّـاً فإنـه يحتـج بـه في القديـم قـولاً واحـداً، وفي الجديـد على خـــلاف.[33]

قـال بذلـك جـلّ علمـاء الشـافعية، فـإذا اعتضـد قـول الصحابـي بالقيـاس ولـو كان ضعيفـاً، وقـد عـبّر عنـه المـاوردي بالتقريـب، قـدم عـلى الجـليّ؛ قيـاس التحقيـق – في القديـم – ولذلـك نقـل علمـاء الأصـول مـن الشـافعية مـا معنـاه بأنـه حجـة؛ يعنـي قـول الصحابـي إذا انضـم إليـه قيـاس تقريـب.

وفي الجديـد ضرب لـه المحـلّي مثـالاً لحجيـة قولـه إذا اعتضـد بـه القيـاس فقـال: ومنـه مـا نقـل الشـافعي رحمـه اللـه مـن " قَـوْلِ عُثْمَـانَ - رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ - فِي الْبَيْـعِ بِـشَرْطِ الْـبَرَاءَةِ مِـنْ كُلِّ عَيْـبٍ أَنَّ الْبَائِـعَ يَـبْرَأُ بِـهِ مِمَّـا لَـمْ يَعْلَمْـهُ فِي الْحَيَـوَانِ دُونَ غَـيْرِهِ.. ".[34]

وسـيأتي مناقشـة ذلـك إن شـاء اللـه في الـردّ عـلى مـن قـال بـأن الشـافعي يحتـج بقـول الصحابـي في الجديـد مُسـتدلاً بنقـل الشـافعي – رحمـه اللـه - لقـول عثمـان – رضي اللـه عنـه -.

وتقيّيـد حجيـة قولـه بموافقـة أي قيـاس يُعتضـد بـه - قويّـاً كان أم ضعيفـاً - نـصّ عليـه الحـاوي - كمـا مـرّ - وهـو قـول أبـي بكـر الصـيرفي، وابـن قطـان كمـا نقـل الزركـشي، [35] والقفـال كمـا نقـل في الروضـة والـشرح الكبـير في أنـه لا يحتـج بالقـول الـذي لـم ينتـشر إلا بوجـود قيـاس ولـو ضعيفـاً يَعتضـد بـه،[36] وهـو مـا نـص عليـه القـاضي حسـين في تعليقتـه – مطلقـاً في الجديـد والقديـم -. [37]

قال ابن فورك: " حجة – يعني قول الصحابي – إذا كان معه قياس ".[38]

وقـد خالـف الشـيرازي ذلـك مقـرّراً: أن القيـاس الجـليّ مقـدّم عـلى قـول الصحابـي وإن اعتضـد بقيـاس خفـي [39] قـال الزركـشي: وهـو ضعيـف؛ ونقـل تضعيـف ابـن الصبـاغ لـه.[40]

أقـوال الصحابـة في غـير مـا ذُكـر يُمكـن تحديـد النـزاع فيهـا بـين علمـاء الشـافعية مـن خـلال مـا يأتـي:

الفرع الثاني: المُختلف فيه من أقوال الصحابي.

ويمكن إبرازه بعد بيان التفصيل السابق من خلال التساؤل الآتي:

(33) المـاوردي، الحـاوي، 5/ 372. العطـار، حاشـية العطـار عـلى شرح الجـلال، مرجـع سـابق، 2/ 793. الزركـشي، تشـنيف السـامع، مرجـع سـابق، 3/ 744. البحـر، مرجـع سـابق، 8/ 06. أبـو زرعـة ولي الديـن العراقـي، الغيـث الهامـع، مرجـع سـابق، 1/156. السـمعاني، مرجـع سـابق، 2/ 9.

(34) العطار، حاشية العطار على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/ 793.

(35) الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/ 06.

(36) النووي، روضة الطالبين، 11/ 641 وما بعدها. الرافعي، العزيز، ، 21/374. الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/ 06.

(37) القاضي حسين، التعليقة، 1/ 371.

(38) الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/16.

(39) الشيرازي، التبصرة، ص793.

(40) الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/16. وما بعدها لمن أراد التوسع في المسألة.

قول الصحابي الذي لم يُشهد له بمزية علم في غير الحكم التعبديّ [41] إذا لم يوافق القياس - على التابعي ومن بعده - انتشر بين الصحابة مع سكوتهم، أو لم ينتشر، هل يعد حجة؟ وهل يلزم تقليده أم لا؟

اختلفت أنظار العلماء في المذهب إلى هذا الأصل، ولعلّه يعدّ من أكثر الأصول اختلافاً، وقد تفرع من اختلافهم على حجية قول الصحابي اختلافهم في أصل آخر متفرع من أصل حجية قوله، وأعني به الإجماع السكوتي، وصورته في قول الصحابيّ الذي انتشر بين الصحابة وسكت عنه الصحابة فلم يعارضوه، وعلَّنِي أُفرد للمسألة فقرة أُلحقها بهذا الأصل طلباً للاختصار إن شاء الله.

وعليه ومن خلال المتابعة لعين المسألة في كتب الأصول، وما وصلت إليه من تفريعات الشافعي – رحمه الله - في المسائل الفقهية فقد اختلف فقهاء المذهب في ذلك إلى ما يأتي:

أولاً: قول الصحابي إذا لم ينتشر بين الصحابة، هل يعد حجة؟ وهل يلزم تقليده؟

ذهب البعض إلى أنه حجة مطلقاً؛ وآخرون صرحوا بذلك قديما وجديداً، انتشر أو لم ينتشر، ومن ذهب إلى ذلك ابن الصباغ كما مر فظاهر كلامه أن قوله حجة في القديم والجديد، انتشر أو لم ينتشر.

وهناك من احتج به في القديم وإن لم ينتشر؛ وهذا ما نقله الجويني [42] وإطلاق الحجية دون تقييد؛ انتشر أو لم ينتشر ذكره الغزالي، والإسنوي، وزكريا الأنصاري، وأبي بكر الأرموي، وابن إمام الكاملية [43] ونقل شُراح جمع الجوامع - التشنيف والغيث - ذلك عن الرّازي وابن الصباغ[44] وهو إطلاق النووي في الروضة والمجموع، فقال: حجة مطلقاً وإن لم ينتشر. [45]

وهناك من قيّد حجية قوله في القديم بشرط انتشاره وعدم المخالفة، وهو ما عليه الغالبية في المذهب،[46] اختاره البيضاوي، ونص عليه الجويني.[47]

وبهذا يمكن تلخيص ما قيل في المسألة إلى ما يأتي:

حجة مطلقاً في القديم والجديد.

حجة مطلقاً في القديم وإن لم ينتشر؛ نُصّ على ذلك صراحة.حجة في القديم إذا

(41) وهي المسائل التي طريقها الاجتهاد.

(42) الجويني، الاجتهاد، مرجع سابق، ص911.

(43) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، ص861. الإسنوي، نهاية السول، مرجع سابق، 1/763. زكريا الأنصاري، مرجع سابق، 1/ 741. أبو بكر الأرموي، التحصيل من المحصول، 2/ 913. ابن إمام الكاملية، مرجع سابق، 6/ 541. 641.

(44) الزركشي، مرجع سابق، 3/144. ولي الدين العراقي، مرجع سابق، ص256.

(45) النووي، مرجع سابق، 11/641.

(46) تقي وتاج السبكي، الإبهاج، 3/241، العلائي، إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، ط1، 7041، ص 63. وما بعدها. حاشية العطار على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/693. الشيرازي، التلخيص، 2/831. اللمع، 1/63. الإسنوي، نهاية السول، مرجع سابق، ص763. زكريا الانصاري، مرجع سابق، 1/741.

(47) الجويني، التلخيص، مرجع سابق، 2/831.

انتشر مع عدم المخالفة [48]
حجة في القديم إذا اعتضد بأي قياس ولو ضعيفاً.
ثانياً: قول الصحابيّ إذا انتشر هل يعدّ حجة؟ وهل يلزم تقليده؟
الغالبية على أنه حجة إذا انتشر بين الصحابة وسكتوا عنه في القديم.[49]
نص على ذلك جلّ علماء الأصول، ومن أطلق الحجية من قوله، ومن نص على أن قوله حجة وإن لم ينتشر، هو من باب أولى يحتج به إذا انتشر.
وقد مرّ بأن ابن الصباغ يُحتج بقول الصحابي مطلقاً، والذي ظهر لي من كلام الإسنوي - من خلال إيراده الفروع حول المسألة - ميله إلى حجية قوله قديماً وجديداً.[50]
وعلى أية حال، قوله في القديم إذا انتشر حجة ذكره الجويني،[51] والغزالي،[52] ونص عليه الماوردي،[53] والنووي،[54] والقاضي في تعليقته،[55] وزكريا الأنصاري،[56] وهذا ما يُفهم من شراح جمع الجوامع، [57] ومن جلّ علماء أصول المذهب في أن قوله إن انتشر مع عدم المخالفة حجة في القديم، [58] وكما تبين سابقاً أن من أطلق الحجية قديماً وجديداً كابن الصباغ، هو يحتج بقوله كذلك من باب أولى إذ انتشر، أما في الجديد فقول الصحابي لا يحتج به ولا يقلّد، وهو ما نصّ عليه جلّ الأصحاب والمحققون.
قال الغزالي: " وهو الصحيح المختار "، [59] وقال الرازي: " هو الحق المختار

(48) وسيأتي تفصيل ذلك في محله إن شاء الله، وما يهم أن قوله الذي لم ينتشر في القديم لا يعدّ حجة عند هؤلاء.

(49) ومن أوضح النصوص المنقولة عن الشافعي – رحمه الله - في احتجاجه بقول الصحابيّ في القديم مطلقا ما نقله الزركشيّ عنه في البحر حيث قال:" ومنْ كلام الشّافعيّ في الْقديم، لّما ذكر الصّحابة - رضْوان اللّه عليْهمْ -: وهمْ فوْقنا في كلّ علْم واجْتهاد وورع وعقْل وأمْر اسْتدْرك فيه علْم أوْ اسْتنْبط، وآراؤهمْ لنا أجْمل وأوْلى بنا منْ آرائنا عنْدنا لأنْفسنا. ومنْ أدْركْنا ممّنْ يرْضى أوْ حكى لنا عنْه ببلدنا صاروا فيما لمْ يعْلمْ للرّسول - صلّى اللّه عليْه وسلّم - فيه سنّة إلى قوْلهمْ إنْ أجْمعوا، وقوْل بعْضهمْ إنْ تفرّقوا، فهكذا نقول: إذا اجْتمعوا أخذْنا باجْتماعهمْ، وإنْ قال واحدهمْ ولمْ يخالفه غيْره أخذْنا بقوْله، وإنْ اخْتلفوا أخذْنا بقوْل بعْضهمْ ولمْ نخْرج عنْ أقاويلهمْ كلّهمْ " مرجع سابق، 8/ 06.

(50) الإسنوي، التمهيد، مرجع سابق، ص994.

(51) الجويني، التلخيص، 2/ 831.

(52) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، 1/ 171، وقد ردّ على ذلك الغزالي، بعد إيراده القول.

(53) الماوردي، الحاوي، مرجع سابق، 5/ 732.

(54) النووي، المجموع، مرجع سابق، 1/ 85، روضة الطالبين، مرجع سابق، 11/641.

(55) القاضي حسين، التعليقة، مرجع سابق، 1/ 371.

(56) زكريا الانصاري، غاية الوصول، مرجع سابق، 1/ 741.

(57) أبي زرعة العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق ص456، العطار، حاشيته على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/693.

(58) وهنا مسألة يجب أن نوردها لضرورة المقام وهي الإجماع السكوتي، والمتمثل في قول الصحابي المنتشر بين الصحابة مع عدم مخالفتهم له، هل يعد إجماعا سكوتيّا يحتج به أم لا؟ وسيأتي بيانها في الفقرة الآتية.

(59) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، 1/071. وقد أوردها في مسألة تقليد، وعدم تقليد قول الصحابي.

"،[60] وهـو اختيـار الآمـدي، [61] والبيضـاوي، [62] والعطـار في حاشـيته عـلى شرح الجـلال. [63]

وقـال الجوينـي: " الاحتجـاج بأقـوال الصحابـة مرفـوض "، [64] بـل نـص في التلخيـص عـلى رد قولـه وإن انتـشر [65] ؛ لأنـه لا يعـدّ حجـة ولا إجماعـاً سـكوتياً، وهـو إطـلاق الورقـات. [66]

كمـا ردّ الغـزالي الاحتجـاج بقـول الصحابـة مطلقـاً كمـا مـرّ، [67] وقـال ابـن السـبكي: " القـول المنصـور أنـه لا يحتـج بقولـه "، [68] وهـو منصـوص الأصـح عنـد الزركـشي [69] وأبـي زرعـة العراقـي، [70] وصحيـح النـووي، [71] وابـن إمـام الكاملية، [72] وقـال ابـن الجـوزي: لا يكـون حجـة وإن انتـشر، إلا إذا كان معـه قيـاس.

وحجيتـه قـول جـلّ علمـاء المذهـب كمـا ظهـر لي؛ وأعنـي القـول الـذي معـه قيـاس يُعتضـد بـه، إذ لا خـلاف، ومنهـم مـن قـال بحجيتـه في القديـم والجديـد، وهـو قـول ضعيـف في المذهـب، حيـث نقـل الغـزالي قـولاً نحـو ذلـك، ومـال إلى ذلـك الإسـنوي مـن خـلال اعتمـاده عـلى فهـم بعـض نصـوص الشـافعي في الجديـد، ولعـلّ جلّهـا مؤولـة يـردّ عليهـا كمـا ظهـر لي مـن خـلال التتبـع لمناقشـة العلمـاء حـول المسـألة،([73]) والسـبب في اختـلاف علمـاء المذهـب؟ اختلافهـم في تأويـل بعـض نصـوص الشـافعي - رحمـه اللـه - وسـتأتي مناقشـتها إن شـاء اللـه.

الفرع الثالث: الإجماع السكوتي من أقوال الصحابة.

هـل يعـدّ الإجمـاع السـكوتي والمتصـور في قـول الصحابـي المنتـشر الـذي لـم يخالـف مـن الصحابـة حجـة في المذهـب، وهـل يلـزم تقليـده؟

لقـد ذكرنـا مـا عليـه الأصحـاب وعامـة المحققـين في المذهـب أنـه لا يحتـج بـه، وأن

(60) الرازي، المحصول، 6/231. وقد أوردها في مسألة تقليد، وعدم تقليد قول الصحابي.

(61) قال: والمختار أن قول الصحابيّ ليس بحجة. الآمدي، مرجع سابق، 4/941. تقي وتاج السبكي، مرجع سابق، 3/291.

(62) تقي وتاج السبكي، مرجع سابق، 3/291.

(63) العطار، مرجع سابق، 2/693.

(64) الجويني، الاجتهاد، مرجع سابق، ص911.

(65) الجويني، التلخيص، مرجع سابق، 2/831.

(66) أمجد رشيد الورقات، ص09.

(67) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، ص861.

(68) السبكي، الأشباه والنظائر، مرجع سابق، 2/391.

(69) الزركشي، تشنيف السامع، مرجع سابق، 3/144.

(70) أبي زرعة العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، ص156.

(71) النووي، المجموع، مرجع سابق، 1/85.

(72) ابن إمام الكاملية، مرجع سابق، 6/541.

(73) كل مـن استشـهد بحجيـة قـول الصحابـي عنـد الشـافعي إنمـا اعتمـد في دعـواه عـلى مسـائل يمكـن الـردّ عليهـا، بـأن الشـافعي احتـج بقولـه لأسـباب لا لكونـه صحابيّـا فحسـب، بـل احتـج بقولـه في مـا يظـنّ فيـه التوقيـف، أو بمزيّـة علـم شـهد لهـا مـن النبـيّ - صـلى اللـه عليـه وسـلّم - أو بسـبب اعتضـاده بقيـاس كمـا مـرّ، ومظـانّ ذلـك في الفـروع موجـودة.

من علماء المذهب - وهم قليل - من احتج به، غير أن هناك من احتج به لا لكونه قولاً للصحابي، بل لكونه إجماعاً سكوتياً يلزم اتباعه والعمل به.

فما هو الإجماع السكوتي؟ وما صورته في قول الصحابي؟

الإجماع لغة الاتفاق؛ يُقَال: هَذَا أَمْرٌ مُجْمَعٌ علَيْه: أَيْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.[74]

الإجماع اصطلاحاً: " هو اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة ".[75] ونعني به هنا الصريح. أما السكوتي: فقد عرفه علماء الأصول بقولهم: هو قول بعض أهل العصر قولاً مع حضور الباقين وسكوتهم عليه. [76]

وبمعنى آخر: " هو قول بعض المجتهدين في المسائل التكليفية الاجتهادية مع معرفة الآخرين وسكوتهم عليه ". [77] أو " هو قول بعض المجتهدين وسكوت الباقين بعد انتشاره من غير أن يظهر معهم اعتراف أو رضا ".[78]

وللإجماع صور نوجزها في الآتي: [79]

الإجماع الصريح: وهو اتفاق مجتهدي الأمة صراحة بعد وفاة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - في أي عصر على أي شيء كان.

الإجماع السكوتي: وهو أن يقول بعض المجتهدين حكماً، مع سكوت الباقين عليه بعد العلم به.

الإجماع المركب: وهو الاتفاق في الحكم من المجتهدين مع الاختلاف في المأخذ.[80]

وصورته هنا في قول الصحابي الذي انتشر بين الصحابة مع سكوتهم عنه من غير أن يُظهروا مع قوله المنتشر - والمعروف عندهم - اعترافاً صريحاً، أو رضا يُستفاد منه الموافقة.

وقد سبق بيان اختلاف الفقهاء في قول الصحابي المُنتشر، وهنا نبيّن أقوالهم في حجيّة من حيث كونه إجماعاً سكوتيّاً، وللشافعي فيه مذهبان.

قال الجويني في التلخيص: " وَأما إِذا قَالَ وَاحِد من الصَّحَابَة قولا، وانتشر فِي سَائِر الصَّحَابَة، وَلم يظهروا عَلَيْهِ نكيراً، بل سكتوا عَنهُ، وَلم يتكلموا بوفاق وَلَا خلاف، فَهَل يكون ذَلِك إِجْمَاعًا؟

فَاخْتلف الأصوليون فِيهِ، فَذهب بَعضهم إِلَى أَن ذَلِك إِجْمَاع مَقْطُوع بِهِ، وَذهب آخَرُونَ إِلَى أَنه لَيْسَ بِإِجْمَاع، وَللشَّافِعِيّ - رَضِي الله عَنهُ - مَا يدل على المذهبين،

(74) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، 02/ 364.

(75) اللمع ، ص78. يقول الشيرازي: " الإجماع في اللغة يحتمل معنيين أحدهما الإجماع على الشيء، والثاني العزم على الأمر والقطع به من قولهم: أجمعت على الشيء إذا عزمت عليه، وأما في الشرع فهو اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة ".

(76) الرازي، مرجع سابق، 4/ 351.

(77) تقي وتاج الدين السبكي، مرجع سابق، 2/973.

(78) الزركشي، مرجع سابق، 6/ 654.

(79) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص93.

(80) " مثاله انعقاد الإجماع على نقض الطهر عند المس والقيء معا، لكن يأخذ النقض عند الشافعي رضي الله عنه المس، وعند الحنفي القيء، فلو قدر عدم المس، لم يقل الشافعي بالنقض، أو القيء لم يقل الحنفي بالنقض فينبغي الإجماع ". المصدر السابق، ص93.

وَآخـر أَقْوَالـه - اسْـتَقر - عـلى أَنـه لَيْـسَ بِإِجْمَـاع، فَإِنَّـهُ قَـالَ: لَا ينْسـب إِلَى سَـاكِت قَـول.. " [81]

وقـال في النهايـة: "فمذهبـه في الجديـدِ - يعنـي الشـافعي - أنـه لا يُنْسَـب إلى سـاكت قـول".[82] يفهـم مـن كلام الجوينـي أن حجيـة قولـه في كونـه إجماعـاً سـكوتياً مقطوع بـه قـولان؛ الجديـد منهمـا، والـذي عـبّر عنـه بآخـر أقوالـه؛ أنـه لا يحتـج بـه.

ثـم ذكـر الجوينـي أن هنـاك مـن اعتـبره حجـة بالرغـم مـن تصريحـه بعـدم اعتباره إجماعـاً، مؤكـدّاً عـلى ميلـه وتصريحـه بعـدم حجيتـه، وعدم كونـه إجماعـاً. [83]

ومـن نـص عـلى حجيتـه، وأورد الخـلاف في كونـه إجماعـاً بـين القديـم والجديـد المـاوردي حيـث قـال: الإجمـاع السـكوتي حجـة: وَهَـلْ يَكُـونُ إِجْمَاعًـا أَمْ لَا؟ عَـلَى قَوْلَـيْنِ:" أحدهمـا يكـون إجماعـاً....؛ لِأَنَّ كَتْـمَ الشَّرِيعَـةِ يَنْتَفِـي عِنْدَهُـمْ، الْقَـوْلُ الثَّانِـي: لَا يَكُـونُ إِجْمَاعًـا، قَـالَ الشَّـافِعِيُّ: مَـنْ نَسَـبَ إِلَى سَـاكِتٍ كَلَامًـا فَقَـدْ كَـذَبَ عَلَيْـهِ.. " [84]

وقـد ردّ الغـزالي عـلى مـن احتـج بذلـك مسـتدلاً بالإجمـاع السـكوتيّ فقـال: " وَهُـوَ ضَعِيـفٌ - يقصـد حجيـة قولـه إذا انتـشر مـع سـكوت الباقـين -؛ لِأَنَّ السُّـكُوتَ لَيْـسَ بِقَـوْلٍ، فَـأَيُّ فَـرْقٍ بَـيْنَ أَنْ يَنْتَـشِرَ أَوْ لَا يَنْتَـشِرَ .. " [85]. والـذي عليـه غالبيـة علمـاء المذهـب أنـه حجـةً في القديـم لا الجديـد؟[86] قـال الـرازي: " مذهـب الشـافعي - رضي اللـه عنـه - وهـو الحـق أنـه ليـس بإجمـاع ولا حجـة".[87]

وقـد هـذب المـاوردي، وتقـي الديـن وتـاج السـبكي المسـألة، وحـدّدا محـل النـزاع في السـكوت الـذي لـم تظهـر عليـه أمـارات الـرضى والسـخط، فظهـور أمـارات الرضـا عـلى القـول إجمـاع بـلا خـلاف، وظهـور أمـارات السـخط لا يجعلـه إجماعـاً بـلا نـزاع،

(81) التلخيـص، مرجـع سـابق، 3/ 89. ولقـد أوردهـا الشـافعي - رحمـه اللـه - في الأم عـلى هـذا السـياق، ومنـع نسـبة القـول لمـن سـكت، مرجـع سـابق، 1/ 781.

(82) المصدر السابق، 5/ 282.

(83) قـال الجوينـي في التلخيـص: " والّـذي نرتضيـه في ذلـك إنّـه ليْـس بإجْمـاع إذ انقسـم سـكوت السـاكتين إلى وجـوه، فجـاز أن يكـون السّـكوت رضى منْهـم بالْقـوْل الْمنْتـشر فيهـم، وجـاز غـير ذلـك، فتقابلـت الاحْتمـالات، و لـم يكـن الْأَخْـذ ببعضهمـا أولى"، مرجـع سـابق، 3/ 99.

وقـال في البرهـان: " المختـار إذا مذهـب الشـافعي، فـإن مـن ألفاظـه الرشـيقة في المسـألة لا ينسـب إلى سـاكت قـول، ومـراده بذلـك أن سـكوت السـاكتين لـه محمـلان أحدهمـا: موافقـة القائـل كمـا يدعيـه الخصـم، والثانـي تسـويغ ذلـك القـول الواقـع في محـل الاجتهـاد ". مرجـع سـابق، 1/ 172.

وقـد ناقـش صفـي الديـن هـذا المسـألة مبيّنـا كلام الشـافعي مـن عبارتـه السـابقة فقـال: " لا يكـون الإجمـاع السـكوتي حجـة، إذا احتمـل سـكوت السـاكتين هـذه الوجـوه - يعنـي وجـوه الجوينـي المذكـورة - لـم يكـن سـكوتهم دالا عـلى الرضـا، وهـذا معنـى قـول الشـافعي - رضي اللـه عنـه -: "ولا ينسـب إلى سـاكت قـول". مرجـع سـابق، 6/ 0752.

(84) الماوردي، مرجع سابق، 1/ 03.

(85) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، 1/ 171.

(86) صفـي الديـن الهنـدي، الفائـق، مرجـع سـابق، 2/734. نهايـة الوصـول، مرجـع سـابق، 8/ 4993، الأرمـوي، سراج الديـن محمـود الأرمـوي، التحصيـل مـن المحصـول، ط1، 8041 هـ - 8891 م 2/ 123. الزركـشي، مرجـع سـابق، 8/ 26.

(87) وقـد نقـل الـرازي أقـوالا بحجيـة ذلـك فقـال: " قـال الجبائـي إنـه إجمـاع وحجـة بعـد انقـراض العـصر، وقـال أبـو هاشـم ليـس بإجمـاع، ولكنـه حجـة، وقـال أبـو عـلي بـن أبـي هريـرة إن كان هـذا القـول مـن حاكـم لـم يكـن إجماعـا ولا حجـة، وإن لـم يكـن مـن حاكـم كان إجماعـا وحجـة.. " . مرجـع سـابق، 4/351. وذكـر الآمـدي في الإحـكام مذاهـب العلمـاء في ذلـك، مرجـع سـابق. 1/ 252.

وجلّ الخلاف في السكوت الذي لم تظهر عليه الأمارات السابقة، حيث أوردوا عليه مذاهب من أهمها[88]:

إنه ليس بإجماع ولا حجة: قال بذلك الغزالي، والإمام وأتباعه، ونقله هو، والآمدي عن الشافعي.[89]

إنه حجة: نص على ذلك الماوردي [90] ونسب الزركشي وتقي وتاج السبكي القول بالحجية للرافعي فيما نقله عن الأصحاب، حيث قال: " المشهور عند الأصحاب أن الإجماع السكوتي حجة؛ لأنهم لو لم يرضوه لاعترضوا عليه، وهل هو إجماع أو لا؟ فيه وجهان، وقال الشيخ أبو إسحاق في اللمع: إنه إجماع على المذهب ".[91]

وعلى أية حال فقد ذكر الزركشي في حجية قوله إذا انتشر ثلاثة عشر مذهباً، يمكن الرجوع لمظانها في البحر - لمن أراد -[92].

ولكن هل يجب تقليد قول الصحابي انتشر أو لم ينتشر؟

تقليده متلازم مع حجية قوله، فإذا احتج به لزم تقليده، وهذا مذهب الشافعي في القديم، والمعتمد وما عليه المحقّقون في المذهب عدم تقليده في الجديد، [93]غير أن الغزالي، والرازي، وصفي الدين الهندي قيدوا - في القديم - لزوم تقليده بانتشار قوله مع عدم المعارضة، وهو تصريح الجويني في التلخيص ([94])، ونقل سراج الدين الأرموي وصفي الدين الهندي قولاً آخرَ بتقليد قوله في القديم وإن لم ينتشر.[95]

وذكر السمعاني، والإسنوي، وصفي الدين الهندي في لزوم تقليده في القديم ثلاثة أقوال: المنع مطلقاً، والتقليد مطلقاً، والتقليد بشرط الانتشار وعدم المعارضة. [96]

(88) الماوردي، مرجع سابق، 1/ 03، تقي وتاج السبكي، مرجع سابق، 2/ 083.

(89) ينظر: المراجع السابقة: الغزالي، والرازي، والآمدي، والمشار إليها بخصوص المسألة.

(90) قال: " والضَّرب الثَّاني: أنْ لا يظْهر من السّاكت الرّضى ولا الْكراهة، فهو حجّة، لأنّهمْ لوْ علموا خلافه لمْ يسعْهم الْإقْرار عليْه وهلْ يكون إجْماعا أمْ لا؟ على قوْلَيْن.. " المصدر نفسه، 1/ 03.

(91) الزركشي، مرجع سابق، 6/064. تقي وتاج الدين السبكي، مرجع سابق، 2/ 083.

(92) الزركشي، مرجع سابق، 6/653.

(93) هذا ما نقله المحلّي، وصفي الدين الهندي، وابن إمام الكاملية، وولي الدين العراقي عن الجويني: أن الأصح وما عليه المحققون عدم تقليد قول الصحابي؛ لا لنقص اجتهاده، وإنما هو لعدم الوثوق بمذهبه، إذ لم يدون بخلاف مذاهب الأئمة، قال صفي الدين الهندي: وهو مختار الجماهير، وقال ولي الدين أبي زرعة العراقي، وابن إمام الكامليّة: وبه جزم ابن الصلاح، ثم قال ولي الدين العراقي: وصحّح المصنف تقليده – يقصد السبكي – إن ثبت تدوين مذهبه.
ينظر: العطار، على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/693. صفي الدين الهندي، نهاية الوصول، مرجع سابق، 8/3893. 0993، ولي الدين العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، ص256.

(94) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، ص961. الرازي، مرجع سابق، 6/231، صفي الدين الهندي، نهاية الوصول، مرجع سابق، 8/3893. 0993. الجويني، التلخيص، مرجع سابق، 2/731. 831.

(95) صفي الدين الهندي، الفائق في أصول الفقه، 2/734.634، سراج الدين الأرموي، التحصيل من المحصول، مرجع سابق، 2/123.

(96) السمعاني، مرجع سابق، 2/9، الإسنوي، التمهيد، مرجع سابق، ص005، صفي الدين الهندي، الفائق، مرجع سابق، 2/634.

المطلب الثالث: تحقيق حجيّة قول الصحابيّ عند الشافعي .

ولمّا كان اختلاف أكثر المحقّقين في المذهب على حجية قول الصحابي مبنيّاً على اختلافهم في فهم المنقول من نصوص الشافعي - رحمه الله - كان لزاماً على الباحث أن يستقرئ مظانّها، وفهم العلماء لها، والردّ عليها إن وجد لذلك وجهاً يقبلُ ممّن هو معتبرٌ، ولهذا أفردتُ لذلك فرعاً أبيّن فيه بعض المنقول من نصوص الشافعي - رحمه الله - ثمّ أعرض مناقشتها، وفهم العلماء لها، لينجلي المقال بعد نقل نصوص الأصحاب وعلماء المذهب كما مرّ، مع بعض نصوص الشافعي في المسألة، ثم أفرد لكل نصّ مناقشاتُهُ مختصرة وفق ما يأتي:

الفرع الأول: ما أخذ به الشافعي في فروع المسائل بأقوال الصحابة.

وقبل بيان نصوص الشافعيّ ودِلالتها على محلّ البحث، فإنه ومن خلال الاستقراء وجدت للشافعي - رحمه الله - نصوصاً كثيرة، ظاهرها مختلفٌ في ما قرأت وفهمت.

فمنها ما يدل على حجية قول الصحابي مطلقاً، ومنها ما يدل على عدم حجيّته إلا بدلالة مقارنة، أو مزيّة راجحة وغيرها من مسائل فروعيّة تختلف الأفهام عند حصرها والجمع بينها حتى قال الحصني في قواعده: " واعلم أن للشافعي في ذلك كلاماً منتشراً في كتبه القديمة والجديدة".[97] هذا ما ظهر لي عند كثرة التقصي والاستقراء لعين المسألة في كتب الشافعيّ وأئمة المذهب حتى وصلت لمرحلة الاختلاط في الجمع بين النصوص المنقولة عن الشافعي رحمه الله وعدم تحديد الراجح في بعض المسائل، إلا أنني لخصت منها ما يمكن الاتفاق عليه في المذهب من بعض وجوه المسألة أولاً، وتركت الخلاف في نقول بعض النصوص ثانياً لاختلاف علماء المذهب فيها من باب أولى، مِمّا يرفع اللوم على الباحث المبتدئ، فلخصت ما يمكن عرضه إلى ما يأتي:

أخذه بقول عثمان - رضي الله عنه - بالتفريق بين الحيوان وغيره في مسألة البيع بشرط البراءة من العيوب، فيلزمه كل عيب علمه ولم يسمّه في غير الحيوان، ولا يلزمه في الحيوان.[98]

أخذه بعدم جواز البيع قبل القبض مطلقاً، وإن كان النصّ وارداً في الطعام [99] إلّا إن الشافعي جعله في كل شيء أخذاً بقول ابن عباس - رضي الله عنه - فقال في الأم: " وَبِهَذَا نَأْخُذُ، فَمَنْ ابْتَاعَ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبِيعَهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ ".

أخذه - رحمه الله - بقول ابن عباس - رضي الله عنه - أيضاً في عدم قبول

---

(97) الحصني، تقي الدين، القواعد، 4/862.

(98) قال الشافعي في الأم: " وإذا باع الرّجل الْعبْد، أوْ شيْئا منْ الْحيوان بالْبراءة منْ الْعيوب فالّذي نذْهب إلَيْه - واللّه تعالى أعْلم - قضاء عثْمان بْن عفّان - رضي اللّه تعالى عنْه - أنّه برئ منْ كلّ عيْب لمْ يعْلمْه ولمْ يبْرأْ منْ عيْب علمه ولمْ يسمّه.. ". مرجع سابق، 7/ 501.

(99) أخْبرنا الرّبيع بْن سليْمان : قال أخْبرنا الشّافعيّ قال أخْبرنا سفْيان بْن عيينة عنْ عمْرو بْن دينار عنْ طاوس عنْ ابْن عبّاس - رضي اللّه عنْهما - قال : أمّا الّذي نهى عنْه رسول اللّه - صلّى اللّه عليْه وسلّم - أنْ يباع حتّى يقْبض: الطّعام. المصدر نفسه، 3/ 63 .

شـهادة الصبيـان مطلقـاً.[100]

أخـذه بقـول عمـر وعثمـان - رضي اللـه عنهمـا - بأنـه مـن أصـاب حمامـاً في الحـرم عليـه شـاة لا قيمـة الحمـام. [101]

مـا روي عـن الشـافعي – رضي اللـه عنـه – في تقليـد الصحابـة قولـه: لـو ثبـت ذلـك عـن عـليّ لقلـت بـه، إشـارة إلى أنّ عليّـاً – رضي اللـه عنـه - صـلى في ليلـة سـت ركعـات في كل ركعـة سـت سـجدات.[102]

أخـذه بقـول أبـي بكـر - رضي اللـه عنـه - بعـدم قتـل مـن حبـس نفسـه بالترهّـب عنـد قتـال المشركـين.[103]

موافقة الشافعي - رحمه الله - لزيد - رضي الله عنه - في الفرائض.

الفرع الثاني: مناقشة المنقول من نصوص الشافعي.

أَخْـذُ الشـافعي - رحمـه اللـه - بقـول عثمـان - رضي اللـه عنـه - بالتفريـق بـين الحيـوان وغـيره في مسـألة البيـع بـشرط الـبراءة – أحسـبه وهـو الظاهـر موافقـة قـول عثمـان - رضي اللـه - عنـه القيـاس، لا لمجـرد الاحتجـاج بقولـه منفـرداً.

وقـد مـرّ بـأن موافقـة القيـاس لقـول الصحابـي، وترجيـح قولـه بنـاء عـلى هـذا المعنـى متفـق عليـه في المذهـب، إذ لا خـلاف في الأخـذ بقـول الصحابـي إذا وافـق القيـاس ولـو خفيّـاً، وترجيحـاً بـين أقـوال الصحابـة إذا وافـق قـول أحدهـم القيـاس، وهـذا صريـح قـول المـاوردي عندمـا قـال: إن قـول الشـافعي في الجديـد في حجيـة مذهـب الصحابـي مـشروط بموافقتـه القيـاس ولـو كان خفيّـاً، [104] أضـف إلى ذلـك مزيـة مـا شُـهِدَ بـه لعثمـان رضي اللـه عنـه مـن - النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم - بالعلـم والفقـه. [105]

وقـد ضرب المحـلّي مثـالاً – في شرحـه لجمـع الجوامـع - لحجية قـول الصحابـي بهذه المسـألة، وأشـار إلى أن سـبب الاحتجـاج يرجع لمزيّة شـهادة النبـي - صلى الله عليه وسـلم - للخلفـاء الأربعـة – رضي اللـه عنهـم - بالعلم، ولموافقة قضائـه رحمه الله القيـاس. [106]

(100) قـال الشّـافعيّ: " أَخْبرنـا سـفْيان عـنْ عمْـرو بْـن دينـار عـنْ ابْـن أبـي مليْكـة عـنْ ابْـن عبّـاس - رضي اللّـه تعـالى عنْهمـا - في شـهادة الصّبْيـان لا تجـوز، وزاد ابْـن جريْـج عـنْ ابْـن أبـي مليْكـة عـنْ ابْـن عبّـاس؛ لأنّ اللّـه عـزّ وجـلّ قـال: (ممّـنْ ترْضـوْن مـن الشّـهداء)". المصـدر نفسـه ، 7/ 49 .

(101) وإذا أصاب الرّجل بمكّة حماما منْ حمامها فعليْه شاة اتّباعا لعمر وعثْمان وابْن عبّاس وابْن عمر ونافع بْن عبْد الْحارث وعاصم بْن عمر وعطاء وابْن الْمسيّب وغيْرهمْ - رضْوان اللّه تعالى عليْهمْ أجْمعين، المصدر نفسه، 7/ 551 .

(102) أَخْبرنـا الرّبيـع قـال: أَخْبرنـا الشّـافعيّ قـال: أَخْبرنـا عبّـاد عـنْ عاصـم الْأَحْـول عـنْ قزْعـة عـنْ عـلّي - رضي اللّـه تعـالى عنْـه - أنّـه صـلّى في زلْزلـة سـتّ ركعـات في أرْبـع سـجدات خمْـس ركعـات وسـجْدتيْن في ركْعـة وركْعـة وسـجْدتيْن في ركْعـة ولسْـنا نقـول بهـذا نقـول: لا يصـلّي في شيْء مـنْ الْآيـات إلّا في كسـوف الشّـمْس والْقمـر ولـوْ ثبـت هـذا الْحديـث عنْدنـا عـنْ عـليّ - رضي اللّـه تعـالى عنْـه - لقلْنـا بـه.. " . المرجـع نفسـه، 7/ 771 .

(103) قـال الشـافعي في الأم : "وكلّ مـنْ يحْبـس نفْسـه بالتّرهّـب تركْنـا قتْلـه اتّباعـا لأبـي بكْـر رضي اللّـه تعـالى عنْـه". المصـدر نفسـه ، 4/ 352 .

(104) الماوردي، الحاوي، مرجع سابق، 13/1 .

(105) الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/ 36. 8/ 18. تشنيف السامع، مرجع سابق، 3/ 154. أبو زرعة العراقي، مرجع سابق، 1/ 456. البرماوي، الفوائد السنية في شرح الألفية، ط1، 6341 هـ - 5102 م، 5 /371. تقي الدين الحصني، 4/962.

(106) العطار، مرجع سابق، 3/ 793.

قال ابن أبي هريرة: وقد أخذ الشافعي به في عيوب الحيوان حيث أخذ بقضاء عثمان لموافقته قياس التقريب، [107] وقال الماوردي: " فلأنه يرى – يقصد الشافعي في الجديد – أن قياس التقريب إذا انضم إلى قول الصحابي كان أولى من قياس التحقيق، وقد انضم إلى قضاء عثمان قياس تقريب فصار حجة يقدم على قياس التحقيق ". [108]

قال الروياني معقّباً على المسألة: " وقد قال الشافعي: ها هنا قلت ذلك تقليدًا لعثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهذا مشكل؛ لأن الشافعي تقلّد أحداً بين الصحابة في الجديد، وإنما قلد في القديم، وهذا النص في كتاب الجديد، وإزالة هذا الإشكال أن يقال: ما قصد الشافعي بهذه العبارة محض التقليد، بل أراد الاستئناس والاسترواح بما حكي من مذهب عثمان، والدليل على هذا أنه عقبه بالقياس فقال: إن الحيوان يُفارق ما سواه؛ لأنه يُعتدى الصحة والسقم، وتحول طبائعه، وقلّ ما يبرأ من عيب يخفى ويظهر ". [109]

وقد مرّ أن تقييد حجية قوله بموافقة القياس - جليّاً كان أم خفيّاً – هو منصوص الحاوي، وهو قول أبي بكر الصيرفي وابن القطان والقفال وما نص عليه القاضي في تعليقته وهو صريح قول ابن فورك. [110]

أخذ الشافعي – رحمه الله - بعدم جواز البيع مطلقاً قبل قبضه في الطعام وفي غيره بقول ابن عبّاس – رضي الله عنه - وإن كان النصّ وارداً في الطعام.

مرّ في تحرير محلّ النزاع، وفي المسألة الأولى أن قول الصحابيّ إذا وافق القياس فإنه يحتج به لا لقوله، بل لوجود قياس يعتضد به للحجيّة، ودليل ذلك يؤخذ من كلام الشافعي في هذه المسألة خصوصاً عندما ذكر النص الخاص بالطعام فقال بعدهُ: "

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِرَأْيِهِ – يقصد لزوم القبض في كل شيء - وَلَا أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا مِثْلَهُ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَبِهَذَا نَأْخُذُ، فَمَنْ ابْتَاعَ شَيْئًا كَائِنًا مَا كَانَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبِيعَهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ بَاعَ مَا لَمْ يَقْبِضْ فَقَدْ دَخَلَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي يَرْوِي بَعْضُ النَّاسِ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ انْهَهُمْ عَنْ بَيْعِ مَا لَمْ يَقْبِضُوا وَرِبْحِ مَا لَمْ يَضْمَنُوا.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: هَذَا بَيْعُ مَا لَمْ يُقْبَضْ وَرِبْحُ مَا لَمْ يُضْمَنْ، وَهَذَا الْقِيَاسُ عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ حَتَّى يُقْبَضَ... ". [111]

قال النووي: " فالتنصيص في هذه الأحاديث – بعدما أوردها بجميع طرقها ورواياتها – يدل على أن غيره بخلافه، قَالُوا وَقِيَاسا عَلَى مَا مَلَكَهُ بِإِرْث أَوْ وَصِيَّةٍ

(107) الماوردي، مرجع سابق، 1/ 13.

(108) الماوردي، مرجع سابق، 5/ 373.

(109) الروياني، بحر المذهب، 5/ 165.

(110) حاشية العطار على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/ 793. الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/ 06. النووي، روضة الطالبين، مرجع سابق، 11/ 641 وما بعدها. الرافعي، مرجع سابق، 21/ 374. القاضي حسين، مرجع سابق،1/ 371.

(111) الشافعي، مرجع سابق، 3/ 07.

وَعَـلَى إعْتَاقِـهِ وَإِجَارَتِـهِ قَبْـلَ قَبْضِـهِ وَعَـلَى بَيْـعِ النَّمَـرِ قَبْـلَ قَبْضِـهِ.. ". (112)

فالنـووي – رحمـه اللـه – أشـار في مناقشـته للمسـألة، وذكـر مذاهـب العلمـاء فيهـا، إلى معنـى القيـاس الـذي أخـذ منـه الشـافعيّ القـول، والمتعلـق بعمومـات أخبـار النّبـي – صـلى اللـه عليـه وسـلّم – والتـي تنهـي عـن البيـع مطلقـاً قبـل القبـض، وأن فيهـا بغـير القبـض بيـع مـا لـم يُقبـض، وربـح مـا لـم يُضمـن. (113)

وقـد صرح المزنـي – رحمـه اللـه – بالقيـاس فقـال: " كَذَلِـكَ قِسْـنَا عَلَيْـهِ بَيْـعَ الْعُـرُوضِ قَبْـلَ الْقَبْـضِ؛ لِأَنَّـهُ بَيْـعُ مَـا لَـمْ يُقْبَـضْ وَرِبْـحُ مَـا لَـمْ يُضْمَـنْ.. ". (114)

قـال المـاورديّ: " وَالْمَبِيـعُ قَبْـلَ الْقَبْـضِ غَـيْرُ مَضْمُـونٍ عَـلَى الْمُشْـتَرِي بِدَلِيـلِ أَنَّ مَـا حَـدَثَ بِـهِ مِـنْ عَيْـبٍ يَسْـتَحِقُّ بِـهِ الْمُشْـتَرِي الْفَسْـخَ؛ لِأَنَّـهُ مِـنْ ضَمَـانِ الْبَائِـعِ، ثُـمَّ قَـدْ مَنَعَـهُ النَّبِـيُّ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – مِـنْ طَلَـبِ الرِّبْـحِ فِيـهِ بِالْبَيْـعِ وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِـيَّ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – لَمَّـا بَعَـثَ عَتَّـابَ بْـنَ أُسَـيْدٍ إلَى مَكَّـةَ قَـالَ لَـهُ: انْهَهُـمْ عَـنْ بَيْـعِ مَـا لَـمْ يَقْبِضُـوا وَرِبْـحِ مَـا لَـمْ يَضْمَنُـوا. وَهَـذَا نَـصٌّ؛ وَلِأَنَّـهُ بَيْـعُ مَـا لَـمْ يَقْبِضْـهُ الْمُشْـتَرِي، فَوَجَـبَ أَنْ لَا يَجُـوزَ لَـهُ بَيْعُـهُ كَالْمَطْعُـومِ.. ". (115)

فهـذه نصـوص تـدلّ عـلى المعنـى الـذي اختـار لأجلـه الشـافعيّ – رحمـه اللـه – قـول ابـن عبـاس – رضي اللـه عنـه – في المسـألة، وأن تقليـده لـم يكـن تقليـداً محضـاً بقـدر مـا وجـده مـن معنـى رجّـح بـه الشـافعي قـول الصحابـيّ – رحمـه اللـه – في المسـألة.

وقـد أشـار المحـلّي إلى ذلـك صراحـة، فـصرح بالقيـاس عـلى الطعـام في كل مبيـع للمعنـى الظاهـر الـذي ذكـره الشـافعي – رحمـه اللـه – في الأم، (116) وعليـه مـن اشـترى شـيئاً لا يجـوز لـه بيعـه قبـل أن يقبضـه عقـاراً كان أو منقـولاً (117) قياسـاً عـلى الطعام في الحديث.

أخـذ الشـافعي – رحمـه اللـه – بعـدم قبـول شـهادة الصبيـان مُعتمـداً في ذلـك عـلى قـول ابـن عبـاس – رضي اللـه عنـه –.

وليـس معتمـد الشـافعي هنـا قـول الصحابـيّ، حيـث أنـه وفي معـرض كلامـه عـن شـهادة الصبيـان قـال: " فَـإِنْ قَـالَ قَائِـلٌ فَـإِنَّ ابْـنَ الزُّبَـيْرِ قَبِلَهَـا قِيـلَ: فَابْـنُ عَبَّـاسٍ رَدَّهَـا.. ". (118)

والشاهد من ذلك يدور على أمرين مهمّين:

الأول: أن المسـألة تـدور بـين أقـوال الصحابـة واجتهادهم، ورد الشـافعي – رحمه

(112) النووي، المجموع، مرجع سابق، 9/ 172.

(113) المصدر نفسه، 9/ 072-172-272.

(114) المزني، مرجع سابق، 8/ 971.

(115) الماوردي، مرجع سابق، 5/ 122.

(116) قليوبي وعميرة، حاشيتهما على شرح المحلي على جمع الجوامع، 2/ 072.

(117) البغوي، التهذيب، مرجع سابق، 3/ 504.

(118) الشافعي، مرجع سابق، 7/ 15.

الله - لقول أحدهم والأخذ بقول غيره دليل على عدم اعتماده قول الصحابيّ مطلقاً ما لم يعتضد بمعنى يظهر للشافعيّ، فقد ردّ قول ابن الزبير وقبل قول ابن عباس - رضي الله عنهما - كما تبيّن.

الثاني: أخذ الشافعي وترجيحه لرأي ابن عباس على غيره إنما كان لمعنى ظهر للشافعي من نصوص الكتاب، فنجده يذكر مباشرة بعد مناقشته المسألة: " وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ يُرْضَى... ". (119) يقصد الصبيان لا يرضون أن يكونوا من الشهداء.

قال الشافعي - رحمه الله -: "لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الصِّبْيَانِ فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ نَرْضَى مِنْ الشُّهَدَاءِ وَإِنَّمَا أَمَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ نَقْبَلَ شَهَادَةَ مَنْ نَرْضَى.. "، (120) وقال الأصحاب: " لفظ الرجال لا يقع على الصبيان ". (121)

فتبين أن أخذه بقول الصحابي، وترجيحه له على غيره إنما كان لمعنى رجح به، وهو قوله سبحانه " مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ "، (122) " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ"، (123) والصبيان لا ترضى شهادتهم ولا يدخلون في عموم الجزء الثاني من الآية.

ومأخذ الشافعي رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً في عدم قبوله شهادة الصبيان عندما ذكر الآيات، ثمّ قال بعدها: " والصبيان ليسوا ممن نرضى ". (124) وقول ابن عباس واجتهاد الشافعي في المسألة عند التحقيق أخذاً بالدليل لا بقول الصحابي.

قال الروياني - بعدما أشار إلى هذه الآية -: " وفي هذه الآية دليل على عدم قبول شهادة الصبيان في الجراح ". (125) ولمعان أخرى ذكرها العلماء من بينها: عدم قبول إقراره على نفسه - الصبي - فشهادته على غيره أولى. (126)

قال الغزالي: " فَلَا تُقْبَلُ رِوَايَةُ الصَّبِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، فَلَا وَازِعَ لَهُ مِنْ الْكَذِبِ، فَلَا تَحْصُلُ الثِّقَةُ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ اتَّبَعُوا فِي قَبُولِ الشَّهَادَةِ سُكُونَ النَّفْسِ وَحُصُولَ الظَّنِّ، وَالْفَاسِقُ أَوْثَقُ مِنْ الصَّبِيِّ، فَإِنَّهُ يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَهُ وَازِعٌ

(119) المصدر نفسه، 7/ 15.

(120) الموضع نفسه، 7/ 15.

(121) الرافعي، مرجع سابق، 31/ 5.

(122) سورة البقرة، الآية 282.

(123) سورة البقرة، الآية 282.

(124) عنْ عبْد اللّه بْن أبي مليْكة قال: أرْسلْت إلى ابْن عبّاس رضي اللّه عنْهما، أسْأله عنْ شهادة الصّبْيان، فقال: قال اللّه عزّ وجلّ " {ممّنْ ترْضوْن من الشّهداء} وليْسوا ممّنْ نرْضى. قال: فأرْسلْت إلى ابْن الزّبيْر أسْأله فقال: بالْحريّ إنْ سئلوا أنْ يصْدقوا. قال: فما رأيْت الْقضاء إلّا على ما قال ابْن الزّبيْر. تعليق الذهبي: هذا حديث صحيح على شرْط الشّيْخيْن ولمْ يخْرجاه. 2/413، رقم: 1313.

(125) الروياني، مرجع سابق، 41/841.

(126) القليوبي وعميرة، مرجع سابق، 4/913. الرافعي، مرجع سابق، 61/5. البغوي، مرجع سابق، 8/162.

مِـنْ دِينِـهِ وَعَقْلِـهِ، وَالصَّبِـيُّ لَا يَخَـافُ اللَّـهَ تَعَـالَى أَصْـلًا، فَشـهادته مَـرْدُودٌ بِطَرِيـقِ الْأَوْلَى.. ". (127)

وهـذا مـا نـص عليـه الآمـدي في الإحـكام عندمـا رد شـهادة الصبـي والمراهـق الـذي لـم يبـق بينـه وبـين البلـوغ إلا زمـن يسـير، فقـال لا تقبـل: " لِأَنَّـهُ مُنْتَقِـضٌ بِالْعَبْـدِ وَبِالْمَحْجُـورِ عَلَيْـهِ، فَإِنَّـهُ لَا يُقْبَـلُ إِقْـرَارُهُ عَـلَى نَفْسِـهِ، وَرِوَايَتُـهُ مَقْبُولَـةٌ بِالْإِجْمَـاعِ، بَـلْ لِأَنَّـا أَجْمَعْنَـا عَـلَى عَـدَمِ قَبُـولِ رِوَايَـةِ الْفَاسِـقِ، لِاحْتِمَـالِ كَذِبِـهِ، مَـعَ أَنَّـهُ يَخَـافُ اللَّـهَ تَعَـالَى، لِكَوْنِـهِ مُكَلَّفًـا، فَاحْتِمَـالُ الْكَـذِبِ مِـنَ الصَّبِـيِّ مَـعَ أَنَّـهُ لَا يَخَـافُ اللَّـهَ تَعَـالَى لِعَـدَمِ تَكْلِيفِـهِ يَكُـونُ أَظْهَـرَ مِـنِ احْتِمَـالِ الْكَـذِبِ فِي حَـقِّ الْفَاسِـقِ، فَـكَانَ أَوْلَى بِالـرَّدِّ.. ". (128)

وغيرهـا مـن معـان كثـيرة لا يسـع المقـام لذكرهـا يترجـح بهـا عـدم قبـول شـهادة الصبـي. (129)

أخـذ الشـافعي – رحمـه اللـه – بقـول عثمـان - رضي اللـه عنـه – بـأن كلّ مـن أصـاب حمامـاً في الحـرم عليـه شـاة لا قيمـة الحمـام.

وهـذه مـن المسـائل التـي ذكرهـا الإسـنويّ في التمهيـد، محتجـاً بهـا عـلى تقليـد الشـافعي – رحمـه اللـه - بقـول الصحابـي، والاحتجـاج بـه وغيرهـا مـن مسـائل يمكـن الرجـوع إليهـا. (130)

وعنـد تتبـع المسـألة يمكـن توجيـه اختيـار الشـافعي لقـول عثمـان – رضي اللـه عنـه – في أن قولـه مجمـع عليـه بـين الصحابـة إذ لا مخالـف، فهـو أشـبه بموافقـة الإجمـاع، لا لأجـل تقليـد قولـه - رضي اللـه عنـه - وهـذا صريـح مـن أفتـى بـه مـن الصحابـة والتابعـين وهـم: عمـر وعثمـان وابـن عبـاس وابـن عمـر وعامـر بـن عمـر وعطـاء وابـن المسـيب ونافـع وعاصـم بـن عمـر، رضي اللـه عنهـم أجمعـين. (131) فـكان القـول بأنـه لا قيمـة عـلى حمـام صيـد الحـرم إجماعـاً، فهـو إن لـم يكـن صريحـاً فهـو عـلى أقـل التقديـر سـكوتيٌّ عنـد بعضهـم صريـح عنـد الغالبيـة.

قـال المـاوردي: "والدلالـة عليـه مـا روي عـن ابـن عبـاس أنـه قـال في حمـام الحـلّ

(127) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق، ص421.

(128) الآمدي، مرجع سابق، 2/27.

(129) قال صفي الدين الهندي: " وأما المميز المراهق وإن كان بينه وبين البلوغ زمان يسير، فلوجوه:
أحدهـا: أن روايـة الفاسـق لا تقبـل مـع أنـه يخـاف أن يلحقـه العقـاب عـلى الكـذب؛ لكونـه مكلفـا بتركـه، فروايـة الصبـي أولى أن لا تقبـل مـع أنـه لا يخـاف ذلـك لعـدم كونـه مكلفـا بـه.
وثانيهـا: أنـه لا يقبـل قولـه عـلى نفسـه لمعنـى في نفسـه، لا لحـق الغـير ولا لصيانـة مـا لـه، فـأولى أن لا يقبـل قولـه عـلى غـيره كالمجنـون. واحترزنـا عمـا ذكرنـا مـن القيـد عـن المحجـور عليـه لفلـس، أو رق، أو سـفه.
وثالثها: أنه لا تحصل الثقة بقوله، فلا يجوز العمل به، كما في الأمور الدنيوية.
ورابعهـا: أنـه يعلـم أنـه غـير ممنـوع مـن الكـذب فـلا يحـترز عنـه؛ لعـدم الزاجـر والمانـع عنـه في حقـه دنيـا ودينـا فـلا يقبـل. مرجـع سـابق، 7/ 1782.
ينظر: الأبياري، 2/ 476. الإيجي، 2/ 534.

(130) الإسنوي، مرجع سابق، 1/ 105.

(131) الشافعي، مرجع سابق، 7/ 551. 2/ 612. 912. الماوردي، مرجع سابق، 4/ 233. العمراني، البيان،4/ 142.

شاة ولا مخالف له "، [132] يقول الشافعي في الأم – ردّاً على أبي حنيفة –: " وَقَدْ زَعَمَ الَّذِي قَالَ فِيهِ قِيمَةٌ أَنَّهُ لَا يُخَالِفُ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَدْ خَالَفَ أَرْبَعَةٌ فِي حَمَامِ مَكَّةَ". [133] أضف إلى ذلك – كما مرّ في تحديد محل النزاع بخصوص قول الصحابي – أن ما من شأنه التوقف يحتج فيه بقول الصحابيّ إذ لا خلاف، إذ الأمر متعلق بالفدية في الحج، ومسائل العبادات في جلّها توقيفية؛ غير معقولة المعنى في الغالب، فترك الأمر فيها لأقوال الصحابة عند عدم وجود النص. [134]

ما روي عن الشافعي في تقليد الصحابي أنه قال في مسألة: لو ثبت ذلك عن عليّ – يقصد بأنه رضي الله عنه صلّى في ليلة ست ركعات في كل ركعة ست سجدات – لقلت به.

وقد سبق بحث المسألة بعينها في مناقشة وتحديد النزاع في الاحتجاج بقول الصحابي، وأن الشافعي – رحمه الله – يستثني في قوله الجديد عن الصحابي بأنه ليس حجة: " الحكم التعبدي الذي لا مجال للقياس فيه "، وأن الاحتجاج به لكونه من قبيل المرفوع؛ لا لأنه قولٌ للصحابيّ، وبمعنى آخر أن الصحابي لا يقوله، أو لا يفعله في الغالب إلا توقيفاً؛ لظهور أن مستنده التوقيف. [135]

أخذ الشافعي – رحمه الله – بقول أبي بكر – رضي الله عنه – بعدم قتل من حبس نفسه للترهب عند قتال المشركين.

وقد نص الشافعي في الأم على ذلك اتباعاً لأبي بكر – رضي الله عنه – فهل يعدّ ذلك دليلاً على أخذ الشافعي بقول الصحابي في الجديد، وأنه يحتج به مطلقاً؟

يردّ على ذلك بأمور منها:

أولاً: اختلفت أقوال الشافعي – رحمه الله – في ذلك، فلقد أورد المزني قولاً للشافعي بقتلهم، وعدم قتلهم. [136]

---

(132) المصدر نفسه، 4/ 233.

(133) المصدر نفسه، 7/ 551.

(134) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: " والاحتجاج به في الحكم التعبدي من حيث إنه من قبيل المرفوع لظهور أن مستنده فيه التوقيف، لا من حيث إنه قول صحابي.. "، وقال ولي الدين العراقي: " ليس هذا عملا بقول الصحابي، وإنما هو تحسين للظن به، في أنه لا يفعل مثل ذلك إلا توقيفا، فهو مرفوع حكما، وهو نظير ما اشتهر من أن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه مرفوع حكما، لحمله على أنه سمعه من النبي– صلى الله عليه وسلم – فذاك في القول وهذا في الفعل، والله أعلم "، وقال الزركشي في البحر: " لأنّه لا محْمل له إلّا التّوقّف، وذلك أنّ الْقياس والتّحكّم في دين اللّه باطل فيعْلمْ أنّه ما قاله إلّا توْقيفا. قال ابْن برْهان في الْوجيز: وهذا هو الْحقّ الْمبين "، والقول بحجية قوله هنا: نسبه تاج الدين السبكي لوالده تقي الدين في جمع الجوامع، وحكاه ولي الدين العراقي عنهما، ونقل الزركشي حكاية ذلك عن القاضي في التقريب، والغزالي في المستصفى استنباطا من كلام الشافعي – رحمه الله – في اختلاف الحديث من أثر عليّ – رضي الله عنه – السابق، ونسبه المحلي للإمام الرازي، وكذلك أكّده الإسنوي وفرع له وغيره من الأئمة قول الشافعي في ما روي عنْ عليّ – رضي اللّه عنْه – كما أكد على استثنائه في الجديد – يعني استثناء عدم الحجية – ابن الصباغ، وقال إلكيا الهراسي هو الصحيح.

(135) ينظر في ذلك فرع: " قول الصحابي في الحكم التعبدي الذي لا مجال للاجتهاد فيه، يعد حجة لغلبة التوقيف؛ ولأنه من قبيل المرفوع، والعمل بقوله هنا عمل بالمرفوع ".

(136) الشافعي، مرجع سابق، 8/ 973.

ثانياً: معنى عدم قتلهم ظاهر في اعتزالهم قتال المسلمين وعدم تدبيرهم وتوجيههم بما يضر، ولقد أورد الماوردي جملة من يقاتل ويمنع قتالهم من المشركين فقال: " والرابع: من اعتزل القتال والتدبير من رجالهم، إما لعجز كالزَّمِنْ وذوي الهرم من الشيوخ، وإما لتدين كالرهبان، وأصحاب الصوامع والديارات شباباً كانوا أو شيوخا، ففي إباحة قتلهم قولان:

أحدهما: قاله في كتاب حكم أهل الكتاب لا يجوز قتلهم، وهو مذهب أبي حنيفة... والثاني: نص عليه في سير الواقدي واختاره المزني، يجوز أن يقتلوا لعموم قول الله تعالى: " فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وجَدتُّمُوهُمْ ". (137)

والثالث: ذكرنا أن قول من يشهد له النبي – صلى الله عليه وسلم – بمزية علم، يحتج به لا لكونه قولاً للصحابي، بل اتباعاً وتأكيداً للمزية الذي ذكرها – صلى الله عليه وسلم – والدلائل على اتباع الخلفاء الراشدين كثيرة لا يسع المقام لذكرها، (138) ولذلك علق الجويني بقوله: " وإن كنا لا نرى التعلق بمذهب الصحابي، إذ الأصل أنه لا يؤثر، وقوله كقول بعض علماء التابعين ". (139) إشارة منه إلى أن ما أخذ به الشافعي من أقوال أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – وزيد – رضي الله عنه – في الفرائض – كما سيأتي – إنما لمزية علم في حقهم شهد بها النبي – صلى الله عليه وسلم – ففهم تقليد الشافعي – رحمه الله – لأبي بكر – رضي الله – عنه من هذه الوجوه.

موافقة الشافعي – رحمه الله – زيداً – رضي الله عنه – في الفرائض هل تعدّ تقليداً له ودليلاً على حجية قول الصحابيّ عنده؟ (140)

بين الأصحاب والعلماء في المذهب وجه الموافقة كما مرّ، وأظهرها – في ما بدا لي –على غيرها من تأويلات هي مزيّة إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأفضلية وعلم زيد بالفرائض، وموافقة مذهب زيد – رضي الله عنه – القياس في الغالب. (141)

(137) الماوردي، مرجع سابق، 41/ 391.291. الروياني، مرجع سابق، 31/ 152.

(138) الدلائل على ذلك كثيرة: فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يقدمهم في الشوري – أبو بكر وعمر رضي الله عنهم – حتى في أسرى بدر، وقد روي أنه قال لهما: (لو اجْتمعْتما في مشورة ما خالفْتكما) رواه أحمد وإسناده ضعيف، وله رواية من طريق آخر لعبدالرحمن بن مغنم مرسل. المسند، مرجع سابق.

ولهذا كان قولهما حجة. وفي السنن: (اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر) رواه أحمد في مسنده 83/ 082. رقم: 54232. حديث حسن بطرقه وشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات، رجال الشيخين، لكنه منقطع، تحقيق شعيب الأرناؤوط للمسند. وما راوه الترمذي حسن 6/05. رقم: 2663. وصحّح الألباني رواية ابن مسعود في صحيح الجامع 1/452. رقم: 4411. وضعف ذات الرواية لابن مسعود في السلسلة الضعيفة: 5/553، رقم: 0332، وفي مسلم: (إن يطع القوم أبو بكر وعمر يرشدوا)، وحديث: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشين المهديين) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، 3/322، صحّح الألباني الحديث بمروياته: أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي. ط4، 4041. تحقيق: الألباني. ص45. وغيرها من أدلة.

(139) الجويني، نهاية المطلب، مرجع سابق، 2/ 142.

(140) قال الشافعي: " قول علي في الأقضية كقول زيد في الفرائض، وقول معاذ في التحليل والتحريم إذا لم يتعلق بالفرائض كقول زيد في الفرائض.. ". ينظر: الجويني، البرهان، مرجع سابق، 2/242. السمعاني، القواطع، مرجع سابق، 2/752. تقي وتاج الدين السبكي، الإبهاج، مرجع سابق، 2/282. الزركشي، البحر، مرجع سابق، 8/522. تشنيف المسامع، مرجع سابق، 3/ 635.

(141) والمتتبع لمسائل الفرائض – في الأم – يجد الشافعي – رحمه الله – يصرح بذلك: فيقول في مواضع: والقرآن يدل على هذا – مشيرا لقول زيد – رضي الله عنه – ويقول أيضا: قول زيد – رضي الله عنه – أشبه بالقرآن، وهكذا.

غير أن هناك من قال: إن موافقة الشافعي- رحمه الله - لزيد – رضي الله عنه - في الفرائض ليس تقليدًا له، بل لدليل قام عنده، فوافق اجتهاده اجتهاده، واستأنس به. (142)

وأيّاً كان، فقد بينت في تحرير محل النزاع، وفي مناقشة ما نقل عن الشافعي – رحمه الله – من نصوص تقليده الصحابة أن قول الصحابي الذي شهد له النبي – صلى الله عليه وسلم - بالعلم حجة، لا سيما وزيد - رضي الله عنه - شُهد له بعلم مخصوص؛ علم الفرائض، وكذلك كما تبيّن أن قول الصحابيّ إن وافق القياس فهو حجة في المذهب بلا خلاف.

وما ذكر من تأويلات لموافقة زيد – رضي الله عنه - نص عليه الجويني والسبكي والزركشي والمحليّ وزكريا الأنصاري وولي الدين العراقي وابن إمام الكامليّة وغيرهم. (143)

ويشير الجويني في معرض الاحتجاج بقول زيد وموافقته القياس، وأن الشافعي أخذ بمذهبه للأوصاف السابقة – مزية شهادة النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وموافقة مذهبه القياس – ولم يجعل قوله حجة تقبلُ، ولا يرجح على قول غيره إلا بهذه الأوصاف حيث يقول: " وإن اعتضد القياس بمذهب صحابي شهد له الشارع بمزية علم في ذلك الفن كقوله عليه السلام أفرضكم زيد، فهذا على المذهب الظاهر يقتضي ترجيحا وإن كنا لا نرى قول الصحابي حجة وذلك لما في هذا التوافق من تغليب الظن مع المصير إلى أن مجرد قوله ليس بحجة ". (144)

وهكذا فيما ظهر لي – والله أعلم – أن تقليد الشافعي لقول الصحابي لم يكن تقليداً محضاً، بل كان في جلّه موافقة قوله لمعنى في الكتاب أو السنّة، أو لمزيّة علم شهد بها النبي - صلى الله عليه وسلم - لأحد الصحابة، أو لأنّ الحكم تعبديّ – وهذا قليل نادر – لا مجال للقياس فيه؛ لأن الصحابي في الغالب لا يقوله إلا توقيفاً. (145)

ينظر: 4/ 08. 58. 8/ 731.

(142) ابن إمام الكامليّة، تيسير الأصول، مرجع سابق، 6/ 541. وقد قال الروياني مثل ذلك، حيث وفي معرض الكلام عن تقليد عثمان وزيد - رضي الله عنهما - وموافقة قوليهما القياس يقول: "... وقد قال – يعني الشافعي – مثل هذا في الفرائض، وذلك أنه قلد زيد بن ثابت رضي الله عنه في توريث الإخوة مع الجد في الجديد، ثم عقبه بالقياس فقال كلاما طويلا معناه: أن المدلى به وهو أب الميت لو مات وخلف أباه وهو هذا الجدّ وابنه وهو هذا الأخ كان للأخ خمسة أسداس المال وللجد السدس، فكيف يجوز حجب الأخ بالجد في مسألة الجد والإخوة؟.. " مرجع سابق، 4/ 165.

(143) ينظر: الغزالي، المنخول، مرجع سابق 1/ 755. الزركشي، البحر المحيط 8/ 86. تشنيف المسامع، مرجع سابق، 3 / 635 . 535. الجويني، البرهان، مرجع سابق، 2/142. العطار على شرح الجلال، مرجع سابق، 2/ 793. زكريا الأنصاري، غاية الوصول، مرجع سابق، 1/ 741. ولي الدين العراقي، الغيث الهامع، مرجع سابق، ص556. ابن إمام الكامليّة، تيسير الأصول، مرجع سابق 6/ 541، وما بعدها.

(144) الجويني، البرهان، مرجع سابق، 2/ 142.

(145) ومخالفة الشافعيّ رحمه الله لأقوال الصحابة رضي الله عنهم، والمشهود لهم بالعلم كثيرة في الفروع: وشاهد ذلك أنه رحمه الله لا يحتج بقول الصحابي منفردا ما لم يكن له شاهد من دليل – مزية علم – أو قياس، فنجده يخالف قول عمر رضي الله عنه في حال تغرير الزوجة للزوج وتدليسها عليه، بأنه لا يرجع الزوج بالغرم هنا على

الفرع الثالث: نسبة الشيخ وتلميذه [146] حجية قول الصحابي عند الشافعيّ.

يعدّ ابن قيم الجوزية رحمه الله من أكثر المدافعين عن حقيقة حجية قول الصحابي في المذهب الشافعي، وقد نسب له القول بالحجية مطلقاً حتى عقد لهذه المسألة - في كتابه إعلام الموقعين -فصلاً بعنوان: رأي الشافعيّ في أقوال الصحابة [147] وناقشها قبل ذلك في فصل الرأي المحمود وأنواعه، ثم بعد ذلك في حكم معارضته القياس [148] وعلى كلّ حال: فقد استدلّ بنص الرسالة القديم والجديد، والذي يقدم فيه الشافعي أقوال الصحابة على القياس، وبنقول البيهقي لكثير من نصوص الشافعيّ حول ذلك، ثم دلل بمسائل ذكرها الشافعي، واحتجّ في معرضها بقول الصحابي كما أوردها ابن قيم الجوزية عندما قال: " وَلَمَّا كَانَ رَأْيُ الصَّحَابَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ قَالَ فِي الْجَدِيدِ فِي كِتَابِ الْفَرَائِضِ فِي مِيرَاثِ الْجَدِّ وَالْإِخْوَةِ: وَهَذَا مَذْهَبٌ تَلَقَّيْنَاهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَنْهُ أَخَذْنَا أَكْثَرَ الْفَرَائِضِ وَقَالَ: وَالْقِيَاسُ عِنْدِي قَتْلُ الرَّاهِبِ لَوْلَا مَا جَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَتَرْكُ صَرِيحِ الْقِيَاسِ لِقَوْلِ الصِّدِّيقِ .. " [149] . وغيرها من مسائل كثيرة تم تحقيقها في الفرع السابق، وتأكيد طريق الاحتجاج بها في مذهب الشافعي .

أما ابن تيمية رحمه الله فقد التزم في نسبة حجية قول الصحابيّ ما حققه الأصحاب وعلماء المذهب الشافعيّ، بين قائل بالحجية في الجديد، وهم قليل، وعدم الحجية، وهو مشهور المذهب، وما نصّ عليه المحققون. [150]

وإنما أردتّ أن اشير إلى ذلك من غير مذهب الشافعيّ لأهميّته، ولمعرفة وجه تحقيقهم للمسألة، والتي لم تكن على دقّة استقراء مسائل الشافعيّ الفرعية وتطبيقاته كما فعل الأصحاب والمحقّقون في المذهب الشافعي لأصولهم حول حجيّة قول الصحابي.

المطلب الرابع: تطبيقات حجية قول الصحابيّ في المذهب الشافعيّ.

وفي هذه التطبيقات أبيّن مواطن الاحتجاج بقول الصحابة في المذهب القديم، ثمّ بعد ذلك تغيّر أقواله في الجديد لأسباب ظهرت للشافعيّ آكدُ في ترجيحها على أقوال الصحابة الظاهرة في القديم، ممّا يؤكد عدم الاحتجاج بقوله مطلقاً أينما وُجد بغير ضابط كما سبق، ومن هذه المسائل:

أولاً : إخراج الإقط في زكاة الفطر والكفارات. [151]

وليّ الزوجة، ومذهب عمر رضي الله عنه الرجوع. وغيرها من مسائل كثيرة لا يسع ولا يلزم المقام لذكرها. الرافعي، مرجع سابق،8/ 141.

(146) الشيخ هو ابن تيمية، والتلميذ هو ابن قيم الجوزية رحمهما الله .

(147) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 4/ 29 .

(148) المصدر نفسه، 4/ 911.

(149) المرجع نفسه، 46/1.

(150) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط1، 8041هـ - 7891م، 5/ 67 . المستدرك على الفتاوي، ط1، 8141هـ، 2/ 421. 2/ 562 .

(151) والحديث هنا إن تعيّن الإقط قوتا للبلد، ولا قوة أنفع منه غيره. والمعتمد جواز إخراجه في الفطرة والكفارة ،

وللشافعي في المسألة قولان: القديم: يجوز إخراجه؛ لأثر أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه [152] ولأنه قوت مدّخر.

الجديد: لا يجوز إخراجه قياساً على القثاء وإن كان قوتاً مدخراً لهم، وقيل قياساً على اللحم؛ فهو قوت لا تجب فيه الزكاة . [153]

قال الماوردي: " وَقَدْ جَعَلَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ بِنَاءً عَلَى اخْتِلَافِ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ فِي قَوْلِ الصَّحَابِيِّ إِذَا لَمْ يُعَضِّدْهُ قِيَاسٌ، هَلْ يُؤْخَذُ بِقَوْلِ الصَّحَابِيِّ أَوْ يُعْدَلُ إِلَى الْقِيَاسِ؟ فَعَلَى قَوْلِهِ فِي الْقَدِيمِ يُؤْخَذُ بِقَوْلِ الصَّحَابِيِّ فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الْأَقِطِ فِي الْكَفَّارَةِ، وَزَكَاةِ الْفِطْرِ، أَخْذًا بِقَوْلِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَعَلَى قَوْلِهِ فِي الْجَدِيدِ يُعْدَلُ عَنْهُ إِلَى الْقِيَاسِ فَعَلَى هَذَا لَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الأقط.. ". [154]

ومبنى المسألة كما تبيّن على اختلاف الشافعي – رحمه الله – في قول الصحابي، فاحتج به في القديم، ثم الجديد تركه للقياس. قال الشيخ أبو حامد: " وهو الأقيس؛ لأنه قوت لا تجب فيه الزكاة، فأشبه اللحم "، [155] وقال الرملي: " وَقَدْ عَلَّلَ ابْنُ الرِّفْعَةِ إجْزَاءَ الْأَقِطِ بِأَنَّهُ مُقْتَاتٌ مُتَوَلِّدٌ مِمَّا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَيُكَالُ فَكَانَ كَالْحَبِّ.. ". [156]

ثانياً : زكاة الزيتون.

في المسألة قولان: القديم: تجب لقول عمر وابن عباس – رضي الله عنهما – قال المحليّ وابن الرفعة وابن قاضي شهبة والرمليّ والشربيني والدميري أبو البقاء: أنما وجبت لأثر عمر وابن عباس – رضي الله عنهما- وقول الصحابي حجة في القديم فلذلك أوجبهُ – يعني الشافعي – رحمه الله -. [157]

وفي الجديد: لا تجب؛ لأنه لا يقتات منفرداً كالزبيب والتمر، وإنما يؤكل أُدَماً، والزكاة تجب في الأقوات ولا تجب في الإدام. [158] قال الشافعي: " وَلَا أَعْلَمُهَا تَجِبُ فِي الزَّيْتُونِ؛ لِأَنَّهُ أُدْمٌ لَا مَأْكُولَ بِنَفْسِهِ.. ". [159]

الشربيني ، مغني المحتاج ، 5/ 15 .

(152) عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»، رواه البخاري، باب صدقة الفطر، 2/ 131.

(153) ينظر: الشيرازي، المهذب، مرجع سابق، 3/47. النووي، المجموع، مرجع سابق،6/ 031. 71/ 973. روضة الطالبين، مرجع سابق،2/203. الرافعي، مرجع سابق،3/361. ابن الرفعة، مرجع سابق، 6/ 41. الروياني، مرجع سابق،01/ 304. البغوي، مرجع سابق،3/821. الإسنوي، المهمات، مرجع سابق،4/23. ولي الدين العراقي، تحرير الفتاوى، مرجع سابق،1/894.

(154) الماوردي، مرجع سابق، 51/ 203. وينظر في المصدر نفسه . 3/ 583. 3/ 715.

(155) العمراني، مرجع سابق، 3/ 573.

(156) الرملي، مرجع سابق، 3/ 121 ,

(157) الشربيني، مرجع سابق،2/ 27. الرملي، مرجع سابق، 3/ 17. قليوبي وعميرة، مرجع سابق، 2/ 02. أبو البقاء الدميري، النجم الوهاج، 3/ 861. ابن الرفعة، مرجع سابق، 5/ 363.

(158) الماوردي، مرجع سابق، 3/ 532.

(159) الشافعي، مرجع سابق، 2/ 73.

ثالثـاً : حكـم التطيّـب بمـا لا يتّخـذ منـه الطيـب للمحـرم، كالنرجـس والريحـان الفـارسي.

في المسـألة قـولان القديـم: لا يتعلـق بالتطيـب بهمـا فديـة لقـول عثمـان - رضي اللـه عنـه -

والجديد: يتعلق بهما فدية لأنه يقصد للتطيّب. (160)

قـال الشـيرازي: " وفي الريحـان الفـارسي و.... قـولان: أحدهمـا أنـه يجـوز شـمها لمـا روي عـن عثمـان - رضي اللـه عنـه - أنـه سـئل عـن المحـرم يدخـل البسـتان قـال: نعـم ويشـم الريحـان؛ ولأن هـذه الأشـياء لهـا رائحـة إذا كانـت رطبـة فـإذا جفـت لـم يكـن لهـا رائحـة، والثانـي لا يجـوز لأنـه يـراد للرائحـة فهـو كالـورد والزعفـران.. "، (161) وعـن القـول الجديـد قـال الجـويني عـن التطيـب بالريحـان: " والظاهـر أنـه طِيـبٌ؛ فإنـه المقصـود منـه.. ". (162) قـال العمرانـيّ: " وهـو الصحيـح؛ لأنـه ينبـت للطيـب، فأشـبه الـورد ". (163)

رابعاً : حكم وضوء الملموس؟ (164)

في المسـألة قـولان القديـم: لا ينقـض لقـول عائشـة - رضي اللـه عنهـا - أنهـا لمسـت قـدم رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - فمـا أنكـره، قـال المـاوردي: " ولأن المـسّ الموجـب للوضـوء يختـص باللامـس دون الملمـوس كلمـس الذكـر.(165) قـال في روايـة حرملة: "لا ينتقض وضوء الملموس؛ لأن الفعل من اللامس دونه".(166)

والجديـد: نقضـه عـلى اللامـس والملمـوس؛ لأنهمـا اشـتركا في الالتـذاذ بـه، فوجـب أن يشـتركا في النقـض كالتقـاء الختانـين، قـال ابـن الرفعـة: " ومقابلـه - يعنـي مقابـل

(160) قـال الغـزالي: " وإنّمـا تـردد نـص الشّـافعي في الريحـان لأنّـه لا يعـد طيبـا في بـلاده.. ". الوسـيط، مرجـع سـابق، 2/386. القفـال أبوبكـر الشـاشي، 3/742. العمرانـي، مرجـع سـابق، 4/ 161. النـووي، المجمـوع، مرجـع سـابق، 7/472. ابـن الرفعـة، مرجـع سـابق، 7/ 491.

(161) الشيرازي، مرجع سابق، 1/383.

(162) الجويني، نهاية المطلب، مرجع سابق، 4/062.

(163) العمراني، مرجع سابق، 4/161.

(164) وهنـا مسـألة مهمـة يجـب ذكرهـا والتعليـق عليهـا وهـي في أن هنـاك مـن أصحـاب المذهـب مـن أورد هـذه المسـألة تحـت اختـلاف قـول الشـافعي بسـبب اختـلاف القـراءة، وقـد أوردهـا المـاوردي وغـيره في المذهـب مـن ضمـن أسـباب تغـيّر أقـوال الشـافعي في هـذا السـياق، قـال المـاورديّ: " ويشْـبه أنْ يكـون تخْريـج هذيْـن الْقوْلـيْن مـن اخْتـلاف الْقـراءة في الْآيـة فمـنْ قـرأ:(أوْ لمسْـتمْ) أوْجبـه عـلى اللّامـس دون الْملْمـوس، ومـنْ قـرأ: (أوْ لامسْـتمْ النّسـاء) أوْجبـه عـلى اللّامـس والْملْمـوس لاشْـتقاقه مـن الْمفاعلـة واللّـه أعْلـم.. ". مرجـع سـابق، 1/981، ولكنـي جعلـت هـذه المسـألة تحـت حجيّـة قـول الصحابـي لأسـباب أهمهـا:

إنها تندرج حقيقة تحت ترك القول للقياس في مواجهة قول الصحابيّ كما ظهر.

إن مـن منهـج وضـع الأسـباب العامّـة لتغـيّر أقوال الشـافعي كثرة الفـروع الدالة عـلى ذلك، فـلا يصحّ أن نضع سـبباً عامـاً في تغيّر أقـوال الشـافعي بسـبب مسـألة، أو اثنـين، إذ لا يخـرج الأمـر حينئذ عـن اختلاق كل مـا يمكن نزعـه من مسـألة واحـدة في الفروع، وجعلهـا سـبباً يحكـى بـه على تغـيّر أقـوال الشـافعيّ - رحمه اللـه - لـذا أهملت أسـباباً كثيرةً مـن جنس ذلك أشـار لها المـاوردي، وتبعـه فيـه الروياني، وابـن القـاص وغيرهـم، واعتمـدت عـلى أسـباب لـم تذكر عندهـم، وأخـرى ذكـرت من غـير التدليـل عليها والتمثيـل، فبذلـت كنـه الوسـع لتصديـر تصور وجودهـا في كتب الفـروع، واللـه أعلم.

(165) الماوردي، مرجع سابق، 1/981.

(166) البغوي، مرجع سابق، 1/203.

القــول القديــم- أنــه ينتقــض؛ لأنهــا مبــاشرة تنقــض وضــوء اللامــس؛ فتنقــض وضــوء الملمــوس؛ كالجمــاع ..".[167]
وغيرها من مسائل لا يسع المقام لذكرها ولا يهمّ لحصرها.[168]

(167) ابن الرفعة، مرجع سابق، 1/004.

(168) منها على سبيل المثال وأهمها:
1 - حكم من ترك الفاتحة ناسياً.
القديم: صلاته صحيحة وعليه سجود سهو لفعل عمر – رضي الله عنه –
الجديد: صلاته باطلة ولا تصحّ إلا أن يأتي بها.
ينظــر: المــاوردي، مرجــع ســابق، 2/ 181. الغــزالي، الوســيط،1/ 372. النــووي، المجمــوع، مرجــع ســابق،2/ 233. الرافعــي، مرجــع ســابق، 1/ 811. الروياني، مرجــع ســابق، 2/ 13. ابــن الصــلاح، عثمــان بــن عبــد الرحمــن، أبــو عمــرو، تقــي الديــن المعــروف بابــن الصــلاح، شرح مشــكل الوســيط، ط1، 2341 هـــ - 1102م، 2/ 011.
2-ما يجب في تعويج الرقبة وتصغير الوجه.
القديــم: يجــب فيهمــا جمــل لمــا روى أســلم مــولى عمــر رضي اللــه عنــه أنــه قــضى في الترقــوة بجمــل وفي الضلــع بجمــل، قــال الشــيرازي بعدمــا ذكــر القولــين في المســألة: " وقــول الصحابــي في قولــه القديــم حجــة تقــدم عــلى القيــاس"
والجديــد: يجــب فيهمــا الحكومــة؛ لأنــه كــسر عظــم في غــير الــرأس والوجــه فلــم يجــب فيــه أرش مقــدر ككــسر عظــم الســاق.
ينظــر: الشــيرازي، مرجــع ســابق، 3/323. تكملــة المطيعــي، المجمــوع، مرجــع ســابق، 91/421. ابــن الرفعــة، مرجــع ســابق، 61/771.

الخاتمة.

النتائج.

لم يجعل الشافعي قول الصحابيّ بمفرده حجة ما لم يعتضد بضوابط وأوصاف تمّ ذكرها، وما نسب للشافعي في إطلاق احتجاجه بأقوال الصحابة يردّ عليه بأوجه كثيرة منها ما وضع في هذه الورقة.

الشافعي إمام الدلالة والبيان، ومعرفة بواطن الكلام، يسير على طريق واحد في بيانه التأصيل الدقيق الرصين، والذي قلّ نظيره في عصره، فكما لم يُسلّم بحجية الحديث المرسل مطلقاً، لم يُسلم رحمه الله كذلك بإطلاق حجيّة قول الصحابيّ.

القول بعدم حجيّة قول الصحابيّ لا يعدّ قدحاً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يعدّ تأكيداً على مبادئ مدرسة أفضل الخلق، والتي يلزم من اتباعها ردّ أقوال بعض الصحابة لغيرهم، لا سيما إذا اختلفوا في المسألة الواحدة، واختلافهم يعدّ من أقوى الأدلة في عدم التعلّق بأقوالهم، إذ القول بحجيتها مطلقاً يلزم منه التعلق بفتاوى الصحابة كلها ولو كثرت أجوبتهم على المسألة، فصار من الضروريّ أن يضبط ما يُحتجّ به من أقوالهم كما تبيّن في البحث.

أقوال الصحابة في المسائل الاجتهاديّة الظنّية نوسّع فيها على أنفسنا والناس، ولا نتعلق بأيّ قول ما لم يكن توقيفيّاً غالباً، أو كان القول لمّن شهد له النبيّ صلى الله عليه وسلم بمزية علم، أو نتج عن قوله إجماعاً سكوتيّاً، أو كان موافقاً لقياس ولو خفي .

التوصيات.

إذا رُدّت أقوال الصحابة المطلقة من غير ضابط، فهي في العلماء المعاصرين آكد، لذا ينبغي لطالب العلم أن لا يُعادي ويُوالي على قول عالم بعينه، محتجّاً به كالاحتجاج بصريح الأدلة، وإنما أردت بورقتي أن أشير إلى هذا الملحظ المهم لأهميّته، ولانتشار التعصب اليوم لأقوال العلماء والمشايخ.

الله أسأل أن ينفع بذلك البادي والحاضر، وأن يجعله سبباً لتطهير الظاهن والباطن، فهو حسبنا ونعم الوكيل، وإليه دائماً نفزعُ في القليل والكثير، والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

كتب اللغة:

ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجبل بيروت، ط2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

الفيروزبادي، محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير، دار الحديث.

ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

كتب السنّة:

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (384، 458 هـ)، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ 2003 م.

ابن حبان، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)، صحيح ابن حبان، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أَحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ 2003 م.

الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: 219هـ)، مسند الحميدي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، 1996 م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ 2001 م.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ)، صحيح ابن خزيمة، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أَحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ 2003 م.

الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) مسند الشافعي، رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (المتوفى: 745هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، 1425 هـ 2004م.

الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، سنن الدار قطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ 2004 م.

أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن

عمرو الأزدي السِّجسْتاني (المتوفى: 275هـ) سنن أبي داوود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجة، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

كتب القواعد والأصول:

الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ) الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان.

الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ) نهاية السول في منهاج الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ- 1999م.

ابن إمام الكاملية، كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن إمام الكاملية» (المتوفى: 874 هـ)، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول «المختصر»، دراسة وتحقيق: عبد الفتاح أحمد قطب الدخميسي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002م.

تاج السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ) الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1411هـ - 1991م.

تقي الدين السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية بيروت، عام النشر: 1416ه، 1995م.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ).

الاجتهاد (من كتاب التلخيص لإمام الحرمين)، المحقق: عبد الحميد أبو زنيد، دار القلم , دارة العلوم الثقافية، دمشق , بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

البرهان، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.

التلخيص، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، الفقيه و المتفقه، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.

مسألة الاحتجاج بالشافعي، المحقق: خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية، باكستان.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) المحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البحر المحيط، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ 1994م.
تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز، د عبد الله ربيع، المدرسان بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ 1998 م.
المنثور في القواعد، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، 1405هـ 1985م.
زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) غاية الصول إلى لب الأصول، دار الكتب العربية الكبرى، مصر (أصحابها: مصطفى البابي الحلبي وأخويه) بلا ت. ط.
الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) الرسالة، المحقق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
سراج الدين الأرموي، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي (المتوفى: 682 هـ) التحصيل من المحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1408 هـ 1988 م.
السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ) قواطع الأدلة، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/ 1999م.
الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ).
التبصرة في أصول الفقه، المحقق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1403.
اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الثانية 2003 م، 1424 هـ
صفي الدين الأرموي، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (715 هـ)
نهاية الوصول إلى دراية الأصول، المحقق: صالح بن سليمان اليوسف، سعد بن سالم السويح، أصل الكتاب: رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض، المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ 1996 م.
الفائق في أصول الفقه، المحقق: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ 2005 م.
ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ) أدب الفتوى والمستفتي، المحقق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، 1423هـ2002م.
العطار، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: 1250هـ) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بلا ت. ط.
العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: 761هـ) إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، المحقق: د. محمد سليمان الأشقر، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة: الأولى، 1407هـ

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)
المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ 1993م.
شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، لمحقق: حمد الكبيسي. أصل الكتاب: رسالة دكتوراة. مطبعة الإرشاد، بغداد. الطبعة: الأولى، 1390 هـ 1971 م..
المنخول من تعليقات الأصول، حققه وخرج نصه وعلق عليه: محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة: الثالثة، 1419 هـ 1998م.
الكوراني، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (812، 893 هـ)، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودي، 1429 هـ 2008 م.
ولي الدين العراقي، ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت: 826هـ) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، المحقق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1425هـ 2004م.
كتب الفقه:
الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (المتوفى: 772 هـ) المهمات في شرح الروضة والرافعي، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، (مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية)، (دار ابن حزم، بيروت، لبنان)، الطبعة: الأولى، 1430 هـ 2009 م.
البجيرمي، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: 1221هـ).
حاشية البجيرمي على الخطيب، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، دار الفكر، بلا ت. ط. تاريخ النشر: 1415هـ 1995م.
حاشية البجيرمي على شرح المنهج، مطبعة الحلبي، بلا ت. ط. تاريخ النشر: 1369هـ 1950م.
البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516 هـ) التهذيب في فقه الإمام الشافعي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ 1997 م.
أبو البقاء الدميري، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: 808هـ)، دار المنهاج (جدة)، المحقق: لجنة علمية، الطبعة: الأولى، 1425هـ 2004م.
البلقيني، سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، التدريب في الفقه الشافعي، حققه وعلق عليه: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار القبلتين، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ 2012 م.
ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: 1357 هـ 1983 م.
الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى:

1204هـ) حاشية الجمل على شرح المنهج، دار الفكر، بلا ت. ط.
الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ) نهاية المطلب، حققه وصنع فهارسه: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، الطبعة: الأولى، 1428هـ،2007م.
الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ).
فتح العزيز بشرح الوجيز، الشرح الكبير المؤلف: دار الفكر، بلا ط. ت.
العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المحقق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ 1997 م.
ابن الرفعة، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: 710هـ)، كفاية النبيه في شرح التنبيه، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 2009م.
الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: 1004هـ) نهاية المحتاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة، 1404هـ/1984م.
الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت 502 هـ)، بحر المذهب، المحقق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 2009 م.
زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ).
أسنى المطالب في شرح روضة الطالب، دار الكتاب الإسلامي، بلا ت. ط.
الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، المطبعة الميمنية، بلا ت. ط " بأعلى الصفحة: كتاب «الغرر البهية في شرح البهجة الوردية» لزكريا الأنصاري " بعده (مفصولا بفاصل): حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي (992). بعده (مفصولا بفاصل): حاشية العلامة الشربيني.
ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ) شرح مشكل الوسيط، المحقق: عبد المنعم خليفة أحمد بلال، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1432 هـ 2011 م.
فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي). دار الفكر للطباعة والنشر. الطبعة: 1414هـ/1994م.
منهج الطلاب في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1417هـ 1997م.
الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ).
الأم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: 1410هـ/1990م.
الأم، دار الوفاء، المنصورة: الطبعة الأولى، سنة النشر: 1422هـ/ 2001م.
الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ 1994م.
الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ)
التنبيه في الفقه الشافعي، عداد: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، عالم الكتب،

بـــيروت. بـــلا ت.ط.
المهذب، دار الكتب العلمية، بلا ط. ت.
العمرانـــي، أبـــو الحســـين يحيـــى بـــن أبـــي الخـــير بـــن ســـالم العمرانـــي اليمني الشـــافعي (المتـــوفى: 558هـــ) البيـــان في المذهـــب الشـــافعي، المحقـــق: قاســـم محمـــد النـــوري، دار المنهـــاج، جـــدة، الطبعـــة: الأولى، 1421 هـــ، 2000 م.
الغـــزالي، أبـــو حامـــد محمـــد بـــن محمـــد الغـــزالي الطـــوسي (المتـــوفى: 505هـــ) الوســـيط، المحقـــق: أحمـــد محمـــود إبراهيـــم , محمـــد محمـــد تامـــر، دار الســـلام، القاهـــرة، الطبعـــة: الأولى، 1417.
الغمـــراوي، محمـــد الزهـــري الغمـــراوي (المتـــوفى: بعـــد 1337هـــ) الـــسراج الوهـــاج، دار المعرفـــة للطباعـــة والنـــشر، بـــيروت. بـــلا ت. ط.
ابـــن القـــاص، أبـــي العبـــاس أحمـــد ابـــن أحمـــد، نـــصرة القولـــين، تحقيـــق: مـــازن ســـعيد الزبـــيري، دار البيرونـــي، دمشـــق، ط1/ عـــام 2009م.
ابـــن قـــاضي شـــهبة، بـــدر الديـــن أبـــو الفضـــل محمـــد بـــن أبـــي بكـــر الأســـدي الشـــافعي ابـــن قـــاضي شـــهبة (798، 874 هـــ) بدايـــة المحتـــاج في شرح المنهـــاج، عنـــى بـــه: أنـــور بـــن أبـــي بكـــر الشـــيخي الداغســـتاني، بمســـاهمة: اللجنـــة العلميـــة بمركـــز دار المنهـــاج للدراســـات والتحقيـــق العلمـــي، دار المنهـــاج للنـــشر والتوزيـــع، جـــدة، المملكـــة العربيـــة الســـعودية، الطبعـــة: الأولى، 1432 هـــ، 2011 م.
القـــاضي حســـين، أبـــو محمـــد الحســـين بـــن محمـــد بـــن أحمـــد المَـــرْوَرُّوْذِيّ (المتـــوفى: 462 هـــ). التعليقـــة عـــلى مختـــصر المزنـــي، المحقـــق: عـــلي محمـــد معـــوض، عـــادل أحمـــد عبـــد الموجود، مكتبـــة نـــزار مصطفـــى البـــاز، مكـــة المكرمـــة.
القفـــال الشـــاشي، محمـــد بـــن أحمـــد بـــن الحســـين بـــن عمـــر، أبـــو بكـــر الشـــاشي القفـــال الفارقـــيّ، الملقـــب فخر الإســـلام، المســـتظهري الشـــافعي (المتـــوفى: 507هـــ) حليـــة العلماء في معرفـــة مذاهـــب الفقهـــاء، المحقـــق: ياســـين أحمـــد إبراهيـــم درادكـــة، مؤسســـة الرســـالة، دار الأرقـــم، بـــيروت، عمـــان، الطبعـــة: الأولى، 1980م.
قليوبـــي وعمـــيرة، أحمـــد ســـلامة القليوبـــي وأحمـــد البرلـــسي عمـــيرة، حاشـــيتا قليوبـــي وعمـــيرة، دار الفكـــر، بـــيروت، عـــدد الأجـــزاء: 4، الطبعـــة: بـــدون طبعـــة، 1415هـــ،1995م.
المـــاوردي، أبـــو الحســـن عـــلي بـــن محمـــد بـــن محمـــد بـــن حبيـــب البـــصري البغـــدادي، الشـــهير بالمـــاوردي (المتـــوفى: 450هـــ) الحـــاوي الكبـــير، المحقـــق: الشـــيخ عـــلي محمـــد معـــوض، الشـــيخ عـــادل أحمـــد عبـــد الموجـــود، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، لبنـــان، الطبعـــة: الأولى، 1419 هـــ1999 م.
ابـــن المحامـــلي، أحمـــد بـــن محمـــد بـــن أحمـــد بـــن القاســـم الضبـــي، أبـــو الحســـن ابـــن المحامـــلي الشـــافعيّ (المتـــوفى: 415هـــ) اللبـــاب في الفقـــه الشـــافعي، المحقـــق: عبـــد الكريـــم بـــن صنيتـــان العمـــري، دار البخـــارى، المدينـــة المنـــورة، المملكـــة العربيـــة الســـعودية، الطبعـــة: الأولى، 1416هـــ.
ابـــن الملقـــن، سراج الديـــن أبـــو حفـــص عمـــر بـــن عـــلي بـــن أحمـــد المعـــروف بـــ «ابـــن النحـــوي» والمشـــهور بـــ «ابـــن الملقـــن» (المتـــوفى: 804 هـــ) عجالـــة المحتـــاج إلى توجيـــه المنهـــاج، ضبطـــه عـــلى أصولـــه وخـــرج حديثـــه وعلـــق عليـــه: عـــز الديـــن هشـــام بـــن عبـــد الكريـــم البدراني، دار الكتـــاب، إربـــد، الأردن، عـــام النـــشر: 1421 هـــ 2001 م.

المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: 264هـ)، محتصر المزني، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: 1410هـ/1990م.

المناوي، محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن المناوي السلمي، فرائد الفوائد في اختلاف القولين لمجتهد واحد، تحقيق: أبي عبدالله محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

ابن النقيب، أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، أبو العباس، شهاب الدين ابن النَّقِيب الشافعي (المتوفى: 769هـ)، عمدة السالِك وَعدة النَّاسِك، عُني بطبعِهِ وَمُراجَعَتِه: خَادِمُ العِلم عبدُ الله بن إبراهِيم الأنصَاري، الشؤون الدينية، قطر، الطبعة: الأولى، 1982 م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ).

روضة الطالبين وعمدة المفتين: تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م.

المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي). بلا ط. ت.

منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1425هـ/2005م.

كتب غير الشافعية .

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) . مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ) . إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

البعد الفكري في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني

د. فيصل عبد الله حسين حيدر
محاضر بقسم اللغة العربية - كلية التربية " المرج" – جامعة بنغازي

الاستلام: 15/ 4/ 2021 القبول: 25/ 5/ 2021

المستخلص:

تناولت الدراسة في جانبها النظري الأسلوب التعبيري في الكتابة عامة وفي الكتابة السردية بشكل خاص، وعلاقة الأدب بالحياة والواقع والمتخيل، وكذلك الرمز والأسطورة، من خلال استعراض موجز لآراء النقاد. ثم تناولت في جانبها التطبيقي النص بالتحليل والكشف والتبيُّن للفكرة العامة للنص والأفكار الثانوية المبثوثة في ثناياه، لتتوصَّل إلى نتائج عدة، لعل من أهمها انشغال النص بقضايا مهمة كقضية الوجود والعدم، وعلاقة الإنسان بالبيئة، ومبدأ حيوية المادة، وتطرق الكاتب في أثناء ذلك إلى مسائل العقيدة واختلاف الأديان، والصوفية، وبعض أفكار الفلسفات الشرقية، والسحر، والطوطمية، كما تناصَّ الكاتب في نزيف الحجر مع عدة نصوص تراثية قام بتوظيفها في خطابه السردي.

الكلمات المفتاحيَّة:
الرمز، الأسطورة، السحر، الطوطمية، الحلول.

Abstract:

(The intellectual dimension in the novel Bleeding of the Stone by Ibrahim Al-Koni)

In its theoretical aspect, the study deals with the expressive style of writing in general and in narrative writing in particular, and the relationship of literature to life, reality and imagination, as well as symbol and myth, through a brief review of the opinions of the critics. Then, in its practical aspect, It dealt with the text by analyzing, revealing, and clarifying the general idea of the text and the secondary ideas spread in its folds, to arrive at several conclusions, perhaps the most important of which is the text's preoccupation with important issues such as the issue of existence and nothingness, the human relationship with the environment, and the principle of the vitality of matter. And the difference of religions, and Sufism, and some ideas of eastern philosophies, magic, and totemism, and the writer intertwined in the bleeding of the stone with several traditional texts that he employed in his narrative discourse.

key words:
Symbol, myth, magic, totemism, incarnationism

المقدمة:

تعد هذه الورقة مبحثًا يضاف إلى مباحث عدَّة، يكرِّسها الباحث لدراسة جوانب من فن السرد الروائي لإبراهيم الكوني، وقد اختيرت رواية (نزيف الحجر) لتكون أنموذجًا لهذه الدراسة، وسبق للباحث أن تناول أدب الكوني بالدراسة لنص آخر، استخدم فيها التحليل الأسلوبي، والتحليل الفني للصورة الأدبية. وقد ارتأى الباحث أن يقسِّم هذه الورقة بعد المقدمة إلى: تمهيد نظري اهتم فيه بالأسلوب التعبيري والرمز والأسطورة عند بعض النقاد، ودراسة تطبيقية تقارب الفكرة العامة للنص والأفكار المبثوثة في ثناياه، ثم خاتمة، وثبت لمصادر البحث ومراجعه.

التمهيد النظري:

عندما تحدث الناقد (رتشاردز) عن الأسلوب التعبيري قسَّمه على أربعة أقسام، وهي: المعنى، والإحساس، والإيقاع، والقصد، فالإحساس هو موقف الكاتب من المعنى الذي يريد نقله، والإيقاع هو وسيلة الاتصال بالقارئ، والقصد هو الغاية التي يسعى الكاتب إلى بلوغها[1]. ولا نشك مطلقًا في أن الأسلوب الذي يختاره الكاتب هو طريقةٌ للنجاح أو للفشل، فكل رواية تحمل معها ملامح نجاحها وشروطه وملامح إخفاقها وشروطه[2]؛ لذلك يقول (فلوبير) مهما كان الشيء الذي يسعى الإنسان إلى التعبير عنه، فإن هناك كلمة واحدة تعبر عنه وفعلا واحدا يوحي به وصفة واحدة تحدده؛ ولهذا يترتب على الكاتب أن يطيل البحث والتنقيب حتى يعثر على هذه الكلمة وذاك الفعل وتلك الصفة[3].

ولا شك في أن عملية الكتابة هي معاناة حقيقية مع متطلبات المعنى والإيقاع والإحساس والقصد، كذلك فإن التعبير الفني يحتاج إلى دربة ومران، والصورة البيانية المشرقة لها خطورتها في تقويم العمل الأدبي.

وقد نشبت خصومات طويلة بين النقاد حول الأسلوب الذي يكتب به الكاتب الرواية. فبينما اكتفى البعض ولا سيما الواقعيون بالعبارة القصصية المتقنة، ألحَّ البعض الآخر - وهم النقاد الجماليون - على ضرورة الجمع بين الفائدة والمتعة في العبارة القصصية، وقد علق (جورج ديهاميل) حول ذلك مبديًا رأيه بقوله: إن موسيقى الأسلوب شرط لازم لسيطرته على النفوس، والروائي الحق هو الذي يعرف قبل كل شيء بعضًا من أسرار الحياة، ولكنه أيضًا رجل يلجأ في التعبير عما يعلم إلى موسيقى لفظية يستخدمها بطبيعته، فيتميز بها كأمارة خفية لخصائص نفسه، وطالب بأن يكون اللحن في أول الكتابات رائعًا يجذب القارئ في غير تعثر ولا مشقة، وهو لم يعرف بعد شخصيات الرواية ولا تملكته وقائع

(1) . ينظر: نجم، محمد يوسف (9591)، فن القصة، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ط 3، ص: 711.

(2) . ينظر: برادة، محمد وآخرون (1891)، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، ط1، ص:331.

(3) . ينظر: نجم، فن القصة، ص: 411.

القصة، أو قوة تَصَوُّرِ الكاتب، أو صدق نظره الفني[4].

والحوار جزء مهم من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة عقلية لصيقة بالشخصية؛ لهذا كان من أهم التقنيات التي يعتمد عليها الروائي في رسم شخصياته[5]. وهو من أهم مصادر المتعة إذا كان سلسا متقنًا نراه يربط الشخصيات بعضها ببعض، ويبث الحياة في عالم الرواية، وحتى الكتَّاب الذين يؤثرون الطريقة التحليلية لا يستطيعون تنحيته جانبًا؛ لأنه يكسب الشخصيات والحوادث حرارة وتدفقا وصدقًا[6]، ومن شروط نجاح الحوار في الرواية أنه:

1. يجب أن يندمج في صلب القصة؛ لكيلا يبدو دخيلًا متطفلًا على الشخصيات.
2. ويجب أن يحتوي على طاقات تمثيلية.
3. ويجب أن يخلو من الثرثرة والهذر[7].

وإذا تركنا جانبا الأسلوب التعبيري بإيقاعه ونظرنا من جانب المعنى والإحساس، وجدنا أن "كل رواية أو قصة... أو غير ذلك من الأعمال الأدبية والفنية، تبنى وتشكل ذاتها فنيًّا خلال موضوع ما، أيًّا كانت طبيعة هذا الموضوع... وقد يبرز ويطغى هذا الموضوع بعناصره وأحداثه وشخصياته على العمل الفني، أو قد يذوب ويغيب في البنية العامة لهذا العمل"[8].

وموضوعات الأدب بشكل عام والرواية بشكل خاص تُنتقى من الواقع بعناية، وهي تتجزأ منه في فعل واعٍ من قبل الكاتب، من خلال ما اكتنز في ذاكرته من خبرات سارة ومؤلمة، يقول محمد زفزاف: "في أغلب الأحوال تكون هناك فكرة، ويجب أن تجد لها إطارًا وأن تختلق لها أشخاصًا، وأحيانًا تكون هناك فكرة في ذهنك مع طبيعة شخصية معينة، وهذا يدخل في العملية الإبداعية التي يصعب تفسيرها تمامًا"[9].

إن الأدب في حقيقته ليس إلا تفسيرًا عميقًا للحياة، والمحك الحقيقي لعظمة القصة أو لخلود أي أثر أدبي، على اختلاف الموضوعات والأساليب، هو مدى اتصاله بالحقائق التي تجعل الحياة الإنسانية أكثر عمقًا وأوسع شمولًا[10]. إن العالم الروائي أو الواقع الروائي "هو إعادة إنتاج لمعطيات الواقع الخارجي وخبراته الحية المعيشة بالمنطق الخاص للخطاب الروائي"[11]. فالخطاب الروائي إذن لا ينهل إلا من معين الواقع الذاتي والاجتماعي والموضوعي، ولا ينفي عنه فعل الخلق

(4) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 511.

(5) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 711.

(6) .ينظر: المرجع نفسه، ص: 811.

(7) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 911 – 021.

(8) . العالم، محمود أمين (4991)، أربعون عامًا من النقد التطبيقي – البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي، ص: 512.

(9) . فاضل، جهاد، أسئلة الرواية : حوارات مع الروائيين العرب، الدار العربية للكتاب، ص: 391.

(10) . ينظر: نجم، فن القصة، ص: 46.

(11) . العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي، ص: 46.

والتشكيل الفني، الذي يتمتع الكاتب بحرية تطويعه وإعادة بنائه، لا ينفي عنه ذلك كونه ابنًا شرعيًّا لهذا الواقع، وحاملًا لدلالاته، ولا يعني تداخل وتمازج الواقع الروائي والواقع المعيش حتمًا كونه استنساخًا آليًّا لما تعيه حواسنا، أو انعكاسًا مرآويًّا له، بل يكون معلولًا إبداعيًّا لهذا الواقع المعيش، وعلة فاعلة فيه من جهة أنه إضافة إليه وإعادة تصور، أو على الأقل دعوة لنقض مفارقات يحسها المبدع، وكذلك بما ينتج عن هذا الإبداع من تأثيرات تفعل في الواقع فعلها. ذلك يجعلنا نخجل من مقارنة عالم الرواية بعالمنا المعيش على سبيل التقييم؛ لأن ذلك سذاجة فنية غير محتملة، لا في حيز الحوادث، ولا الشخوص، ولا علاقات الخطاب الروائي وبنيته، وإلا فكيف يُنظر بعدها للعالم الروائي، إذا كان أسطوريًّا، أو عجائبيًّا خارقًا، أو رمزيًّا باطنيًّا يتحكم فيه منطق خاص لا يعترف بمنطق الحركة العامة في واقعنا المعاش، فهو إذن بنية حية، تزخر بكل ما تمثله البنية الحية من تشكيل يلتحم التحامًا عفويًّا بمادته وبوظيفته الفاعلة المؤثرة، وهو الوعي الإبداعي الأدبي بالنسيج العميق المتشابك لمجموع خبراتنا الإنسانية التاريخية، والمعاصرة في خصوصياتها وعمومياتها. وهو كينونة لها خصوصيتها ومنطقها المتميز وتشكيلها النوعي الخاص، تحتدم في داخلها لغات وأساليب وشخصيات وأحداث شتى[12].

ويظل الارتكاز إلى الحقيقة هو منطلق الأدب الروائي وأساس وجوده، ولكن "المسألة فنية، هي في شكل هذا الارتكاز وطرقه ومناهجه التي تتفاوت بين المسطح والمعمق، وبين الجزئي والكلي، وبين الفعل والحركة"[13].

وإذا كانت "الرواية فن يعتمد على أناس في مجتمع ما، يعيشون أنماطًا متباينة جدًّا من الحياة، وأن هذه الأنماط تتداخل وتتصادم فيما بينها، فتوجد أحداثًا، وتصور بدورها كيانات إنسانية متباينة جدًّا، وهذا كله يهيئ المادة التي جعل منها الروائي فنًّا قصصيًّا"[14]، فإذا كانت كذلك فهي ذلك "اللاوعي الجماعي الذي إذا استطاع الفنان إصعاده إلى السطح فقد نجح في مسعاه، وإذا لم يصعده إلى السطح فقد أخفق في هذا المسعى"[15]. لكن هذا الاستخلاص "يعتمد في نجاحه على صناعة عاتية"[16] للقاص الواعي لبنائه ومادته، وتوظيف للمادة والرؤى الفلسفية في إعادة صياغة المحسوس، وتلك الصناعة يجب أن تتعمق إلى مختلف العواطف، وتستنبط ألوان المشكلات، وتعكس صور الواقع الحيوي الذي تتصل عراه بين أعضاء هذه المجموعة الإنسانية الصغيرة، التي عزلها الكاتب

(12) . ينظر: العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي، ص: (71، 62 - 72، 03).

(13) . عسّاف، ساسين، دراسات تطبيقية في الفكر النقدي- محورها الرؤية والرؤيا، بيروت، دار الفكر اللبناني، ص: 651.

(14) . فاضل، أسئلة الرواية، ص: 39.

(15) . المرجع نفسه، ص: 29.

(16) . المرجع نفسه، ص:19.

عـن تيـار الحيـاة المتدفـق[17].

ولا تُظهِـر فلسـفة الكاتـب وجهـةَ نظـره في الحيـاة والمجتمـع بطريقـة "الوعـظ المباشر،...ولكنهـا تسـتنج بوجـه عـام مـن اتجاهـه في اختيـار الحـوادث والأحـداث وتنسـيقها وتطويرهـا، وفي خلـق الشـخصيات وتفسـيرها وإلقـاء الأضـواء الكاشـفة التـي توضـح الجوانـب الخفيـة منهـا"[18]. كمـا يوجـب النقـاد ركائـز للإبـداع لابـد وأن يعتمـد عليهـا الكاتـب، وهـي الصـدق الأدبـي، (أي الصـدق بالإمـكان، وهـو أكثـر شـمولًا وأشـد عمقًـا مـن الصـدق بالواقـع الـذي يتبنـاه العلـوم والتاريـخ)، ويوجبـون كذلـك الإخـلاص للعمـل وللموضوعـات التـي تصـور وللفـن، واسـتصفاء الكاتـب لشـعوره وانفعالاتـه الإنسـانية الطبيعيـة غـير المفروضـة عـلى العمـل مـن الخـارج، بـل بالتعمـق في خـوافي النفـس الإنسـانية عنـصر الحيـاة الأول، وإبرازهـا والتعبـير عنهـا بقـوة وصـدق[19].

وفي الروايـة، الواقعـي والمتخيـل يمتزجـان؛ يعلـل ذلـك محمـد زفـزاف بقولـه: "لأنـه لـو كنـا نكتـب عـن الواقـع وحـده دون أن يمتـزج الواقـع مـع المتخيـل، لأصبـح كل النـاس كتَّابًـا، وسـنرى حينئـذٍ الإنسـان يكتـب عـن واقعـه وينتهـي كل شيء، فالمتخيـل ضروري في أي نـص إبداعـي ضروري تمامًـا"[20]. وإذا كانـت الحكايـة "تتطلـب حـب الاسـتطلاع، والشـخصيات تحتـاج إلى مشـاعر إنسـانية وشـعور بالقيـم، والحبكـة تتطلـب ذكاءً وذاكـرة. مـاذا يتطلـب الإغـراق في الخيـال منـا ؟ إنـه يتطلـب منـا شـيئًا إضافيًـا، فهـو يجبرنـا عـلى تكيـف إضـافي يختلـف عـن التكيـف الـذي يتطلبـه العمـل الفنـي، ويقـول سـائر الروائيـين: هـا هـو شيء يحـدث في حياتكـم، أمـا الخيـال فيقـول: هـذا شيء لا يمكـن أن يحـدث"[21]. فلنفـرِّق الآن بـين "الإغـراق في الخيـال والتنبـؤ، وهمـا يتشـابهان في أن لهمـا آلهتهمـا التـي يعبدانهـا، ولكـن هـذه الآلهـة تختلف،...دعنـا الآن - بالنيابـة عـن الخيـال -نتـضرع إلى جميـع الكائنـات التـي تسـكن قريبـة مـن سـطح الأرض، والميـاه الضحلـة، والتـلال الصغـيرة، والآلهـة، والجنيـات، وإلى هفـوات الذاكـرة، وجميـع المصادفـات الكلاميـة، آلهـة الغـاب، والتوريـة، وكل مـا هـو مـن العصـور الوسـطى في هـذا الجانـب مـن القبـور، لكننـا لـن نتفـوه بضراعـة حـين نأتـي إلى التنبـؤ"[22]. كذلـك فقـد "تصـل قـوة الخيـال إلى كل ركـن مـن أركان الكـون، ولكنهـا لا تصـل إلى القـوى التـي تسـيطر عليـه،...إن الكتـاب الخيـالي يمـلي علينـا أن نقبـل مـا فـوق الطبيعـة ،... فهـو قـد يشـير إلى مـا فـوق الطبيعـة ولكنـه لا ينـص عليـه

(17) . ينظر: نجم، فن القصة، ص: 46.

(18) . المرجع نفسه، ص: 331.

(19) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 821 وما بعدها.

(20) . فاضل، أسئلة الرواية، ص: 391.

(21) . فورستر، أ. م. (0691)، أركان القصة، ترجمة: كمال عياد جاد الله، راجعه: حسن محمود، دار الكرنك، ص:131.

(22) . المرجع نفسه، ص: 341.

بصراحة، لكنه كثيرًا ما يعبر عنه"[23].

ولم نعنِ بالتنبؤ حين ذكرناه التنبؤ بمعناه الضيق، وهو التكهُّن بحوادث المستقبل، بل "هو رنَّة في صوت الروائي، ربما يكون مزمار الخيال أو بوق قد أعادها...فالتنبؤ - كما نقصده - عبارة عن نغمة للصوت، وقد تشير إشارة غير مباشرة إلى العقائد التي جاءت إلى البشرية"[24]. وإذا كان للرواية "أن تنبثق عن تجربة الفرد والجماعة من ناحية، وأن تنفعل فعلًا دينامي ًّا في حياة الفرد والجماعة من ناحية أخرى، فلا بد لها فيما أرى أن تنشط كعمل فني على مستويين اثنين:

أولًا: مستوى الواقع (الفن مرآة للمجتمع).

ثانيًا: مستوى الأسطورة"[25].

والمستوى الثاني "في غاية الخطورة، ولا يتحقق بيسر، بل إن المستوى الأول (الظاهر) حيث يحاول الروائي إعادة خلق الواقع في شكل متنامٍ متكاملٍ، قد لا يتحقق بنجاح (نفسيًّا) إلا بتحقق المستوى الأسطوري المضمن.

كلا المستويين بالطبع لا يمكن إيجاده بمجرد القصد والتصميم، وميزة الكاتب الكبير هي أن كليهما يتحقق بين يديه على نحو يقارب العفوي، وعندها يعطي المستوى الأسطوري الرواية نفاذها السحري وقدرتها الغامضة على الفعل الدائم في النفس والمجتمع"[26]. غير أن الرواية كإبداع فني يجب أن تنجح أولا على مستواها الظاهر، قبل أن نسمح لأنفسنا بالتغلغل إلى أطوائها الضمنية، فالمعنى الأسطوري يكون غير واردٍ في عمل لم يتكامل بناؤه الخارجي إلى الحد الذي يبرر المنطويات الأسطورية التي لا نعيها عادة بوضوح[27].

فإذا كانت الأسطورة "موجودة في الرواية عن نحو غامض ما، فإن الرواية تفعل في أنفسنا؛ لأنها تستثير شخصيات الأساطير الكامنة في لا وعي الإنسانية كلها، ونتيجة لذلك فإن الكاتب الذي يستطيع أن يوجد جوًّا وبناءً وحدثًا تتماسك فيما بينها، وفي الوقت نفسه ينبش الأسطورة الكامنة في أذهاننا، فإنه في الواقع ينبش عاطفة أو حسًّا عنيفًا خفيًّا فينا، وهذا ما يجعلنا نستجيب لقصته على أكثر من مستوى واحد، ونشعر بأن لقصته علاقة بحياتنا ظاهرًا وضمنًا معًا"[28]، ومما لا شك فيه أن الأجيال المتتالية من البشر قد أنجزوا ثقافات مختلفة بفعل التباعد الجغرافي، والخصائص المميزة للبيئة، والجهل الذي كانوا

(23) . المرجع نفسه، ص: (431- 531، 731).

(24) . المرجع نفسه، ص: 251.

(25) . جبرا، جبرا إبراهيم (9791)، الرحلة الثامنة – دراسات نقدية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: 57.

(26) . المرجع نفسه، ص: 57.

(27) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 67.

(28) . المرجع نفسه، ص: 67.

فيه[29]، فالعرب مثلًا نشأت الأسطورة[30] عندهم مثلما نشأت عند كل الشعوب مع نشأة التفكير عند الإنسان، ومع نشأة قدرته على الإبانة والتعبير، فقد حاول العرب من خلال تفسير ما عجزوا عن فهمه من ظواهر الكون حولهم، وطبيعي أن يعرف العرب الأساطير بكل أنواعها، وأن يتداولوها كجزء من تراثهم العربي الذي يصاحب عباداتهم الدينية المليئة بالرمز المثقل بالخيال الجامح البدائي[31]، وكذلك "أخذوا من أساطير الشعوب التي خالطوها وعرفوا ثقافاتها، وامتزجت الأساطير بأساطيرهم في تفاعل حيوي وتلاحم عضوي، أتاح لها أن تذوب في المفاهيم العربية، وأن تلتحم مع الأساطير العربية، ليكون الناتج قصصًا يمثل لا المفاهيم العربية وحدها، ولكن مفاهيم الإنسانية وتراثها في مرحلة من مراحل تطورها في هذه المنطقة، التي أتاحت لها ظروف التجارة والرحلة أن تتعايش وتتعارف، وتثري وجودها بالأخذ والعطاء"[32]. ويحقق ماضي أي جماعة جزءًا من هويتها، وكذلك بالنسبة لأفرادها، ويُتعرَّف على أي مجتمع جزئيًّا عن طريق جذوره وتاريخ تطوره[33]. فالذاكرة الجمعية التي تمتلك تشابهًا واضحًا في الغالب مع الذاكرة الفردية لا بد وأن تبسط وأن تسترجع وأن تحور وأن تؤسطر الماضي، وبهذا تلجأ إلى الرمزية بغزارة، فلدى معظم الناس يكون المكتوب والتاريخ والذاكرة الجمعية أكثر اندماجا في التفكير الميثولوجي (الأسطوري)، حيث يُعبَر الزمن. ومع ذلك لا يشكل مثل هذا التفكير أي مشكلة[34]، والرمزية الدينية والسحرية هدفها في البداية ربط الإنسان بنظام فوق الطبيعة[35]، لكننا نستطيع أن نتثبت من أن الرمزية الدينية على الأقل في أعماقها اجتماعية، ففي المجتمعات البدائية يرتبط السحر بشكل لصيق بالحياة الاجتماعية الإنسانية، ويصاحب العمل والحروب والمشاريع المهمة، إنه يتغلغل داخل العلاقات الإنسانية فيحمي ويدافع عن الجماعة فضلا عن الأفراد. وحالة الرمزية السحرية هذه،

(29) . ينظر: شتراوس، كلود ليفي (2891)، العرق والتاريخ، ترجمة: سليم حداد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، ص: 11.

(30) "تشترك مصطلحات: أسطورة، وحديث، ونبأ، خبر، وقصص، في الإحالة على الكلام المخبر بشؤون الماضين وسيرهم وأخبارهم في زمن ولّى وانقضى. غير أن أوثق الكلمات صلة بـ(أسطورة) في استعمالات العرب هي كلمة (خرافة) التي تطلق على الحديث المستملح من الكذب. ومما يميز بينهما أن الأسطورة في نظر أصحابها عين الحقيقة ، في حين أن الخرافة لا يعتقد في صحتها راويها ولا من ينصت إليه نفسه". القاضي، محمد وآخرون (0102)، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط 1، مادة: أسطورة، ص: 42. ينظر كذلك: عجينة، محمد (5002)، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، بيروت / صفاقس، دار الفارابي / دار محمد علي، ط جديدة ومنقحة، ص 02 – 52.

(31) . ينظر: خورشيد، فاروق (9791)، في الرواية العربية – عصر التجميع، بيروت، دار العودة، ط 3، ص: 53.

(32) . المرجع نفسه، ص: 63.

(33) . ينظر: روتشيد، غي (2991)، الرمزية والعقل الاجتماعي ، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، طرابلس، الفصول الأربعة، العدد: (26)، السنة: (21)، يونيه، ص: 71.

(34) . ينظر: المرجع نفسه، ص:41.

(35) ينظر: السواح، فراس (7002)، موسوعة تاريخ الأديان – الكتاب الأول: الشعوب البدائية والعصر الحجري، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط 2، ص 12 وما بعدها.

وخاصة الدينية، موحية لنا من زاوية أخرى، فالدين والسحر معبَّآن بغزارة برموز متنوعة تتعلق بعالم غير مرئي لا يمكن الوصول إليه مباشرة، وبالتالي يمكن خلق الطريق الرمزي للوصول إليه، ومن ثم لحماية الإنسان في واجهة هذا الكون المجهول[36]. فعالم الخيال على هذا سيكون الصورة الذهنية التي ترتسم على صفحات عقولنا وتختزن في ذاكرتنا [37]وفي لاوعينا الجمعي.

والرمز حي ما دام مفعمًا بالمعنى، ولكن إذا وجدنا تعبيرًا يقدِّم لنا معناه على نحو أفضل كان الرمز ميتًا، فكل نتاج نفساني ما دام هو أفضل تعبير ممكن في تلك اللحظة عن حقيقة لم تعلم بعد، أو ما زالت نسبيًّا غير معلومة، يمكننا اعتباره رمزًا، شريطة أن نكون مستعدين لقبول التعبير على أنه يدل على شيء يحدس المرء به فقط، ولم يعه بعد وعيًا واضحًا[38]. فالرمزية لا ترمي إلى تصوير الواقع وتحليله ونقده، بل ترمي إلى أن تجسم أفكاره المجردة وتحركها في أحداث تتداخل وتتشابك لإيضاح الحقائق الفلسفية، نفسية كانت أو أخلاقية[39]. لقد أفاد الرمزيون من عنصر الأسطورة ووظفوها لأغراضهم، كما أفادوا من الإطار الخارجي للرمز للأغراض ذاتها أيضًا، فليس شرطًا أن تقتصر معالجة الأساطير القديمة على نحو رمزي، فكثير من الأدباء المنتمين إلى مذاهب أدبية مختلفة استغلوا هذه الأساطير وأخضعوها لمذاهبهم، وعالجوها على النحو الذي يتفق مع تلك المذاهب، والاتجاهات الرمزية الاجتماعية التي تجسم أفكارًا تديرها في مجتمع، تتضمن أكثر من مغزى من الناحية الأخلاقية والفلسفية والاجتماعية[40].

فالرمز هو وسيلة طرح للواقع على مستوى أعمق وأكثر فنية، وذلك بإعادة خلق هذا الواقع خلقًا فنيًّا في ضوء رمز موحٍ، أثره في الوجدان أقوى وتأثيره على النفس البشرية أبقى من طرح ذلك الواقع مجردًا، فهو إذن وسيلة فنية يستخدمها الفنان لبناء عمله الفني، وهو الذي يهب العمل موضوعيته، ويهب العواطف المثارة الصورة الدرامية دون الصورة الوصفية المجردة[41]. ويرتبط الرمز في عملية الإبداع بالمبدع وما ينقله عمله الفني بالنسبة له، أو ما أراده هو له، ويرتبط بالمتلقي باستقباله وإدراكه لهذا العمل وما يمثله بالنسبة له، ويرتبط بالعمل نفسه الذي يتحول إلى كيان مستقل عنهما، له مقاييسه الخاصة التي

(36) . ينظر: روتشيد، الرمزية والعقل الاجتماعي، ص: 61.

(37) . ينظر: حسين، عبد الحميد (4691)، (الأصول الفنية للأدب)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، ص: 001.

(38) . ينظر: جبرا، الرحلة الثامنة، ص: 44.

(39) . ينظر: مندور، محمد (7591)، الأدب ومذاهبه، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ط 2، ص: 521.

(40) . ينظر: السعافين، إبراهيم (7891)، تطّور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (0781 – 7691)، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، ص: 905.

(41) . ينظر: شادويل، تشارلز (9791)، الرمزية في الأدب ، ترجمة: نسيم إبراهيم، الثقافة العربية، العدد (5)، السنة (6)، مايو، ص92.

تتجاوز المبدع الذي أنتجه أو المتلقي الذي استقبله أو الباث الوسيط بينهما[42]. وفي عملية الخلق الفني قد تبدو الأدوات والأشكال المصنوعة بمقاييس عالم لا معقول، عند النظرة الأولى له في مغزاه المقبول لدى الجميع[43]. ويُعتقد أن وظيفة الرمز في الفن هي وظيفة حمائية؛ لأن الواقع بكل فجاجته يصفع حواس الإنسان ووعيه، ويشكِّل له ما يشبه الصدمة الدائمة، وهو يتعامل معه قسرًا ويخضع لقهره، وبين القسر والقهر يقوم الفن بدوره بين الإنسان والواقع، وبين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، فالإنسان غابة من الرمز على حد تعبير الشاعر الفرنسي (بودلير)، للرمز عناصره البيولوجية، وللرمز مدلوله الوجداني، وللرمز هدفه الاجتماعي، وللرمز مداه الوجداني أيضا[44]. ويرى بعض النقاد أنه: إذا كان لا بد من سبعة مستويات من الرمزية الأدبية أو ثمانية، وسبعة أشكال من الرمزية الأدبية أو ثمانية، فلحسن الحظ أن الرواية الحديثة باتت تلعب على جميع هذه المستويات، بين أرفع مطامح الخيال وأدنى أنواع الأقوات[45].

الدراسة التطبيقية:

ولن يجد القارئ العادي صعوبة في معرفة الغرض الأول أو الفكرة العامة المسيطرة على نزيف الحجر، ولا سيما لمن عاش في ليبيا في المدة التي نشط فيها الصيد في الصحارى والغابات الليبية؛ نتيجة لانتشار بنادق الخرطوش وسيارات البرية (الطاويات)، ولطبيعة العربي الميَّالة إلى الصيد هوايةً قبل أن يكون لحاجة إلى الطعام. ولا يختلف اثنان في تراجع ثروة البلد من عدة أنواع من حيوانات البرية التي بدأت في الانقراض فعلًا، كالودان الذي ندرت رؤيته إلا في حدائق الحيوان، والغزال أيضًا، وكذلك الشأن بالنسبة للطيور كطائر الحبارى وغيرها.

والكوني يعرف ذلك لأنه ابن فزان، عاش صباه وشبابه ورجولته في الصحراء، وفي تلك الحقبة التي تكلمنا عنها، ولابد من أنه كان يشاهد قوافل سيارات الصيادين وهي تطارد الغزال وغيره من الحيوانات، ولا بد كذلك من أنه عاش الفترة التي كانت تمرح فيها تلك القطعان في مراتعها، ثم شاهد بأمٍّ عينيه تناقصها وتلاشيها.

ولن نتحدث عن الودان لأنه نادر حتى في تلك الفترة. هذا الواقع لابد وأن يولِّد صراعًا في نفس الكاتب وانفعالا اتجاه هذه الظاهرة واتجاه من يتعاطونها، وبين السكوت عما يحدث والرفض ينزف الحجر و تنفطر القلوب ولا بد من أن تشي

(42) . ينظر: روتشيد، الرمزية والعقل الاجتماعي، ص:51.

(43) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

(44) . ينظر: المرجع نفسه، ص: (02، 02).

(45) . ينظر: ألبيرس، ر . م (2891)، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة: جورج سالم، بيروت – باريس: منشورات عويدات – ومنشورات بحر المتوسط، ط 2، ص: 154.

الروايــة بعواصــف النفــس التــي تــرى في النــاس شــياطين[46] أنزلهــم اللــه بلــوى قاتلــت الجبــال ورمــال الصحــراء[47]، وأصبحــوا للغــزلان والــودان عــدوا واحــدًا[48]، فالإنســان عنــد الكونــي عــدو الكائنــات[49]؛ لذلــك يقــول والــد أســوف في الروايــة: " أجــاور الجن ولا أجاور الناس. أعوذ بالله من شر الناس"[50]؛ لأنهم طماعون نهمون جشعون[51].

لكــن الكونــي يجهــر بحيرتــه واحتجاجه عــلى الطبيعــة، باعتبارهــا نظامًــا محكومًا وحاكمًــا للأحيــاء، يحمــل في أكنافــه الجبريــة، ففــي مرثيَّــة والــد أســوف الكئيبة نســمعه يقــول عــلى لســانه: "مــا أجمــل تكوينهــا! مــا أرشــق قامتهــا! مــا أنعــم جســمها! الســحر يفيــض مــن عينيهــا. أجمــل مخلوقــات في الدنيــا. روح الصحــراء الرمليــة. فيــه امتدادهــا وهدوءهــا وســكينتها وســحر قمرهــا. فيــه المحــال. فيــه الحريــة؛ ولذلــك لــم يطمــع مخلــوق في أن يقبــض عليــه حيًّــا. مــا يحرقنــي أننــي لــم أقبــض عــلى غــزال حتــى اليــوم...! هــذا يحيرنــي. لمــاذا عــلى الإنســان المجــرم أن يطــارد مــلاكًا كهــذا؛ ليقتله ويحشــو بــه جوفــه؟ إذا لــم يقتــل الإنســان غــزالًا هــل يمــوت مــن الجــوع؟ ولمــاذا يجــوع الإنســان حتــى يضطــر أن يســفح دم هــذا المخلــوق الجميــل؟ ربمــا كان هــذا هــو الســبب الــذي جعــل اللــه يعاقبنــا، ويحرمنــا مــن الظفــر بــه حيــا"[52]. إذن يعلــن الكونــي ثورتــه عــلى الطبيعــة الإنســانية كلهــا، وعــلى الجــوع والإجــرام باعتبارهمــا وجهــين لعملــة واحــدة؛ ولهــذا هــو يكــره الإنســان، ويهــرب إلى الصحــراء، لكــن الحياة في الصحــراء مليئــة بالمواويــل الحزينــة الطويلــة التــي لا تنتهــي، وبأشــياء تحــرق القلــوب، وتحمــل معهــا عــشرات الأســئلة التــي لا إجابــات لهــا، ومــن أمثلــة ذلــك هــذا المقطــع الــذي يقــول فيــه: "شيء مــا يحــرق قلبــه، يريــد أن يطفئــه بهــذه المواويــل، وكانــت المواويــل تحرقــه أيضًــا؛ فيبكــي بصمــت في مجلســه خلــف الــسرج. لمــاذا تعــصر قلبــه هــذه الأغانــي؟ لمــاذا تؤلمــه بهــذه الوحشــية؟ هــل لأنهــا تعــبِّر عــن العجــز في الصحــراء؟ هــل لأنهــا تشــعره بقســاوة الصحــراء؟ هــل لأنهــا تقــول إن قــدر الإنســان الوحيــد المعــزول هــو الحــزن والشــقاء؟ هــل لأنهــا تمــزِّق حجــب الوهــم وتنطــق قائلــة: إن الإنســان إذا فقــد الصلــة بالبــشر فقــد الصلــة بنفســه، وإذا فقــد الآخريــن فقــد نفســه وهانــت عليــه؟ هــل لأن المواويــل توحــي لــه بــأن النجــاة والحريــة تعنيــان الصحــراء، والصحــراء لا تعنــي أكثــر مــن المــوت؟ هــل يبكــي؛ لأن مواويــل الأب الحزيــن هــي إشــارة إلى حياتهــم الغريبــة في الصحــراء الأبديــة التــي لا يبــدو أنــه يوجــد في الدنيــا ســواها؟ أم أن هــذا كلــه تخيلاتــه هــو، وأن حــزن الأب لا يعــدو أن يكــون ألمًــا مبعثــه أن الحيــاة

(46) . ينظــر: المصــدر، ص: 72. [ويشــار بالمصــدر في البحــث إلى: الكونــي، إبراهيــم (6241ميــلاد محمــد ﷺ)، نزيــف الحجــر – روايــة، مصراتــه: الــدار الجماهيريــة للنــشر والتوزيــع والإعــلان، ط 4].

(47) . ينظر: المصدر، ص: 23.

(48) . ينظر: المصدر، ص: 23.

(49) . ينظر: المصدر، ص: 92.

(50) . المصدر، ص: 82.

(51) . ينظر: المصدر، ص: 61.

(52) . المصدر، ص: 36.

قاسية، تجبره على أن يصطاد الودان وهو لا يريد أن يصطاد الودان؟"[53]. فالكوني إذن غاضب من الإنسان والصحراء، ومن العزلة، ومن الحياة الغريبة التي تدفع الإنسان لأقدار لا يرتضيها، هل يندمج مع البشر؟ أم هل ينعزل؟ هذه إشكالية الوجود، وهي جدلية تدفع إلى ثنائية الموت والحياة، والموت أيضًا مسألة جوهرية عند الكوني، ويشكِّل جدلية حقيقية لديه، يقول في عبارة أخرى: "من اختار أن يعيش طليقًا في الصحراء فعليه أن يتولى أمره بنفسه. هذه حكمة قرأها في حياة الوالد، ودفع حياته ثمنًا لها. وهو أيضًا سيدفع حياته ثمنًا لها. هل هذه هي الحرية؟ هل الابتعاد عن الناس جريمة ثمنها الموت؟ هل العزلة كفر بالله؟"[54]. لكن الموت - عنده - سبيل إلى الراحة الأبدية، اسمعه يقول:" سيهوي وينفجر قلبه قبل أن يبلغ القاع، لن يتألم أبدًا، لا ألم هناك. الألم هنا"[55]. إذن فالحياة، عند الكوني، عذاب الخلاص منه يكون بالموت، لكنه مع عذابه وطمعه في الراحة، لا يزال يناضل للتشبث بالحياة بالصخرة، فالألم "هنا في الصخرة، في التشبث بالنتوء، بالحياة، النتوء هو الحياة: ما أقسى الحياة!"[56].

وجدلية الموت والحياة دائمًا حاضرة في نزيف الحجر: "فهل هذا قبره، هل هذا ما يسمونه القبر؟ هل هذه هي النهاية؟ خاف وبكى. ولم يبك ولكن سائلا حارًا كالجمر، انبثق من عينيه، أحرق وجنتيه في تلك اللحظة. هل هذا هو الغيظ؟ هل هذا هو الخوف؟ هل بسبب الهزيمة؟ أم لأن نهمه وخيانته للنذر قاداه إلى هذا الفخ؟ ... هل الموت سهل إلى هذا الحد؟ هل هو قريب إلى هذا الحد بحيث تكفي ومضة إعياء يرخي فيها أصابع يديه فيهوي في الهاوية؟ هل الحياة قصيرة إلى هذا الحد؟ لماذا لم يخبره لا الأب ولا الأم أن الموت بسيط، والحياة قصيرة، ولحظة حماقة يمكن أن تقودك للهاوية؟... هل هذا ما يسمونه القدر؟ الأب والأم لا يملَّان من تكرار هذه الكلمة! ولم يفهم معناها إلا في هذه اللحظة. القدر. القدر. السرُّ المجهول الذي يأتي لك بودان يستدرجك إلى الهاوية"[57]. وإذا كان النذر يعني عهدًا مع الطبيعة بعدم العبث بها والتعرُّض للمخلوقات بسوء، فإن العقوبة ستكون أقصى: "النذر. النذر. تذكَّر النذر. والده مات؛ لأنه خان النذر، فهل سيموت؟"[58]، "هو آثم؛ خان العهد، واستحق العقاب" ! [59]، لكن الموت لا يقاوم إلا بالصبر، "كيف تستقيم الصحراء بدون صبر؟ من لم يوهب

(53) . المصدر، ص: 25.

(54) . المصدر، ص: 17.

(55) . المصدر، ص: 17.

(56) . المصدر، ص: 17.

(57) . المصدر، ص: 96 - 07.

(58) . المصدر، ص: 96.

(59) . المصدر، ص: 67.

هـذه النعمـة لـن يطيـب لـه المقـام في الصحـراء "[60]، وحتـى هـذا قـد ينفـع، وقـد لا ينفـع[61]، لكـن جدليـة المـوت والحيـاة قـد تدفعـه إلى أكثـر مـن ذلـك، فمـا "ذنبهـا هـي حتـى تمـوت بموتـه؟ أيـن العدالـة؟ أيـن اللـه؟"[62].

إن البحـث عـن تفسـير للوجـود يدفـع الكاتـب إلى البحـث عـن الموجِـد، هـذا السـؤال المتبـادر للذهـن منـذ صغـره إجابتـه تقـع خلـف حجـب سـميكة، لا يصـل إليهـا العقـل البـشري عـلى الرغـم مـن إلحـاح الذهـن في معرفتهـا، الحكمـة الإلهيـة تقتـضي ذلـك فعندمـا "بلـغ السـابعة، وقـرَّر الأب أن يعلِّمـه سـورة الفاتحـة سـأله: هـل تعـرف أيـن اللـه؟ أشـار بإصبعـه إلى أعـلى، وقـال: في السـماء! ضحـك الوالـد حتـى اسـتلقى عـلى قفـاه، وقـال مشـيرًا إلى صـدره: اللـه هنـا وليـس في السـماء، ثـم تمتـم كأنَّـه يخاطـب نفسـه. في القلـب، معنـا، فينـا، ثـم رفـع إليـه نظـرة غريبـة كأنـه يعـود مـن رحلـة في الملكـوت البعيـد مـن غيـاب طويـل، وهمـس: يكفـي أن تجيـب إن سُـئلت: إنـه في القلـب، إيـاك أن تخطـئ! في القلـب"[63].

إن هـذه الملامـح لفلسـفات صوفيـة أو إشراقيـة لـم يكتسـبها ابـن الصحـراء مـن الكتـب، ولا رطـن بهـا لسـانه مجـاراة لمتفلسـف أمامـه، فالصحـراء تعلِّمـه ذلـك في محنـه التـي يصادفهـا، ولـو بعـد حـين، "لـم يسـتطع يومهـا أن يفهـم هـذه اللغـة، كيـف يكـون اللـه الكبـير العظيـم، القـادر عـلى كل شيء، في القلـب الصغـير المسـجون في قفـص هـذا الصـدر؟ وهـا هـو يحـس مشـنوقًا في رأس الصخـرة أن المرحـوم عـلى حـق، فأيـن يسـتمد قوَّتـه عـلى الصمـود إن لـم يكـن القلـب؟ لـولا تلـك القـوة الخفيـة في القلـب، لـولا اللـه في القلـب، لسـقط مـن زمـان في هاويـة الظلمـات التـي تشـده مـن رجليـه لأسـفل"[64].

فاللـه - في خطـاب نزيـف الحجـر - يقـترب مـن مـدركات الإنسـان الذهنيـة كلمـا تفجَّـرت قوتـه الداخليـة؛ لأن تلـك الـروح نفخـة مـن فعـل اللـه لا يعرفهـا إلا الصوفيـون، إذا تغافـل عنهـا الإنسـان "لـم يعـد يسـتطيع الاسـتمرار، لـم يعـد يحتمـل، لا أمـل .لا أمـل . أيـن قـوة القلـب؟ أيـن اللـه؟ سـوف يسـقط بعـد قليـل"[65]. فاللـه - في النـص - موجـود، نعـم، ولكـن مـن يـراه؟ ومـن يشـعر بوجـوده؟ الصـبر والأمـل والقلـب والقـوة الخفيـة التـي يسـتحضرها الإنسـان مـن داخلـه تجعلـه يـرى اللـه في كل شيء في الكـون، يبتعـد عـن المـوت لكـن اليـأس والفـخ والهاويـة التـي تجذبـه مـن رجليـه لأسـفل تعمـي بصيرتـه. وهـذا مدخـل آخـر إمـا للأنيميـزم (الأرواحيـة)[66]؛ لأن

(60) المصدر، ص: 37.

(61) ينظر: الفصلان: (02، 62).

(62) المصدر، ص: 67.

(63) المصدر، ص: 77.

(64) المصدر، ص: 77.

(65) المصدر، ص: 77.

(66) الأرواحيـة msiminA : يترجمهـا بعضهـم بمصطلـح (مذهـب حيويـة المـادة)، ويعرِّفهـا بأنهـا: "الاعتقـاد بـأن لـكل مـا في الكـون، وحتـى للكـون ذاتـه روحًـا أو نفسًـا، والاعتقـاد بـأن الـروح أو النفـس هـي المبـدأ الحيـوي المنظـم للكـون". بعبلبكـي،

اللـه موجـود في كل شيء – بحسـب خطـاب الروايـة – فـكل شيء مسـكون بـروح، هـذه الـروح هـي الحيـاة، والحيـاة مـن صفـات الحـي الـذي لا يمـوت، فـكل حـي هـو آيـة لوجـود اللـه، وكذلـك الجمـادات، فالطبيعـة تغضـب وتعاقـب وتنتـصر وتحـب وتسـكن كل شيء[67]. والغـزال مسـكون، والـودان مسـكون، والصخـور والرمـال وكل شيء. وهـو مدخـل كذلـك للصوفيـة التـي أنزلهـا المغـرب العربـي "مـن عـرش الفلسـفة السـماوية إلى أرض الحيـاة اليوميـة"[68]، والتـي جعلـت "كل الأرواح مسـكونة باللـه"[69]. ومـن هنـا تطـل علينـا – في نـص الروايـة – (التيجانيـة) باعتبارهـا طريقـةً صوفيـة تتجـادل مـع (القادريـة) الطريقـة الأخـرى المقابلـة، وهمـا مـن الطـرق الصوفيـة المنتـشرة في المنطقـة، وكلا الطريقتـين – فيمـا يبـدو مـن خطـاب الروايـة – تخوضـان في قضايـا فلسـفية عـدة، كحلـول اللـه في الكائنـات الأرضيـة، والتئـام الإنسـان بربـه، ثـم تظهـر المسـيحية نقيضًـا للصوفيـة الإسـلامية، يقـول النـص: "خلافنـا معكـم يـا معـشر المسـيحيين يكمـن هنـا. أنتـم تقولـون إن المسـيح هـو اللـه، وتحـصرون جلالتـه في مخلـوق واحـد، في حـين نـرى أنـه موجـود في كل النـاس، بـل في كل الكائنـات ديننـا أعـدل مـن دينكـم"[70]. فاللـه – بهـذا المنظـور– يعنـي بوضـوح: آثـار اللـه، وآيـات وجـوده تعنـي: اليقـين باللـه.

إذن هنـاك الواجـد (اللـه)، والآثـار (الموجـودات) التـي ينبغـي أن تقـدَّس وتحـترم؛ لأن اللـه هـو موجدهـا. فالطبيعـة للـه، ولا يحـق لإنسـان أن يعبـث في حـق اللـه ويتطـاول عـلى حكمتـه، والحيوانـات مـن الطبيعـة، وإيذاؤهـا جـراءة عـلى حرمـات اللـه. الصوفيـون يعرفـون ذلـك، لكنهـم يرونـه مـن زوايـا مختلفـة، ولحساسـية الموقـف تتصلـب الـرؤى والمواقـف. والصوفيـة عمومًـا جـزء مـن عقائـد الـشرق التـي تبحـث عـن حقيقـة الـروح وعلاقتهـا باللـه (الـذات العليـة). لكـن النصرانيـة التـي

منـير ورمـزي منـير (8002)، المـورد الحديـث، بـيروت: دار العلـم للملايـين، ط 1، ص: 06. ويقابلهـا بعضهـم بمصطلـح (الإحيائيـة) ويعرِّفهـا بأنهـا: "الاعتقـاد بوجـود الأرواح، وأن أي نظـام حـيٍّ كان أو حتـى المـواد الجامـدة أحيانًـا تمتلـك نوعًـا مـن الـروح". حسـيبة، مصطفـى (9002)، المعجـم الفلسـفي، عمـان، دار أسـامة للنـشر والتوزيـع، ط 1، ص: 04. وهنـاك "تقبُّـل عـام بـين الأقـوام البدائيـة المعـاصرة للاعتقـاد بحيويـة المـادة، أي أن كل الأشـياء المدركـة، مـا سـكن منهـا، ومـا كان حيًّـا متحـركًا، لـه أرواح، وأن لـكل إنسـان روح تغـادر جسـده مؤقتًـا أثنـاء الأحـلام ونهائيًّـا عنـد المـوت". السـوّاح، موسـوعة تاريـخ الأديـان – الكتـاب الأول: الشـعوب البدائيـة والعـصر الحجـري، ص: 62.

(67) . ينظر: الفصول: (2، 01، 31، 41، 22).

(68) . المصدر، ص: 031.

(69) . المصـدر، ص: 331. والعبـارة تشـير إلى الحلـول (noitanracni)، وهـو: "عنـد النصـارى حلـول البـاري تعـالى في عيـسى عليـه السـلام، والحلوليـون مـن المسـلمين قالـوا: لا يمتنـع أن يظهـر اللـه تعـالى في صـورة بعـض الكاملـين، فأكملهـم العـترة الطاهـرة، ولـم يتحاشـوا عـلى إطـلاق الآلهـة عـلى أئمتهـم. وعنـد المتكلمـين أن اللـه تعـالى لا يحـلُّ في غـيره؛ لأن الحلـول هـو الحصـول عـلى سـبب التبعيـة، وأنـه ينفـي الوجـوب الذاتـي، ولـم يخالفهـم إلا غـلاة الشـيعة مـن النصيريـة والإسـحاقية، والحلـول المطلـق في عـرف ابـن تيميـة هـو وحـدة الوجـود". الحفنـي، عبدالمنعـم (0002)، المعجـم الشـامل لمصطلحـات الفلسـفة، القاهـرة، مكتبـة مدبـولي، ط 3، ص: 813. ويـبرز توظيـف الكاتـب لمفهـوم الحلـول صريحًـا في الروايـة، ينظـر مثـلا: فصـل: (الأفيـون)، ص: 921 ومـا بعدهـا.

(70) . المصدر، ص: 331.

تتبرأ من أمثال (جون باركر)[71] ما زالت قاصرة عن صوفية الإسلام، فالله - جل شأنه - محصور عند النصارى في المسيح الإنسان، وهذا لا يخضع لمنطق الشرق الإسلامي، ولا الصوفية بتياراتها المتعددة، فالله أكبر من أن يحد أو يجعل في محدود أو مجسم؛ لذلك كانت المسيحية إشكالية أخرى في الرواية.

وللبدوي (أو الصحراوي) زوايا متعددة يرى من خلالها النصرانية، والكوني لم يخفِ ذلك، غير أننا نفطن إلى أن ذلك البدوي هو الصوفي المتعلم؛ فقد برزت رؤية النص للمسيحية منذ الفصل الثاني، وفي هذا المقطع: "وكثيرًا ما سأل نفسه عن سر اهتمام النصارى بالرسوم القديمة. وتوصل إلى قناعة تقول: إن النصارى يحجون إلى أوثان متخندوش؛ لأنهم يعتنقون (الديانة القديمة نفسها)، فهم لا يؤمنون بالنبي محمد ﷺ، ولا يسجدون نحو الكعبة كالمسلمين، فالخشوع، والضراعة، والابتهال، والاستسلام الذي تنطق به عيونهم، تفضحه الإشارات المجهولة التي يرسمونها على وجوههم وهم يتفحَّصون قامة ملك الوادي العملاقة، ووداعه المقدس الذي ينتصب بجواره متأمِّلا الأفق البعيد. النصارى يقفون أمام العملاق المقنَّع كما يقف المسلمون بين يدي الله"[72]. فنجد ذكر الأوثان، والديانة القديمة، وعبادة النصارى للعملاق المقنَّع ووداعه المقدس مترادفة، وهذه تقابل عبادة المسلمين لله واتجاهاتهم جهة الكعبة. ونجده في موضع آخر، وقد "رأى في إحدى المرات امرأة أوروبية تركع أمام الصخرة على ركبتيها وتتمتم بكلام مبهم، عرف بالحدس أنه صلوات النصارى"[73]. بعدها يصف النص النصب بعبارة: " كنصب وثني شيدته الآلهة"[74].

والدارس لبناء الشخصية في نزيف الحجر يلاحظ أن ثمة علاقة بين الأيقونة الحجرية (الكاهن العملاق والودان) والأب والابن، ومن خلال فكرة الحلول والطوطم[75] نرى كيف يشكِّل الودان المقدس والأب والابن الأقانيم الثلاثة[76]، وهي تحِلُّ في بعضها لتكوِّن ذاتًا واحدة متداخلة ومتصورة ومتجسمة في أشكال

(71) . ينظر: المصدر، ص: 731.

(72) . المصدر، ص: 81 .

(73) . المصدر، ص: 9.

(74) . المصدر، ص: 21 .

(75) الطوطم matot : "هو حيوان أو نبات، أو أي شيء آخر مقدّس لدى جماعة أو قبيلة أو حي من الشعوب البدائية، ويرمز للجماعة ويحميها. وتدور حوله طقوسها الدينية وشرائعها. وبالإضافة إلى الطوطم القبلي، فلكل فرد طوطمه الخاص الذي تربطه به علاقة شخصية، وأمر اختياره لنفسه متروك له وحده...، فالطوطمية أقدم ديانة عرفها تاريخ الإنسانية، وهي ليست عبادة الحيوان أو النبات؛ لأن القبائل التي تدين بها تؤمن أنها والطوطم من أصل واحد". الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص: 894 – 994.

(76) "الأقنوم: الأصل، والجوهر، والشخص. والأقانيم الثلاثة عند المسيحية هي: الآب، والابن، والروح القدس... وقيل إن أفلوطين أول من أدخل هذا اللفظ في اللغة الفلسفية، ثم استعمله كتَّاب عصره من المسيحيين وأطلقوه على الآب، والابن، والروح القدس، من جهة كونهم جواهر أو أقانيم متميزة بعضها عن بعض... ويُطلق عند اللاهوتيين على اتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية". صليبا، جميل (4991)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، بيروت، الشركة العالمية للكتاب وآخرون، د ط، ج: 1 ص: 211.

عدة، منها الودَّان المقدَّس الخفي حامل النبوءة، ومنها الأب والابن، وهذه تظهر في الفصل الأخير في مشهد الصلب والتخليص لتجسد المخلِّص (المعادل الرمزي للمسيح)، بعد أن كانت طيلة أحداث الرواية تتجلى متمازجة. لكن الكوني يأبى إلا أن يقول كلمته، فإذا كانت النصرانية - من وجهة نظر أسوف - تمثل الديانة الوثنية القديمة، في زاوية من زوايا الفكر الصوفي، فإن الراوي من خلال فصول الرواية يرى العملاق المقنع واحدًا في ذاته، يسمو عن الودان الثلاثي التكوين المرتبط بنقوش الأسلاف، ويحكم الأحداثَ من خلف قناعه، وفي الفصل الأخير يظهر ذلك واضحًا، فبعد انزياح الودان الحي وبقاء الوثن وبقاء أسوف المصلوب، ظل العملاق المقنع يعلن النبوءة من خلال اللوح الحجري[77]، كذلك في إشارة أخرى يُرَى العملاق المقنع في الفصل الثاني يظهر وقد بارك بنظراته الغريبة أسوف المسلم، وقبِل صلاته في رضا وسكينة[78]، أسوف الذي اتجه إليه وهو يتجه إلى الكعبة، في حين يراه القارئ يعزف عن النظر إلى النصارى الذين "يحجون إلى أوثان متخندوش... متأملًا الأفق البعيد"[79].

فالرواية إذن خاضت في مسائل الوجود، والذات العليَّة، والمسيحية، والإسلام، والصوفية، وحرمة الطبيعة وسطوتها، والأرواحية، والحلول، والطوطمية، وعبادة الأسلاف، واحتج النص الروائي (نزيف الحجر) على العبث بالبيئة وإبادة المخلوقات، ثم كفرَ بالطمع والنهم، وأقر الرؤية الصوفية التي يعتنقها ابن الصحراء كما أقر الحكمة التي تقول "لن يُشبِع ابن آدم إلا التراب"[80]، ولم ينسَ الكوني في نصه الروائي قضايا جانبية ملحوظة كسرقة الآثار[81]، وعجز رجال الدولة آنئذٍ عن حمايتها، وعجزهم عن فهم معاني المواطنة والوطنية والوظيفة والواجب، ثم عرَّض بكرم النصارى الذي يخفي خلفه البنادق والجنادب الطائرة والإبادة[82].

وإذا تذكَّرنا أن تاريخ إنهاء كتابة الرواية المثبت في الفصل الأخير هو عام 1989، فسيكون من السهل علينا معرفة السبب الذي جعل (جون باركر) الأمريكي يحمل مع وجوده نظرية المؤامرة على الكيان الليبي والطبيعة الصحراوية.

وعلى مستوى الأسطورة والرمز واستدعاء الشخصيات التراثية: كانت الرواية قد تناصَّت مع قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) التي كانت ماثلة منذ البداية منذ أن أطل علينا اسم قابيل، ليكون كل ما في هذه الصحراء هابيل الضحية.

كذلك فقد وظَّف الكاتب ما علق في أذهان القراء العرب من سيرة الحجاج

(77) . ينظر: المصدر، ص: 561 .

(78) . ينظر: المصدر، ص: 51 .

(79) . المصدر، ص: 81 .

(80) . ينظر: الفصلان: (02، 62).

(81) . ينظر: الفصل الثاني.

(82) . ينظر: الفصول: (2، 91، 22، 32).

بـن يوسـف الثقفـي، وقصـة إرضاعـه الـدم صغـيرًا، ودمويَّتـه المتمثلـة في إظهـار دموية قابيـل في فصـلي (العهـد) و(اللقيـط)، ويبـدو أن القـدر يعـود ليبعـث بقابيـل جديـد لا يسـتطيع الفـرار مـن قـدره، ولنـا في كتـب التاريـخ أمثلـة مشـهورة عـلى ذلـك، إذ كُتِـب عليـه هـذا المصـير المشـؤوم مصـير اللعنـة، والخبـل، والتيـه في الصحـراء، وأكل لحـم آدم، منـذ أن ولـد، بـل منـذ أن كان جنينًـا في أحشـاء أمـه[83].

كذلـك يمـر بنـا (التيـه في الصحـراء) باعتبـاره عقابًـا وقـدرًا، في تنـاص مـع قصـة بنـي إسرائيـل الذيـن خانـوا سـيدنا مـوسى عليـه السـلام فعاقبهـم اللـه بالتيـه في الصحـراء ردحًـا مـن الزمـن، ويتنـاص النـص كذلـك (مـع قصـة الطوفـان) الـذي طهـر الأرض[84] في عهـد سـيدنا نـوح عليـه السـلام. أمَّـا المسـيح عليـه السـلام فيـكاد يعلـن وجـوده بصراحـة ووضـوح[85] مـن خـلال بعـض مظاهـر العقيـدة المسـيحية السـائدة ومـا نعرفـه عنهـا مـن سـمات وملامـح وطقـوس تـؤدَّى ويحكـى عنهـا.

وقـد وظـف الكاتـب في ذلـك كلـه (الطوطميـة)، وحيويـة المـادة، والحلـول، وأنسـنة الحيـوان، وأفـكار الصوفيـة الإسـلامية، وفلسـفات الـشرق الروحيـة، وأسـاطير المنطقـة وموروثهـا إضافـة إلى إيـراد بعـض الحقائـق، أو الإلمـاح إليهـا كاكتشـاف رسـوم تاسـيلي[86]، والحمـلات العسـكرية الإيطاليـة عـلى الجنـوب، وتجنيـد الليبيـين والدفـع بهـم للحـرب والقتـال في الحبشـة[87]، ونـزوح المخلوقـات البريـة وهجراتهـا الجماعيـة وإبادتهـا[88]، وعلائـق بـدو الصحـراء ببعضهـم عـبر الـدول المجـاورة، ومـن خـلال تنظيـم قوافـل التجـارة ،كذلـك لـم يغفـل النـص عـن دور عالـم السـحر والتمائـم الـذي لا يخجـل أهـل الصحـراء الكـبرى مـن إفسـاح مسـاحات كبـيرة لـه مـن حياتهـم اليوميـة، يعمـل مـن خلالهـا عـلى معادلـة الخـوف المـلازم لحياتهـم في شسـاعة الصحـراء وعوالمهـا المتدافعـة، والتـي لا يراهـا، ولا يشـعر بوجودهـا غـير ابـن البيئـة الصحراويـة.

الخاتمة:

فالروايـة إذن كصحـراء الكونـي ذات طابـع خـاص، تعـج بالعوالـم والحركـة في كونيَّتهـا وتمثيلهـا مجـال عالـم الإنسـان الواسـع عـبر أفـكار عـدَّة، كالحلـول، والطوطميـة، والأرواحيـة، وولـوج عوالـم الجـن، والسـحر، والأسـطورة، والرمـز، فهـي زاخـرة بالفلسـفة، والفكـر، ومسـائل الوجـود، والعقيـدة، والأديـان، والصوفيـة، وكان اسـتدعاء الـتراث والتنـاص معـه ممتـازًا ضمـن كل ذلـك. فهـي لـم تقتـصِر عـلى

(83) . ينظر: فصول: (اللقيط ، أكلة لحوم البشر، العهد، نزيف الحجر).

(84) . ينظر: الفصل الأخير .

(85) . ينظر: الفصلان: (02، 62).

(86) . ينظر: الفصل الثاني.

(87) . ينظر: الفصل الخامس عشر.

(88) . ينظر: الفصلان: (91، 12).

فكـرة حرمـة الطبيعـة وكائناتهـا ووجـوب ردع العابثـين بهـا، كمـا لـم تكـن صحـراء الكونـي رديفًـا للخـواء والعـدم، بـل زخـرت بعالـم حـي مـن الفكـر وإشـكالياته، كتلـك الصحـراء التـي تعـجّ بالحيـاة وتدافعاتهـا. وحـاورت الديـن والمعتقـدات مـن خـلال الولـوج إلى المسـألة الوجوديـة مـن منظـور ابـن الصحـراء الكـبرى.

ثبت المصادر والمراجع:

أولًا المصادر:

- الكوني، إبراهيم (1426ميلاد محمد ﷺ)، نزيف الحجر – رواية، مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 4].

ثانيًا المراجع:

1 – الكتب:

- ألبيرس، ر. م (1982)، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة: جورج سالم، بيروت – باريس: منشورات عويدات – ومنشورات بحر المتوسط، ط 2.
- برادة، محمد وآخرون (1981)، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، ط1.
- بعلبكي، منير ورمزي منير (2008)، المورد الحديث، بيروت: دار العلم للملايين، ط 1.
- جبرا، جبرا إبراهيم (1979)، الرحلة الثامنة – دراسات نقدية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حسيبة، مصطفى (2009)، المعجم الفلسفي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1.
- حسين، عبد الحميد (1964)، الأصول الفنية للأدب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2.
- الحفني، عبد المنعم (2000)، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط 3.
- خورشيد، فاروق (1979)، في الرواية العربية - عصر التجميع، بيروت، دار العودة، ط 3.
- السعافين، إبراهيم (1987)، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (1870–1967)، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2.
- السواح، فراس (2007)، موسوعة تاريخ الأديان– الكتاب الأول: الشعوب البدائية والعصر الحجري، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط 2.
- شتراوس، كلود ليفي (1982)، العرق والتاريخ، ترجمة: سليم حداد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1.
- صليبا، جميل (1994)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، بيروت، الشركة العالمية للكتاب وآخرون، د ط.
- العالم، محمود أمين (1994)، أربعون عامًا من النقد التطبيقي- البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي.
- عجينة، محمد (2005)، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، بيروت/ صفاقس، دار الفارابي/ دار محمد علي، ط جديدة ومنقحة.
- عسَّاف، ساسين، دراسات تطبيقية في الفكر النقدي- محورها الرؤية والرؤيا، بيروت، دار الفكر اللبناني.
- فاضل، جهاد، أسئلة الرواية: حوارات مع الروائيين العرب، الدار العربية للكتاب.
- فورستر، أ. م. (1960)، أركان القصة، ترجمة: كمال عياد جاد الله، راجعه: حسن

محمـــود، دار الكرنـــك.
– القـــاضي، محمـــد وآخـــرون (2010)، معجـــم السرديـــات، الرابطـــة الدوليـــة للناشريـــن المســـتقلين، ط 1.
– مندور، محمد (1957)، الأدب ومذاهبه، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ط 2.
– نجم، محمد يوسف (1959)، فن القصة، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ط 3.

2 – الدوريات:

روتشـيد، غـي (1992)، الرمزيـة والعقـل الاجتماعـي ، ترجمـة: عبـد الهـادي عبـد الرحمـن، طرابلـس، الفصـول الأربعـة، العـدد: (62)، السـنة: (12)، يونيـه.
شـادويل، تشـارلز (1979)، الرمزيـة في الأدب ، ترجمـة: نسـيم إبراهيـم، الثقافـة العربيـة، العـدد (5)، السـنة (6)، مايـو.

التداولية

إعداد:
د. فرحة مفتاح عبدالله الشريدي
أستاذ مشارك في علم اللسانيات الحديثة
كلية الآداب جامعة سرت

الاستلام: 25/ 5/ 2021 القبول: 21/ 6/ 2021

المستخلص:

يتحدث البحث عن التداولية كظاهرة لغوية نشأت كغيرها من علوم اللسانيات الحديثة تبعاً لضرورات البحث العلمي، وقد استطاع اللسانيون توظيف هذا العلم توظيفاً يخدم النص ويسهم في تحليل الخطاب إلى جانب دراسة الأصوات وكيفية نطقها وبيان وظائفها النحوية والصرفية والدلالية والمعجمية، وصولاً لدواعي الاستعمال فالتداولية تعني دراسة اللغة في حال الاستعمال والتواصل، وتكمن أهميتها في عدة جوانب أهمها نجاحها في الأخذ بمختلف العوامل المنطقية والتخاطبية والدراسات اللسانية السابقة، وذلك بإدخالها كل عناصر التخاطب من سياق واستخدام في فهم وتفسير مقاصد المتكلمين.

وقد شملت التداولية ميادين متنوعة مثل التداولية الاجتماعية، وعلم اللغة التداولي، والتداولية العامة ، والأدبية، والتطبيقية؛ وهي بهذا تهدف لئن يشمل التحليل كافة جوانب اللغة.

وهي بهذا تهدف لئن يشمل التحليل كافة جوانب اللغة، ويُعد اتجاه البحث التداولي امتداداً لما أسس له (بيرس) في القرن التاسع عشر، ثم عدّل مفاهيمه (وليم جيمس)؛ فقوامه أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى تطابقها مع الواقع وصياغتها علمياً، وهذا ما يقود لفهم التحول البراغماتي في علم اللغة؛ كما برزت ملامح هذا العلم عند العرب فيما انتجته السلائق العربية، واحكمته أيدي علماء اللغة والبلاغة من صنعة في تقييد الاستعمالات اللغوية.

كلمات مفتاحية:

الظاهرة اللغوية، التداولية، الخطاب، اللسانيات، السياق.

Abstract:

The research speaks of deliberativeness as a linguistic phenomenon that arose like other modem sciences of linguistics to the necessities of scientific research. linguists have been able to employ this science in a way that serves the text and contributes to analysis of discourse in addition to studying sounds, how to pronounce them, and showing their grammatical, morphological, semantic and lexical functions.

in this way, it aims to include analysis of all aspects of language, and the direction of deliberative research is an extension of what Pearce established in the nineteenth century, and then modified his concepts (William James); This is what leads to an understanding of the pragmatic shift in linguistics. The features of this science also emerged among the Arabs as it was produced by the Arab precursors, and the hands of linguists and rhetoric have mastered it in restricting linguistic uses.

Key words:

Linguistic phenomenon, pragmatics, discourse, linguistics, context.

المقدمة:

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا محمد وعلى من تبعه ليوم الدين، أما بعد:

فإنَّ التداولية مجال بحث لكثير من الدراسات التي تُعنى بالقضايا اللسانية، من خلال تحليل الخطاب، ودراسة دلالة الأصوات والألفاظ، والتراكيب، وبالتالي النص، ومحاولة الوقوف على المعاني السطحية، والعميقة وذلك لأجل معرفة ما يتم تحقيقه من تلك المعاني والمراد إيصالها عبر عملية التخاطب، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة كونها تسلط الضوء على مفهوم الظاهرة اللغوية، ومفهوم التداولية كونها أحد عناصر هذه الظاهرة، وأهميتها في معالجة القصور الذي عانت منه البنيوية والتوليدية في تحديد مستويات تحليل النص، إضافة إلى إمكانية الأخذ بمختلف العوامل المنطقية والتخاطبية والدراسات اللسانية في محاولة تفسير وفهم مقاصد المتكلمين، كما أن التداولية تُعد مشروعاً شاسعاً في اللسانيات من حيث الاهتمام بالخطاب النصي من خلال المحادثة، والمحاجة، والتضمن؛ وسأحاول من خلال هذه الدراسة إضافة لما تقدم، الوقوف على أهداف التداولية، وأهميتها، و تاريخ نشأتها عند الغرب في القرن التاسع عشر، والتعريج على ملامحها عند العرب التي كانت واضحة عند علماء اللغة والبلاغة من خلال تقييد الاستعمالات اللغوية، وذلك من خلال مجموعة من المطالب هي كالآتي:

المبحث الأول: الظاهرة اللغوية.

المبحث الثاني: التداولية: (المفهوم، الأهمية، الأهداف).

المطلب الثالث: نشأتها (عند الغرب، عند العرب).

المبحث الأول: الظاهرة اللغوية:

يُعدُّ دي سوسير مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية؛ وذلك باعتبار اللغة ظاهرة إنسانية عامة تنشأ وتنمو داخل المجتمع، الذي يشير إلى قيام نظريته في اللغة على هدى من نظرية "دور كايم" الاجتماعية"، التي تصبح اللغة فيها من جملة الظواهر الاجتماعية، ويفرق بذلك بين ثالوث "دي سوسير" الشهير: اللسان Langue واللغة Languge والكلام Parole لينتهي إلى أن لغة مجتمع ما هي ظاهرة مستقلة عن الفرد، وإنَّ الكلمات من حيث هي علامات ذات وجود مستقل، ومعناها اجتماعي في جوهره،...[1] ولعل تأثره بدراسة علم النفس والاجتماع يرجع إلى ولعه بالنتائج التي توصلت إليها أبحاث

(1) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط-2، 1997م ص13.

هذين العلمين على يد معاصريه "فرويد" و"دوركايم"[2]، فالأبحاث السوسورية لم تقف عند وصف اللغة بأنها نسق أو نظام من العلامات لا غير، فاللغة بوصفها "ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية, وما تقتضيه هذه الحياة من شئون"[3] فهي حقيقة بطبيعة الأشياء وتفرضها هذه الحياة المجتمعية؛ إلاَّ أنَّ ما يعنينا فعلاً وحقيقةً هو ماهية هذا الاستعمال، فالمنهج الاستقرائي أو الوصفي يقرُّ ويعترف بأن "اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية؛ كالعادات والتقاليد والأزياء ومرافق العيش؛ بل هي بين الظواهر الاجتماعية كلها دليل نشاطها، ووعاء تجاربها، وبها تستقصي الملامح المميزة لكل مجتمع.

وكان لا بد أن يحدد الاستعمال اللغوي حاجة هذه الجماعات البشرية، ويلبي رغبات ومتطلبات الحياة التي يعيشها الفرد مع المجتمع الذي ينتمي إليه، ومن ذلك كان لاستعمال اللغة دواعيها المختلفة ودلالاتها المتراكمة التي لا تنتهي، والتي يحددها الاستعمال وفق موقف وسياق لغوي له أبعاده الدلالية، وفي ضوء هذا يرى تمام حسان من خلال تصوراته اللسانية أنَّ "الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل, والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك, والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط, والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة, والكلام يحس بالسمع نطقًا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام... فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب, واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعاجم ونحوها؛ والكلام قد يحدث أن يكون عملًا فرديًّا, ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية."[4] وقد تأثر دي سوسير وأكثر تلامذته "بمذهب إميل دوركايم في علم الاجتماع. فقد كان إميل دوركايم صديقاً لفرديناد دي سوسير...بل تعدَّى هذا التأثر إلى جانب سوسير مجموعة العلماء الفرنسيين، ومجموعة العلماء البراغيين الذين كانوا متأثرين بإميل دوركايم... وأميل كان "ضد النزعة الفردية" وهو من أوائل من نادوا بأن الظواهر الاجتماعية ظواهر من نوع خاص".[5] ولما كانت "اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية. ومعنى هذا أنها من صنع المجتمع الإنساني؛ ولا يعرف مجتمع إنساني منذ أقدم عصر سجله التاريخ بلا لغة ناضجة التكوين."[6] فيثبت للسانيات أنها ذات بعد اجتماعي تركيبي؛ وكان لا بد للكلام الذي يتعلق بالفرد واللغة أن ينعكس على المجتمع أو الجماعة الناطقة؛ وذلك من خلال معطيات ومتطلبات لسانية يطمح في تحديدها الدرس التداولي عبر رصد لغوي لهذه الأبعاد العامة للغة والخاصة بهذه الفئة الناطقة أو المتكلمة.

(2)فيصل، الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط-1، 2010م، ص42.

(3)علي، عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط-1، د-ت،ص96 ،267.

(4)تمام، حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط-5، 2006م ص32.

(5) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص277.

(6)المرجع السابق ص49.

المبحث الثاني: التداولية (المفهوم، الأهمية، الأهداف) :

نشأ الدرس التداولي شأنه شأن العلوم الأخرى، فالحديث فيه يطول ولكنه سرعان ما يمكن تدارك معالمه بالتتبع والبحث، ولما كانت "العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويداً رويداً حتى تستوي على سوقها، كان ذلك مدعاة في كثير من الأمر لأن تغمض نشأة بعض العلوم, وأن يختلط على الناس واضعوها المبكرون."[7] وما يكتنف ماهية هذا المصطلح اللساني تأصيلًا ودراسةً وتسجيلاً لهذه الإرهاصات والجهود، وما وصل إليه البحث اللغوي الحديث، وسنعرض في هذه الدراسة دلالة مصطلح التداولية لغة واصطلاحاً، وكذلك أهمية الدرس التداولي، وما يرمي إليه من أهداف أضفت على الدرس اللغوي معطيات جديدة وجدت لها مكاناً في تحليل الدرس اللساني؛ وذلك عندما استطاع اللسانيون توظيفها توظيفاً يخدم النص وليكملوا ويستدركوا تحليل الخطاب إلى جانب دراسة الأصوات وكيفية نطقها، وبيان وظيفتها النحوية والصرفية، ودلالتها المعجمية، وصولاً إلى دواعي استعمالها وما تؤول إليه من معانٍ- سطحية أو عميقة- بغية معرفة ما يتم تحقيقه من المعاني والمراد إيصالها عبر هذه العملية الاتصالية والخطابية التبليغية، إضافة إلى نشأة التداولية عند الغرب، وظهور ملامحها عند العرب.

***المفهوم:**

مفهوم التداولية لغةً: "يُقَالُ: صَارَ الْفَيْءُ دُولة بَيْنَهُمْ يَتَدَاوَلونه مَرَّة لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا، وَالْجَمْعُ دُولات ودُوَلٌ. وقال أبو عبيدة: الدُّولة، بِالضَّمِّ، اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي يُتَداوَل بِهِ بِعَيْنِهِ،...وَقَالُوا: دَوالَيْك أَي مُداوَلةً عَلَى الأَمر؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: وإِن شِئْتَ حَمَلْتَهُ عَلَى أَنه وَقَعَ فِي هَذِهِ الْحَالِ. ودَالَت الأَيامُ أَي دَارَتْ، وَاللَّهُ يُداولها بَيْنَ النَّاسِ. وتَداوَلَتْهُ الأَيدي: أَخذته هَذِهِ مرَّة وَهَذِهِ مرَّة. ودَالَ الثوبُ يَدُولُ أَي بَلِي. وَقَدْ جَعَل ودُّه يَدُول أَي يَبْلى."[8]

مفهوم التداولية اصطلاحاً: ويتفاوت معنى التداولية بين دلالة وأخرى، إلا أنَّها كما تبدو لا تكاد تخرج في دلالاتها عن الجذر "دول" الذي يحمل معاني التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخر، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل والتنقل، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حالٍ آخر لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها فيما بينهم، ومن ذلك" دول: تداول القوم الشيء (بينهم) ، إذا صار من بعضهم إلى بعض"[9] و"(دَالَتِ) الْأَيَّامُ أَيْ دَارَتْ وَاللَّهُ (يُدَاوِلُهَا) بَيْنَ

(7)أحمد، شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، د-ط، د-ت، ص13.

(8) محمد، بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر – بيروت ط/3 1414 هـ 11/ 252.

(9)أحمد، بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر مؤسسة الرسالة – بيروت ط-2، 1986م، 1/ 340.

النَّاسِ. وَ (تَدَاوَلَتْهُ) الْأَيْدِي أَخَذَتْهُ هَذِهِ مَرَّةً وَهَذِهِ مَرَّةً "[10] كما أنه "ودالَتِ الأَيَّامُ: دارَتْ، واللهُ تعالى يُداوِلها بينَ الناسِ. والدَّوْلُ: لُغَةٌ في الدَّلْوِ، وانْقِلابُ الدَّهْرِ من حالٍ إلى حالٍ،"[11] "(تداولت) الْأَيْدِي الشَّيْء أَخَذته هَذِه مرّة وَهَذِه مرّة وَيُقَال تداول الْقَوْم الْأَمر"[12]، وأمَّا اصطلاحاً فالتسميات ترجمة أو تعريباً فقد تعددت:[13] البراغماتية، والبراغماتيك، البراغماتية، والبراغماتيك، وليس بينها فرق بعدها نقلاً عن وهي المقابلة للمصطلح الأجنبي (pragmatique) بالفرنسية (pragmatics) بالإنجليزية وكلاهما يرجع إلى اللفظ اليوناني(pragma) التي يعني الفعل أو الحدث(action)، وقيل:[14]الذرائعية، التداولية، والمقامية[15]، والبركاماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية[16]، والنفعية[17]، والتبادلية، والسياقية، ويمكن ملاحظة أنها تعددت تسمياتها في الكتب التي تناولتها منهم الدكتور أحمد المتوكل في كتابه (اللسانيات الوظيفية) فيستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد[18]، وبالذرائعية عند سعد البازعي وميجان الرويلي في كتابهما(دليل الناقد الأدبي)[19]، وأما محمد محمد يونس علي في كتابه (مدخل إلى اللسانيات) يؤثر استعمال مصطلح علم التخاطب[20] وكان من أهم أسباب عدم استقرار المصطلح العربي على صيغة واحدة؛ هو عدم استقرار مفهوم التداولية وموضوعها في تيار واحد، وليصطلح فيما بعد وتخلص الآراء بأن التداولية "دراسة اللغة في حال الاستعمال أو التواصل". أي أنها لا تعنى باللغة كونها في الكتب أو المعاجم ولكن ما تقوم به من أثر وتأثير في الخطاب حال استعمال هذه اللغة من قبل المخاطِب

(10) زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط-5 1999م ص109.

(11)مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة بيروت – لبنان ط-8 2005م ص1001.

(12)مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة دار الدعوة د-ط د-ت ص340.

(13) ينظر، في اللسانيات التداولية، ص67-66-65.

(14)جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، د-م، ط-1، 2015م، ص6.

(15)"ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة، المساحة التي يشار إليها في البلاغة العربية بعبارة "مقتضى الحال" وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة "لكل مقام مقال، أحمد، فهد صالح شاهين، " "النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط-1،2015م، ص35.

(16)كما عبر عنها محمد محمد يونس والتي تعد عنده بأنها "امتداد واستكمال لجهود المدرسة الوظيفية" مدخل إلى اللسانيات، ص98.

(17) النفعيّةpragmstisme:صاغ هذا المذهب بيرس عام 1879م وطوره كل من جايمس JAMES WILLIAM وديوي DEWEY JOHN، وكان ولا يزال مذهباً ذائع الصيت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياساً للحقيقة، معتبراً إن الحقيقة المطلقة غير موجودة و إنه لا شيء حقيقاً إلا كل ما ينجح، آن روبول-جاك موشلار، ينظر التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرا: لطيف زيتوني ، تر:سيف الدين دغفوس-محمد الشيباني، دار الطليعة ، بيروت، ط-2003،1م،ص29-28.

(18)أحمد، المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط-1، 2010م، ص18.

(19)ميجان، الرويلي، وسعد، البازعي،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط-3، 2002م،ص167.

(20)محمد، محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص98.

أو المخاطَب، وما يتولد عن هذه العملية التواصلية من معاني ودلالات عميقة ضمنية أو سطحية صريحة. وكان الشائع في الميدان اللغوي واللساني التداولية pragmatique، بل ويجدون في هذه التسمية الأوفق والأنسب، وتُعدُّ على حد سواء مع التخاطبية pragmatics فهما يتجهان نحو اللغة ومكوناتها اللسانية.

ومما يتضح من تقسيم موريس Morris على هذا النسق والتي فيه التداولية تقوم على "العلاقة بين العلامات ومستعمليها"، حيث أنه كان يعدها جزءً من السيميائية وأحد مكونتها؛ تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها ومفسريها(متكلم، سامع، قارئ، كاتب)، ويعرف علم التخاطب Pragmatics بأنه "دراسة كيف يكون للمفردات معانٍ في المقامات التخاطبية"[21] ومن خلال هذا التعريف يمكن إدراك إذا كان علم الدلالة- semantics – يهتم بدراسة المعنى بعيداً عن السياق، فعلم التخاطب - Pragmatics- يختص بدراسة المعنى داخل سياق الاستعمال وتكون اللغة بذلك على هذا النسق من الاستخدام:[22]

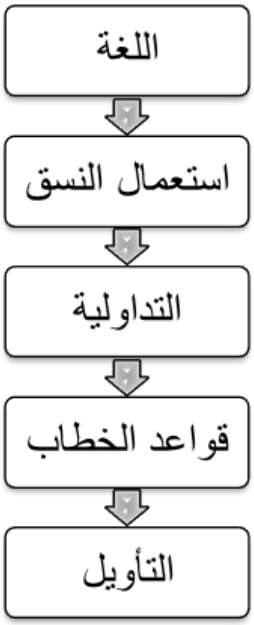

(21)محمد، محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط-1، 2004م ص13.

(22) ينظر: جواد، ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط-1، 2016، ص16.

فيعود بذلك استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس Charles morris سنة 1938م انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات، أو السيمائية والتداولية بحسب رأيه تعالج اللغة من ثلاث نواحٍ: [23]

1 -النحو أو التركيب (Syntax): وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.

2 -الدلالة (Semantics): وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.

3 -التداولية (Pragmatics): وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء بمستعمليها وبمؤوليها.

وأما عن أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل البرجماتية "فهو الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن سنة 1970م وحدد دلالة التداوليات بأنها: هي الدراسات التي تختص بوصف - وإن أمكن بتفسير - العلاقات التي تجمع "الدوال" الطبيعية و"مدلولاتها" وبين "الدالين" بها. "[24].

*الأهمية:

تكمن أهمية دراسة التداولية في:[25]

1. معالجة أوجه القصور التي عانت منها البنيوية والتوليدية، وعدم الاكتفاء بكل مستوى من مستويات اللغة عند استعمالها في التواصل أو تأويلها.
2. استعمال التراكيب من اللغة المجردة إلى اللغة المستعملة من قبل المتكلم؛ ليتحول الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي ليدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه .
3. بالرغم من إمكانية دراسة مستويات اللغة بشكل مستقل وإجرائي، إلاَّ أنَّه لا يمكن دراستها بمعزل عن الدلالة.
4. التأكيد والتأييد على ارتباط المتكلم -المرسل بالسياق الخارجي ارتباطاً وثيقاً مؤثراً في تحديد المعنى الذي يقصده المتكلم.
5. يغدو معنى الملفوظات القيمة التي يكتسبها تركيب الخطاب في سياق التلفظ؛ فالمعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها .
6. مشروع شاسع في اللسانيات النصية من حيث اهتمامها بالخطاب ومناحي نصية من: محادثة، والمحاججة، والتضمين...وغيرها.
7. إحاطة التداولية بجملة من الأسئلة نحو: من يتكلم وإلى من يتكلم؟، وماذا نقول بالضبط عندما نتكلم؟، وما هو مصدر التشويش والإيضاح؟، كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟.
8. نجاح التداولية في الأخذ بمختلف العوامل المنطقية، والتخاطبية والدراسات

(23) محمد، الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم د-ط د-ت ص48.

(24) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط-2، 2000م، ص28.

(25)عبدالهادي، بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، بيروت، ط-1، 2004م ص23-22، في اللسانيات التداولية ص 136-135، مدخل إلى اللسانيات، ص106-105.

اللسانية السابقة لها؛ وذلك بإدخالها كل عناصر التخاطب من سياق، واستخدام في فهم وتفسير مقاصد المتكلمين.

فكان الدرس التداولي تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي، أو إنجازي لما نتكلم به فيدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم، وفي صُلب أحاديثهم، وفي خضم خطاباتهم، كما أنَّه يهتم بكيفية تأويل مستعملي اللغة لتلك الخطابات وتلك الأحاديث، كما ويهتم أيضاً بمنشئ الكلام (الخطيب ، المتكلم) وكذا السياق، فاللسانيات التداولية إنما هي: [26] لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية compétence de communication، والتي تقابل الملكة اللغوية الصرفة عند "تشومسكي" لذا جمعت بين طيتها معطيات الدرس اللساني قاطبة في تحليل الخطاب ورصد دلالاته وأبعاده عند التداول أو الاستعمال لدى هذه الجماعة المتكلمة من مخَاطَب أو مخاطِب على حد سواء، من التأثير بالقول والعمل والإنجاز اللغوي، وكما يرى "ليتش Leitch" البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، ولذا البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي فالنص اللغوي في جملته ما هو إلا "نص في موقف"، فالبراغماتية pragma-tique تفترض "وجود توقعات بين المتخاطبين، وأصول خطابية تحكم سلوكهم، واستنتاجاتهم، وتعنى بالأداة وليس بالكفاية خلافاً للتوليديين؛"[27] ومن هنا جاءت التداولية ترميماً لتصدعات أحدثتها التحويلية التوليدية من اعتماد على الكفاية اللغوية بعيداً عن الاستعمال، والسياق، وغيرها من الاعتبارات التي تتبناها التداولية في دراستها للخطاب ومجرياته.

فلم تكن الانتقادات التي تعرضت إليه التداولية بحجر كبير لتعثر فيه، فقد كانت مجرد عوائق ما كان من شأنها أن تؤثر في هذا التيار اللساني الحديث؛ وذلك أنها "استطاعت أن تجد لها مكاناً متميزاً بما تحمله من المكتبة العلمية من دراسات وبحوث وندوات، حين اتخذت التداولية موضوعاً لها، وتعززت مكانتها بعدما انتهى مسعى التوليدية إلى أفق مسدود"[28].

الأهداف:

ولما كانت التداولية ترنو إلى تحقيق أهدافها فإنها شهدت نمواً مطرداً في العقود الثلاثة الأخيرة حتى اتسعت لتشمل ميادين متنوعة، مثل:[29]

1. التداولية الاجتماعية Sociopragmatics.
2. علم اللغة التداولي Pragmalinguistics.
3. التداولية العامة Pragmatics.

(26)صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د-ط، 1992م، ص89.

(27) مدخل إلى اللسانيات، ص102.

(28)التداولية أصولها واتجاهاتها، ص23-22.

(29)جورج، يول، ينظر التداوليةPRAGMATICS ، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط-1، 2010م، ص14.

4. التداولية الأدبيةLiterary Pragmatics .
5. التداولية التطبيقية Pragmatics Applied.

فكانت نقطة التحول في مجال البحث الإجرائي والتطبيقي في علم اللسانيات الحديث والمعاصر، وفي تحليل النص وتحديد مجريات الخطاب وأبعاده الدلالية من خلال الأداء اللغوي وطرح هذه المفاهيم التداولية.

والأهداف المنشودة التي كانت وراء نشأة وقيام هذه النهضة اللسانية- التداولية- دون أي انتماء لأي مستوى من مستويات اللغة صوتياً كان أم صرفياً أم نحوياً أم دلالياً فهي:[30]

1.دراسة استعمال اللغة، أي أنها تقوم على دراسة لسانيات الاستعمال اللغوي وهو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي.
2.شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
3.شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية في معالجة المنطوقات.
4.بيان أسباب أفضلية التواصل الغير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
5.لا ينتمي الدرس التداولي إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي؛ لأنه يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة.
6.التدولية لا تقتصر على جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعاً، وليس لها أنماطاً تجريدية ولا وحدات تحليلية.

وكان من ضمن أهدافها فتح آفاق جديدة أمام البحث اللغوي الحديث والمعاصر لمادة لسانية قد نجهل معالمها ولكن موجودة، والقرائن اللغوية تؤكد هذه الحقيقة، وترمي التداولية إلى تحقيق هذه الحقيقة عبر تناولها:[31]

1 -الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، وهو طرح يسعى إلى دراسة الفعل اللغوي وتوضيح طبيعته وتحديد مكوناته الأساسية وخصائصه البنيوية والتداولية وتطوراته لدى كل من(أوستين وسورل وغرايس).
2 -الربط بين الدرس البلاغي في العربية القديمة في ضوء مبادئ غرايس وقوانينه الفرعية.
3 -توسيع قاعدة الخطاب البلاغي العربي في أبعاده المعرفية والجمالية والإجرائية.
4 -التفسير والتأويل ودوره في إرساء دعائم اللسانيات التداولية بما يقدمه من إدراك وفهم في تحديد المعاني ومجريات الخطاب وبلاغة النص.
5 -السياق والدور الذي يلعبه في تحديد قواعد الاستعمال اللغوي في العملية التواصلية، أو التبليغية.

المبحث الثالث: نشأتها: (عند الغرب، عند العرب)

(30) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15-10، وكذلك: مسعود، الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط-1، 2005م، ص27.

(31)ينظر: حافظ، إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط-2، 2014م، ص7-6.

* عند الغرب

يُعَدُّ هذا الاتجاه اللساني الحديث "امتداداً لما أرساه (بيرس) في القرن التاسع عشر، حين صاغه بـpragmaticism عام 1905م، ثمَّ عدل مفاهيمه (وليم جيمس). وقوامه أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها علمياً، ومن ذلك كان يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة، على أنه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرة، مهمته اجتماعية بوجه عام."[32] وفي ظل اللسانيات تطورت التداولية في أوروبا، وبالخصوص في فرنسا إثر أعمال أوستين وسيرل، فكان الفضل للسانيين بأن أصبحت التداولية تسعى لأن تكون مندمجة في اللسانيات لا كتكملة لها، بل كجزء لا يتجزأ منها. وهذا الاندماج كان بداية لانطلاق التفكير التداولي مع أول ملاحظة بأن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة، وهي شروط مقنّنة ومتحققة في اللغة. وقد قدم هذا العرض أوزوالد دُكرو Oswald Ducrot.[33] وبفضل بيرس وما ذهب إليه "من ربط بين الدال، والمدلول، وبين مستخدم تلك الدوال للوصول إلى الحقيقة النفعية، من خلال تفاعل عملي بين الدوال"[34] والتي كان لها الأثر الواضح في "سنة 1938م ميز الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس CHARLES MORRIS في مقال كتبه في موسوعة علمية، أنَّ التداولية تعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات و مستخدميها"[35] وكما أوجزت آن ربول التداولية في ثلاث محطات حين تحدث شارل موريس عن السيمزويس في أبعادها الثلاثة:[36] البعد التركيبي والبعد السيميائي الدلالي وأخيراً البعد التداولي.

ومع مرحلة الخمسينات وهي التي كانت الحاسمة في استدراك معالم التداولية؛ وذلك عندما ألقى الفيلسوف جون أوستين" محاضرات وليام جايمس "عام 1955م، وكان هدفه من هذه المحاضرات تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ونجح في ذلك."[37] فكان الدرس التداولي "اتجاه جديد في دراسة اللغة، يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دوسوسير وكتابات تشومسكي؛ وذلك أنهم انكبوا على دراسة الأشكال الدلالية، لا الدالة."[38]وكما يبدو في بداية نشأتها أنها "توافقت مع نشأة العلوم المعرفية، حيثُ جرى التفكير في الذكاء الاصطناعي في

(32)خليفة، بو جادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط-1،2009م، ص45-44.

(33) ينظر: آن، روبول-جاك، موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس-محمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، دار الطليعة ،بيروت، ط-1،2003م،ص47.

(34) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص7.

(35) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص29.

(36) التداولية أصولها واتجاهاتها، ص20.

(37) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص30-29.

(38) نعمان، بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د-ط، د-ت، ص167.

سياق عقلية جديدة، وهي العقلية التي مكنت من ظهور العلوم المعرفية"[39] وذلك في الوقت الذي كان فيه الدرس التداولي "لم يكن يذكره علماء اللسانيات إلا نادراً إن لم يكن غائباً، منسياً على الإطلاق، إلاَّ أنَّه وعلى ما يبدو كانت التداولية تعني معالجة أشياء مختلطة تقحم فيها المعطيات العصية على التحليل؛ ولا يمكن إغفال أوائل سنة 1960م حيث تسارعت خطوات اللسانيات في هذا الوقت، عندما بدأ كاتز katz ومعاونوه يكتشفون كيف يمكنهم أن يدمجوا علم الدلالة في النظرية اللسانية، وهذا لم يحصل إلاَّ بعد ضم التداولية واستعمالها، ومن هنا رسمت التداولية مكانها على الخريطة اللسانية، وكان استعمالها آخر مرحلة من مراحل موجات التوسع للسانيات."[40]

فتطور هذا العلم كثيراً بفضل الجهود التي قام بها" لغويون وفلاسفة لغة أمريكيون مثل أوستين، وسيرل، وقرايس، وفي محاولة لموريس في تمييزيه الثلاثي المشهور بين حقول علم العلامات (النحو والدلالة والتخاطب) والذي يرى أن علم النحو يدرس العلاقة بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء، والتخاطب يدرس علاقة العلامات بمفسريها؛ وإنْ كان هذا التصنيف يعود إلى بيرس فإنَّ موريس أول من رسمه بوضوح."[41] ويمكن الاستدراك والجزم حقيقة أنَّ "الاتجاهات اللسانية المختلفة التي أسهمت في تكوين المعرفة التداولية عموماً، بدءاً بالبنيويين أنفسهم الذين فضلوا الجواهر عن الأشكال، حيث سرعان ما نشط البحث السيميائي، بعد الانتقال من البنيوية إلى السيميائية، والتأويل، والبحث عن المعنى بصورة لم تعرف من قبل. "[42] ومع هذا التوسع الذي شهدته الساحة اللسانية كان لا بد أن يتسع موضوع البحث ليشمل إلى جانب النصوص الأدبية الخطاب الفلسفي والخطاب الديني والذي هو موضوع هذه الدراسة البحثية.

نشأت التداولية في كنف وظل المكاسب المعرفية اللسانية والفلسفية والبلاغية، لتستقر بعد ذلك "في العقد السابع من القرن العشرين"[43] أخذةً بما وضعه أوستين، و سورل، و جرايس، وغيرهم ممن أسهم في هذا الميدان اللساني التداولي، فأصبح بذلك إمكان القول بأنَّ مبتدع التداولية المفترض هو تشارلز بيرس إلاَّ أنَّ تلميذه تشارلز موريس هو الذي أدخلها ضمن إطار نظري يعنى فيه هذا المصطلح "العلاقة بين العلامات و مستعمليها.

" وأما عن نشأة التداولية وظهورها في الفكر اللساني الغربي الحديث فقد أصبحت تيارا موازيا لتيار البنيوية وتيار التوليدية التحولية، ولم يتفق الدارسون

(39) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص27.

(40) ينظر مبادئ التداولية، ص9 -10.

(41)مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب،ص14-13.

(42) في اللسانيات التداولية، ص59.

(43) في اللسانيات التداولية، مرجع السابق، ص62.

على أن التداولية مجالاً يُعْتدَّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلاَّ في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد؛ هم: أوستن، وسيرل، وجرايس، وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ متكلم رسالة إلى متلقي يفسرها؛ وكان هذا من صميم الدراسة التداولية في تحليل النص أو الخطاب؛ فالنص المكتوب ما هو إلا ترجمة خطاباً ما برموز كتابية؛ إلاَّ أنَّه لهذا الخطاب حيثيات يدرسها هذا العلم التخاطبي أو التداولي تضبط الحوار وتضع له مقاييسه وضوابطه.

*عند العرب:

برزت ملامحها عند العرب بدءً بالأوائل وصولاً إلى المتأخرين، فيتبين أن معالم الدرس التداولي كانت حاضرة فيما أنتجته السلائق العربية وأحكمته أيدي علماء اللغة والبلاغة من صنعة في تقييد هذه الاستعمالات اللغوية، ففي باب الفاعل الذي يَتعَّداهُ فعلُه إلى مفعولين كما يرى سيبويه "فإن شئت اقتصرتَ فأمَّا سمَّيتُ وكنّيت فإنما دخلتْها الباءُ على حدّ ما دخلتْ في عرّفتُ، تقول عرّفتُه زيداً ثم تقول عرّفته بزيد، فهو سوى ذلك المعنى، فإنما تَدخل في سمَّيت وكنَّيت على حدّ ما دخلتْ في عرّفْتُه بزيد. فهذه الحروفُ كان أصلُها في الاستعمال أن توصل بحرف الإضافة."[44] وفي مواضع أخرى يرى سيبويه أنَّه "إذا قلت: ضربوني وضربتُهم قومَك جعلتَ القومَ بدلاً من هُمْ؛ لأنَّ الفعل لا بد له من فاعلٍ، والفاعلُ ههنا جماعةٌ وضميرُ الجماعة الواوُ. وكذلك تقول: ضربوني وضربتُ قومَك، إذا أَعْمَلْتَ الآخِر فلا بدَّ في الأوّل من ضمير الفاعلِ لئلاَّ يَخْلُوَ من فاعلٍ. وإنَّما قلت: ضربتُ وضربَني قومُك فلم تَجعل في الأوّل الهاءَ والميمَ، لأنّ الفعل قد يكون بغير مفعول ولا يكون الفعلُ بغير فاعل"[45] وعندما قيل لبعضهم: [46] ما البلاغة؟ قال ألّا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل، ويوضح في شاهد آخر أنَّ البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة، وتكلم ربيعة الرأي يوما فأكثر، وإلى جنبه إعرابيّ، فالتفت إليه فقال: ما تعدّون البلاغة يا إعرابيّ؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب, وذلك كان المراد من علم التخاطب كما أوضحته اللسانيات الحديثة في تناول اللفظ ومعناه واستعماله وفق معطيات يحددها الدرس التداولي.

ففي باب جرى مجرى الفاعل الذى يتعداه فعلُه إلى مفعولَيْنِ في اللفظ لا في

(44)عمرو، بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، د-م، ط-3، 1988 م 39-38/1.

(45) الكتاب، 79/1.

(46) ينظر: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1404 هـ 122/2.

المعنى يجد سيبويه أنه "ومثلُ ما أُجْرِيَ مُجرى هذا في سَعة الكلام والاستخفافِ قوله عزّ وجلّ:﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [47]. فالليلُ والنهار لا يَمكُرانِ، ولكنّ المكرَ فيهما. ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصارِ قوله تعالى جدّه: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها[48]﴾ إنّما يريد: أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كم كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا...ومثله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾،[49] وإنّما المعنى: بل مكر كم في الليل والنهار. وقال عزّ وجلّ:﴿ ولكن البر من آمن بالله[50]﴾، وإنّما هو: ولكنّ البِّر برُّ من آمن بالله واليوم الآخِر. ومثله في الاتّساع قولُه عزّ وجلّ: ﴿وَمَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [51]، وإنَّما شُبّهوا بالمنعوق به. وإنَّما المعنى: مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعِق والمنعوقِ به الذى لاُ يَسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى".[52]

وقد نبه سيبويه أثناء تقعيده ضاماً الأشباه لنظيراتها، إلى المرجعية اللغوية المحكمة الضابطة لكل استعمال، فقال عن (ليس ولات) "وأما أهل الحجاز فيشبهونها ب(ليس)؛ إذا كان معناها كمعناها، كما شبهوا بها (لات) في بعض المواضع، وأمَّا بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل، أي لا يعلمونها في شيء وهو القياس، لأنَّه ليس بفعل وليس ما كليس، ولا يكون فيها إضمار. وأمَّا أهلُ الحجاز فيشبَهونها بلَيْسَ إذ كان معناها كمعناها، كما شبّهوا بها لاتَ في بعض المواضع، وذلك مع الحِين خاصّةً، لا تكون لاتَ إلّا مع الحين، تُضْمِرُ فيها مرفوعاً وتَنْصِبُ الحين لأنّه مفعول به، ولم تَمكَّنْ تمكُّنَها ولم تستعمل إلا مضَمراً فيها، لأنها ليس كليس في المخاطَبة والإخبار عن غائبٍ، تقول لستَ " ولستِ " وليسوا، وعبدُ الله ليس ذاهباً، فتَبْنِي على المبتدأ وتُضْمِرُ فيه، ولا يكون هذا في لات لا تقول: عبدُ الله لات منطلقاً، ولا قومك لاتوا منطلقين. ونظير لاتَ في أنّه لا يكون إلاَّ مضمرًا فيه: ليس ولا يكون في الاستثناء، إذا قلت أتَوْني ليس زيداً ولا يكونُ بشراً. وزعموا أنّ بعضَهم قرأ: ﴿وَلاَتَ حِينُ مناَص[53]﴾وهي قليلة"[54] ومعنى ذلك أن لكل بيئة أعراف لغوية تحكم استعمالاتها التخاطبية، والتي بها تنجز الأقوال وتتحقق بها المقاصد في عملية التبليغ والتداول اللفظي؛ لإحكام الصياغة في إيراد

(47) من الآية(33) من سورة سبأ.

(48) من الآية(92) من سورة يوسف.

(49) من الآية(33) من سورة سبأ.

(50) من الآية (177) من سورة البقرة.

(51) من الآية(171) من سورة البقرة.

(52) الكتاب، 1/176،212..

(53) من الآية (3) من سورة طه.

(54) الكتاب،1/ 57 – 58.

المعنى المراد تحقيقه وإنجازه، ويؤكد هذه الحقيقة ابن جني في ـــــ "إذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت في لغة إنسان واحد فإن أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفًا منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله".[55] وقولهم عند ابن جني في الخصائص: [56] رجل جميل، ووضيء، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وضاء، وجمال، فزادوا في اللفظ "هذه الزيادة" لزيادة معناه، ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله. وذلك فعال في معنى فعيل، نحو طوال، فهو أبلغ "معنى من" طويل، وعراض؛ فإنه أبلغ معنى من عريض. وكذلك خفاف من خفيف، وقلال من قليل، وسراع من سريع.

وقد يكون السبق لفردينـاد دي سوسر في قوله بأن فقه اللغة يجب أن يكون فرعاً من علم أوسع يشتمل على مختلف أنواع الدلالات سماه الجاحظ علم البيان والتي كان يعني بالبيان الدلالة على المعنى، وبالتبيين الإيضاح حيث يقول:[57]والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.

وفي باب إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد:[58] قد استعملته العرب واتبعتها فيه العلماء. والسبب في هذا الاتساع أن المعاني عندهم أشرف من الألفاظ، ويشير تمام إلى هذه الحقيقة فـــــ "البلغاء فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب التي يتكلمها, وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلًّا منها "مقامًا""[59] وفي موضع آخر للجاحظ "يحصر فيه أنواع البيان بخمسة لا تزيد ولا تنقص هي اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال، وهو يعتبر الإشارة بالجوارح كاليد والطرف والحاجب مرفقاً كبيراً يعين الناس في أمور يحاولون سترها عن البعض دون البعض؛ ولولاها لم يستطيعوا التفاهم في معنى خاص الخاص، وأما الخط أو الكتابة فهو وسيلة التبيين في الكتب، ونقل المعرفة عبر الزمان والمكان، ولولاه لا اندثر العلم، فالكتاب يدرس في كل زمان ومكان بينما لا يعدو اللسان سامعه"[60] وفي شرف المعاني، وفضلها فقد كان للعرب المعاني باعاً

(55)أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الخصائص، المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة 1/ 374.

(56) المرجع السابق، 3/ 269 - 270.

(57) ينظر: عمرو، بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، البيان والتبيين، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د-ط، 1423هـ، 1/ 6 - 11.

(58) الخصائص 2/ 468.

(59)تمام، حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، د-م، ط-5، 2006م ص337.

(60) البيان والتبيين، ص1/ 12.

طويلا في إنجاز أقوالهم وتحقيق أغراضهم فيجعلون "من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثّياب، فالألفاظ تابعة، والمعاني متبوعة، وطلب تحسين الألفاظ إنما هو لتحسين المعاني، بل المعاني أرواح الألفاظ وغايتها التي وضعت لأجلها، وبنيت عليها؛ فاحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشدّ من احتياجه إلى تحسين اللفظ، لأنَّه إذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطّاً ساقطاً عن أسلوب الفصاحة كان الكلام كالإنسان المشوّه الصورة مع وجود الرّوح فيه، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميّت الذي لا روح فيه؛ ولو كان على أحسن الصّور وأجملها، فلا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من تكمّل لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال."[61] وتتجلى "النصبة" عند الجاحظ فهي "الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه." [62]

وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى عند ابن جني باب فعل وافتعل نحو: [63]قدر واقتدر. فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر. ويؤكد ذلك أبو العباس وهو محض القياس، قال الله سبحانه:﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ[64]﴾؛ فمقتدر هنا أوفق من قادر؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ. فلم يتحيز علماء العربية لجانب دون الآخر حين " لم يستبعدوا واحداً منهما غير أنهم قدموا المعنى على اللفظ، فالأفكار التي تتبعها المعاني تسبق اللفظ"[65] وفي التنقيب عن معالم التداولية ستجد نفسك أمام درس تداولي محض ولكن بفعل الجهل وعدم الفقه لهذه الدارسات اللسانية الحديثة؛ ذلك لأنك إذا ما نظرت في الكلام العربي، "إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ، وهو علم اللغة، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه، وهو علم التصريف، وإمَّا أنْ تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم، وهو علم العربية، وإمَّا أنْ تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي، وهو علم المعاني، وإمَّا أنْ تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحًا وخفاء بحسب الدلالة العقلية، وهو علم البيان، وإمَّا أنْ تبحث عن وجوه تحسين الكلام، وهو علم

(61)أحمد، بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت 2/ 202 - 203.

(62) البيان والتبيين، ص1/ 82-81.

(63) الخصائص، 3/ 268.

(64) من الآية (42) من سورة القمر.

(65)أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري ، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، ط-1، 2013م ص25.

البديع"[66].والجرجاني في موطن من كتابه الإعجاز بأنَّ الفصاحة في اللفظ لا المعنى وليقف على "أنَّ الفصاحةَ تكون في المعنى دونَ اللفظِ ونراها لا تدخُلُ في صفةِ المعنى البتة لأنَّا نرى الناسَ قاطبةً يقولون : هذا لفظٌ فصيحٌ وهذه ألفاظٌ فصيحة ولا نرى عاقلاً يقولُ: هذا معنى فصيحٌ وهذه معانٍ فصاحٌ . ولو كانتِ الفصاحةُ تكونُ في المعنى لكانَ ينبغي أن يقال ذاك ."[67] وممـاً نقله أبو الأشعث عن الهنود، وهو عندما " جعل من شروط التواصل الناجح أنْ يُراعي المتكلم مخاطبه، فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم."[68] وهذه حقيقة عرفتها العربية "فيخاطب الصاحب الأكبر بالكاف, ...كقوله: لقينا بك الأسد, وسألنا منك البحر, وأنت السيد القادر, وعلة جواز ذلك أنَّه إنَّما لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظامًا لها؛ فلمَّا أرادوا إعظام الملوك وإكبارهم تجافوا وتجانفوا عن ابتذال أسمائهم التي هي شواهدهم،"[69] ويطرح عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز فصلاً يتناول فيه دلالة المعنى على المعنى فلا يكونُ الكلامُ يستحقُّ اسمَ البلاغة حتى يُسابقَ معناه لفظَه ولفظُه معناه، وذلك في قولُهم: [70] يدخلُ في الأُذنِ بلا إذْنٍ فهذا مما لا يَشُكُّ العاقلُ في أنه يرجعُ إلى دلالةِ المعنى على المعنى وأنه لا يتصوَّرُ أن يرادَ به دلالةُ اللفظِ على معناه الذي وُضِعَ له في اللغةِ ذاك لأنَّهُ لا يخلو السامعُ من أنْ يكونَ عالماً باللغةِ وبمعاني الألفاظِ التي يسمَعُها أو يكونَ جاهلاً بذلك فإنَّ كانَ عالماً لم يُتَصوَّر أنْ يتفاوتَ حالُ الألفاظُ معه فيكونَ معنى لفظٍ أسرعَ إلى قلبِه من معنى لفظٍ آخرَ وإنْ كان جاهلاً كان ذلك في وصفهِ أبعدَ وجملةُ الأمرِ أنَّه إنما يُتصوَّر أن يكونَ لمعنًى أسرعَ فهماً منه لمعنًى آخرَ إذا كانَ ذلك مما يُدْرك بالفِكْرِ وإذا كان مما يتجدَّد له العلم به عند سَمْعِه للكلام.

ويقول تمام حسان في آخر المطاف بأن "فكرة "المقام" هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر, وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق، أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة, وهو الوجه الذي تتمثَّل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء

(66)ابن حجة، الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار، د-ط، 2004م 1/ 23.

(67)أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط-1، 1995م ص 298.

(68) ينظر البيان والتبيين، 1/95، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، د-ط، 1419 هـ ص19. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر: 1418 هـ189/2. إبراهيم، بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق الحُصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت 1/ 67.

(69)الخصائص، 2/ 190.

(70) ينظر دلائل الإعجاز، ص 207.

"المقـــال"[71].

ويذهـــب الأصوليـــون إلى أن المعنـــى اللغـــوي لكلمـــة "الفقـــه" فيمـــا يســـمونه "بأصـــول الفقـــه" هـــو "المعرفـــة بقصـــد المتكلـــم"[72] والفقـــه في اللغة هـــو "إدراك الأشـــياء الخفيـــة"[73]

"وغالبـــا مـــا تكـــون الغايـــة الأساســـية مـــن أصـــول الفقـــه هـــو الفهـــم الســـليم لمقاصـــد اللـــه -تعـــالى- مـــن القـــرآن الكريـــم، ومقاصـــد رســـوله-صلى اللـــه عليـــه وســـلم- مـــن الســـنة النبويـــة الشريفـــة.

والأصوليـــون أيقنـــوا حقيقـــة وهي:[74]"إنمـــا المعنـــى تفســـير اللفـــظ مثـــل أن يقـــول قائـــل معنـــى الحـــرام؟ فنقـــول لـــه هـــو كل مـــا لا يحـــل فعلـــه، أو يقـــول معنـــى الفـــرض؟ فنقـــول هـــو كل مـــا لا يحـــل تركـــه، أو يقـــول مـــا الميـــزان؟ فنقـــول لـــه آلـــة يعـــرف بهـــا تبايـــن مقاديـــر الأجـــرام؛ فهـــذا ومـــا أشـــبه هـــو المعانـــي" والأصوليـــون يصلـــون إلى أنـــه" متـــى ظهـــرت المقاصـــد، أخـــذ بهـــا وبنـــي عليهـــا، ولا عـــبرة باللفـــظ، ومتـــى ثبـــت اللفـــظ، وتـــردد بـــين معنيـــين أو أكثـــر، حمـــل عـــلى المعنـــى الموافـــق للقصـــد."[75]

(71)اللغة العربية معناها ومبناها، ص337.

(72)محمـد، بـن عـلي الطيـب أبـو الحسـين البَـصْري المعتـزلي، المعتمـد في أصـول الفقه،تـح: خليـل الميـس، دار الكتـب العلميـة – بـيروت ط-1، 1403هـــ 1/ 4،وينظـر كذلـك: أبـو المظفـر، منصـور بـن محمـد بـن عبـد الجبـار ابـن أحمـد المـروزى السـمعاني التميمـي الحنفـي ثـم الشـافعي ، قواطـع الأدلـة في الأصـول، تـح: محمـد حسـن محمـد حسـن اسـماعيل الشـافعي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط-1، 1999م 1/ 20، وينظـر: محمـد، محمـد يونـس عـلي، علـم التخاطـب الاسـلامي دراسـة لسـانية لمناهـج الأصـول في فهـم النـص، دار المـدار الاسـلامي، بـيروت، ط-1، 2006م، ص27.

(73) أبـو العبـاس، شـهاب الديـن أحمـد بـن إدريـس بـن عبـد الرحمـن المالكـي الشـهير بالقـرافي، شرح تنقيـح الفصـول، تـح: طـه عبـد الـرؤوف سـعد ، شركـة الطباعـة الفنيـة المتحـدة، ط-1، 1973م ص16.

(74)أبـو محمـد، عـلي بـن أحمـد بـن سـعيد بـن حـزم الأندلـسي القرطبـي الظاهـري، الإحـكام في أصـول الأحـكام، دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت، تـح: الشـيخ أحمـد محمـد شـاكر قـدم لـه: إحسـان عبـاس، د-ط، د-ت 8/101.

(75) أحمد، الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د-م، ط-2، 1992م ص82.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة لابد لنا من الوقوف على أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي تمثلت في الآتي:

1. اللغة ظاهرة اجتماعية تقتضيها حاجة الإنسان إلى التفاهم مع أبناء جنسه و لولا الحياة الاجتماعية ما كانت اللغات.
2. إنَّ اللسانيات ذات بعد اجتماعي تركيبي؛ ولذا فإنه لابد للكلام الذي يتعلق بالفرد واللغة أن ينعكس على المجتمع، أو الجماعة الناطقة.
3. من أهم أسباب عدم استقرار المصطلح العربي على صيغة واحدة هو عدم استقرار مفهوم التداولية في تيار واحد.
4. التداولية تعني دراسة اللغة في حال الاستعمال، أو التواصل، أي أنها لا تعنى باللغة كونها في الكتب، أو المعاجم، ولكن ما تقوم به من أثر وتأثير في الخطاب حال استعمال هذه اللغة من قبل المخاطِب، أو المخاطَب.
5. تقوم التداولية على العلاقة بين العلاقات ومستعمليها.
6. للعرب دور في وضع مصطلح التداولية مقابل البرجماتية، وكان السبق للفيلسوف اللغوي طه عبدالرحمن سنة1970، حيث حدد التداوليات: بأنها الدراسات التي تختص بوصف العلاقات التي تجمع الدوال الطبيعية.
7. تكمن أهمية التداولية في معالجة أوجه القصور التي عانت منها البنيوية والتوليدية، وعدم الالتقاء بكل مستوى من مستويات اللغة عند استعمالها في التواصل، أو تأويلها.
8. تهدف التداولية إلى نقل التراكيب من اللغة المجردة إلى اللغة المستعملة من قبل المتكلم؛ ليتحول الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي ليدرس المنجز اللغوي في اطار التواصل وليس بمعزل عنه.
9. إحاطة التداولية بجملة من الأسئلة نحو من يتكلم وإلى من يتكلم، وماذا تقول بالضبط عندما تتكلم إلخ.
10. نجاح التداولية في الأخذ بمختلف العوامل المنطقية والتخاطبية، والدراسات اللسانية السابقة لها، وذلك بإدخالها كل عناصر التخاطب من سياق واستخدام في فهم وتفسير مقاصد المتكلمين.
11. استطاعت التداولية أن تج لها مكاناً متميزاً بما تحمله من المكتبة العلمية من دراسات وبحوث وندوات.
12. لا ينتمي الدرس التداولي إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي، لأنه يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

1. آن، روبول-جاك، موشلار،التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس-محمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، دار الطليعة ،بيروت، ط2003،1م.
2. أحمد، بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت 2/202.
3. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، مجمل اللغة ، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر مؤسسة الرسالة – بيروت ط2-، 1986م،ج 1.
4. أحمد، الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د-م، ط2-، 1992م.
5. أحمد، شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، د-ط، د-ت.
6. أحمد، المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1-، 2010م.
7. إبراهيم، بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق الحُصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت ج 1.
8. ابن حجة، الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار، د-ط، 2004م.
9. أبو بكر، عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1-، 1995م.
10. أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، شرح تنقيح الفصول، تح: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1-، 1973م.
11. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1404 ه.
12. أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي ، الخصائص، المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
13. أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: إحسان عباس، د-ط، د-ت.
14. أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر: 1418 ه.
15. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، قواطع الأدلة في الأصول، تح: محمد حسن محمد حسن

اسـماعيل الشـافعي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1-، 1999م .
16. أبـو هـلال، الحسـن بـن عبـد اللـه بـن سـهل بن سـعيد بـن يحيـى بـن مهـران العسـكري، البيـان والتبيـين، 1/95، الصناعتـين، تـح: عـلي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، المكتبـة العنصريـة – بـيروت، د-ط، 1419 ه.
17. تمام، حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، د-م، ط5، 2006م.
18. جميل، حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، د-م، ط1-، 2015م.
19. جـورج يـول، التداوليـةPRAGMATICS ، تـر: قـصي العتابـي، الـدار العربيـة للعلـوم، بـيروت، ط1-، 2010م.
20. جواد، ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان، ط1-، 2016.
21. حافـظ، إسـماعيلي علـوي، التداوليـات علـم اسـتعمال اللغـة، عالـم الكتـب الحديـث، إربـد، ط2-، 2014م.
22. خليفـة، بـو جـادي، في اللسـانيات التداوليـة مـع محاولـة تأصيليـة في الـدرس العربـي القديـم، بيـت الحكمـة، الجزائـر، ط2009،1-م.
23. زيـن الديـن، أبـو عبـد اللـه محمـد بـن أبـي بكـر بـن عبـد القـادر الحنفـي الـرازي، مختـار الصحـاح، تـح: يوسـف الشـيخ محمـد، المكتبـة العصريـة الـدار النموذجيـة، بـيروت – صيـدا ط5- 1999م.
24. صلاح، فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د-ط، 1992م
25. عبدالهـادي، بـن ظافـر الشـهري، اسـتراتيجيات الخطـاب مقاربـة لغويـة تداوليـة، دار الكتـب الجديـدة، بـيروت، ط1-، 2004م.
26. طـه، عبـد الرحمـن، في أصـول الحـوار وتجديـد علـم الـكلام، المركـز الثقـافي العربـي، الـدار البيضـاء، ط2-، 2000م.
27. علي، عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط1-، د-ت،ص96 ،267.
28. عمـرو، بـن عثمـان بـن قنـبر الحارثـي بالـولاء، أبـو بـشر، الملقـب سـيبويه، الكتـاب، تـح: عبـد السـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخانجـي، د-م، ط3-، 1988 م.
29. عمـرو، بـن بحـر بـن محبـوب الكنانـي بالـولاء، الليثـي، أبـو عثمـان، الشـهير بالجاحـظ، البيـان والتبيـين، دار ومكتبـة الهـلال، بـيروت، د-ط، 1423ه.
30. فيصل، الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1-، 2010م.
31. مجـد الديـن، أبـو طاهـر محمـد بـن يعقـوب الفـيروز أبـادي، القامـوس المحيـط، تـح: مكتـب تحقيـق الـتراث في مؤسسـة الرسـالة بـإشراف: محمـد نعيـم العرقسُـوسي، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة بـيروت – لبنـان ط8- 2005م.
32. محمـد، الأخـضر الصبيحـي، مدخـل إلى علـم النـص ومجـالات تطبيقـه، الـدار العربيـة للعلـوم د-ط د-ت.
33. محمـد، بـن عـلي الطيـب أبـو الحسـين البَـصْري المعتـزلي، المعتمـد في أصـول الفقـه، تـح: خليـل الميـس، دار الكتـب العلميـة - بيروتـط1-، 1403هـ.
34. محمـد، بـن مكـرم بـن عـلي، أبـو الفضـل، جمـال الديـن ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعي الإفريقـي، لسـان العـرب، دار صـادر – بـيروت ط/3 1414 هـ.
35. محمـد، محمـد يونـس عـلي، مقدمـة في علمـي الدلالـة والتخاطـب، دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، بـيروت، ط1-، 2004م.
36. محمـد محمـد يونـس عـلي، علـم التخاطـب الاسـلامي دراسـة لسـانية لمناهـج الأصـول في

فهـم النـص، دار المـدار الاسـلامي، بـيروت، ط1-، 2006م.
37. محمـود، عكاشـة، النظريـة البراجماتيـة اللسـانية (التداولية)دراسـة المفاهيـم والنشـأة والمبـادئ، مكتبـة الآداب، ط1-، 2013م.
38. مسعود، الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1-، 2005م.
39. مصطفـى، 'براهيـم وآخـرون، المعجـم الوسـيط، مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة ، دار الدعـوة د-ط د-ت.
40. ميجـان، الرويـلي و سـعد، البازعـي، دليـل الناقـد الأدبـي، المركـز الثقـافي العربـي، الـدار البيضـاء، ط3-، 2002م.
41. نعمان، بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د-ط، د-ت.
42. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط2-، 1997م.

الحجاج عند ابن حزم
في رسالة الرد على الهاتف من بعد

إعداد: فرج صالح عبد الله بلل
باحث في جامعة ابن طفيل القنيطرة/ المغرب

الاستلام: 15/ 4/ 2021 القبول: 17/ 6/ 2021

المستخلص

وُجهت رسالة ابن حزم (الرد على الهاتف من بعد) إلى عقول منغلقة على أفكار شيوخها، فهي تقلد وتقول وتردد ما يقال لها من دون تفكير أو إعمال للعقل، وأي رأي مخالف لها تراه ضلالة وبدعة وانحرافاً عن الشريعة؛ لذلك جاءت هذه الرسالة:(الهاتف) من ابن حزم مبعوثة إلى العامة والخاصة من فقهاء المالكية وأتباعهم، للرد على مزاعمهم وإبطالها ودحضها عن طريق البرهان المسند إلى النص الشرعي الذي هو القرآن الكريم والسنَّة النبوية وإجماع الصحابة ومن جاء بعدهم، يقول بقولهم، وبالحجة المنطقية العقلية، والتسليم بالبديهيات. وإحلال البرهان والقياس العقلي المنطقي محل القياس والرأي والاستحسان.

Abstract

IbnHazm's message "answering the phone from a distance" is directed to minds that are closed to the minds and ideas of their sheikhs only, so they imitate, say and repeat what is said to them without thinking or realizing the mind, and any opinion contrary to it, they see it as a delusion, heresy and deviation from the Sharia. This message "the phone" from IbnHazm, it is sent to the public and the private, they are the Maliki jurists and their followers and to respond to their claims, invalidate and refute them through the evidence based on the legal text, which is the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah and the consensus of the Companions and those who came after them and say their words and with rational argument and acceptance of the axioms. Rejection of analogy, opinion and approbation, and the application of proof and rational analogy instead.

المقدمة:

إن توليد المعاني الصوتي والتركيبي والدلالي - عند ابن حزم في بداية رسالته (الرد على الهاتف من بعد) - يمثل فقرات حجاجية تناظرية في تركيبها، وتجانس أصواتها، وتكرار مرادفاتها، وأجزائها المشكلة، الأمر الذي أسهم في انسجام فقراتها، وبخاصة على المستوى المعجمي، وهو الأساس الذي يقوم عليه الحجاج عن طريق أفعال الكلام.

يهتم هذا المقال بوسائل الحجاج التي عمد إليها الإمام الحافظ ابن حزم، محمد بن علي الظاهري الأندلسي (ت 456هـ) أحد أهم مؤسسي المنهج الحجاجي في طرح القضايا الجدلية، إذ يتوسل ابن حزم في الاستدلال بالحجة والبرهان بما يثبت صدق دعواه، لحمل متلقيه على الإذعان والتسليم له، من خلال قوة سبك العبارات الثقيلة، وحمل الخصم على الاعتراف بالهزيمة والإقرار بالخطأ واتِّباع الحق، مركِّزًا على كل ما من شأنه تحريك النفس لتنقاد له رغبة أو رهبة. فالباحث إذن معنيٌّ بالنظر في الوسائل اللغوية والبلاغية التي وظفها ابن حزم لإقناع المتلقي والتأثير فيه عبر رسالة ضمَّنها الرد على الهاتف من بعد.

منهجية البحث وخطته:

تناول البحث ثلاثة أبعاد عند مقاربته النص، وهي: البعد السياقي, والبعد الحجاجي، ونظرية أفعال الكلام، مفترضًا أن لظاهرية ابن حزم منهجًا لغويًّا خاصًّا يتمسك بالظاهر للوصول إلى المقاصد، وهذا يعني تمسكًا محددًا بالبنية اللغوية، وإقصاءً بقدر كبير- للمعطيات الاستعمالية القائمة على: القرائن، والسياق، والقدرات الاستنتاجية، ومن ثم اعتماده على أفعال الكلام:(التوجيهيات، الإلزاميات، والإدلائيات، والتصريحيات، والإخباريات) أولًا، ثم على: التكرار، والازدواج اللغوي؛ وتأسيسًا على ما تقدم قُسِّم البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، هي: [نظرية أفعال الكلام: (وفيها تُدرس: النماذج الحجاجية من خلال نموذج سورال، وتدرس كذلك زمنية الأفعال)، ثم التكرار: (بشقيه: الشكلي، والمضموني)، ثم الازدواج اللغوي]، ثم خاتمة تستخلص فيها نتائج البحث، ومسردًا تثبت فيه مصادر البحث ومراجعه.

نظرية أفعال الكلام:

أولا النماذج الحجاجية من خلال أنموذج سورال:

ليست اللغة أداة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس وعن الحاجات الخارجية فحسب، إنما هي "أيضا حقيقة حوارية يتواجه فيها عالمان لغويان مختلفان يصيران تدريجيا إلى التداخل فيما بينهما، فتنشق من هذه لغة متجددة تحمل معاني غير مسبوقة وبهذا يكون الفهم في نهاية المطاف عبارة عن تفاهم"[1]. فاللغة تفاعل بين متكلم ومستمع؛ ليتشاركا ويندمجا ويصبحا شيئًا واحدا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي فعالة، لها وظيفة تتجاوز كونها وسيلة

(1) طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1. ج1. ص 110.

تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك، ويصير الكلام ذا قوة بلاغية كامنة فيه، تظهر من خلال الآثار والنتائج المترتبة"[2]، فمن خلال اللغة نؤثر في الآخر، ومن ثم نغير العالم.

في هذا الجزء من البحث سوف نعرض لبعض النماذج الحجاجية التي تندرج ضمن نظرية أفعال الكلام، من خلال اعتماد أنموذج (سورال) لأنه أكثر وضوحا ودقة من أنموذج (اوستين). وقد حاولنا من خلال اعتماد هذا التقسيم للأفعال اللغوية تحليل الرسالة للكشف عن الدور الذي تؤديه الأفعال الكلامية في إحداث الإقناع والتأثير.

قسم (سورل) الأفعال الكلامية إلى: (توجيهيات، وإلزاميات وإخباريات، وتصريحيات، وإدلائيات) وانطلاقا من هذا التقسيم قمنا بعملية إحصاء لعدد الأفعال التي تنتمي إلى كل قسم من الأقسام السابقة للأفعال في رسالة (الهاتف)، وجاءت أعدادها كما يأتي:

الأقسام	حضور الأفعال بالنسبة المئوية
التوجيهيات	% 44
الإلزاميات	% 44
الإخباريات	% 41
التصريحيات	% 39
الإدلائيات	% 30

وبناء على نتائج عملية الإحصاء التي قمنا بها نلاحظ:

أ - التوجيهيات:

تحتل المرتبة الأولى، وتسجل أكبر نسبة حضور في رسالة (الهاتف)؛ لاحتوائها على معنى الفعل، وهي تمثل: الأساليب والجمل الإنشائية التي تفيد الطلب، وأبرزها أسلوبا الأمر والنهي اللذان وظفهما ابن حزم بكثرة، من أجل تبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي المتمثل في "إعداد الفرد إعدادا كاملا، وإصلاح المجتمع إصلاحا بنيويا"[3]؛ لهذا فإن ابن حزم من خلال رسالته عني بالمتلقي أيما عناية، لأنه يرى أن مهمته تتعدى ضرورة الإبلاغ وعدم كتمان العلم إلى إظهار الحق ما استطاع إليه سبيلا، عن طريق الحجة والإقناع والتأثير في البنية العقلية والفكرية المنغلقة على مذهب واحد، أو طريق واحدة لا تتعداها.

إن غالب الأفعال التوجيهية في الرسالة تنحصر في أسلوبي: الأمر والنهي، وهما فعلان إنجازيان يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، وغايتهما واحدة، فالأمر يتوسل به إلى إتيان الفعل لأهميته، والنهي يتوسل به إلى عدم إثبات الفعل لقبحه.

(2) خليفة بوجادي، في اللسانيات التوليدية - محاولة تأصيلية في الدرس العربي، دار بيت الحكمة، القاهرة، ص 94.

(3) محمد باز، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، الدار العربية للعلوم، القاهرة، ص 59.

ومن أمثلة الأمر في رسالة (الهاتف) قوله: "ثم السلام على أهل الإسلام، فإن كنت منهم أيها المخاطب فقد شملك ما عمَّهم، وإن لم تكن منهم فلست أهلا للسلام عليك"[4].

وقوله لمن أنكر المنطق"أخبرنا عن هذه الكتب من المنطق وإقليدس والمجسطي: أطالعتها أيها الهادر، أم لم تطالعها؟ فإن كنت طالعتها، فلمَ تنكر على من طالعها كما طالعتها أنت؟ وهلا أنكرتها على نفسك؟... فكيف تنكر ما لا تعرف؟ أما سمعت قوله تعالى:(فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) [آل عمران الآية: 66] "[5].

ومن أمثلة النهي في رده على المجهول الذي أرسل له الرسالة قوله: "فإن كتابين وردا عليَّ لم يكتب كاتبهما اسمه فيهما، فكانا كالشيء المسروق المجحود،... حاشا لله أن يكون منا طعن على أحد من أعلام المؤمنين وسادات المسلمين، أو أن نقذفهم بالجهل، وأن نقول في دين الله بما لم يأذن به الله، وإنما وصمنا بذلك جسارة وحيفا فيما نسب، وصم جيل معرضين عن القرآن والسنن متدينين بالرأي والتقليد لا يعرفون غيره، مخالفين لكل أمام سلف أو خلف"[6].وقوله كذلك: "إذا أحدثت وضرباؤك سبيل الرأي والتقليد، وأضربت عن القرآن والسنة. فأنت المفتون الجاهل حقا، إذ تنكر على من اتبع القرآن والسنة وإجماع الأمة... فنعوذ بالله مما ابتلاك به. ونسأله الثبات على ما أنعم به علينا من الحق "[7] .

وفي وصفه لصاحب الرسالتين: "أما قلة دينه: فاعتراضه بالجهل على القرآن، وأما ضعف عقله: فكلامه فيما لا يحسن، وأما قلة تمييزه وتحصيله: فتهديده من لا يحقل به"[8].

وخلاصة القول في دور الأفعال التوجيهية في رسالة (الهاتف): كانت الأفعال ذات طاقة حجاجية فاعلة ساندته في إقناع المتلقي، وبخاصة من اتهامه في بداية الرسالة، وكل المشككين والمنكرين عليه من أتباع فقهاء المالكية، وقد جعلتهم "يتخلون عن صورة الانحراف والتحلي بأساليب الفطرة من عقل وحق"[9] لأن أسلوبي الأمر والنهي "نابضان بالإثارة قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي"[10]من تغيير سلوكه إلى الأفضل.

---

(4) ابن حزم. رسالة في الرد على الهاتف من بعد، ضمن (مجموع رسائل ابن حزم)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت،2007، ص119. وسنشير إليه فيما يأتي من البحث بـ(المصدر)

(5)المصدر نفسه، ص 122.

(6)المصدر نفسه.

(7) المصدر: ص121.

(8) المصدر نفسه، ص122.

(9)آمنة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار – نماذج من القرآن والحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص208.

(10)سامية الدريري، الحجاج في الشعر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ص153.

وقد استعمل ابن حزم آليات الأمر والنهي (التوجيهية) للسيطرة على كل متقول بدون حجة وبرهان، والسيطرة على ذهن المتلقي المستقبل وتسيير الخطاب تجاهه، "وكذلك بالمحاجة بما لا يناقض الحواس والعقل الفطري الذي يميز بين المفاهيم والأشياء"[11] وبهذا تبنى الشخصية الإسلامية الحقيقية.

ب - الإلزاميات: (أفعال التعهد):

احتلت هذه الأفعال الإلزامية المرتبة الثانية في رسالة (الهاتف) بعد الأفعال التوجيهية؛ لأن توجيه السلوك وجهة معينة يتطلب التزاما ووعدا من المتكلم، حتى يكون الإقناع أسهل والتأثير أكبر، التزاما ووعدا من المتكلم. وهي تعني إلزام المتكلم نفسه بإنجاز فعل مستقبلي، أي يلتزم "بفعل الضمان والإنذار"[12]. وهي أفعال تختلف عن سابقتها الطلبية لكونها تتجه نحو المتكلم، في حين أن الأفعال التوجيهية متوجهة نحو المخاطب.

وفي الرسالة التي بين أيدينا وردت الأفعال الإلزامية بطريقة غير مباشرة، فابن حزم لم يلزم نفسه بإنجاز أفعال الوعد والوعيد، بل يتوعد المتلقي بأن الله تعالى هو المنجز وعده.

وقد جاءت هذه الأفعال على شكل مدح للفاعلين في الأوامر، وتهديد بالعقاب لهم فيما تركوا من النواهي، أو إظهار العاقبة في الأخير، بعد ذكر الأمر أو النهي؛ فهي إذا ذات طاقة حجاجية تعضد الأفعال الكلامية والتوجيهية، وتساند المتكلم لتحقيق هدفه، يقول (اوستين):"يجوز إيقاع التهديد أو التخويف... في الحالات التي يمكن فيها أن نحث الآخر أو نقنعه أو نجعله يطيع أو يعتقد في أمر ما"[13].

ومن الأمثلة الإلزامية في رسالة (الهاتف) قوله يصف كاتب الصحيفة: "واعلم أن صورتك عندنا أنك جمعت ثلاثة أشياء: قلة الدين، وضعف العقل، وقلة التمييز والتحصيل"[14].وقوله: "وأما دعواه بأننا نفتي في كتابنا بما ليس في القرآن والسنة، فقد كذب جهارا علانية، وكتبنا حاضرة ومشهورة،...والله حسيب كل ظالم"[15]

ج - الإخباريات:

احتلت الإخباريات المرتبة الثالثة في رسالة (الهاتف) بعد التوجيهيات والإلزاميات، وهذا أمر مبرر؛ لأن توجيه المتلقي وجهة معينة والالتزام نحوه بوعود متنوعة ووعيد يستلزم أولا إخباره بالأمر الذي يجهل، فالشراكة تقع في صميم القضية المعبر عنها؛ لهذا تنسجم الإخباريات مع "منطق التلقي؛ حيث تقتضي إقامة الحجة على المنكر أن يعرف أولا، وهنا يتحقق قانون الإفادة، الوسيلة

(11)عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص352.

(12) حكيمة بوقرومة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، دار النشر الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ص16.

(13) أوستن، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص137.

(14) المصدر ص122.

(15) المصدر ص125.

المنطقية "[16] التي تسبق أو تعقب الأوامر والنواهي، أو التوبيخ والتقريع، إذ لا بد من معطيات إخبارية يتوسل بها المتلقي لضمان إنجاز الفعل، أي إن القيام بالفعل يكون مرتبطا" بمدى قوة القاعدة الاستدلالية من ضامن (ثواب الله،أو عقابه) وسند (الآية)؛ ليقيم بها الحجة البالغة في الإقناع والتأثير معا وحمل الآخر على القيام بالفعل"[17].

ومن الأمثلة الإخبارية قول ابن حزم في رسالة (الهاتف):"فليعلم هذا الجاهل أنه كاذب في أكثر ما ذكر: أما نهينا عن تقليد الصحابة فمن دونهم فأمر لا ننكره، ونحن في ذلك موافقون لجميعهم في نهيهم عن ذلك بلا خلاف... وهل ينكر قول مالك: لا يقلد لا صاحب ولا من دونه؟ وأما قوله إننا نحض أتباعنا على تقليدنا فقط فكذب صراحا بواحا"[18].وقوله: "إن العلماء - والله - قسمان لا ثالث لهما: إما عالم موافق، وإما عالم أداه اجتهاده إلى مخالفتي، فهو إما سالك طريق أهل العلم في حسن المعارضة والمخاطبة بالحجة، لا بالخبط والتخليط والحماقة، وإما ممسك ساكت... وأما وعيدك بأجوبة العلماء في أقطار الأرض،

فتلك أضاليل المنى وغرورها **** سرت بكم في الترهات البسابس"[19].

د- التصريحيات :

احتلت التصريحيات المرتبة الرابعة في رسالة (الهاتف) حين بلغت عددا قليلا أمام الأفعال الكلامية التوجيهية؛ لأن ابن حزم في معرض حديثه يريد إقناع الجمهور بالحجة والأدلة العقلية التي تضمن تغيير سلوكهم من دون إكراه أو قسر.

وتقتضي التصريحيات التصريح والتعبير عن حالة سيكولوجية (نفسية) معينة، وقد وردت في رسالة في (الهاتف)، وهي تعبر عن "رؤية باطنية روحية تجسدت في الحياة اليومية، في تغير السلوك في اتجاه تطوري وتجعل المتلقي يتفاعل معها"[20]. وإصلاح المجتمع إصلاحا بنيويا.

ومن أمثلة التصريحية في رسالة (الهاتف) رده على كاتب الرسالتين مجهول الاسم حينما تمنى الموت لابن حزم، فقال: "والله لئن مت، ما أسدُّ قبوركم، ولا أوفر عليكم رزقا، ولأردن على رب رحيم، وشفيع مقبول، لأني كنت تبع كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لا أتخذ دونهما وليجة، لكن إذ مت أنت! فتقدم والله على رب خالفت كتابه، وعلى نبي أطرحت أوامره ظهريا وأطعت غيره دونه، فأعد للمسألة جوابا، وللبلاء جلبابا"[21]. ويضيف: "وبعد،

(16) آمنة بلعلي، المنهج الأمثل للتواصل، ص212.

(17) المرجع نفسه، ص229.

(18) المصدر ص124.

(19) المصدر، ص126.

(20) عبدالحفيظ غرس الله، التصوف الإسلامي والغيرية، حوليات التراث، جامعة باتنة الجزائر، ع 4 ،2005، ص41.

(21) المصدر، ص127.

فتطلب نفسك بعد أن تذيقها برد اليأس، على أن تعارض بهوس ما في تلك الرسالة الحق الواضح، وكيف تعارض نص القرآن والسنة؟ هيهات من ذلك"[22].

لا شك أن للإنسان سمات وإبعادًا فردية ترشح عنها تصرفاته وسلوكياته تجاه الآخر، وتتولد عنها سمات التفرد والتميز؛ لذلك يميز علماء السلوك بين تنظيمين رئيسين يتحكم كل واحد منهما في شكل وعي الإنسان بذاته والعالم الذي يعيش فيه، أولهما التنظيم العقلي، ويرتبط بإدراك الفرد للعالم الخارجي وفهم موضوعاته، وثانيهما التنظيم الانفعالي، وتجتمع فيه أنشطة الفرد الانفعالية التي تعبر عن دوافعه وانفعاله.[23]

هـ- الأفعال الإدلائية:

تكمن قوة الأفعال الإدلائية في مطابقتها للعالم الخارجي، أي عندما نتكلم نفعل، فالقول هو العمل نفسه. وابن حزم عندما يحذر مخاطبه في رسالة (الهاتف) تظهر مقدرته الحجاجية وبراعته في إنتاج خطاب، له فعل إقناعي وتأثير على الآخر من خلال وعيه الكامل بهدفه وقصده، والتخطيط الدقيق المحكم للأفعال الكلامية التي تخدم غايته الحجاجية.

فترتيب الإدلائيات في الأخير له طاقة حجاجية لها قوتها المؤثرة؛ لأنه فيها يطابق القول بالفعل، ولايمكن تحقيق ذلك إلا بعد توجيهيه السلوك وتوافق الظاهر مع الباطن، وتطابق القول مع الفعل في العالم الخارجي، "وهذا النظام عرفاني سلوكي أعطى للحاجات الروحية الأهمية في كل فعل، وأضفى عليها معنى جوهريا في رؤية العالم وتصور الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت"[24].

ومن أمثلة الإدلائيات في الرسالة قوله: "معرضين عن القرآن والسنن، متدينين بالرأي والتقليد، لا يعرفون غيره، مخالفين لكل أمام سلف أو خالف،...وفتاويهم يجب أن تطلب، وأنهم كلهم خطأ...فهذا هو الذي لا يقدر أحد على إنكاره من فعلكم لشدة اشتهاره، والحمد لله رب العالمين"[25]، ثم قال: "فليت شعري إذا كان ذلك كذلك عندك، فسنن النبي صلى الله عليه وسلم ، نقل من تقبل فيها؟"[26]

ويظهر اتجاه ابن حزم لتسفيه النسق المضاد، وتيئيس مسعاه في آخر الرسالة، إذ يعمد إلى إقرار يقينية الاعتقاد:" وبعد فلتطب نفسك بعد أن تذيقها برد اليأس، على أن تعارض بهوس ما في تلك الرسالة الحق الواضح، وكيف تعارض نص القرآن والسنة؟ هيهات من ذلك، فأقصر فهو أروح لك، وأجمل إن شاء الله تعالى، والسلام على من اتبع الهدى"[27].

(22) المصدر، ص127.

(23) سليمان الخضري الشيخ، الفروق الفردية في الذكاء، دار الثقافة. القاهرة، 1982.

(24) عبد الحفيظ غرس الله، التصوف الإسلامي والغيرية، ص37.

(25) المصدر، ص 120.

(26) المصدر، ص120.

(27) المصدر نفسه.

هكذا تحكمت الدوافع والحوافز والاتجاهات النفسية، في رد ابن حزم على الهاتف من بعد، مرضيا طموحه في تحصين ظاهريته وإسقاط (أزلام) المالكية، مبدياً جاهزيته للتواصل، ومتخذًا سلوك الواثق من نفسه.

ثانيًا زمنية الأفعال الكلامية في (الهاتف):

إن تعاون الأفعال الكلامية في رسالة (الهاتف) في إقناع المتلقي بأفكار ابن حزم - وإن حضر بعضها بشكل أقوى من الآخر - فالمتمعن في تشكيلات الخطاب يجد أن هذه الأفعال "تشتغل نحو الكمال الذي ارتضته الشريعة له"[28].وإن الحوار المكثف للأفعال الكلامية في رسالة (الهاتف) دليل على الحركة والحيوية؛ لأن الفعل لا يعرف الثبات حيث يدخل فيه "عنصر الزمن، والحدث، بخلاف الاسم الذي يخلو من عنصر الزمن"[29]. وهذا التغير والتحول الذي يتميز به الفعل يعضد الطاقة الحجاجية للخطاب، ويساند المتكلم، ويناسب التغير في سلوك المخاطب الذي يسعى إليه، وليس هذا فحسب، بل إن التنوع في الأفعال الموظفة في (الهاتف) ما بين الماضي والمضارع والأمر يقدم طاقة حجاجية إضافية تدعم الرسالة في الحجاج، إذ "تدفع إلى إثارة المشاعر وشحنها وتوجه إلى غاية واحدة هي الإقناع أو الحمل على الإذعان"[30].وذلك لما يضفيه تنوع الفعل على الخطاب من حركية وحيوية بانتقاله من الأمر إلى الماضي إلى المضارع، ليجعل من الجو العام للرسالة "تأثيريا يستجلب النفوس ويستهويها؛ لأن النمط الفعلي الواحد من شأنه أن يؤدي إلى السأم والملل، ومن ثم النفور من سماع القول"[31], ويبين الجدول الآتي زمن الأفعال في الرسالة:

الماضي	المضارع	الأمر
75	72	81

فنلاحظ تباين أزمنة الأفعال، وهو ما يعكس تباينًا واختلافًا في الأغراض، كما نلاحظ تقاربًا كبيرًا بين عدد الأفعال بمختلف أزمانها، ويمكن تفسير ذلك كما يأتي:

إن طغيان الأفعال الأمرية الطلبية في (الهاتف) = (81 فعلًا)، مثل: "فليعلم، فليقل، أخبرنا، أطالعتها، فلمَ تنكر، هل أنكرت"، وتوظيفها بكثرة دليل على اهتمام ابن حزم بلفت انتباه المتلقي من أجل شحذ ذهنه وتفكيره للتركيز في

(28) محمد بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، ص58.

(29) أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية - دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، ط1،2002، ص102.

(30) هشام فروم، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي - دراسة وسائل الإقناع، جامعة الحاج الأخضر، باتنة الجزائر، 2013، ص127.

(31) المرجع نفسه، ص127.

سماع ما يقال له، وهدفه في ذلك "توجيه المتلقي نحو نتيجة معينة أو تحول وجهته عنها"[32]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأفعال الأمرية تدل على إرادة تنفيذ المخاطب بهذه الأفعال في المستقبل؛ لأنها تعبر عن رغبة المرسل -ابن حزم- في أن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه على أنها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلا[33].

أما فيما يخص الفعل الماضي فد جاء بعد الأفعال الأمرية بوتيرة بلغت (75فعلا)، وهو الفعل الذي يعبر عن زمن وحدث في الماضي، وقد استخدمه ابن حزم لاستعادة الماضي، وربط المخاطب بمرجعيته الإسلامية التي قد يتنكر لها الخصم، وتذكير بأوامر الله ونواهيه التي هي سابقة في الوجود الشرعي عن الدعوة لها، إضافة إلى ذلك فإن الماضي يفيد تقرير الحقائق، وقد وظفه ابن حزم ليفيد المتلقي. بمعرفة حقائق سابقة تحفزه على تغيير سلوكه بناء عليها مستقبلا.

أما المضارع فقد جاء مقاربا للفعل الماضي، أي بعدد (72 فعلا)، والمضارع -كما هو معلوم- يدل على "التجديد، فالحدث مع الإشارة إلى استمرارية هذا الحدث، إذ إن الفعل المضارع يفيد معنى الاستمرار والامتداد"[34].ومن جهة أخرى فالفعل المضارع يدل على ضرورة استمرارية المتلقي في تغيير سلوكه إلى الأحسن وفق ما أراده ابن حزم؛ لأن ذلك يؤدي بالضرورة إلى الوصول إلى تقوى الله، وهي مدار العمل وقطب الرحى، لأنها تمثل الغاية والوسيلة في آن واحد، فإن إتباع الحق وسيلة لإرضاء الله وغاية ابن حزم[35].

وخلاصة القول في فائدة زمنية أفعال الكلام في رسالة (الهاتف): إن الفائدة تتحصل في أن طغيان الأفعال على الأسماء في رسالة (الهاتف) جعلت الخطاب أكثر حيوية وفاعلية، يغري المتلقي بالتفاعل معه، ويثيره كي يكون أهلا للتغيير الإيجابي البناء.

وأن التنوع جعل النص يبدو نسيجًا من الأحداث المتعاقبة من الأمر والتوجيه ولفت الانتباه. وورود خطاب الرسالة بهذا التمازج بين أفعال (الأمر، والماضي، والمضارع) يتناسب مع المنطق العقلي، إذ يرتبط الأمر بالحاضر، والحاضر مبني على الماضي، كذلك فإن هذا التسلسل في الأغراض يوحي بالمنطقية في التعامل مع الخصم، وكيفية المحاججة التي توصل إلى إرغام الخصم بالخضوع والاعتراف بالخطأ والرجوع عنه.

ونظرًا إلى أن البعد الحجاجي لهذه الرسالة يتركز في التشنيع على المخاطب،

(32) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط 1،2005، ص92.

(33) عبد الهادي بن ظافر الشهدي، استراتيجيات الخطاب، ص337.

(34) أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية، ص 104.

(35) محمد مشعالة، الاغتراب عند الإمام علي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، الجزائر 2009، ص208.

باستعمال الأغراض التي يؤمن بها السوفسطائيون، وأكثرها قصدًا عندهم هو التبكيت، ثم يتلو ذلك التشكيك، الذي يتلوه استغلاق الكلام واستحالته، ثم سوقه إلى الهذر والتكلم بالهذيان[36]، فإن ابن حزم في (الهاتف من بعد) كان قد وظف وسائله الحجاجية بنجاعة في حمله على الغلط والتغليط وسوء النظر لدى الخصم .

التكرار :

إن التكرار من الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع؛ لأنه يمثل رافدا أساسا من روافد الحجاج، إذ يدعم الحجج والبراهين التي يقدمها المرسل لفكرة ما أو قضية ما، وهذا يعني أن التكرار يقدم طاقة حجاجية إضافية، "تحدث أثرا جليلا في المتلقي، وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان... ذلك أن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان"[37].من ذلك أن المرسل إذا كرر لفظًا أو فكرة أدرك أمرها، وفهم مقصدها، ورسخت في ذهنه، ومن ثمة يتبناها مقتنعا بها، وقد يتجاوز ذلك إلى تغيير سلوكه تبعا لها. والتكرار نوعان:(تكرار الشكل، وتكرار المضمون)، ولكل منهما أنواع خاصة به، وسنفرد كلا منهما على حده.

1 - تكرار الشكل:

حاولنا تتبع أنواع تكرار الشكل في رسالة (الهاتف)، لمعرفة مدى حضور كل نوع، فتحصلنا على الجدول الآتي:

نوع التكرار	نسبة الحضور
تكرار المكرر بذاته (الكلمة نفسها)	52
تكرار في هيئة عنصرين من مادة واحدة	35
تكرار بتغيير التركيب	16

وتبين أن ابن حزم قد وظف كل أنواع التكرار الخاصة بالشكل، إلا أننا نلاحظ أن أعلى نسبة حضور في هذه الأنواع قد سجلها النوع الأول: تكرار المكرر بذاته (الكلمة نفسها) الذي تواتر(52مرة)، مقارنة بالنوع الثاني الذي تواتر في الرسالة (35مرة)، فيما تواتر النوع الثالث (16مرة)؛ وهذا راجع لكون المكرر بذاته "أنجع وسيلة لتحقيق الإقناع في السياقات، كالترغيب والترهيب"[38]، والتوجيه والتذكير، لقوله تعالى:)وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين(سورة الذاريات أية 55.

(36) ينظر: ابن رشد، أبو الوليد، تلخيص السفسطة، ت: محمد سليم يالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1972، ص14.

(37) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص168.

(38) هشام فروح، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، ص 165.

ومن أمثلة النوع الأول تكرار المكرر بذاته (الكلمة نفسها): "جاهل يجهل نفسه، عواء عاو، حمق من حمق"[39]. فقد اعتمد ابن حزم عدة وسائل إقناعية تعضد قوله منها استخدام أسلوب التكرار والمعاودة، الذي تجلى في هذه الرسالة من خلال تكرار كلمات: (جاهل، وعواء، وحمق) التي يصف بها خصمه صاحب الرسالتين المجهول الحال، إذ تكررت مرتين متعاقبتين مباشرة (لا يوجد بينهما أي فاصل)، وهذا التكرار" لا يندرج في باب التكرار اللفظي أو الترف الكلامي، بل هو تكرار يقوى حجته في كل مرة يتلفظ بها، وذلك بالرغم من أن الألفاظ لم تتغير، ولكن المتغير المصاحب للتلفظ هو الأثر التداولي الذي يريد تحقيقه"[40]، وهو إقناع المتلقي بأهمية الأمر. أي إن تكرار هذه اللفظ (جاهل) (52مرة) يوحي بالرغبة الملحَّة في إقناع المخاطب بأهمية الحديث الذي يختلط به المتلقي، ولجلب الانتباه مرة، ولإيقاظ عقله وتحريك همته مرة أخرى لما يريد منه، لأن التكرار يعد "من المنبهات الأسلوبية الكفيلة بإيقاظ وعي المتلقي واستنفاره، لدرجة يضحى فيها المتلقي واقعا تحت سلطة التأثير الناتج عن المنبهات، التي تولدها الظاهرة اللغوية التي تتحول إلى شحن المتلقي شحنا عاطفيا"[41]،وبذلك يحصل إشارة انفعال المتلقي بما يدفعه إلى القيام بالعمل أو الفعل الذي يرغب فيه المتكلم، وهذا ما يطمح إليه ابن حزم في الرسالة.

ومن أمثلة النوع الثاني من التكرار، وهو (التكرار في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة): "من كان مجتهدا مأجورا أجرا أو اجرين"[42]، "إلا أيقاظا إذا استيقظنا، ونياما إذا نمنا"[43]

ومن خلال هذا التكرار تظهر المقدرة اللغوية عند ابن حزم في الرسالة، إذ توسل بمختلف الصيغ اللغوية إلى "تعتمد في التأثير السمعي على مبدأ التجانس"[44]، لما لها من طاقة حجاجية تسانده في تبليغ خطابه وفي التأثير على سلوك المتلقي.

أما أمثلة النوع الثالث والأخير من أنواع تكرار الشكل، فهو التكرار بتغيير التركيز قوله: "فاعلم أيها السائل أنك قد كذبت، وما يعجز أحد عن الكذب"[45]، وقوله:" إذ أحدثت وضرباؤك سبيل الرأي والتقليد وأضربت عن القرآن والسنة"[46].اعتمد ابن حزم في إقناع المتلقي على الغرض اللغوي للدعاء بالحجة

(39) المصدر، ص123-122.

(40) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص493.

(41) هشام فروخ، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، ص167.

(42) المصدر ص120.

(43) المصدر، ص121.

(44) محمد العبد، النص الحجاجي العربي - النقد الادبي البلاغي، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، 2005، ص718.

(45) المصدر ص120.

(46) المصدر ص 121.

بتكريرهـا وصياغتهـا موازيـة، وإلباسـها إيقاعـات نغميـة بنائيـة متكررة[47].ومـن ذلـك قولـه:" فليـت شـعري إذا كان ذلـك كذلـك عنـدك، فسـنن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: نقـل مـن تقبـل فيها؟...هـذا أمـر لا تقـدرون عـلى جحـوده، فليـت شـعري مـن إمامكـم في هذه الطامـة؟"[48].

وبالطبـع فـإن المناظـرات تقـدم صـورة تحليليـة للتهديـدات والدوافـع بالوعـد والوعيـد مـن ابـن حـزم للتصـدي لخصومـه ضمـن اسـتراتيجية الدفاعـات المختلفـة، وهـي مواجهـات تـؤدي إلى التغيـير في التصـورات والحوافـز والبواعـث التـي جعلـت مـن ابـن حـزم يقـوم بتأليـف هـذه الرسـالة.

2 ـ تكرار المضمون:

إن تكـرار المضمـون يعنـي تكـرار عنـاصر لغويـة مترادفـة أو مشـتركة في جـزء مـن المعنـى، وهـو عـلى أنـواع :

-النوع الأول: تكرار مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد.

-النوع الثاني: تكرار مفردتين في جملتين

-النوع الثالث: تكرار مفردتين في ثنائية

-النوع الرابع: تكرار المضمون بين جملتين متواليتين.

وبعـد القيـام بعمليـة إحصـاء هـذه الأنـواع في الرسـالة حصلنـا عـلى النتائـج المبينـة في الجـدول الآتـي:

النوع	العدد
النوع الأول	35
النوع الثاني	09
النوع الثالث	06
النوع الرابع	11

ويتضـح لنـا ظهـور أنـواع تكـرار المضمـون كلهـا في رسـالة (الهاتـف)، مـع وجـود تبايـن كبـير في نسـبة حضورهـا، إذ يتصـدر النـوع الأول بقيـة الأنـواع.

في النـوع الأول: تتكـرر مفردتـان أو أكثـر في جملـة واحـدة أو منطـق واحـد لمعنـى واحـد، وهـذا هـو الغالـب عـلى الرسـالة بحضـور يبلـغ (35مـرة)، ومـن أمثلـة ذلـك قولـه:" ونحـن نقبـل ديننـا عـن الصحابـة، رضي اللـه عنهـم، وهـم حجتنـا فيمـا نقلـوا إلينـا، وفيمـا أجمعـوا عليـه وإن لـم ينقلـوه مسـندا"[49]. فقـد وظـف ابـن حـزم التكرار بهـدف التأكيـد أي أنـه يؤكـد الحجـة الأولى بحجـة أخـرى تشـبهها وتدعمهـا، في قولـه:

(47) محمد العبد، النص الحجاجي العربي – النقد الادبي البلاغي، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، 2005، ص713.

(48) المصدر، ص120.

(49) المصدر ص 120.

(الصحابة)، ثم أعاد ذكرهم بضمير عائد عليهم عدة مرات. وقد "عمد إلى التكرار بوجهين مختلفين للدلالة نفسها، ليؤكد بعضه ببعض، فهذا أبلغ في الأثر التداولي (الإقناع)"[50]. هذا من جهة ومن جهة أخرى وظفه للإحاطة بالمعنى كاملا قصد تبليغه للمتلقي، إذ إن "في الجمع بين مفردتين أو أكثر لمعنى واحد إلية لشغل فضاء ذلك المعنى كاملا، حيثما تقتصر المفردة الواحدة في ذلك السياق الحجاجي عن أداء هذه الوظيفة"[51].

أما النوع الثاني: فهو تكرار المضمون المبني على مفردتين في جملتين، وقد احتل المرتبة الثالثة بتواتر بلغ (09مرات)، ومن أمثلة ذلك قوله:" ثم عن التابعين الثقاة، وأفاضل الرواة، وهكذا عمن بعدهم من المحدثين، فعن هؤلاء نأخذ ديننا، ونقبل سنتنا، و لكن أيها الجاهل..."[52].

إن معاودة المعنى بلفظ آخر لا يعني ثبات المعنى، حيث يذهب بعضهم إلى أنه "من الخطأ أن نعتقد ثبات المعنى لهذه التعبيرات، ومن الخطأ أن نعتقد أن العلاقات بين هذين اللفظين في ذاتها لا تتغير"[53].فابن حزم بتكراره المعنى يقدم حججا جديدة متنوعة تدعم قوله، وإن كانت تظهر توضيحية لأولى. وأن تكرار المعنى بلفظين متقاربين ساهم في تقدم الخطاب وتناميه وتنويع الحجج والبراهين المقدمة لإقناع المتلقي وتغيير معارفه وقناعاته، ومن ثمة سلوكه.

أما النوع الثالث: فهو تكرار ثنائية، فقد تواتر في الرسالة (6مرات)، وهو قليل مقارنة بغيره، ومن أمثلة ذلك قوله: "لعن الله الخبيث السريرة، وإنما يعلم السرائر خالقها"[54]. لقد استخدم ابن حزم هذا النوع من التكرار في رسالة (الهاتف) هنا للتأثير على المتلقي بنسبة عالية لأن هذا النوع يميل غالبا إلى جعل الطرف الثاني من الثنائية اللفظية أهم وأقوى من الطرف الأول فيها، وهذا ما يقوي الحجة أكثر ويجعلها قادرة على الإقناع بصورة أسرع.

إن تكرار وحدات متنوعة في كامل النص جعل المتلقي متواصلا مع المرسل، مشدود التركيز من بدايته إلى نهايته له، وهذا يمثل طاقة حجاجية تقود المتلقي إلى الإقناع وتساند ابن حزم على مرماه الساعي إلى التغيير تغيير المفاهيم والأفكار[55].

الازدواج اللغوي:

يعد الازدواج من الوسائل اللغوية التي ترفد الحجاج وتعضده وتساند في

(50) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص1 و4.

(51) محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص720.

(52) المصدر، ص120.

(53) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص2و4.

(54) المصدر، ص121.

(55) ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص 722.

إقناع المخاطب من خلال التأثير السمعي والعاطفي عليه"وذلك بجمال وقعه في الأذن والنفس للانسجام الصوتي والتناغم بين أصوات الكلمات، لجمال سبكها وحسن عبارتها.

وللازدواج أنواع كثيرة، وبعد القيام بعملية إحصاء لهذه الأنواع في الرسالة حصلنا على النتائج المبنية في الجدول أدناه:

نوع الازدواج	عدده
النوع الأول	06
النوع الثاني	07
النوع الثالث	02
النوع الرابع	08
النوع الخامس	07

فيتضح أن ابن حزم وظف أغلب أنواع الازدواج، وسنعرضها مع أمثلة من الرسالة:

النوع الأول: التوازن بين الأجزاء بالاتفاق التام في وزن الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها، وقد تواتر هذا النوع في الرسالة (06مرات)، ومن أمثلة ذلك قوله:" فعن هؤلاء نأخذ ديننا، ونقبل سنتنا"[56]، و" أما أنت وضرباؤك فقد استغنيتم بالرأي عن القرآن والسنة بالتقليد"[57] .

النوع الثاني: التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا، والاتفاق في الترتيب والفاصلة، وقد بلغ تعداده في الرسالة (07مرات)، ومن أمثلة ذلك قوله:" فما تتعنون في نقل سنة، ولا تشتغلون بحكم آية، وهذا أمر لا تقدرون على جحوده"[58].

النوع الثالث: التوازن في وزن الوحدات اتفاقا ناقصا، والاتفاق في الفاصلة من دون الترتيب جاء بعدد (02 مرتين)، وذلك في قوله:" فليت شعري، من إمامكم في هذه الطامة؟ وعن من بلغكم أنه قال: استغنوا بالرأي عن القرآن"[59]، و" لا تقدر على إنكار ذلك[60]".

النوع الرابع: التوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى، وقد جاء

(56) المصدر ص 120.

(57) المصدر، ص120.

(58) المصدر ، ص 120.

(59) المصدر، ص 120.

(60) المصدر، ص121.

بعدد (08مرات)،ومن ذلك قوله:" وإن رغم أنفك، ونصحت كبدك غيظا"[61].

النوع الخامس: التوازن بالاتفاق الناقص في وزن الوحدات والاتفاق في الترتيب من دون الفاصلة، وعدده (07مرات)، ومن ذلك قوله: "أنائم أنت أيها الرجل؟ بل مفتون[جاهل أو متجاهل]"[62]

الخاتمة:

إن الأفعال الكلامية الموظفة في الرسالة لها قوة حجاجية، تكمن في الأثر الذي يتولد من القول وهذا الأثر يتجلى من خلال ردة الأفعال الواقعة أو المفترضة للمتلقي الذي يمثل الطرف الثاني المشارك والمحاور في المناظرة، وهم فقهاء المالكية المتعصبين لمذهب مالك والمقلدة والمنغلقين على الموطأ والمستخرجة فقط. وخطاب ابن حزم هدفه الإقناع والوصول إلى الحق، والإقناع هو فعل الصورة الحجاجية وغايتها، وقد حققت رسالة (الهاتف) هذا الفعل، إذ وظف ابن حزم مختلف أنواع الأفعال الكلامية، وجاء ترتيبها بهذا النمط: التوجيهيات، الالتزاميات، الإخبارية، التصريحيات، الإدلائيات، حتى تهيئ الملتقي لقبول كل ما جاء به، بل وتدفعه إلى إنجاز هذه الأفعال فورًا؛ لأن ابن حزم قد سار بخطابه بشكل تدريجي من أفعال التوجيه التي توجه سلوك المخاطب، وتقنعه بتجسيد الأخلاق في الحياة العملية، إلى أفعال الالتزام والوعد بالثواب الجزيل من الله تعالى، لمن أنجز الفعل وتخلق بأخلاق المصطفى صلى الله عله وسلم، والوعيد بالهلاك والعقاب لمن أبى إلا أن يتبع هواه ويغلب شهوته عن أتباعه. ثم عبر بالأفعال التصريحية موبخًا ومعنفًا صاحب الرسالة. واستعان ابن حزم لتحقيق الإقناع بثراء الأفعال وتنوعها، حيث أسهم الفعل بنسب عالية في البناء اللغوي للرسالة، وهذا الحضور المكثف للأفعال أكسب الرسالة حركية وحيوية تعمل على شحن المتلقي ودفعه إلى العمل والتحرك؛ لأن المؤمن لا يعرف السكون، فحياته عبادة في كل جوانبها. ومما زاد من قوة هذه الحركية تنوع الأفعال وانتقالها من المضارع إلى الماضي إلى الأمر، ما يوحي للمتلقي بضرورة الحركة قدما لأجل مستقبل زاهر وحضارة إسلامية ينشدها دوما، من دون التفريط والتنكر للماضي؛ لأن الحضارة لا تكون إلا بالجمع بين الأصالة والمعاصرة.

استخدم ابن حزم الحجاج التداولي، التكرار اللفظي والمعنوي، لتأكيد أفكاره وترسيخها في ذهن المتلقي حتى يسهل عليه تطبيقها، وذلك لعلمه بما للتكرار من أثر بليغ تنقاد له النفوس انقيادا. إلى جانب توظيفه للازدواج الذي خلق جوا موسيقيا ترتاح له الأذن وتستسيغه النفس ويتقبله القلب، ليتأثر به المتلقي ويقتنع بما فيه، هذا من جهة ومن جهة أخرى ليسهل عليه توصيله وإبلاغه إلى غيره، لأن الجمل الموزونة يسهل حفظها وتذكرها، وهذا ما يضمن انتشار رسالته

(61) المصدر، ص 121.

(62) المصدر، ص121.

بين المتلقين بواسطة قوى أفعال الكلام المنجز من خلال العبارات، وما تحققه بدورها من آثار ونتائج، مهما كانت صفتها فإن إيقاعها يبقى إقناع الآخر، من أجل الحوار والتواصل بالحجة والبرهان.

إن ترتيب الأفعال الكلامية بهذا النمط الذي استنتجناه من عملية الإحصاء (توجيهيات، إلزاميات، إخباريات، تصريحات، إدلائيات) تكشف عن قدرة ابن حزم في تسيير الخطاب وفق غاياته وأهدافه، حيث تظهر أفعال التوجيه التي توجه سلوك المخاطب وتقنعه بتغييره وفق الوجهة التي أراد، ثم تعقبها أفعال الإلزام والوعيد والوعد بالثواب الجزيل من عند الله تعالى لمن أنجز الفعل المحمود وغير سلوكه، والوعيد بالهلاك والعقاب لمن أبى إلا أن يتبع هواه، ثم بعد ذلك أتبعها بأفعال الإخبار والتأكيد لتؤكد على ضرورة إنجاز هذه الأفعال والاقتناع بفكر ابن حزم الذي يتعامل بالظاهر مع نصوص الشريعة واتباعه، ولتمنح أفعال التوجيه قاعدة استدلالية قوية، كذلك لتؤكد وتعضد قوله وحجته، ثم في الأخير جاءت الإدلائيات لتعلن عن أفعال مطابقة للعالم الخارجي، ولتبين مدى تأثير الفعل الإنجازي، إذا تطابق الأثر أو النتيجة النهائية مع الغرض المنشود.

ومن خلال دراسة بنية الازدواج لاحظ الباحث أن الكلمات والجمل الموزونة الموظفة في الرسالة لا تفضي إلى التكلف، بل توحي إلى أن ابن حزم لم يقصد اختيارها بل كانت من عادته في الحديث وجاءت بشكل عفوي، بل كانت لتزيين اللفظي كما هي عادة القدامى في كتاباتهم النثرية، لتحدث في تكرارها لحنا تطرب له الأذن وتستلذه النفس.

إن الكلمات والجمل المتوازنة في الرسالة تقدم طاقة إيقاعية ترفد الحجاج وتساهم في نجاحه، كونها ترفده موسيقيا لتحريك القلوب وتطريب الأنفس، إذ تناسقت المعاني والنغمات أحسن تناسق، وخلق قدر كبير من التجانس بين الصوت والمعنى.

مصادر البحث ومراجعه:

أولًا المصادر:

1. ابن حزم، مجموع رسائل ابن حزم- تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.

ثانيًا المراجع:

1. آمنة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار - نماذج من القرآن والحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
2. ابن رشد، أبو الوليد، تلخيص السفسطة، ت: محمد سليم يالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1972.
3. أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية - دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمَّان، ط2002،1.
4. أوستن، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
5. خليفة بوجادي، في اللسانيات التوليدية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي، دار بيت الحكمة، القاهرة.
6. سامية الدريري، الحجاج في الشعر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.
7. سليمان الخضري الشيخ، الفروق الفردية في الذكاء، دار الثقافة، القاهرة، 1982.
8. طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
9. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت.
10. محمد باز، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، الدار العربية للعلوم، القاهرة.
11. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1 2005.
12. محمد العبد، النص الحجاجي العربي - النقد الأدبي البلاغي، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، 2005 .

الرسائل:

1. محمد مشعالة، الاغتراب عند الإمام علي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، الجزائر، 2009.
2. هشام فروم. تجليات الحجاج في الخطاب النبوي - دراسة وسائل الإقناع، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، الجزائر، 2013.

الدوريات:

1. حكيمة بوقرومة، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر.
2. عبد الحفيظ غرس الله، التصوف الإسلامي والغيرية، حوليات التراث، جامعة باتنة، الجزائر، ع 4 ،2005.

الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته كما يراها معلمو المرحلة الثانية من التعليم الأساسي العام ببلدية الأبيار

إعداد

د. عيسى رمضان محمد مخلوف
أستاذ مشارك كلية الآداب والعلوم الأبيار
جامعة بنغازي

د. سامي سليمان حامد الزوي
أستاذ مشارك كلية الآداب والعلوم قمينس
جامعة بنغازي

الاستلام: 24/ 5/ 2021 القبول: 16/ 6/ 2021

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المدارس الأساسية ببلدية الأبيار، والتعرف على أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاتها كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي، ولقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الأساسي العام ببلدية الأبيار والبالغ عددهم (150) معلم ومعلمة، وتمثلت أداة الدراسة في استبانة تكونت من(42) عبارة مقسمة على ثلاث مجالات هي (وسائل الإعلام، الأدوار التربوية للإعلام المدرسي، معوقات الإعلام المدرسي)، ولقد بينت النتائج أن أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداما(الإذاعة المدرسية، المكتبة المدرسية، المسرح المدرسي)، وأن أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي(مساندة المعلمين والمعلمات لإيصال المعلومة وتعزيز القيمة التربوية بطرق أكثر تشويقا، تعريف الطلاب بواقع مجتمعهم وتاريخهم وأمجادهم، اكتشاف المواهب لدى الطلاب والاهتمام بها، إثارة وتنمية الميول والاهتمامات والرغبات الدراسية والمهنية لدى الطلاب)، وأن أهم معوقات الإعلام المدرسي(عدم توفر مركز إعلامي في كثير من المدارس، ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية، قلة الحوافز المادية والمعنوية للعاملين في الإعلام المدرسي، عدم توفر التمويل اللازم للإعلام المدرسي)، كما أكدت النتائج بأنه لا يوجد اختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري النوع والتخصص لدى المعلمين.

الكلمات المفتاحية: الأدوار التربوي، الإعلام المدرسي، المعلمين، التعليم الأساسي.

Abstract:

The study aimed to identify the most common school media used in basic schools in the municipality of Al-Abyaar, and to identify the most important educational roles of school media and its obstacles as seen by teachers in the basic education stage, and the descriptive analytical approach was adopted. The wells, who numbered (150) male and female teachers,The study tool was represented in a questionnaire consisting of (42) statements divided into three areas (media, educational roles of school media, obstacles to school media), and the results showed that the most used school media are (school radio, school library, and school theater), And that the most important educational roles of school media (supporting teachers to deliver information and enhance educational value in more interesting ways, familiarize students with the reality of their society, their history and their glories, discover talents among students and take care of them, stimulate and develop students' academic and professional tendencies, interests and desires), And that the most important obstacles to school media are (the lack of a media center in many schools, poor coordination between educational institutions and media institutions, lack of material and moral incentives for workers in school media, lack of necessary funding for school media), and the results confirmed that there is no difference in The responses of the sample members towards the educational roles of the school media and its obstacles according to the variables of gender and specialization of teachers.

Key words: educational role, school media, teachers, basic education.

مقدمة:

تعد وسائل الإعلام المدرسي أداة من أدوات التربية كونها تعكس جوانب متعددة من ثقافة المجتمع العامة ولاسيما أن مصادر المعلومات لم تعد مقتصرة على الأسرة أو المدرسة فحسب بل أصبحت وسائل الإعلام من المؤسسات التي يتلقى منها الطفل أضعاف ما يتلقاه في مدرسته أو من أسرته كما أصبح لها دور في تنشئة الجيل تنشئة اجتماعية انطلاقا من أهميتها التأثيرية في نمو الأفراد وتطورهم المعرفي والسلوكي. ويمكن من خلال الإعلام المدرسي إيصال الأفكار والرؤى وشرح القضايا إن أحسن إعداد البرامج بشكل يشد انتباه التلميذ ويجذبه إلى متابعتها .كما يمكن أن تكون وسيلة جيدة لاكتشاف القدرات الإعلامية بين الطلاب وتبنيها .وكذلك بناء شخصية الطالب وصقلها، وجعلها أكثر اجتماعية من خلال التواصل الاجتماعي مع الطلاب والمعلمين فى بيئة المدرسة، فهي عامل نشاط عقلي ووجداني يعبر فيه الطالب عن رغباته ومواهبه وآرائه) سليمان،2013، 45) وقد أصبح الإعلام المدرسي نشاطا تعليميا مكملا للنشاط الصفي غير منفصل عن العمل المدرسي، واستخدم استخداما مباشرا في العملية التربوية التعليمية، وخصصت برامج إذاعية تعليمية تساير المناهج الدراسية، وتقدم خبرات تعليمية متنوعة، ويتطلب استخدام الإعلام المدرسي بفعالية أن تتوافر الشروط المناسبة للاستماع الجيد في الصف، وإتاحة الفرصة للنقاش حول الموضوع الإعلامي، وصلته بالمقررات الدراسية، وحياة الطلاب)سليمان، 1999،.(23 كما أن الاهتمام ببرامج الإعلام المدرسي وإخراجها من الإطار التقليدي إلى إطار الإبداع والتشويق الجاذب لجمهور الطلبة بما يحقق زيادة المهارات الشخصية لدى الطلبة، وتدريب الطلبة على فنون الإعلام المدرسي، سواء الإذاعة المدرسية، أو الصحافة المدرسية وغيرها التي تصقل وتنمي من شخصية الطالب.وتعمل وسائل الإعلام المدرسي على إكساب الطلاب العديد من المهارات التي من أهمها: تعويد الطلاب على السرعة فى التفكير والتعبير، تنمية مهارات القراءة، الاستنتاج وإبداء الرأي، الاستماع الجيد، التفكير المبدع المستقل، صقل مواهب الطلاب وإبداعاتهم. كما يمكن الإعلام المدرسي الطلاب من مواكبة الحدث، وإعطائهم فرص المشاركة في التحدث عنه وتقديم آرائهم حوله ونقده وتقويمه وربطه بجوانب متعددة من جوانب الحياة. هذا إلى جانب دور برامج الإعلام المدرسي فى تعزيز قيم الانتماء الوطني.)المطيري، 2009، 34)، ومن هنا تظهر الحاجة اليوم إلى إعلام تربوي يسهم في التثقيف في جميع الجوانب) الأخلاقية، الاجتماعية، الإنسانية) إلى جانب التثقيف التربوي والتعليمي وبحاجة إلى الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة وتوظيفها في خدمة العملية التربوية خاصة أن دور المؤسسة الإعلامية لا يقل أهمية عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة الاجتماعية وأن التعليم عبر وسائل الإعلام يعتمد في جوهره على ترابط عضوي بين التعلم والترويح عن النفس بما يشكل حالة من التكامل بين أهداف المؤسسة التربوية والمؤسسة الإعلامية. لهذا اقتضت الحاجة

إلى معرفة الأدوار التربوية التي من الممكن أن يقوم بها الإعلام المدرسي في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي ببلدية الأبيار.

مشكلة البحث : لوسائل الإعلام المدرسي أدوارا هاما في تربية الطفل وتنمية شخصيته حيث تكسبه معرفة أشمل وفهما أعمق لعالمه المادي والاجتماعي وله أثر ملموس في صناعة التغيير التربوي المنشود والتغيير في الرؤى والمفاهيم والتطبيقات لغرس القيم وتثقيف الناشئة بما يساعد على تكيفهم مع مقتضيات العصر الحديث ويزودهم بآليات التفاعل والتعامل مع التطورات العلمية والتكنولوجية وبما يعزز لديه الشعور بالفخر والاعتزاز والانتماء إلى وطنه والارتباط مع مجتمعه ارتباطا وثيقا. وإذا كانت المدرسة لها مهمة تنشئة وإعداد أجيال اليوم للغد أصبح لزاما عليها التحكم في التدفق المعلوماتي لمختلف المجالات)التربوية، الاقتصادية، العلمية والتكنولوجية، والاجتماعية) لتمكين الأجيال من التكيف والتأقلم مع مستجدات العصر، ذلك أن المعلومات لها وظيفة تربوية في تشكيل مواقف واتجاهات الإنسان وفي بناء شخصيته. وهو ما يلزم عليها)المدرسة (أن تواكب هذا التطور بإدخال العملية الإعلامية وتقنيات الاتصال ضمن النشاطات التربوية الأساسية لبلوغ أهدافها وغاياتها المنشودة المتمثلة في تكوين إنسان مندمج في مجتمعه ومنضبط وفق قيمه وقوانينه ومتفتح على العالم. ويلقى على عاتق وسائل الإعلام بصفة عامة مهمة تربية وتعليم المجتمع، ورفع مستواه الحضاري، والنأي به عن الإسفاف والسطحية، والأطفال هم جزء من هذا المجتمع الكبير الذين يجب أن توجه لهم المشاريع التربوية الإعلامية، حيث أكدت الكثير من الأبحاث والدراسات على أهمية توظيف وسائل الإعلام المدرسي في خدمة العملية التعليمية لتقوم بدورها التربوي والتعليمي المرجو منها، ومن هذه الدراسات، دراسة كل من(خليل2018، علي2016، عامر2013) وغيره من الدراسات والأبحاث. ويتضح مما سبق أننا في أمس الحاجة إلى إعلام مدرسي يمتلك من المقومات والبرامج التي تؤهله لتحقيق أهدافه التربوية والتعليمية، كما أننا بأمس الحاجة لإجراء أبحاث لمعرفة الأدوار التربوية للإعلام المدرسي في البيئة الليبية نظراً لقلة الأبحاث في هذا المجال، لهذا رأى الباحثين ضرورة تحديد مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

1. ماهي أهم وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المرحلة الأساسية ببلدية الأبيار؟
2. ما هي أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي؟
3. هل يوجد اختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري (النوع، التخصص) لدى المعلمين؟

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى ما يلي:

التعرف على أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المدارس الأساسية ببلدية الأبيار.

التعرف على أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي.

معرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري (النوع، التخصص) لدى المعلمين.

أهمية البحث: يمكن تحديد أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- تدخل هذه الدراسة في إطار تدعيم الدراسات العلمية المهتمة بمجال الأدوار التربوية لاسيما ما يرتبط بالإعلام المدرسي.

- كما تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية المفاهيم التي تتناولها، حيث تناولت مفهوم الإعلام المدرسي الذي له أهمية خاصة، فهو الأساس لبلورة تصورات التلميذ وهو الذي يكشف عن قدرات وإمكانيات التلميذ لمساعدته على الاختيار الأنسب والملائم لإمكانياته كذلك مفهوم الدور التربوي والاعلام المدرسي اللذان يعتبران مجال دراسة علماء النفس والتربية.

- تعتبر المرحلة الأساسية المرحل الأهم في العملية التعليمية فهي بوابة المرحلة الثانوية كونها البداية الحقيقية للانتقال من مرحلة الأساسية الي المرحلة الثانوية.

- كما تكتسب الدراسة أهميتها من خلال النتائج التي ستتوصل إليها، والتي تعتبر بالتأكيد إضافة جديدة في ميدان البحث العلمي وفي التخصص التربوي.

حدود البحث:

1 -حدود بشرية: اقتصرت الدراسة على معلمي المرحلة الثانية من التعليم الأساسي العام.

2 -حدود موضوعية: الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته.

3 -حدود مكانية: أجريت الدراسة في نطاق بلدية الأبيار.

4 -حدود زمنية: تم تطبيق الدراسة خلال العام 2021.

مصطلحات البحث:

1 - الإعلام المدرسي: هو كافة الأنواع والأساليب التي تتم داخل المدرسة أو المؤسسة التعليمية، سواء قام بها التلاميذ أنفسهم تحت إشراف أساتذتهم أو ساهمت به الإدارة المدرسية، وذلك بهدف تيسير العملية التعليمية من جانب أو إتاحة الفرص أمام الطلاب لإظهار مواهبهم، والتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم، وآمالهم، وطموحاتهم من جانب أخر. (يوسف،2006،119)

ويعرف أيضا على أنه: إعلام التلاميذ وكذلك المعلمين، فيما يخص نقاط القوة والضعف التي تؤثر على عملية التعلم. (حمدي،2009،156)

ويعرف إجرائيا بأنه: مجموعة الأنشطة التي يمارسها التلاميذ تحت إشراف أخصائي الصحافة والإذاعة المدرسية، والمسرح الدراسي، والمجلة المطبوعة.

2 - الأدوار التربوية للإعلام المدرسي: وهي عبارة عن مجموعة من المهام والواجبات التربوية والتي من المفترض أن يقوم بها الإعلام المدرسي من خلال وسائله المتعددة، وسيعبر عن هذا الأدوار في الدراسة الحالية من خلال استجابة

معلمي التعليم الأساسي على بنود الاستبانة المعدة في هذه الدراسة.

3 - التعريف الإجرائي لمعوقات الإعلام المدرسي: وهي مجموعة من العقبات والتحديات التي تعترض عمل الإعلام المدرسي وتحول دون تحقيق أهدافه بالصورة المطلوبة، أو كما يقيسه المجال المحدد للمعوقات في الاستبانة المصممة في هذه الدراسة.

الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الإعلام المدرسي: لغة: كلمة إعلام مشتقة من العلم. تقول العرب استعمله الخبر فأعلمه إياه أي سار يعرف الخبر فالمعنى هو نقل الخبر (أحد ادن، 14،2002)، وتعددت مفاهيم الإعلام المدرسي بحسب الأدوار التي يقوم بها في المدرسة فقد عرفه (يوسف 2006، 119) بأنه: كافة أنواع الاتصال، وأساليبه التي تتم داخل المدرسة، أو المؤسسة التعليمية سواء قام بها التلاميذ أنفسهم تحت إشراف أساتذتهم، أو ساهمت به الإدارة المدرسية، وذلك بهدف تيسير العملية التعليمية من جانب، أو إتاحة الفرصة أمام التلاميذ لإظهار مواهبهم، والتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم، وطموحاتهم من جانب آخر. ويعرف الإعلام المدرسي اصطلاحا بأنه: " عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وصادقة وموضوعات دقيقة ووقائع محددة وأفكار منطقية وأراء راجحة للجماهير التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعتبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم عن طريق وسائل الإعلام المختلفة" (يعقوب، 204،2002)، والإعلام المدرسي هو نشر المعلومات في الأوساط المدرسية والتي تكون بإمكانها إفادة المتعلمين في مختلف المجالات الدراسية والمهنية والتي تساهم في عملية التكوين الأكاديمي أو التمهين بحيث تقدم هذه المعلومات بطريقة مقنعة ومؤثرة تمكنهم من الارتقاء إلى مستوى الحوار والنقاش ومد الآراء بعد تثقيفهم وتنوير عقولهم الأمر الذي يؤدي بم إلى التعبير عن أراءهم واتجاهاتهم وميولتاهم نحو مختلف المواضيع. (خالد، 20،2008)

ثانياً: أهمية الإعلام المدرسي: للأعلام المدرسي أهمية كبيرة، وأثر بالغ، وأدوار فاعلة في إعداد النشء، وتتضح أهمية الأعلام المدرسي كما أوردها عدد من التربويين في النقاط الرئيسية التالية:

- تنمية حب القراءة، والبحث، الاطلاع، والإلمام بالأخبار، والأحداث الجارية، مما يوسع مدارك التلاميذ، ويزيد معرفتهم، وينمي ثقافتهم.
- اكتشاف المواهب، والقدرات الكامنة، وتشجيعها، والعمل على تنميتها، وذلك بتبني أصحابها، وتوجيه قدراتهم التوجيه السليم. (يوسف، 2006 ،93)
- الاعلام المدرسي هو لسان حال التلاميذ المعبر عن أفكارهم، وآرائهم، وجهودهم، والعامل على عالج مشكلاتهم.
- الاعلام المدرسي دور في شرح ما تعذر فهمه من نقاط في المناهج المقررة،

عن طريق استضافة المعلمين الخبراء، أو عن طريق الصحف، والمجلات، أو إجراء المسابقات، مما يوجد لدى التلاميذ روح المنافسة الشريفة، ويحفزهم على تلقي العلم والإقبال على الدروس في همة، ونشاط.

- تنمية مهارات التواصل لدى التلاميذ، واستخدام اللغة العربية الفصحى، والإلقاء السليم، وتنمية التذوق الفني، والإحساس بالجمال. (شحاته،2002،210)

ثالثاً : أهداف الإعلام المدرسي: يرتكز الدور التربوي للإعلام المدرسي على تحقيق الأهداف التالية:

1- إدراك قدرات التلاميذ الحقيقية.

2- ممارسة اختيار موضوعي بعيد عن التصورات الاجتماعية والاعتبارات الذاتية للتوجيه.

3- إثارة وتنمية الميول والاهتمامات الغامضة أو المشوهة لدى بعض الطلاب.

4- تربية المواقف والسلوكيات وتهذيبها لتمكين التلاميذ من تحقيق النضج الفكري والنفسي الضروري في مرحلة الاختيارات المصرية وهذه التربية تساعد التلاميذ على تكوين المهارات والطرق الفكرية لمعالجة الواقع واستخدامه حسب أغراضهم.

5 - تمكين التلميذ من إعطاء معنى لدراسة بإقامة علاقة بين النشاطات الدراسية واندماجه الاجتماعي والمهني المستقبلي.

6 - تمكين التلاميذ من إعطاء معنى لحياتهم وتثقيفهم مع إكسابهم السلوكيات والمهارات التي تسمح لهم بالتكفل بأنفسهم فيما يخص توجههم الدراسي والمهني. (الدليمي ،2012،200)

7 - تنمية حب القراءة، والاطلاع والإلمام بالأخبار الأحداث الجارية مما يوسع مدارك التلاميذ ويزيد معرفتهم وينمي ثقافتهم.

8 - اكتشاف المواهب، والقدرات الكامنة وتشجعها والعمل على تنميتها، وذلك بتبني أصحابها وتوجيه قدراتهم التوجيه السليم.(الأحمدي،2010،10)

رابعاً: أنشطة الإعلام المدرسي:

1 - الإذاعة المدرسية: تعد من وسائل الإعلام التربوي الهامة داخل المدرسة، بحيث يمكن من خلالها إيصالا للأفكار والرؤى وشرح القضايا إن أحسن إعداد البرامج بشكل يشد انتباه التلميذ ويجذبه إلى متابعتها.

كما يمكن أن تكون وسيلة جيدة لاكتشاف القدرات الإعلامية بين الطلاب وتبنيها. وكذلك بناء شخصية الطالب وصقلها، وجعلها أكثر اجتماعية من خلال التواصل الاجتماعي مع الطلاب والمعلمين فى بيئة المدرسة، فهي عامل نشاط عقلي ووجداني يعبر فيه الطالب عن رغباته ومواهبه وآرائه.)سليمان،2013، 23)، وتبدو أهمية الإذاعة كأحد الأنشطة الطلابية من خلال قدرتها على استثمار أوقات الفراغ لدى التلاميذ

لما فيه منفعتهم الذاتية كأفراد ومنفعة البيئة المدرسية، والمجتمع ككل، وهي

بذلك تساعد على تحقيق الأهداف التربوية، وتنمية المهارات والعلاقات الاجتماعية، وقدرات الطلاب الذاتية، وتحفيزهم بشكل سليم بالإضافة إلى تحقيق الشخصية المتكاملة للطالب عقليا، وجسديا، ونفسيا، واجتماعيا. هذا بالإضافة إلى أن الإذاعة لها تأثير فعال ومباشر فى تنمية قدرات الطلاب وتشجيع مواهبهم وهواياتهم.) معوض،1998: 21)

2 - الصحافة المدرسية: هي وسيلة ثقافية إعلامية لها فاعلية القيادة، والتوجيه في المدرسة، وتساهم في تكوين الفكر الموضوعي والناقد وصناعة الرأي داخل المدرسة (أبو سمرة، 169،2009)، وتعتبر الصحافة المدرسية نشاط حر ينفذ داخل المدرسة، ويقوم الطالب بالعبء الأساسي فى إصدارها، تحريرا، وإخراجا، وطباعة، وتوزيعا، بإشراف أخصائي الإعلام التربوي، وتخاطب مجتمع المدرسة من طلاب ومعلمين وأولياء أمور. وتلتزم بالقواعد التي تحكم المؤسسة فيما تنشره من مواد، مع إتاحة الفرصة للطلاب للتعبير عن أراءهم بقدر من الاستقلالية والمسئولية التي تنمى جوانب إبداعية وتربوية من خلال فنون الكتابة الصحفية. ويمكن أن تكون وسيلة جيدة لاكتشاف القدرات الإعلامية بين الطلاب وتنميتها، إضافة إلى أهميتها في تأصيل القيم التربوية ونشر الثقافة بمفهومها الواسع في المدرسة. وانطلاقا من الدور التربوي الكبير الذي تلعبه الصحافة في تربية النشء، زاد الاهتمام بالصحافة المدرسية، سواء أكانت صحيفة عامة للمدرسة، أم صحف الحائط أم صحف الأسر المدرسية، وذلك يؤدي إلى تنمية مواهب واستعدادات الطلاب الصحفية. وتدريبهم على الصدق والأمانة والنزاهة والموضوعية وتغطية كافة المجالات الصحفية، كما اتجهت المؤسسات التربوية إلى تشجيع القراءة الحرة، ومناقشة بعض الموضوعات الصحفية لتدريب الطلاب على التمييز بين الغث والسمين في هذه الموضوعات. (أبوزيد،1999، 92)

وتؤدي الصحافة المدرسية دورا عظيما في تدريب الطلاب على القراءة النقدية الواعية ومهارة تفسير المعلومات، والتعبير عن آرائهم وتنمية الصفات الخلقية والشخصية. ومن أنواع الصحف المدرسية، الصحف المكتوبة وتنقسم إلى: أ-صحيفة الفصل: هي صحيفة يقوم بإعدادها فصل واحد تحت إشراف أخصائي الإعلام التربوي ولها اسم وشعار ثابت وتصدر بصفة دورية منتظمة وتقدم كافة الفنون الصحفية وكافة فنون الإخراج المختلفة.ب-صحيفة المدرسة: وتعبر عن المدرسة كلها ويمكن أن تعطى صورة كاملة عن المدرسة. ج صحيفة الفصل وصحيفة الفرقة أو الصف: ويصدرها طلاب فصل أو فرقة أو صف لهم اهتمامات مشتركة ويشتركون فى دراسة منهج واحد وأعمارهم متقاربة. د-صحيفة الربع ساعة: وهي عبارة عن صحيفة صغيرة تأخذ شكلا معينا بها موضوع واحد يقرأ فى ربع ساعة. هـ- الصحيفة الطائرة :حيث يكتب كل تلميذ فى موضوع ما، فيكتب هذا مقالا ،وذلك يجرى تحقيقا، وآخر أخبارا مدرسية، وآخر تقريرا ،وآخر خاطرة، وتجمع كلها فى كراسة فى حجم واحد وبترتيب معين).عبد الحميد،2007، 45)

3 – المسرح المدرسي: يعد المسرح المدرسي من الوسائل الإعلامية المهمة في المجتمع المدرسي، لهذا تم الاهتمام بتحديد مفهومه وتعريفه وتبيان دوره في العملية التربوية، فقد عرف (ميلاد،2009، (166المسرح المدرسي بأنه: مسرح تربوي، تعليمي، يهدف إلى تهذيب المتعلم وترفيهه، وبالتالي فهو موجه للتلاميذ والأطفال الصغار، ويخاطب فيهم مداركهم الذهنية، ومشاعرهم الوجدانية، ويقوي فيهم جوانبهم الحسية-الحركية، أما فضاء هذا المسرح فهو المدرسة أو المؤسسة التربوية كيفما كانت طبيعتها القانونية: مؤسسة خاصة أم عامة. وعرفه (خليفة،2007، 22) بأنه: ذلك المسرح الذي يستخدم التمثيل داخل المؤسسة التربوية لتحقيق الأهداف سواء كانت أهداف عامة أو خاصة، ويشرف عليه المعلم، ويستهدف الجوانب الفكرية، والوجدانية، والحسية واللغوية. وعرفت (النباهين،2011، 11) المسرح المدرسي بأنه: مجموعة النشاطات المسرحية بالمدارس التي تقدم فيها المدرسة أعمالا مسرحية لجمهور يتكون من الزملاء، والأساتذة، وأولياء الأمور، وهي تعتمد أساسا على إشباع الهوايات المختلفة للتلاميذ، كالتمثيل والرسم والموسيقى كل ذلك تحت إشراف معلم التربية المسرحية. ويعرفه (أبو هداف،2009،16) بأنه: مسرح تربوي تعليمي يتم في البيئة المدرسية سواء كان مادة دراسية تخضع لعملية التدريس أو كان نشاطا يتحرر من طابع الدرس النظامي، ويشمل كل الأنشطة التي تحددها المدرسة. وللمسرح دورا تربويا واجتماعيا بارزا في المدرسة، فهو يعمل على تطوير وتنمية شخصية التلميذ، وهو وسيلة لتنمية ميول التلاميذ واهتمامهم، وفرصة للكشف عنها(عزوز،2010، 92)، كما يساعد في إكساب الخبرات وتعديل السلوك، حيث يتعلم التلاميذ أشياء يصعب عليهم تعلمها في الصف، فعن طريق النشاط المسرحي يمكن أن يتزود التلاميذ بالمهارات، والخبرات الاجتماعية ، والخلقية، والعلمية، كالتعاون مع الغير، وتحمل المسؤولية، والقدرة على ضبط النفس، واحترام العمل اليدوي، واحترام الآخرين، واحترام شعورهم ورغباتهم، والاعتماد على النفس، والثقة بها(المنيف،1996، 22)، كما أن الأنشطة المسرحية تقوم على خلق أجواء ومواقف تعليمية شبيهة ومماثلة لمواقف الحياة الخارجية، مما يدفع بالتلميذ إلى استخدام ما تعلمه في الصف، ويدفعه إلى فهم العالم الخارجي، ويسهم النشاط المسرحي بالمدرسة في تثبيت المفاهيم وإدراكها في أثناء عملية التعلم لدى التلاميذ فهو يكسبها جانبا كبيرا من التغيير في عملية التعليم لعملية التعليم أكثر حيوية وفعالية، ويحل الكثير من مشكلات التلاميذ المتعلقة بالمنهج المدرسي، والتأخر الدراسي.(عبد الوهاب، 1998،22)

4 – المجلة المدرسية: تعتبر المجلة المدرسية المطبوعة أحد وسائل الاعلام التربوي وهي كغيرها تؤدي أيضا وظيفة مزدوجة فهي من ناحية تهدف الي توجيه وارشاد الطلاب وتوعيتهم وتنمية شخصياتهم ومن ناحية أخرى فهي وسيلة تدريب المواهب من الطلبة والطلبات في كتابة الصحيفة، والفنون المختلفة ونشر

ابداعاتهم في الشعر والقصة والرسوم الساخرة والصورة الصحفية (علي،2012، 55)، والمجلة المدرسية من أهم الأنشطة المدرسية التي تحقق أهدافا تعليمية وتربوية كثيرة. وهي واحدة من وسائل تنشيط المتعلمين وجعلهم محبين لمدارسهم، وهي أهم أنشطة تفعيل الحياة المدرسية، كونها منبرا وفرصة لهم للتعبير عن اهتماماتهم وآرائهم وأفكارهم وكل ما يخالج صدروهم. وغالبا ما تتكون المجلة الحائطية من حامل خشبي أو ورقي تعلق عليه مختلف إنتاجات وأعمال المتعلمين من قصاصات وأخبار وخواطر ومعلومات. والمجلة الحائطية قد تكون داخل الفصل الدراسي فتسمى مجلة القسم وقد تكون خارجه فتسمى مجلة المدرسة. وتعكس المجلة الحائط الثقافة المدرسية في المدرسة وهي نشاط جميل ومهم في كل مدرسة. (http://www.hyatiy.top)

والمجلة المدرسية بنظرنا مثل أي مجلة أخرى تعتبر وسيلة إعلامية هامة تهدف إلى أمور عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:(مدونة التنمية البشرية، http://www.altanmiya.org)

أ - تعريف المجتمع وأولياء الأمور بنشاطات الطلاب في المدرسة.

ب - بتوصيل الأخبار العلمية والثقافية للطلاب كذلك الرياضية كي يواكبوا التطورات والمستجدات في العالم.

ج- التعبير عن أفكار الطلاب ونظرتهم للمستقبل.

د- تنمية المهارات اللغوية والكتابية والفكرية للطلاب.

هـ- تنمية الميول الأدبية والشعرية.

إن بعض ما ذكرناه هو ما تطالبنا به التربية الحديثة والمناهج الجديدة التي بدأ تطبيقها لتحسين نوعية التعليم. فإصدار المجلة المدرسية يلبي إذن هدفاً من أهداف البرامج الجديدة من حيث إعطاء الطالب دوراً رئيسياً في عملية التعلم لإعداده إعداداً تربوياً سليماً ومواطناً صالحاً يساهم في تقدم وتطوير المجتمع. فالمجلة ليس هدفها الدعاية والاعلام للمدرسة إنها بحق جزء أساسي من النشاطات اللاصفية التي ينبغي أن ترافق العملية التعليمية الأكاديمية المباشرة. خامساً: الأدوار التربوية للإعلام المدرسي: أن التربية والإعلام يهدفان إلى تغيير سلوك الفرد، والإعلام التربوي يعرف بأنه "استثمار وسائل الإعلام من أجل تحقيق أهداف التربية في ضوء السياستين التعليمية والإعلامية وتوظيف وسائله في توثيق العلاقة بين مجالات العمل المدرسي من جهة والجهات التعليمية المعنية بها من جهة أخرى. "(حمدان،2004، 51)، ويعرف على أنه" كافة أنواع الاتصال وأساليبه التي تتم داخل المدرسة، أو المؤسسة التعليمية سواء قام به التلاميذ أنفسهم تحت إشراف أساتذتهم، أو ساهمت به الإدارة المدرسية، وذلك بهدف تيسير العملية التعليمية من جانب، أو إتاحة الفرصة أمام الطلاب لإظهار مواهبهم، والتعبير عن آرائهم، واتجاهاتهم، وآمالهم، وطموحاتهم من جانب آخر"(يوسف ،20،119 06).

نستشف مما سبق أنه لا غنى عن الإعلام المدرسي حيث أنه يمثل صلب العملية التعليمية حيث يعتبر المرآة العاكسة والصادقة لما يدور في المجتمع المدرسي بصفة عامة، كما أن للإعلام المدرسي أهمية بالغة الأثر على الناشئة من حيث الإعداد الصحيح من خلال الإلمام الجيد بالأخبار والأحداث التي تشغل الساحة. كما أنه يسهم في تنمية حب القراءة والاطلاع كما يسمح للتلاميذ بالتعبير عن أفكارهم وآرائهم، ومن ثم اكتشاف مواهبهم وقدراتهم الكامنة. بالإضافة إلى تنمية مهارات التواصل لدى التلميذ بحيث يتمرن على استخدام اللغة العربية الفصحى والإلقاء السليم. لأن الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ترتكز على تحقيق جملة من الأهداف أهمها: (إسماعيل، 2018، 138-137)

1 - توعية وتثقيف وتعليم الطلاب وتنمية الاهتمامات والرغبات الدراسية والمهنية لديهم.

2 - تدريب الطلاب على جمع المعلومات وإثارة القدرات الفكرية لديه.

3 - تربية المواقف والسلوكيات وتهذيبها لتمكين التلاميذ من تحقيق النضج الفكري والنفسي. الذي يمكنه من تكوين المهارات والطرق الفكرية لمعالجة الواقع واستخدامه حسب أغراضهم.

4 - تبادل المعلومات ونقلها بين الطلاب دفاتر مخبر المسألة التربوية في ليبيا في ظل التحديات الراهنة.

5 - الربط بين محتوي الثقافة المدرسية والمناهج الدراسية، وتمكين الطالب من إقامة علاقة بين النشاطات الدراسية واندماجه المهني والاجتماعي المستقبلي.

6 - تدريب الطلاب علي التعاون والعمل الجماعي.

7 - ترسيخ القيم الدينية الاجتماعية لدى الطلاب.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن أهم الأدوار التي يقوم بها الإعلام المدرسي في تنشئة الطلاب يكمن في إكساب تلاميذ المدارس عدة مهارات منها اللغوية، والاجتماعية، والنفسية، بالتالي وجب على المسؤولين في المدرسة وحتى الأولياء العناية بالبرامج المقدمة من خلال الوسائل المقروءة الورقية أو الوسائل المسموعة والمرئية (الصحافة المدرسية، والإذاعة المدرسية، المسرح المدرسي).

سادساً: معوقات الإعلام المدرسي: يمكن تحديد بعض المعوقات التي تواجه الإعلام المدرسي:

1 - عدم توفر الإمكانيات والوسائل المادية.

2 - ازدحام اليوم الدراسي بالحصص وعدم وجود ساعات للحصص الإعلامية ضمن البرامج الأسبوعية. (نورة وسعدي، 2015، 118)

3 - فتقار الأنشطة الإعلامية إلى المشرفين المؤهلين في المجال الإعلام المدرسي.

4 - عدم إيمان بعض كبار المسئولين بالعملية الإعلامية في مجال التعليم مما يعرقل توفير الميزانيات والمعلمين اللازمين (الضبع، 2009، ص 93).

5 -منافسة وسائل الإعلام العامة لوسائل الإعلام المدرسي بتقنياتها المتعددة.

6 – ندرة الأجهزة والوسائل التقنية لتوظيفها في الإعلام المدرسي. (البريدي، 2011، 1)

الدراسات السابقة:

دراسة: إسماعيل الأعور(2017) بعنوان: دور الاعلام المدرسي في تفعيل عملية الاختيار الدراسي لدي التلاميذ في مرحلة التعليم الثانوي. هدفت الدراسة الحالية الى معرفة واستكشاف الدور الذي يلعبه الاعلام المدرسي في تفعيل عملية الاختيار الدراسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي وذلك حسب اراء التلاميذ حيث اعتمد الباحث على المنهج الوصفي الاستكشافي واشتملت الدراسة على عينه بلغ حجمها (130) تلميذ وتلميذة متمدرسين في السنة الاولى ثانوي باختلاف الجذع المشترك وباختلاف الجنس، وذلك ببعض مؤسسات التعليم الثانوي بمدينة ورقلة. استخدم الباحث الاستبيان كأداة لجمع بينات الدراسة، واستخدم النسبة المئوية لغرض المعالجة الاحصائية، فتوصل الى النتائج التالية: للأعلام المدرسي دور ضعيف وغير واضح في حث التلاميذ على الاستعلام والبحث الذاتي عن كل ما يتعلق بالتخصصات الدراسية، للأعلام المدرسي دور واضح وبنسبة مقبولة في مساعدة التلاميذ على معرفة واستكشاف قدراتهم وامكانياتهم التي ستؤهلهم للالتحاق بمختلف التخصصات الدراسية، للأعلام المدرسي دور واضح وبنسبة مقبولة في مساعدة التلاميذ على معرفة الآفاق المستقبلية لمختلف التخصصات الدراسية في سوق العمل وكذا المجتمع الواسع.

دراسة: فتيتي، حمدي (2015) بعنوان: مساهمة الاعلام المدرسي في تحديد الاختيارات الدراسية والمهنية لدي التلاميذ. هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة ما إذا كان الإعلام المدرسي يساهم في تحديد الاختيارات الدراسية والمهنية من وجهة نظر تلاميذ السنة الأولى ثانوي، ومعرفة ما إذا كانت هذه المساهمة تختلف باختلاف بعض المتغيرات، وقد تحددت الدراسة بالمنهج الوصفي الاستكشافي، وتم إجراء الدراسة على (100(تلميذ وتلميذة من تلاميذ السنة أولى ثانوي، وقد اعتمدت الدراسة على استبيان تم إعداده من طرف الباحثتين وطبق بعد دراسة بعض خصائصه السيكو مترية والتأكد من صلاحيته للاستخدام على عينة الدراسة الأساسية، وكانت الأساليب الإحصائية المستخدمة مقتصرة على النسبة المئوية (%) واختبار "ت" لدلالة الفروق بين متوسطي عينتين مستقلتين، إذا تم التوصل إلى أن الإعلام المدرسي يساهم في تحديد الاختيارات الدراسية والمهنية من وجهة نظر تلاميذ السنة أولى ثانوي، وأن هذه المساهمة لا تختلف باختلاف الجنس ولا باختلاف التخصص الدراسي.

دراسة: بن دنية ميلود (2015) بعنوان: فعالية الاعلام المدرسي في تفعيل الاستعلام الذاتي واتخاذ القرار الدراسي السليم (دراسة ميدانية). هدفت إلى معرفة مدى تأثير وإسهام الإعلام المدرسي على بلورة وتشكيل اختيارات دراسية موضوعية لتلاميذ السنة الأولى ثانوي. ومساهم ته في حث التلاميذ على الاستعلام الذاتي حول المسارات والتخصصات الدراسية، والى أي مستوى يمكن أن تتباين

درجة التأثير المنتظرة من الإعلام المدرسي انطلاقا من اختلاف التخصص الدراسي، وأجريت الدراسة على عينة تتكون من 150 تلميذ من تلاميذ السنة الأولى ثانوي للجذعين المشتركين علوم وتكنولوجيا وآداب بثانوية لعزب أحمد بمدينة جدوييه ولاية غليزان. باعتماد الاستمارة كأداة لجمع البيانات. وأسفرت نتائج الدراسة على: أن الإعلام المدرسي يعمل على إثارة وحث التلاميذ على البحث والاستعلام الذاتي حول المسارات والتخصصات الدراسية ومحرجات الدراسية والمهنية انطلاقا من إثارة التساؤلات والبحث عن الإجابات. كما يعد وسيلة تربوية أساسية تساهم في تشكيل وصياغة اختيارات دراسية تنطلق من تصورات واقعية حول مشروع دراسي مهني.

دراسة: البريدي، سكرة علي حسن(2011) بعنوان: اتجاهات المدرسين نحو العناصر الاتصالية في الإعلام المدرسي وفاعليتها في العملية التعليمية (دراسة ميدانية): هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات المدرسين كأحد أهم أفراد المجتمع المدرسي نحو العناصر الاتصالية المختلفة وفاعليتها في العملية التعليمية، واستخدمت منهج المسح الإعلامي ومنهج دراسة العلاقات المتبادلة. وطبق البحث على 200 مفردة بمدارس الريف والحضر وتم استخدام الاستبيان كأداة لجمع البيانات، وجاءت أهم نتائج الدراسة كما يلي: -1وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات العينة في الريف واتجاهات العينة في الحضر نحو أخصائي الإعلام المدرسي. 2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات العينة في الريف واتجاهات العينة في الحضر نحو الرسالة الإعلامية المقدمة عبر وسائل الإعلام المدرسي. 3. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات العينة في الريف واتجاهات العينة في الحضر نحو الطلاب الغير مشاركين في نشاط الإعلام المدرسي. 4. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات العينة في الريف واتجاهات العينة في الحضر نحو الطلاب المشاركين في نشاط الإعلام المدرسي. وكانت من أهم معوقات العمل الإعلامي داخل المدرسة من وجهة نظر العينة هو ندرة الأجهزة والوسائل التقنية لتوظيفها في الإعلام المدرسي، أما من أهم المعوقات التي يواجهها الإعلام المدرسي في البيئة الخارجية للمدرسة من وجهة نظر العينة هو منافسة وسائل الإعلام العامة لوسائل الإعلام المدرسي بتقنياتها المتعددة بنسبة 99%.

دراسة: وليم (2009) في أمريكيا بعنوان: الصحافة المدرسية كما يدركها طلاب المدرسة الثانوية وعلاقتها بالمناخ التنظيمي. هدفت الدراسة إلى تعرف الصحافة المدرسية من وجهة نظر طالب المرحلة الثانوية وعالقة هذه معلماً الصحافة بالمناخ التنظيمي للمدرسة. وتكونت عينة الدراسة من (767) من معلمي المدارس الثانوية، و(888) طالباً من طالب المرحلة الثانوية من (18) مدرسة ثانوية في والية إنديانا الأمريكية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، معتمدا على الاستبانة كأداة للدراسة، وبينت النتائج ما يلي: الصحافة المدرسية تلعب دور هاما في تثقيف الطالب وتوعيتهم بقضايا البيئة المدرسية، تلعب الصحافة المدرسية

في إقامة العلاقات الإنسانية بين أفراد المنظمة المدرسية من خلال خلق مناخ تنافسي بين المعلمين، وعدم وجود فروق بين المعلمين المشرفين على الصحافة المدرسية في آرائهم بالدور الذي تقوم به الصحافة في مساعدة المتعلمين وتثقيفهم وتوعيتهم.

التعقيب على الدراسات السابقة: اختلفت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث مكان الدراسة فقد أجريت هذه الدراسة في ليبيا أما الدراسات السابقة فقد أجري بعض منها في الجزائر مثل دراسة(الأعور 2017، فتيتي2015، بن دنية2015) وفي مصر كدراسة(البريدي2011)، وفي أمريكا كدراسة(وليم2009)، واختلفت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها للأهداف حيث بعضها تناول دور الإعلام المدرسي في عملية الاختيار الدراسي مثل دراسة(الأعور 2017، فتيتي2015، بن دنية2015)، والبعض الأخر تناول اتجاهات المدرسين نحو العناصر الاتصالية في الإعلام المدرسي وفاعليتها في العملية التعليمية مثل دراسة (البريدي2011)، وكان هدف دراسة(وليم2009) على معرفة علاقة الصحافة المدرسية بالمناخ التنظيمي، بينما كان هدف الدراسة الحالية التعرف على الدور التربوي للإعلام المدرسي، واتفقت بعض الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية من حيث فئة العينة التي كانت المعلمين والمعلمات مثل دراسة (البريدي2011) بينما اختلفت بقية الدراسات في نوع العينة مع الدراسة الحالية والتي كانت الطلاب، كما اتفقت جميعها مع الدراسة الحالية في اعتمادها على الاستبانة، أما بالنسبة للنتائج فقد كانت أغلب الدراسات السابقة مختلفة مع نتائج الدراسة الحالية نظراً لاختلاف الأهداف ولكن تعتبر دراسة(البريدي2011) هي الأقرب قليلاً للدراسة الحالية من حيث تناولها لمعوقات الإعلام المدرسي.

منهج الدراسة: تسعى الدراسة إلى معرفة الدور التربوي الذي من الممكن أن يقوم به الإعلام المدرسي في المرحلة الثانية من التعليم الأساسي ببلدية الأبيار، لذلك تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي باعتباره منهجاً مناسباً لتحقيق أهداف الدراسة. ويتضمن المنهج الوصفي بالإضافة إلى جمع البيانات والمعلومات والحقائق ووصفها وتبويبها، قدراً من التفسير والتقييم لهذه البيانات.

مجتمع الدراسة: يعرف مجتمع الدراسة بأنه مجموعة من الأفراد يشتركون في خصائص معينة التي

يسعى الباحث إلى الحصول على البيانات منها أو عنها. (الهمالي: 1994: ص154) ويتكون مجتمع الدراسة

الحالية من معلمي المرحلة الثانية من التعليم الأساسي العام ببلدية الأبيار، والبالغ عددهم (1238) معلم

ومعلمة، ولقد تم الاعتماد على الإحصائية الصادرة من شئون التربية والتعليم ببلدية الأبيار. (إحصائية صادرة عن شئون التربية والتعليم ببلدية الأبيار 2021).

ت	المدرسة	معلمين	معلمات	المجموع	ت	المدرسة	معلمين	معلمات	المجموع
1	ابن سينا	16	20	36	18	توفيق العبار	0	22	22
2	أبوبكر الصديق	3	57	60	19	حميد فضل الله	0	22	22
3	ابو عبيدة ابن الجراح	3	45	48	20	خالد بن الوليد	0	50	50
4	الانتفاضة	8	70	78	21	سيدي اللافي	5	8	13
5	الجلاء	6	72	78	22	سيدي مهيوس	5	40	45
6	الحرية	18	5	23	23	شهداء الأبيار	4	60	64
7	الحي الغربي مسوس	2	12	14	24	شهداء السلاوي	0	25	25
8	صلاح قليوان	3	54	57	25	شهداء ليبيا	2	17	19
9	عطية النايض	15	5	20	26	عقبة بن نافع	8	37	45
10	الفجر الجديد	0	31	31	27	عقيلة المجدوبة	7	21	28
11	المجد	0	53	53	28	علي الشرع	3	33	36
12	التهامي شحات	0	27	27	29	عمر بن الخطاب	7	49	56
13	حسن بوخروبة	4	13	17	30	عمر بن عبد العزيز	5	19	24
14	حمد مصطفى	3	50	53	31	فاطمة الزهراء	0	38	38
15	سالم بكار	0	25	25	32	قصر الشريف	11	9	20
16	الكرامة	0	20	20	33	كاف بوقرين	4	26	30
17	بومريم	5	40	45	34	شهداء أسقفه	6	10	16
	المجموع	86	599	685		المجموع	67	486	553

جدول(1) يبين توزيع مجتمع الدراسة على مدارس التعليم الأساسي ببلدية الأبيار

عينة الدراسة: العينة هي جزء من المجتمع يتم اختيارها من بين مفرداته بحيث تكون ممثلة له، وعلاقة العينة بالمجتمع تعتمد على الطريقة التي تم الاعتماد عليها عند اختيارها، وأسلوب العينة يحقق للباحث فوائد عدة منها تقليل الكلفة المادية للبحث، واختصار الوقت والجهد، والدقة في النتائج خصوصاً في حالة تجانس أفراد مجتمع الدراسة (عليان،وغنيم: 2008 :ص150)، لهذا تم اختيار عينة عشوائية طبقية من معلمي ومعلمات المرحلة الثانية من التعليم الأساسي بلغ حجمها (150) معلم ومعلمة، وبمقدار 12% من مجتمع الدراسة خلال العام الدراسي 2021، والجول (2) يبين توزيع عينة الدراسة على المدارس:

جدول(2) يبين توزيع عينة الدراسة على مدارس التعليم الأساسي ببلدية الأبيار

ت	المدرسة	معلمين	معلمات	المجموع	ت	المدرسة	معلمين	معلمات	المجموع
1	ابن سينا	2	3	5	18	توفيق العبار	0	2	2
2	أبوبكر الصديق	2	5	7	19	حميد فضل الله	0	2	2
3	ابو عبيدة ابن الجراح	2	4	6	20	خالد بن الوليد	0	6	6
4	الانتفاضة	3	6	9	21	سيدي اللافي	0	1	1
5	الجلاء	3	6	9	22	سيدي مهيوس	3	3	6
6	الحرية	2	0	2	23	شهداء الأبيار	3	5	8
7	الحي الغربي مسوس	1	1	2	24	شهداء السلاوي	0	3	3
8	صلاح قليوان	2	5	7	25	شهداء ليبيا	0	2	2
9	عطية النايض	2	0	2	26	عقبة بن نافع	3	3	6
10	الفجر الجديد	0	3	3	27	عقيلة المجدوبة	1	2	3
11	المجد	0	6	6	28	علي الشرع	2	3	5
12	التهامي شحات	0	4	4	29	عمر بن الخطاب	3	4	7
13	حسن بوخروبة	1	1	2	30	عمر بن عبد العزيز	2	2	4
14	حمد مصطفى	2	4	6	31	فاطمة الزهراء	0	6	6
15	سالم بكار	0	3	3	32	قصر الشريف	2	0	2
16	الكرامة	0	2	2	33	كاف بوقرين	3	1	4
17	بومريم	3	3	6	34	شهداء أسقفه	2	0	2
المجموع		25	56	81	المجموع		24	45	69

خصائـص عينـة الدراسـة: لقـد تـم تصنيـف عينـة الدراسـة إلى عـدة خصائـص، وذلـك كمـا يـلي:

أ-خصائـص العينـة حسـب النـوع: وكمـا هـو معـروف صنفـت عينـة الدراسـة إلى ذكـور وإنـاث، والجـدول (3) يبـين توزيـع العينـة حسـب النـوع.

جدول (3) يبين توزيع أفراد العينة حسب النوع

النوع	العدد	النسبة
ذكور	49	% 33
إناث	101	% 67
المجموع	150	100%

ويتبين من الجدول (3) أن عدد أفراد العينة من الذكور أقل من الإناث فقد بلغ عدد الذكور(49) وبنسبة (33 %)، بينما بلغ عدد الإناث (101) وبنسبة (67 %).

ب-خصائص العينة حسب التخصص: والجدول (4) يوضح توزيع المعلمين والمعلمات حسب التخصص المتحصلين عليه.

جدول (4) يبين توزيع أفراد العينة حسب التخصص

التخصص	العدد	النسبة
تربوي	44	% 29
غير تربوي	106	% 71
المجموع	150	% 100

يتبين من الجدول السابق أن عدد المتخصصين في المجال التربوي بلغ(44) وبنسبة (29 %)، بينما بلغ عدد المعلمين من ذوي التخصص الغير التربوي (106)، وبنسبة (71 %).

أداة الدراسة: استخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، فالاستبانة من الأدوات الملائمة والمستخدمة في ميدان الدراسات الوصفية بصورة عامة، إذ تستخدم الاستبانات عادةً في دراسات البحث الوصفي لوصف الظروف السائدة في وقت معين، كما تزود الباحث بأوصاف وقياسات كمية بحيث تجعل الحصول على تحليل أدق أمرا ممكناً مما لو تم الاعتماد على الأحكام الشخصية بمفردها. (مهدي وآخرون:1993: ص205)، ولقد تم الاستعانة بالدراسات السابقة والأدبيات التربوية التي تناولت موضوع الإعلام المدرسي في بناء الاستبانة، كما تم الالتزام بشروط تصميم الاستبانة، ولقد مرت الاستبانة بعدة مراحل حتى أصبحت جاهزة بشكلها النهائي للتوزيع على أفراد العينة، حيث احتوت على (3) مجالات والجدول التالي يبين مجالات الاستبانة:

الجدول (5) يبين مجالات الاستبانة

المجالات	عدد العبارات
وسائل الإعلام المدرسي	8
الأدوار التربوية للإعلام المدرسي	23
معوقات الإعلام المدرسي	11
المجموع	42

* صدق الأداة (:(Validityيعتبر الصدق أهم صفة ينبغي لأي مقياس الاتصاف بها، فلا يصلح أي مقياس للاستخدام ما لم تتوفر فيه هذه الخاصية. ويعرف

الصدق عادة " أن يقيس الاختبار ما أعد لقياسه"، ويمكن التحقق من صدق أداة الدراسة من خلال عدة طرق، لذا تم استخراج الصدق الظاهري للأداة(Face Validity)، وذلك عن طريق عرض الاستبانة على مجموعة من الأساتذة المحكمين بجامعة بنغازي في مجال التربية، ولقد اقترح المحكمين بحذف وتعديل وصياغة بعض العبارات، وبناء على آراء المحكمين وملاحظاتهم تم تعديل وصياغة العبارات وفق ما يرونه.

* ثبات الأداة (Reliability): ويقصد بالثبات ضمان الحصول على نفس النتائج تقريباً إذا أعيد تطبيق الاستبانة أكثر من مرة على نفس المجموعة من الأفراد تحت ظروف متماثلة، أو مدى الاتساق في الإجابة عن الاستبانة من قبل المستجيب إذا الاستبانة نفسها طبقت عدة مرات في نفس الظروف. وهناك عدد من الطرق لقياس الثبات، ومن أكثرها شيوعًا طريقة (ألفا كرونباخCronbach Alpha)، ولقد استخدمت معادلة ألفا كرونباخ لقياس ثبات أداة الدراسة، وتم الحصول على قيم معامل الثبات لكل مجال من مجالات الاستبانة وثبات الاستبانة ككل، وذلك كما في الجدول (6):

الجدول (6) يبين معاملات الثبات لمجالات الاستبانة وثبات الاستبانة ككل

المجالات	عدد العبارات	قيمة الثبات
وسائل الإعلام المدرسي	8	.83
الأدوار التربوية للإعلام المدرسي	23	.90
معوقات الإعلام المدرسي	11	.90
المجموع	42	.88

الأساليب الإحصائية: لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تم تجميعها، فقد تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةStatistical Package for Social Sciences، والتي يرمز لها اختصاراً بالرمز (SPSS). وذلك بعد أن تم ترميز وإدخال البيانات إلى الحاسب الآلي، وفيما يلي الأساليب الإحصائية التي استخدامها في هذه الدراسة:

1 – معامل ألفا كرونباخ Cronbach Alpha، لاستخراج ثبات مجالات الاستبانة.

2 – التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لمعرفة أكثر وسائل الإعلام استخداماً في مرحلة التعليم الأساسي ومعرفة الدور التربوي للإعلام المدرسي كما يراه المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي، وكذلك للتعرف على معوقات الإعلام المدرسي.

4 – اختبار T.Test لمعرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الدور التربوي للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري النوع والتخصص لدى المعلمين.

عرض النتائج ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالهدف الأول: التعرف على أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المدارس الأساسية ببلدية الأبيار. للوصول إلى هذا الهدف تم استخراج التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الاستبانة والجدول التالي يوضح ذلك:

ت	العبارات (الوسائل)	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	الإذاعة المدرسية.	106	37	5	1	1	4.64	648.	1
2	الصحيفة بأشكالها المختلفة الحائطية والمصورة والمطبوعة.	67	53	26	4	0	4.22	826.	4
3	المسرح المدرسي.	83	51	13	0	3	4.41	812.	3
4	المكتبة المدرسية.	100	38	10	1	1	4.57	709.	2
5	المجلة المطبوعة.	66	52	22	9	1	4.15	932.	5
6	المطويات.	53	50	38	9	0	3.98	923.	7
7	المعارض بأنواعها العلمية والفنية....إلخ	91	39	13	4	3	4.41	906.	3
8	الأفلام التربوية والتثقيفية.	60	53	21	9	7	4.00	1.099	6

جدول (7) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف على أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المدارس الأساسية

يتبين من خلال استعراض بيانات الجدول (7) أن الوسيلة رقم (1) والتي نصت على (الإذاعة المدرسي) تحصلت على الترتيب الأول حيث بلغ متوسطها الحسابي(4.64) وانحراف معياري(.648) وهذا يعني أن الإذاعة المدرسي هي أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في مدارس التعليم الأساسي، وجاءت في الترتيب الثاني العبارة رقم(4) والتي نصت على(المكتبة المدرسية) حيث بلغ متوسطها الحسابي(4.57) وبانحراف قدره (.709)، وتحصلت على الترتيب الثالث العبارتين رقم(7-3) والتي نصتا على(المسرح المدرسي، والمعارض بأنواعها) فبلغ متوسطهما(4.41) وبانحراف معياري قدره(.812 - 906.)، وكانت في الترتيب الرابع العبارة رقم(2) والتي نصت على(الصحيفة بأشكالها المختلفة) وبلغ متوسطها(4.22) وانحرافها(.826)، وتحصلت على الترتيب الخامس العبارة رقم(5) والتي نصت على(المجلة المطبوعة) فبلغ متوسطها(4.15) وانحرافها(.932)، وجاءت في الترتيب السادس العبارة رقم(8) والتي نصت على(الأفلام التربوية والتثقيفية) حيث بلغ متوسطها(4.00) وانحرافها(.0991). وهذه النتيجة تعتبر منطقية فالإذاعة والمكتبة المدرسية، والمسرح، والمعارض لازالت حتى الأن تتصدر

الوسائل الإعلامية في المدارس الأساسية، أما الصحيفة والمجلة والأفلام فقد جاءت في الترتيب الأخير، ويمكن أن يعود ذلك إلى التكاليف الباهظة التي تحتاجها مثل هذه الوسائل حتى تؤدي دورها الهام في المجال التربوي.

النتائج المتعلقة بالهدف الثاني: التعرف على أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي. للوصول إلى هذا الهدف تم استخراج التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الاستبانة والجدول التالي يوضح ذلك:

ت	العبارات (الأدوار)	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	إثارة وتنمية الميول والاهتمامات والرغبات الدراسية والمهنية لدى الطلاب.	95	48	5	1	1	4.57	.660	4
2	تربية المواقف والسلوكيات وتهذيبها لتمكين الطلاب من تحقيق النضج الفكري والنفسي.	80	62	7	1	0	4.47	.621	8
3	تنمية الحس الناقد للطلاب حول ما يقدمه الإعلام المدرسي.	66	58	24	2	0	4.25	.770	16
4	جعل الطلاب أقدر على التعبير عن أنفسهم عبر مختلف وسائل الإعلام.	77	53	18	1	1	4.36	.771	13
5	الحصول على الخبرات والمعارف من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة من رسائل ومضامين ومعلومات.	73	58	17	2	0	4.35	.733	14
6	التفتح إلى القضايا الراهنة في شتى الميادين الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية.	44	57	42	5	2	3.91	.907	18
7	تزويد الطلاب بالمعارف والمعلومات التي تهمهم وتشبع فيهم حب الاستطلاع.	81	59	9	1	0	4.47	.642	8
8	ربط الطلاب بمجتمعهم المدرسي والمحلي.	84	56	9	1	0	4.49	.642	7

9	تشجيع التفكير العلمي والروح الإبتكارية لدى الطلاب.	87	57	3	2	1	4.51	.673	6
10	تشجيع الطلاب على النقد الذاتي البناء.	75	59	11	5	0	4.36	.762	13
11	اكتشاف المواهب لدى الطلاب والاهتمام بها.	99	44	5	2	0	4.59	.687	3
12	مساندة المعلمين والمعلمات لإيصال المعلومة وتعزيز القيمة التربوية بطرق أكثر تشويقا.	106	40	2	1	1	4.66	.611	1
13	تقديم معلومات وأفكار جديدة بأساليب جذابة ومحببة.	87	55	6	1	1	4.51	.673	6
14	تشجيع التجارب التربوية الرائدة.	77	56	15	2	0	4.37	.773	12
15	نشر إبداعات المعلمين والطلاب وكافة أفراد الأسرة التعليمية.	88	49	9	4	0	4.47	.730	8
16	العمل على تنمية خيال الطلاب وتوسيع قدراتهم الذهنية والفكرية.	83	47	14	6	0	4.38	.817	11
17	تنمية وصقل موهبة التذوق لدى الطلاب.	66	64	17	3	0	4.29	.745	15
18	تنمية سلوكيات التفاهم والاقتناع والتفكير الناقد.	74	45	24	5	2	4.23	.928	17
19	منح فرصة للطالب لتكميل النقص في المعرفة وإثراء الرصيد المعرفي والسلوكي.	74	60	13	3	0	4.37	.727	12
20	اكتشاف القدرات الإعلامية بين الطلاب وتبنيها.	84	52	10	2	2	4.43	.789	9
21	تنمية أحاسيس ومشاعر الانتماء القومي والوطني لدى الطلاب.	79	58	9	4	0	4.41	.725	10
22	تدريب الطلاب على إبداء الرأي واحترام الرأي الأخر.	92	49	6	3	0	4.53	.672	5
23	تعريف الطلاب بواقع مجتمعهم وتاريخهم وأمجادهم.	102	40	5	2	1	4.60	.685	2

جدول (8) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب العبارات للتعرف على الأدوار التربوية للإعلام المدرسي

سيتم التعليق على 50 % تقريباً من عبارات هذا المجال: يتبين من خلال الجدول السابق أن أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي كما أشار أفراد العينة كانت العبارة (12) والتي تنص على (مساندة المعلمين والمعلمات لإيصال المعلومة وتعزيز القيمة التربوية بطرق أكثر تشويقا) حيث بلغ متوسطها الحسابي(4.66) وانحراف معياري قدره(.611)، وجاءت في المرتبة الثانية العبارة (23) والتي تنص على (تعريف الطلاب بواقع مجتمعهم وتاريخهم وأمجادهم) حيث بلغ متوسطها(4.60) وانحرافها(.685)، وجاءت في الترتيب الثالث العبارة (11) والتي نصت على(اكتشاف المواهب لدى الطلاب والاهتمام بها) والتي بلغ متوسطها(4.59) وانحرافها(.687)، وتأتي في المرتبة الرابعة العبارة(1) والتي نصت على(إثارة وتنمية الميول والاهتمامات والرغبات الدراسية والمهنية لدى الطلاب) والتي بلغ متوسطها(4.57) وبانحراف معياري قدره(.660)، وفي المرتبة التي تليها جاءت العبارة (22) حيث نصت على (تدريب الطلاب على إبداء الرأي واحترام الرأي الأخر) حيث بلغ متوسطها(4.53) وانحرافها(.672)، ثم جاءت العبارتان (13،9) واللتان نصتا على (تشجيع التفكير العلمي والروح الإبتكارية لدى الطلاب، تقديم معلومات وأفكار جديدة بأساليب جذابة ومحببة) حيث بلغ متوسطهما (4.51) وانحرافهما (.673)، في حين تحصلت العبارة (8) على الترتيب السابع والتي نصت على (ربط الطلاب بمجتمعهم المدرسي والمحلي) فبلغ متوسطها (4.49) وانحرافها (.642)، وتأتي في الترتيب الثامن كل من العبارة (15-7-2) حيث نصن على (تربية المواقف والسلوكيات وتهذيبها لتمكين الطلاب من تحقيق النضج الفكري والنفسي، تزويد الطلاب بالمعارف والمعلومات التي تهمهم وتشبع فيهم حب الاستطلاع، نشر إبداعات المعلمين والطلاب وكافة أفراد الأسرة التعليمية) فكانت قيمة المتوسط لهن (4.47) والانحراف بالترتيب (.621، .642، 730)، في حين تحصلت على الترتيب التاسع العبارة (20) والتي نصت على (اكتشاف القدرات الإعلامية بين الطلاب وتبنيها) فبلغ متوسطها (4.43) وانحرافها (.789)، وتحصلت على الترتيب العاشر العبارة (21) والتي نصت على (تنمية أحاسيس ومشاعر الانتماء القومي والوطني لدى الطلاب) حيث بلغ متوسطها (4.41) وانحرافها (.725). بعد استعراض الدور التربوي للإعلام المدرسي كما يدركه معلمي المرحلة الأساسية، يمكن القول أن لوسائل الإعلام المدرسي دورا هاما في تربية الطفل وتنمية شخصيته حيث تكسبه معرفة أشمل وفهما أعمق لعالمه المادي والاجتماعي وله أثر ملموس في صناعة التغيير التربوي المنشود والتغيير في الرؤى والمفاهيم والتطبيقات لغرس القيم وتثقيف الناشئة بما يساعد على تكيفهم مع مقتضيات العصر الحديث ويزودهم بآليات التفاعل والتعامل مع التطورات العلمية والتكنولوجية وبما يعزز لديه الشعور بالفخر والاعتزاز والانتماء إلى وطنه والارتباط مع مجتمعه ارتباطا وثيقا. فالإعلام المدرسي يركز في رسالته على أركان العملية التعليمية: المدرسة، المنهج، المعلم، الطالب، ولي الأمر،

والمساهمة في التعريف بأدوارها في العملية التعليمية، وواجباتها وحقوقها وطرح مشكلاتها ومعالجتها إعلاميا. كما يؤكد الإعلام التربوي على أن الجيل الجديد هم الثروة الحقيقية للمجتمع، وأن العناية بهم وتربيتهم مسؤولية عامة يجب أن يشارك فيها الجميع.

النتائج المتعلقة بالهدف الثالث: التعرف على أهم معوقات الإعلام المدرسي كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي. للوصول إلى هذا الهدف تم استخراج التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات الاستبانة والجدول التالي يوضح ذلك:

ت	العبارات (المعوقات)	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	قلة المتخصصين والمؤهلين في الإعلام المدرسي.	57	51	25	14	3	3.97	1.052	8
2	عدم توفر التمويل اللازم للإعلام المدرسي.	64	52	18	12	4	4.07	1.053	4
3	عدم توفر مركز إعلامي في كثير من المدارس.	74	43	14	16	3	4.13	1.089	1
4	عدم وضوح أهمية الإعلام المدرسي ودوره لدى المسئولين.	64	48	22	14	2	4.05	1.035	5
5	قلة الحوافز المادية والمعنوية للعاملين في الإعلام المدرسي.	77	37	17	13	6	4.11	1.154	3
6	عدم وجود موقع للمدرسة على الأنترنت.	55	34	10	34	17	3.51	1.460	10
7	عدم وجود إدارة متخصصة للإعلام التربوي بوزارة التعليم.	52	43	24	21	10	3.71	1.261	9
8	ندرة الأجهزة والوسائل التقنية لتوظيفها في الإعلام المدرسي.	70	37	23	16	4	4.02	1.138	6
9	ضعف الإيمان الحقيقي بقيمة الإعلام التربوي والمدرسي.	62	46	22	17	3	3.98	1.096	7
10	قلة الوقت المتاح لممارسة الإعلام المدرسي.	66	40	23	17	4	3.98	1.138	7
11	ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية لتحقيق التكامل في الأهداف والبرامج والأنشطة.	74	40	18	16	2	4.12	1.138	2

جدول (9) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب العبارات للتعرف على معوقات للإعلام المدرسي

سيتم التعليق على 50 % تقريباً من عبارات هذا المجال: يتبين من خلال

الجدول السابق أن أهم معوقات الإعلام المدرسي كما أشار أفراد العينة كانت العبارة (3) والتي تنص على (عدم توفر مركز إعلامي في كثير من المدارس) حيث بلغ متوسطها الحسابي(4.13) وانحراف معياري قدره(1.089)، وجاءت في المرتبة الثانية العبارة (11) والتي تنص على (ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية لتحقيق التكامل في الأهداف والبرامج والأنشطة) حيث بلغ متوسطها(4.12) وانحرافها(1.138)، وجاءت في الترتيب الثالث العبارة (5) والتي نصت على(قلة الحوافز المادية والمعنوية للعاملين في الإعلام المدرسي) والتي بلغ متوسطها(4.11) وانحرافها(1.154)، وتأتي في المرتبة الرابعة العبارة(2) والتي نصت على(عدم توفر التمويل اللازم للإعلام المدرسي) والتي بلغ متوسطها(4.07) وبانحراف معياري قدره(1.053)، وفي الترتيب الخامس جاءت العبارة (4) حيث نصت على (عدم وضوح أهمية الإعلام المدرسي ودوره لدى المسئولين) حيث بلغ متوسطها(4.05) وانحرافها(1.035)، ثم جاءت العبارة (8) في الترتيب السادس والتي نصت على (ندرة الأجهزة والوسائل التقنية لتوظيفها في الإعلام المدرسي) حيث بلغ متوسطهما (4.02) وانحرافهما (1.138) ولقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (البريدي2011).

النتائج المتعلقة بالهدف الرابع: معرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير النوع لدى المعلمين. للوصول إلى هذا الهدف تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة " T " والجدول التالي يبين ذلك:

جدول (10) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم " T " لمعرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير النوع لدى المعلمين

المجال	النوع	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "T"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الأدوار التربوية	ذكور	49	4.3540	41457.	1.280	202.	غير دالة
	إناث	101	4.4460	41140.			
المعوقات	ذكور	49	3.8033	1.03275	1.720	088.	غير دالة
	إناث	101	4.0459	67770.			

قيمة "T" الجدولية عند درجة حرية (148) وعند مستوى دلالة (0.05) = 1.98

يتضح من خلال استعراض بيانات الجدول (10) أن قيمة " T " المحسوبة أصغر من قيمتها الجدولية في مجالي (الأدوار التربوية، والمعوقات)، وهذا يدل على عدم وجود اختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير النوع لدى المعلمين، أي أنه لا يوجد هناك اختلاف في وجهات النظر بين كل من المعلمين والمعلمات فيما يتعلق بالأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاتها، وأن كل منهم لديه نفس الاتجاه والرأي بالنسبة لتحديد أهم الأدوار التربوية والمعوقات التي تعترض الإعلام المدرسي، وهذه النتيجة لا تتفق مع

الدراسات السابقة نظرا لاختلاف طبيعة أهدافها مع الدراسة الحالية.

النتائج المتعلقة بالهدف الخامس: معرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير التخصص لدى المعلمين. للوصول إلى هذا الهدف تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة " T " والجدول التالي يبين ذلك:

جدول (11) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم " T " لمعرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير التخصص لدى المعلمين

المجال	التخصص	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ""T	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الأدوار التربوية	تربوي	44	4.4219	43816.	114.	909.	غير دالة
	غير تربوي	106	4.3540	41457.			
المعوقات	تربوي	44	3.9153	95515.	496.-	621.	غير دالة
	غير تربوي	106	3.9880	75385.			

قيمة "T" الجدولية عند درجة حرية (148) وعند مستوى دلالة (0.05) = 1.98

يتضح من خلال استعراض بيانات الجدول (11) أن قيمة " T " المحسوبة أصغر من قيمتها الجدولية في مجالي (الأدوار التربوية، والمعوقات)، وهذا يدل على عدم وجود اختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغير التخصص لدى المعلمين، أي أنه لا يوجد هناك اختلاف في وجهات النظر بين كل من ذوي التخصص التربوي والغير التربوي فيما يتعلق بالأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاتها، وأن كل منهم لديه نفس الاتجاه والرأي بالنسبة لتحديدهم للأدوار التربوية والمعوقات التي تعترض الإعلام المدرسي، وهذه النتيجة أيضا لا تتفق مع الدراسات السابقة نظرا لاختلاف طبيعة أهدافها مع الدراسة الحالية.

النتائج:

أولاً: أكثر وسائل الإعلام المدرسي استخداماً في المدارس الأساسية ببلدية الأبيار هي: (الإذاعة المدرسية، المكتبة المدرسية، المسرح المدرسي، الصحيفة بأشكالها المختلفة الحائطية والمصورة والمطبوعة).

ثانياً: أهم الأدوار التربوية للإعلام المدرسي كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي: (مساندة المعلمين والمعلمات لإيصال المعلومة وتعزيز القيمة التربوية بطرق أكثر تشويقا، تعريف الطلاب بواقع مجتمعهم وتاريخهم وأمجادهم، اكتشاف المواهب لدى الطلاب والاهتمام بها، إثارة وتنمية الميول والاهتمامات والرغبات الدراسية والمهنية لدى الطلاب، تدريب الطلاب على إبداء الرأي واحترام الرأي الأخر، تشجيع التفكير العلمي والروح الإبتكارية لدى الطلاب، تقديم معلومات وأفكار جديدة بأساليب جذابة ومحببة، ربط الطلاب بمجتمعهم

المدرسي والمحلى، تربية المواقف والسلوكيات وتهذيبها لتمكين الطلاب من تحقيق النضج الفكري والنفسي، تزويد الطلاب بالمعارف والمعلومات التي تهمهم وتشبع فيهم حب الاستطلاع).

ثالثاً: أهم معوقات الإعلام المدرسي كما يراها المعلمين بمرحلة التعليم الأساسي: (عدم توفر مركز إعلامي في كثير من المدارس، ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية والمؤسسات الإعلامية لتحقيق التكامل في الأهداف والبرامج والأنشطة، قلة الحوافز المادية والمعنوية للعاملين في الإعلام المدرسي، عدم توفر التمويل اللازم للإعلام المدرسي، عدم وضوح أهمية الإعلام المدرسي ودوره لدى المسئولين، ندرة الأجهزة والوسائل التقنية لتوظيفها في الإعلام المدرسي).

رابعاً: معرفة الاختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري النوع والتخصص لدى المعلمين: لا يوجد اختلاف في استجابات أفراد العينة نحو الأدوار التربوية للإعلام المدرسي ومعوقاته وفقا لمتغيري النوع والتخصص لدى المعلمين.

التوصيات: توصي الدراسة بالآتي:

1 – إعداد أخصائيين في مجال الإعلام المدرسي والإرشاد المدرسي والمهني.

2 – إعادة النظر في أهداف الإعلام المدرسي والرفع من مستواه للترقي بمستوى التلميذ الفكري والتربوي.

3 – العمل على توفير الإمكانيات المادية والتقنية التي تساهم في الرفع من مستوى الإعلام المدرسي.

4 – التعاون مع المتخصصين في التربية وعلم النفس في توظيف رسالة الإعلام المدرسي وتشكيل فكر إيجابي وتنمية مهارات التفكير العليا وإثارة دافعية التلاميذ وتنمية ذكائهم.

5 – العمل على توثيق العلاقة بين الإعلام المدرسي والإعلام التربوي والاستفادة من المتخصصين في مجال الإعلام بصفة عامة ومن البرامج والأنشطة في تنفيذ الإعلام المدرسي.

الاقتراحات: تقترح الدراسة ما يلي:

1 – دراسة اتجاهات التلاميذ نحو خدمات الإعلام المدرسي.

2 – دراسة دور الإعلام المدرسي في عملية التنشئة الاجتماعية.

3 – دراسة معوقات الإعلام المدرسي بشكل موسع وعلى مراحل دراسية أخرى.

4 – دراسة دور الإعلام المدرسي في تنمية المهارات الإبداعية لدى التلاميذ.

المراجع:

1 - أبو سمرة، محمد (2009): استراتيجيات الاعلام المدرسي، الاردن، دار أسامة للنشر.

2 - أبو هداف، رائد محمد(2009): أثر استخدام المسرح في تدريس بعض موضوعات النحو العربي على تحصيل طلبة الصف الثامن الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامي، غزة.

3 - أبو زيد، رشدي شحاتة)1999): مسئولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، القاهرة، دار الفكر العربي.

4 - إسماعيل، رابحي وآخرون، (2018): الإعلام التربوي (مدخل نظري)، مجلة دفاتر، العدد11، مخبر المسألة التربوية في الجزائر-جامعة بسكرة، ص ص140-124.

5 - الأحمدي، علي محمد(2010): واقع استخدام الاعلام المدرسي في تنمية مهارات الاتصال اللغوي لدي تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القري، كلية التربية.

6 - الأعور، اسماعيل (2017): دور الاعلام المدرسي في تفعيل عملية الاختيار الدراسي لدي التلاميذ في مرحلة التعليم الثانوي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 31، ص ص553-543.

7 - أحد ادن، زهير(2002): مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

8 -بن دنية، ميلود(2015): فعالية الأعلام المدرسي في تفعيل الاستعلام الذاتي واتخاذ القرار الدراسي السليم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، الجزائر.

9 - البريدي، سكرة علي حسن (2011): اتجاهات المدرسين نحو العناصر الاتصالية في الإعلام المدرسي وفاعليتها في العملية التعليمية (دراسة ميدانية)، مجلة دراسات الطفولة، مجلد14، عدد 52، جامعة عين شمس، كلية الدراسات العليا للطفولة، ص ص19-1.

10 - بوشنيف، عبد الحكيم(2005): المشكلات التي تواجه الإدارة المدرسية في مرحلة التعليم الأساسي في مدينة المرج في ليبيا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا.

12 - حمدان، محمد)2004:(العلاقة بين الإعلام والتربية فى الوطن العربي: أية إشكاليات؟ أي مستقبل؟ ورقة مقدمة إلى ندوة معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ص71-51.

13 - حمدي، نرجس، وعبود، حارث (2009): الاتصال التربوي، الاردن، دار وائل للنشر.

14 - خليفة، محمود (2007): المسرح المدرسي، مسرحيات مدرسية مختارة، مصر، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع.

15 - خليل، عصام عبد العزيز(2018): دور الإدارة المدرسية في زيادة فاعلية الإذاعة المدرسية في المداس الأساسية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات والأبحاث، فلسطين، العدد 43، ص ص209-198.

16 - خالد، عبد السلام(2008) : الإعلام المدرسي، مقال منشورة على الموقع//http www.almualen.net

17 - الدليمي، عبد الرزاق محمد،(2012): وسائل الإعلام والطفل، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

18 – سركز العجيلي عصمان: التنبؤات المستقبلية للتعليم الأساسي والثانوي في ليبيا، بحث قدم في المؤتمر الوطني للتعليم تحت شعار التعليم بين تحديات الواقع وروئ التطوير، طرابلس، في الفترة من 15إلى17/09/2012 م.

19 – سليمان، أحمد)1999:(الإذاعة المدرسية للمرحلتين المتوسطة والثانوية، الرياض، مؤسسة الجريس للتوزيع.

20 – سليمان، شريفة رحمة الله)2013(: استخدام تكنولوجيا الاتصال فى نشر مفهوم التربية الاعلامية بمدارس دولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم العلاقات العامة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

21 – شحاته، حسن :(2002) النشاط المدرسي مفهومه ووظائفه ومجالات تطبيقه، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

22 – الضبع، رفعت عارف(2009): الإعلام التربوي، تأصيله وتحصيله، دار الفكر، القاهرة.

23 – عامر، دليلا(2013): البعد التربوي والتعليمي في البرامج الإذاعية الموجهة للطفل، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.

24 – عبد الوهاب، جلال(1981): النشاط المدرسي مفاهيمه ومجالاته، ط2، بيروت، مكتبة الفلاح.

25 – عبد الحميد، آلاء(2007): الصحافة المدرسية، دار البازور العلمية للنشر والتوزيع.

26 – عليان، ربحي مصطفى، وغنيم، عثمان محمد،(2008): أساليب البحث العلمي، ط2، دار صفاء، عمان.

27 – علي، أشرف(2012): المجلة المطبوعة التعريف والأهمية، شبكة المعلومات الدولية الأنترنت، تاريخ الزيارة (18\2\2021)، متاح على الرابط: -http://www.shanaway.ahlam ontada.com

28 – علي، هناء السيد(2016): الدور التربوي للإعلام المدرسي في تنمية القدرات الإبداعية للطلاب، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس، جامعة المنوفية، ص ص772-753.

29 – عزوز، حنان عبد المجيد احمد :(2010) دور المسرح المدرسي في تحقيق أهداف التربية الإسلامية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

30 – فتيتي، أحلام، وحمدي، سميرة (2015): مساهمة الاعلام المدرسي في تحديد الاختيارات الدراسات المهنية لدي التلاميذ مرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة حمة الاخضر بالوادي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية.

31 – المطيرى، لافى سعيد)2009 :(دور برامج الإذاعة المدرسية فى تعزيز قيم الانتماء الوطني من جهة نظر الطلاب والمعلمين بالمدارس الثانوية بعنيزة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

32 – معوض، محمد)1998(: دراسات حول صحف الأطفال وإذاعاتهم المدرسية وبرامجهم التليفزيونية، القاهرة، دار الفكر العربي.

33 – المنيف، محمد صالح عبد الله:(1996) النشاط المدرسي المنهجي واللامنهجي، مطابع الدرعية، الرياض.

34 – مهدي، عباس عبد وآخرون،(1993): أسس التربية، بغداد، مديرية دار الكتب.

35 - ميلاد، محمود(2009): المسرح المدرسي ورفع مستوى تحصيل طلبة التعليم الأساسي بمدارس منطقتي شرقية جنوب وتلكلخ، مجلة جامعة دمشق، مجلد41، العدد الأول والثاني، ص ص176-139.

36 - النباهين، ميسون محمد عليان(2011): أثر توظيف المسرح والدراما بالفيديو في اكتساب مفاهيم الفكر الإسلامي لدى طالبات الصف العاشر الأساس بغزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

37 - نورة، قنينة والسعدي، روفية(2015): الإعلام المدرسي في مؤسسات التعليم بين الواقع وحتمية تطوير وسائل وطرق ممارسته، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 44، ص ص120-106.

38 - الهمالي، عبدالله (1994): أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته، ط2، جامعة بنغازي، بنغازي.

39 - يعقوب، أمال احمد(1989): علم النفس الاجتماعي للصفوف الثانية في التربية، جامعة بغداد، بيت الحكمة.

40 - يوسف، حنان(2006): الاعلام المدرسي في المؤسسات التعليمية والتربوية، القاهرة، أطلس للنشر والتوزيع الاعلامي.

41 - (مدونة التنمية البشرية،http://www.altanmiya.org)،تاريخ الدخول للموقع 11/4/2021.

42 - (http://www.hyatiy.top)، تاريخ الدخول للموقع 11/4/2021.

43 - مشروع التعاون الفني بين اللجنة الشعبية العامة للتعليم والمؤسسة الألمانية للتعاون الفني لتحصين جودة التعليم الأساسي والثانوي التخصصي في ليبيا، 2008 (GTZ).

44 - ملف قطاع التعليم والبحث العلمي، اللجنة الشعبية العامة للتعليم والبحث العلمي 2009.

45 - إحصائية صادرة عن شئون التربية والتعليم ببلدية الأبيار 2021.

46 - William, Wright, R (2009), School Press as Perceived by High School Students and Its Relationship to Organizational Climate. Final Report, v(27) n (3), pp529-560.

واقع البرامج التربوية بمراكز التربية الخاصة للأطفال في وضعية إعاقة ذهنية بالمغرب، فاس أنموذجا

إعداد :
د.أحمد مزهار، أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس
د . رشيدة كوجيل، أستاذة التعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة

الاستلام : 17/ 4/ 2021 م القبول : 21/ 5/ 2021 م

الملخص :

تهدف هذه الورقة إلى تشخيص الوضعية الراهنة لمؤسسات التربية الخاصة بالمغرب ،وتحليل واقع برامجها التربوية باعتماد منهج تحليل المضمون ،عبر دراسة عينة منها تتواجد بالمجال الجغرافي لمدينة فاس وتستهدف بالأساس الأطفال حاملي الثلاثي الصبغي ،وهي كالتالي :
جمعية مفاتيح الرحمة
وجمعية تحدي الإعاقة.

كما أننا سنقارب الإشكالية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :
- إلى أي حد تنطلق البرامج التربوية لهذه المؤسسات من تشخيص دقيق يعتمد أدوات قياس علمية ؟
- هل تنطلق هذه البرامج من مشروع بيداغوجي فردي ؟
- على أي أساس يتم انتقاء المضامين التربوية وما مصدرها ؟

الكلمات المفاتيح : التربية الخاصة - البرنامج التربوي- الإعاقة الذهنية -جمعية مفاتيح الرحمة - جمعية تحدي الإعاقة.

This study aims to diagnose the current situation of special education institutions in Morocco ,and to analyze the reality of their educational programs by adopting the approach of content analysis, by studying a sample of them located in the geographical area of the city of Fez and aimed mainly at children with trisomy, as follows: :
Keys of mercy Association
And disability challenge Association .
We will also approach the problematic by answering the following questions :
-To what extent do the educational programs of these institutions proceed from an accurate diagnosis based on scientific measurement tools ?
- Do these programs start from an individual pedagogical project ?
- On what basis are the educational contents selected and what are their sources?

Key words: special education-educational program - intellectual disability-keys of mercy Association-disability challenge Association.

تقديم

يعد الاهتمام بالأشخاص في وضعية إعاقة ورعايتهم مطلبا ضروريا تفرضه المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية، ويشمل جميع المناحي الصحية والاجتماعية والأسرية، ويعتبر المجال التعليمي من أهم هذه المجالات نظرا لما له من تأثير على حياة هذه الفئة من أجل إدماجهم في المجتمع، وتحقيق أكبر قدر ممكن من استثمار قدراتهم المعرفية وكفاءاتهم المهنية. إلا أنه لما تلج هذه الفئة المؤسسات التعليمية دون تهيئ المحيط لتيسير إدماجها، تجد عدة مشاكل وصعوبات نظرا لما تعانيه من إعاقات حسية كانت أو جسمية أو عقلية تؤثر في إكسابها للعديد من المعارف والمهارات والقيم، وتمثل هذه الصعوبات تحديا كبيرا للمنظومة التربوية، الشيء الذي أدى إلى ظهور مؤسسات للتربية الخاصة تهتم بهذه الفئة وتعتمد برامج خاصة بها.

الوضع الحقوقي والتشريعي لتمدرس الأطفال في وضعية إعاقة بالمغرب

حظي الأشخاص في وضعية إعاقة باهتمام كبير في المغرب، حيث صادق على الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة والبروتوكول الملحق بها في 08 أبريل 2009، والتي تنص بشكل واضح على أن حقوق الأشخاص أشخاص في وضعية إعاقة تعد جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان عامة، لا سيما في التعليم والتأهيل والإدماج في الحياة الاجتماعية والمدنية، وتيسير تمتعهم بالحقوق والحريات المعترف بها للجميع.

ومن ضمن ما وقع عليه المغرب أيضا، هناك الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل بصفة عامة، والطفل في وضعية إعاقة بصفة خاصة سنة 1989، والتي تؤكد في المادة 23 على وجوب تمتيع هذه الفئة بالكرامة والرعاية الخاصة، وتيسير المشاركة الفعلية في المجتمع ، وتقديم الخدمات الملائمة مع ظروف الطفل وحالته وشروطه الموضوعية الاقتصادية و الاجتماعية مجانا كلما أمكن ذلك، خاصة خدمات التعليم والتدريب والرعاية الصحية وخدمات إعادة التأهيل، والإعداد لممارسة عمل، والفرص الترفيهية وتلقيه ذلك بصورة تؤدي إلى تحقيق الاندماج الاجتماعي للطفل ونموه الفردي، بما في ذلك نموه الثقافي والروحي على أكمل وجه ممكن.

كما أن دستور المملكة المغربية لسنة 2011، نص على منع التمييز على أساس الإعاقة، ودستر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأشخاص في وضعية إعاقة، وحث في الفصلين 31 و 34 منه المؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات وعلى قدم المساواة من الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذي جودة، وكذا السلطات العمومية على وضع وتفعيل سياسات موجهة إلى الأشخاص و الفئات من ذوي الاحتياجات الخاصة، وتم التنصيص على إعادة تأهيلهم وإدماجهم في الحياة الاجتماعية والمدنية، وتيسير تمتعهم بالحقوق

والحريات المعترف بها للجميع.

كما تبنى المغرب خطة التنمية المستدامة 2015/ 2030 والتي من بين أهدافها الهدف الرابع الخاص بضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع، وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع مع القضاء على التفاوت بين الجنسين في التعليم وضمان تكافؤ فرص الوصول إلى جميع مستويات التعليم والتدريب المهني للفئات الضعيفة، بمن في ذلك الأشخاص ذوو الإعاقة...

وبهدف تطوير الترسانة القانونية الوطنية في مجال الإعاقة، تم سنة 2016 إصدار القانون الإطار المتعلق بحماية حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة والنهوض بها، و الذي يلزم مختلف الفاعلين على تمتيع هذه الفئة بمختلف الحقوق الأساسية، وقد جاء في الباب الثالث المتعلق بالتربية والتعليم والتكوين: المادة 11: لا يمكن أن تشكل الإعاقة مانعا من الحق في التربية والتعليم والتكوين، المادة 12: المراكز المتخصصة جزء من المنظومة التعليمية ...وفي هذا الإطار، أطلقت وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية العديد من البرامج المهيكلة التي أسهمت في إحداث تطور نوعي في مقاربة قضية الإعاقة بالمغرب، حيث تم إعداد مشروع سياسة عمومية مندمجة للنهوض بحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة، كما تم إعداد بحث وطني جديد حول الإعاقة، و لامركزة خدمات الاستقبال والتوجيه وتوزيع المعينات التقنية من خلال إحداث وحدات جهوية بالمنسقيات الجهوية للتعاون الوطني، بالإضافة إلى تقديم دعم مالي سنوي منذ 2015 لمراكز تأهيل الأطفال في وضعية إعاقة التابعة للجمعيات في إطار مشروع تحسين ظروف تمدرس هذه الفئة.

ومن أجل تحقيق تكافؤ الفرص والإنصاف والجودة والارتقاء الفردي والمجتمعي والتدبير الجيد لعملية الإصلاح التعليمي والتربوي، وانسجاما مع الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي خصص الدعامة (14) لتحسين الظروف المادية والاجتماعية للمتعلمين والعناية بالأشخاص ذوي الحاجيات الخاصة، أصدر المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي الرؤية الاستراتيجية (2015/ 2030) والتي قدمت خارطة طريق لتجديد المنظومة التربوية، وقد نصت الرافعة الرابعة على تأمين الحق في ولوج التربية والتكوين للأشخاص في وضعية إعاقة أو في وضعيات خاصة، لتتحول الاختيارات الكبرى لهذه الرؤية إلى قانون إطار رقم 51.17 يجسد تعاقدا وطنيا يلزم الجميع ويلتزم الجميع بتفعيل مقتضياته.

وهكذا يتبين، مما سبق، أن المغرب قد قطع شوطا كبيرا في مجال إرساء المقاربة الحقوقية والتشريعية الضامنة لحق الأطفال في وضعية إعاقة في التمدرس، لكن يبقى السؤال مطروحا حول انعكاسات هذه النصوص على واقع تمدرس هذه الفئة وتمتيعها بحقها في تعليم يناسب احتياجاتها؟

الوضع التربوي لتمدرس الأطفال في وضعية إعاقة بالمغرب

تعتمد المنظومة التربوية في المغرب على ثلاثة أنماط من التمدرس يتم بها إدماج الأطفال في وضعية إعاقة وهي: التمدرس في قسم خاص متواجد بمؤسسة خاصة ويسمى التربية الخاصة، أو التمدرس في قسم خاص متواجد في مدرسة عادية ويسمى التربية الإدماجية، أو التمدرس في قسم عاد يوجد في مدرسة عادية ويسمى التربية الدامجة.

التربية الخاصة:

انطلق هذا النوع من تمدرس الأطفال في وضعية إعاقة منذ ستينيات القرن الماضي وذلك من خلال دعم الدولة لعدد من الجمعيات المتخصصة في هذا المجال ومساعدتها على إنشاء مؤسسات تهتم عادة بنوع من أنواع الإعاقة. وكانت أولى التجارب التربوية مع الأطفال ذوي إعاقات حسية (بصرية أو سمعية)[1] في نهاية الستينات من القرن الماضي، ثم مع الأطفال ذوي إعاقات ذهنية منذ سنوات الثمانينيات من القرن نفسه. واقتصر دور وزارة التربية الوطنية في تزويدها ببعض الأطر التربوية والإدارية والكتب المدرسية من خلال عقد شراكات معها دون أن تخضع للنظام التربوي للوزارة[2].

وبقي هذا النوع من المؤسسات محدودا أمام الطلب المتزايد عليها في ظل الغياب شبه التام لخدمات عمومية، غير أن إحداث المندوبية السامية للأشخاص المعاقين سنة 1994 وما شهده المغرب من تحولات في هذا الملف ،مع إطلاق برامج الشراكة مع المجتمع المدني التي تنفذها مجموعة من القطاعات الحكومية والسلطات المحلية والمنتخبين، ونذكر في هذا الصدد المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، أسهم بشكل كبير في تزايد عدد الجمعيات العاملة في مجال الإعاقة خاصة التي تقدم خدمات تأهيلية وتربوية للأطفال[3]، واستمر هذا التطور مع تقديم وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية لدعم مادي للجمعيات العاملة في هذا المجال في إطار صندوق دعم التماسك الاجتماعي الخاص بمحور التمدرس ،حيث تضاعف عدد الجمعيات المستفيدة منذ انطلاق المشروع 2015 من 141 إلى267 جمعية، ممكنا بذلك من ارتفاع عدد الأطفال في وضعية إعاقة المتمدرسين من 4774 سنة 2015 إلى 11344 سنة 2018[4].

لكن في مقابل هذه التطور النوعي والعددي، تميز إحداث هذه المراكز وعملها بنوع من الفوضى أو عدم التجانس وانعدام التقنين سواء من حيث شروط إحداثها

(1) تأسست المنظمة العلوية لرعاية المكفوفين سنة 1968 تلتها مؤسسة لالة أسماء للأطفال الصم سنة 1972 وعدد من الجمعيات المتمركزة بمحور تطوان الدار البيضاء.

(2) انظر: تقييم نموذج تربية الأطفال في وضعية إعاقة في المغرب، نحو تربية دامجة، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، 2019، ص23.

(3) انظر : رشيد الكنوني ،الإعاقة بالمغرب عنف التمثلات وممكنات التغيير ،شركة النشر والتوزيع المدارس ،ط1، 2017 ،ص179.

(4) عرض لوزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية ضمن الندوة الدولية "الحق في التربية الدامجة "التي نظمها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي يناير 2019.

أو نوعية الخدمات المقدمة داخلها وكذا من حيث الشروط التي ينبغي أن تتوفر في العاملين بها وكذا البرامج التي يستفيد منها الأشخاص في وضعية إعاقة[5].

التربية الإدماجية:

مع بداية التسعينيات اقترحت وزارة التربية الوطنية إحداث أقسام خاصة داخل المدارس الابتدائية لاستقبال بعض الأطفال في وضعية إعاقة «خفيفة أو متوسطة» سميت بأقسام الإدماج المدرسي، على أن تستمر المؤسسات المتخصصة في استقبال ذوي الإعاقة العميقة[6]، وبدأت في تكوين الأساتذة الذين سيعملون بهذه الأقسام. وفي سنة 1996 فكرت المندوبية السامية للأشخاص المعاقين المحدثة، ووزارة التربية الوطنية في إنشاء 15 قسما للإدماج المدرسي كمرحلة تجريبية في بعض المدن[7]،

وبعد تحول المندوبية السامية إلى كتابة دولة مكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين عقدت شراكة جديدة مع وزارة التربية الوطنية[8] أسهمت في زيادة عدد الأقسام إلى 87 وتجهيزها بالأدوات الديداكتيكية بالإضافة إلى تكوين المدرسين العاملين بها، واستمر ارتفاع عدد الأقسام الدامجة ليصل إلى 120 قسما بعد توقيع اتفاقية شراكة رباعية[9] سنة 2006.

ومع المخطط الاستعجالي 2009/2012، رأى النور مشروع E1P7 سمي «إنصاف الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة». يهدف إلى تحقيق المدرسة للجميع من خلال تحسين ظروف ولوج الأطفال ذوي الإعاقة إلى المؤسسات التعليمية وإلى الأقسام العادية والمدمجة عبر إحداث 800 قسم مدمج في أفق 2012؛ وتحسين العرض من التعليم المدرسي للأطفال ذوي الإعاقة. وقد مكن هذا المشروع من إحداث 363 قسما مدمجا بالتعليم الابتدائي لفائدة 4617 طفلا من أصل 9600 طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة كهدف مسطر، أي بمعدل إنجاز في حدود 45 في المئة. ومن ناحية أخرى، لم تتم مواكبة هذه الإحداثات بتحسين ظروف استقبال هذه الفئة، عبر توفير المعدات الملائمة والتدريب المناسب للمدرسين. ففي معظم الحالات، يعهد إلى الجمعيات الفاعلة في هذا الميدان بتدبير هذا النوع من الأقسام، في غياب مناهج علمية وتربوية مناسبة[10].

(5)المندمجة للنهوض بحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، نونبر 2015، ص 20 السياسة –

(6) – يتم اعتماد معيارين أساسيين في تحديد الإعاقة العميقة وعدم قبول تسجيل الطفل بقسم الإدماج وإحالته على المراكز المتخصصة، وهما الفقدان التام للذاكرة وانعدام الاستقلالية بالذات (انظر: دليل التنظيم التربوي لأقسام الإدماج المدرسي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2009، ص 33).

(7) تم توقيع اتفاقية شراكة بين الطرفين بتاريخ 3 أكتوبر 1996.

(8) تم توقيع اتفاقية الشراكة يوم 30 مارس 2004

(9) هي وزارة التربية الوطنية، ووزارة الصحة، وكتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين، إضافة إلى مؤسسة محمد الخامس للتضامن.

(10) تقرير حول تقييم المخطط الاستعجالي لوزارة التربية الوطنية، المجلس الأعلى للحسابات، 2018، ص73.

ج-التربية الدامجة:

مع تنامي الوعي في محيط المدرسة بمحدودية تجربة أقسام الدمج المدرسي، التي كانت تهدف إلى تأهيل الأطفال في وضعية أعاقة للدمج المدرسي في الأقسام العادية، ومع بروز مفهوم جديد يروم تجاوز مرحلة العزل إلى الدمج الكلي، أصبح الانتقال إلى نموذج التربية الدامجة يفرض نفسه[11] ،خاصة بعد القيام بالبحث الوطني الثاني للإعاقة سنة 2014، والذي أكد تدني نسبة تمدرس الأطفال في وضعية إعاقة من متوسطة إلى عميقة للفئة العمرية من 6 إلى 17 سنة، إذ لم تتجاوز 41,8% (أي33000 تلميذ(ة) في وضعية إعاقة)[12] مع الأخذ بعين الاعتبار أن النسبة تشمل جميع أنواع الإعاقة بما فيها الإعاقة الحركية[13].

وفي هذا الإطار خصصت الرؤية الاستراتيجية 2015/2030 (من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء) رافعة خاصة بالأشخاص في وضعية إعاقة (الرافعة الرابعة) تحت عنوان "تأمين الحق في ولوج التربية والتكوين للأشخاص في وضعية إعاقة، أو في وضعيات خاصة". دعت السلطات الحكومية المكلفة بالتربية والتكوين للقيام بواجبها نحو الأشخاص في وضعية إعاقة أو في وضعيات خاصة، حتى تضمن لهم الحق في تعليم وتكوين جيدين ومندمجين في مكونات المدرسة المختلفة . وأمام هذا المطلب بادرت وزارة التربية الوطنية إلى إصدار الإطار المرجعي للهندسة المنهاجية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة "أقسام التربية الدامجة " شهر دجنبر 2017.

بعد ذلك انعقد المجلس الوزاري في شهر شتنبر 2018 واعتمد مشروع قانون إطار جديد لإصلاح نظام التربية والتكوين والبحث العلمي، وضعته وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي. وقد جاء هذا القانون الإطار ليعزز حق الأطفال في وضعية إعاقة في التربية بإدماج التوجيهات المتضمنة في الرؤية الاستراتيجية.

وقد كانت الندوة الدولية التي نظمها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي بداية يناير 2019، في موضوع "الحق في التربية الدامجة: الانتقال المفاهيمي، والتحول في الممارسات، ورهانات التقييم"، وكذا توصيات رأيه في موضوع "تعليم الأشخاص في وضعية إعاقة: نحو تربية دامجة، منصفة وناجعة"، دافعا قويا للانتقال بالتجربة المغربية إلى تبني مقاربة التربية الدامجة، عبر ملاءمة أشكال العرض التربوي الموجه للأشخاص في وضعية إعاقة مع متطلبات التربية الدامجة، بحسب الاحتياجات الفردية، مع التأمين التام والمستمر للحركية

(11) الإطار المرجعي للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، مديرية المناهج 2019، ص4.

(12) انظر: البحث الوطني الثاني للإعاقة 2014، فبراير 2015 ، التقرير التفصيلي، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية ،ص:63

(13) أكد البحث السابق أن الأطفال في وضعية إعاقة حركية أكثر قابلية للاستفادة من التمدرس بينما الأطفال في وضعية إعاقة ذهنية أو حسية يلجون الأقسام المدمجة أو يلتحقون بالمراكز المتخصصة.

والتكامل والتنسيق فيما بين تلك الأشكال، وتشجيعها على التعاون والتعاضد في تقديم الخبرة التربوية في التعليم الأولي والمدرسي والجامعي[14].

وبالفعل، أطلقت الحكومة "البرنامج الوطني للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة" تحت الرعاية السامية لجلالة الملك وبرئاسة رئيس الحكومة ووزير التربية الوطنية وبتعاون مع منظمة اليونيسيف تحت شعار " لن نترك أي طفل خلفنا " وذلك بتاريخ 26 يونيو 2019. ليضع خارطة طريق للانتقال التدريجي من الإدماج المدرسي إلى التربية الدامجة في غضون ثلاث سنوات (2019/2021) من خلال مخطط لتحويل أقسام الدمج المدرسي إلى قاعات الموارد للتأهيل والدعم[15] وإحداث قاعات جديدة لتصل إلى نسبة تغطية 100% بمؤسسات التعليم الابتدائي بحلول الموسم الدراسي 2027 /2028.

كما تراهن الوزارة على الرفع من نجاعة وجودة خدمات المؤسسات التربوية الدامجة للأطفال في وضعية إعاقة من خلال: تعزيز العرض المدرسي، والارتقاء بالنموذج البيداغوجي، وتقوية الإطار القانوني لدمج الأطفال في وضعية إعاقة، وتطوير الشراكات الداعمة للتربية الدامجة، فضلا عن التعبئة المجتمعية من خلال تحسيس وتعبئة مختلف المتدخلين والشركاء.

وفي الختام، نسجل أن هذا التصور الجديد الذي يعد نموذجا في طور البناء، سيواجه تحديات تحول دون تنزيله مالم يتم تفعيل آليات الاستقبال والتوجيه والتتبع تحت إشراف لجنة طبية متعددة التخصصات[16]، وتعزيز التنسيق والتكامل بين أنماط التمدرس الثلاث السابق ذكرها، ومد الجسور بينها إن على مستوى الغايات (غاية التعليم، وغاية الإدماج المهني في سوق الشغل، وغاية التنشئة وتحقيق الاستقلالية)[17] أو على مستوى المناهج والبرامج التربوية المعتمدة في كل واحدة منها وجعلها ملائمة للاحتياجات التربوية الخاصة بهذه الفئة.

واقع البرامج التربوية بمراكز التربية الخاصة للأطفال في وضعية إعاقة ذهنية بالمغرب، فاس أنموذجا:

كشف البحث الوطني الثاني للإعاقة بالمغرب أن 15% من الأطفال المتمدرسين يترددون على مؤسسات متخصصة، تدبرها جمعيات تهتم غالبا بذوي الإعاقة الذهنية. [18] خصوصا الذين لم يتم قبولهم في الأقسام المدمجة والأقسام العادية،

(14) رأي المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي رقم 4/19، يونيو 2019، ص19.

(15) تقدم هذه القاعات خدمات التصحيح والتقويم والتطوير عبر: أ- التدخل الطبي وشبه الطبي (أنشطة التصحيح والتقويم وأنشطة التعلمات الداعمة) ب- التدخل النفسي الاجتماعي (أنشطة تنمية الذات وأنشطة تنمية مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي) ج- التدخل السيكومعرفي (أنشطة الإيقاظ الذهني وأنشطة إرساء المعارف الأساسية).

(16) سبق لوزارة الصحة ووزارة التربية الوطنية والتكوين المهني أن أصدرتا دورية مشتركة بتاريخ 25 يونيو 2014، تقرر بموجبها تفعيل اللجنة الطبية الإقليمية واللجنة النيابية للاستقبال والتوجيه والتتبع في مجال تمدرس الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وتحديد أعضائها واختصاصاتها المتمثلة في تقييم قدرات الطفل المعاق وتصنيف إعاقته حسب النوع والدرجة، ثم توجيهه للمدارس العادية إذا كان قابلا للتعلم أو للمراكز المتخصصة إذا كانت إعاقته عميقة.

(17) انظر: تقييم نموذج تربية الأطفال في وضعية إعاقة في المغرب، نحو تربية دامجة، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، 2019، ص 19-18.

(18) البحث الوطني الثاني للإعاقة، مرجع سابق، ص63.

أو الذين يوجدون في وضعية صحية تحتاج إلى خدمات تأهيلية طبية وشبه طبية، أو من ينحدرون من أسر معوزة توفر لهم خدمات الدعم الاجتماعي كالنقل والتغذية والتأهيل المهني. وهي نسبة هامة إذا ما قورنت بأعداد المتمدرسين بالأقسام المدمجة والأقسام العادية[19].

في ظل الإقبال على هذه المراكز من قبل أسر الأطفال في وضعية إعاقة (والإعاقة الذهنية بالخصوص)، سنحاول طرح إشكالية مضمون الخدمات التربوية المقدمة لهذه الفئة، ومدى قدرتها على توفير برامج ملائمة يستجيب لحاجياتهم.

أ. إشكالية الدراسة: تسعى هذه الورقة إلى تحليل مضمون البرامج التربوية المعتمدة من قبل مراكز التربية الخاصة، وتشخيص وضعيتها الراهنة.

ب. أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى جرد الموضوعات المدرسة، و تحديد درجة توافق البرامج المعتمدة مع الفئة المعنية (ذوي الإعاقة الشديدة وذوي الإعاقة الخفيفة والمتوسطة الذين تجاوزوا سن الدراسة بالأقسام العادية).

ت. حدود الدراسة: أجريت هذه الدراسة على مستوى مدينة فاس بالمراكز المتخصصة التي تهتم بالأطفال في وضعية إعاقة ذهنية، حيث تم تنظيم مقابلات مع مديرات 9 مراكز متخصصة لشرح إشكالية الدراسة والهدف منها للحصول على نماذج من البرامج التربوية المعتمدة، لكن مركزين فقط هما من استجابا للطلب، وبناء على ذلك فنقتصر على تحليل مضمون برامج:

- مركز نور لإعادة تأهيل الأطفال في وضعية إعاقة التابع لجمعية مفاتيح الرحمة[20].
- المركز السوسيو تربوي فرح لتأهيل وإدماج الأطفال في وضعية إعاقة التابع لجمعية تحدي الإعاقة[21].

ث. مصطلحات الدراسة:

- التربية الخاصة: هي "خطة تربوية وتدريسية شاملة ومتخصصة تتم بمؤسسات خاصة، لتساعد الأطفال ذوي القصور العقلي أو الحسي أو الجسدي (...) وتوفر لهم الرعاية اللازمة بما يتفق مع قدراتهم وإمكاناتهم (...) وتضمن تنمية ما لديهم من قدرات إلى أقصى حد ممكن، ليصبحوا قادرين على قضاء حاجاتهم باستقلالية، واكتساب مهارات العمل اللازمة لكسب

(19) أخر رقم كشف عنه وزير التربية الوطنية خلال كلمة بمناسبة إطلاق البرنامج الوطني للتربية الدامجة هو 8000 تلميذ بالأقسام المدمجة أغلبهم من ذوي الإعاقة الذهنية واضطراب التوحد بينما بلغ عدد المتمدرسين بالأقسام العادية 80000 تلميذا أغلبهم من ذوي الإعاقة الحركية (انظر: https://www.chouftv.ma/press/125296.html).

(20) تأسست بتاريخ 28/ 10/ 2010، تدبر 5 مراكز بكل من: وجدة ـ تمارة ـ صفرو ـ ومركزين بفاس بطاقة استيعابية تتجاوز 600 طفل، تتراوح بين خدمات شبه طبية (الترويض الطبي، ترويض النطق، الترويض النفسي الحركي، ترويض العينين) وخدمات الدعم النفسي والتمدرس والتأهيل المهني والنقل في إطار صندوق التماسك الاجتماعي بشراكة مع مؤسسة التعاون الوطني، إضافة إلى أنشطة رياضية وفنية أخرى.

(21) تأسست بتاريخ 02/09/2000، تقدم خدماتها لفائدة 100 طفل، تقدم نفس الخدمات التي تقدمها جمعية مفاتيح الرحمة باستثناء ترويض العينين.

العيش [22]". وبذلك فإنها تختلف عن التربية العادية ببرامج تربوية تنبني على خطط بيداغوجية علاجية فردية تحدد بدقة جملة من الكفايات والأهداف التي يجب تحقيقها خلال المسار التربوي بمعية الأسرة والفريق التربوي والطبي، وترتكز على منهج تفريدي يراعي احتياجات الفئة المستهدفة وإيقاع تعلمها حسب نوع ومستوى الإعاقة، كما تعتمد طرائق تربوية ووسائل ديدكتيكية مناسبة[23].

- البرنامج التربوي: هو "لائحة المواد الواجب تدريسها وتفصيل الدروس والأنشطة مصحوبة بالتوزيع الزمني، وهو يشمل جردا بالموضوعات التي يتعين دراستها في مختلف المواد التعليمية خلال فترة زمنية معينة تحدد في سنة دراسية. ويقدم البرنامج إما على شكل مواضيع متسلسلة ومرتبة بحسب ارتباطها فيما بينها أو بحسب علاقاتها وانسجامها مع موضوعات مواد تعليمية أخرى، وإما على شكل محاور عامة يتناول كل واحد منها من زوايا مختلفة: خلقية ولغوية وعلمية وفنية واجتماعية ...إلخ"[24].
- الإعاقة الذهنية: يختلف تعريفها من المنظور السيكومتري المعتمد على معامل الذكاء IQ، والمنظور الطبي المرتكز على الجانب العضوي والفيسيولوجي، والمنظور الاجتماعي المعتمد على قدرة الشخص على التكيف الاجتماعي، والمنظور التربوي المرتكز على القدرات التحصيلية. ويمكن الجمع بين هذه التعريفات انطلاقا من كون الإعاقة الذهنية "حالة نقص في معدل الذكاء، أو قصور في الوظائف العقلية العامة، أو عدم اكتمال في النمو وانخفاض مستوى الأداء العقلي والسلوك التكيفي، وتحمل المسؤولية، والتواصل والعناية بالذات، وقصور في مهارات العمليات المعرفية، أو حماية ذاته من الأخطار المحتملة.إلا أنه بإمكانه اكتساب المبادئ الأساسية للنجاح والعيش مع الآخر عن طريق برامج تعليمية خاصة بحسب درجة إعاقته (خفيفة، متوسطة، عميقة)، وبحسب طبيعة العرض الطبي والتعلمات الداعمة والعرض التربوي المتكيف مع هذا الطفل"[25].

ج. نتائج تحليل المضمون:

تستقبل الجمعيات موضوع الدراسة الأطفال في وضعية إعاقة ذهنية عميقة المعوزون ابتداء من السنة الثالثة إلى حدود 15 سنة في إطار التربية الخاصة بينما تفتح الباب أمام الذين تجاوزوا هذا السن للالتحاق بورشات التأهيل المهني، ويقبل الأطفال ذوو الإعاقة الخفيفة أو المتوسطة الذين تجاوزوا سن التمدرس. فكيف يتم تحدد درجة الإعاقة؟ وما مصدر البرامج المعدة لكل فئة؟ وما

(22) – عصام حسين ،التربية الخاصة للأطفال غير العاديين ،دار الصحوة للنشر والطبع ،القاهرة ،مصر ،ط1 ،سنة 2009 ،ص 6

(23)– يشمل الفريق التربوي والطبي: المربيات والأخصائي النفسي والمرشد الاجتماعي وأخصائي الترويض الحركي وأخصائي الترويض النفسي الحركي و أخصائي تقويم النطق وأخصائي ترويض العينين إضافة إلى منشطي التربية البدنية والفنية ...إلخ

(24) – مجلة دفاتر التربية والتكوين، عدد مزدوج 6/7، ماي 2012، ص 121.

(25) –الإطار المرجعي للتربية الدامجة، مرجع سابق، ص58.

طبيعة هذه البرامج من حيث المكونات والمضامين؟ ثم إلى أي حد تستند على المشروع الفردي لكل مستفيد؟

- تحديد الفئة التي وضعت البرامج من أجلها:

تعتمد الجمعيتان في تنظيمهما التربوي على تقسيم الأطفال إلى أفواج حسب درجة الإعاقة (خفيفة، متوسطة، عميقة) بناء على الشهادة الطبية المسلمة من قبل طبيب عام في الغالب، وفي بعض الأحيان على تشخيص الأخصائي النفسي دون إعمال لأدوات تشخيص دقيقة وعلمية (مثل مقياس ستانفورد بينيه أو وكسلر وغيرهما) وهو ما يجعل من التشخيص أكبر تحد يواجه هذه المراكز. حيث سبق للمجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي أن سجل غياب تشخيص دقيق لتحديد نوع الإعاقة ودرجتها بأسلوب علمي، وغياب التنسيق بين الفاعلين، علما بأنهما يساهمان في جودة توجيه الطفل نحو بنية الاستقبال الملائمة، وفي تكييف الوسائل البيداغوجية. كما سجل ضعف أداء اللجن الطبية متعددة التخصصات التي تم إنشاؤها لهذا الغرض، لأن الآباء لم يلجؤوا إليها إلا قليلا [26].

- المستويات التربوية ومصدر البرامج:

في ظل غياب برامج ومناهج موحدة ومقننة للعمل داخل المراكز المتخصصة، يلجأ أطر هذه المؤسسات إلى الاجتهاد والبحث عن برامج ومناهج جاهزة يتم استيرادها وتطبيقها كما هي، أو في أحسن الحالات، يعملون على تعديل بعض مكوناتها والاشتغال بها، بسبب الفراغ المؤسساتي الذي يسود هذا المجال[27].

وهكذا قامت جمعية مفاتيح الرحمة باعتماد المستويات التالية: فبمجرد قبول الطفل بالمركز يلتحق بالمستوى التحضيري لمدة سنة وهو عبارة عن حصص فردية أسبوعية تتراوح بين 5-3 مدتها نصف ساعة، ويكون الهدف منها هو تهيئة المستفيد للاندماج ضمن مجموعة القسم السنة القادمة، إضافة إلى توفير برنامج خاص لتعديل السلوك، بعدها يلتحق الطفل بالمستوى التمهيدي (أ) يليه المستوى التمهيدي (ب)، ثم مستوى الاكتساب الأول والثاني والثالث، ليلتحق بعد ذلك بمستوى التأهيل المهني بعد بلوغه سن 15. واعتمدت في وضع برامجها على البرنامج الرسمي المعتمد في التعليمين الأولي والابتدائي (خاصة الأولى والثانية ابتدائي) في مجال التعلمات الأساسية مع إخضاعها لبعض التعديلات بمشاركة الفريق التربوي تحت إشراف مؤطر مكلف بالتتبع التربوي بينما طورت برامجا خاصا بها في مجال التعلمات الداعمة.

في حين تعتمد جمعية تحدي الإعاقة على مستويات ثلاث (الأول والثاني والثالث) يليها مستوى التأهيل المهني بعد بلوغ سن 15. وبخصوص مصدر

(26) -تقييم نموذج تربية الأطفال في وضعية إعاقة بالمغرب، نحو تربية دامجة، مرجع سابق، ص40.

(27) - رشيد الكنوني، الإعاقة بالمغرب عنف التمثلات وممكنات التغيير، مرجع سابق، ص185.

البرامج المعتمدة فهي مقتبسة من الإطار المرجعي للهندسة المنهاجية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة "أقسام التربية الدامجة"[28] تم تقسيمها على المستويات الثلاث مع بعض التعديلات الخاصة بالمربيات في كل مستوى بناء على اجتهادات شخصية والتجربة الميدانية.

- **مضامين البرامج:**

قامت جمعية تحدي الإعاقة بتوزيع البرنامج إلى ثلاث مجالات كبرى تتفرع عنها مجالات أخرى:

المجالات التعلمية	المجالات الفرعية	المضامين
اللغة والتواصل	التواصل الشفهي	-التعريف بالنفس -تعرف الأصوات وخارجها -تعرف الأشياء المستعملة في الحياة اليومية والأشخاص والأماكن. -التدرب على تنفيذ الأفعال -التعبير عن الحاجات وعما يراه -التدرب على التركيز والنظر إلى المخاطب -تعلم الإجابة على السؤال -ربط الصور بالأصوات -التمييز بين الأصوات
	الإعداد للقراءة	-الاشتغال على خمسة إلى ثمانية حروف خلال كل أسدوس -تقليد الأصوات ونطق الحروف وتعرفها بصريا وسمعيا والإشارة إليها بالسبابة -قراءة الحروف مع الحركات ثم الكلمات
	التخطيط والكتابة	-التدرب على الجلوس والتآزر بين إدراك العينين وحركة اليدين -التدرب على التآزر الحركي البصري، وعلى مسك القلم والتخطيط باستعمال الرمل والعجين والهواء... -تمارين تقوية الأصابع (الحركات الدقيقة) -التدرب على كتابة الحروف بشكل متدرج ومتنوع (بالفرشاة، القلم الملون، قلم الرصاص)
العلوم والرياضيات التنشئة الاجتماعية والتفتح	الرياضيات	-تعرف وتمثل الأعداد من 0 إلى 30 كتابة وعدا وترتيبا ومقارنة -تعرف وتسمية الأشكال الهندسية واستعمالها في أنشطة متنوعة كالتلوين والتقطيع والتلصيق -تعرف أنواع الخطوط(عمودي، أفقي، مائل) -تعرف وتسمية الألوان -التدرب على التموقع في المكان(فوق، تحت، داخل، خارج، يمين، يسار، أمام، خلف) -التدرب على التموقع في الزمان(قبل، بعد) -تعرف وتمييز الأحجام والأطوال والكتل والمقارنة بينها -تعلم التنظيم (التفييئ، التصنيف، الترابط، السلسة)

	التفتح العلمي والتكنولوجي	-إدراك الطفل لمكونات جسمه، ووظائف أعضائه وحواسه، -التعرف على فضاء القسم ومكوناته -التموقع داخل جماعة الفصل -التعرف على مكونات التغذية السليمة (الحبوب، القطاني، الفواكه، الخضر، اللحوم، الأسماك...) -التعرف على أصوات الحيوانات -التعرف على النباتات -التعرف على أنواع الملابس -التعرف على حالات المادة -تعرف فصول السنة وأحوال الطقس -تعرف تعاقب الليل والنهار وأيام الأسبوع -تعرف فصول السنة -تعرف أنماط التنقل عند الإنسان والحيوان
	الاعتماد على الذات	-غسل الوجه واليدين والأسنان والفم والأنف -الأكل والشرب بالاعتماد على النفس -دخول المرحاض دون مساعدة -فتح وإغلاق الأزرار والحزام دون مساعدة -ارتداء الملابس والحذاء بالاعتماد على النفس -تقدير الذات -الثقة بالنفس -التدرب على الجلوس والمشي والقفز ووضعيات مختلفة -التدرب على النظافة -التدرب على فهم إشارات المرور -التمرن على التوازن والتنسيق الحركي العام - التمرن على وضعيات الجسم في الفضاء باستعمال المرآة
	التربية الإسلامية	-حفظ بعض قصار السور بمعدل ثلاث سور كل أسدوس - تعرف مبادئ العقيدة (الله رب العالمين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإسلام ديننا، الفرآن الكريم كتابنا) -تعرف آداب الأكل والشرب -تعرف الوضوء والصلاة عمليا -تعرف بعض القيم (طاعة الوالدية، احترام الغير، إلقاء التحية والرد عليها، الشكر والرد على الشكر، عدم إيذاء الآخرين)
	التربية الفنية	-استعمال النقط والخطوط -التقطيع والإلصاق والتشكيل -الرسم باستعمال الصباغة والعجين -الغناء والإنشاد الفردي والجماعي -تعرف الأصوات الموسيقية -مشاركة الأقران مسرحية قصيرة -لعب أدوار مسرحية
	التربية البدنية	-إدراك مكونات الجسد ووظائف الأعضاء وتطوير الجانبية والتموقع في الفضاء -التمرن على أداء المهام الإرادية أو بحسب التعليمات -التدرب على سلسلة من الحركات -محاكاة الأقران في اللعب -تعرف قوانين اللعب واحترامه

بينما ترتكز البرامج التربوية لجمعية مفاتيح الرحمة على مستويين: مستوى التعلمات الداعمة وهي مرتبطة بما يدعم قدرات الطفل لولوج عالم التعلم والاكتساب، ومستوى التعلمات الأساسية التي يستلزمها التعليم المدرسي. ويشمل كل مستوى على مجالات كبرى لتنقسم إلى مكونات فرعية:

مستويات التعلم	المجالات الكبرى	المكونات الفرعية	المضامين
التعلمات الأساسية	اللغة العربية	التعبير والحكاية	-التعريف بالنفس -تعرف مخارج الحروف -تعرف أصناف الأغذية الصحية -التدرب على التعبير الشفهي لما يراه -التعرف على المهن -ربط المهن بأدواتها -ملاحظة الصور والتعبير عنها -تلخيص مقطع من حكاية مسموعة -التعرف على الحيوانات البرية والبحرية -التمييز بين الأصوات -التدرب على التعبير عن المشاعر
		القراءة	-الاشتغال على ستة حروف كل سنة -قراءة الحروف مع الحركات ثم الكلمات
		الكتابة	-التدرب على كتابة الحروف المقروءة وكتابتها إملاء
	الرياضيات	الحساب والهندسة	-تعرف وتمثل الأعداد من 0 إلى 50 كتابة وعدا وترتيبا ومقارنة -تعرف وتسمية الأشكال الهندسية -تعرف أنواع الخطوط(عمودي، أفقي، مائل) -إنجاز عمليات الجمع -تعرف الأطوال والمقارنة بينها -تعرف أشهر السنة الميلادية والهجرية -التعرف على الوقت والساعة
	التربية الإسلامية	القرآن الكريم	-حفظ وفهم قصار السور بمعدل 3 سور في السنة
		العبادات	-تعرف أركان الإسلام -الله خالقي -محمد نبيي -الشهادتان -الآذان -الطهارة -الوضوء عمليا -التيمم عمليا -الصلاة عمليا

التعلمات الداعمة	التربية الفنية والتفتح	التربية التشكيلية	-تعرف الألوان -التنقيط -تعرف أنواع الخطوط(العمودي، الأفقي، المائل، المغلق، المفتوح) -التلوين -التزيين
		التربية الموسيقية والمسرحية	-تعرف الأصوات الموسيقية -تعرف الأدوات الموسيقية -التمرن على العزف -حفظ أناشيد قصيرة بالإيقاع -مشاركة الأقران مسرحية قصيرة -لعب أدوار مسرحية -التمرن على لوحات راقصة
		الأعمال اليدوية	-التدرب على الطي والتلصيق والتقطيع باستعمال المقص -صنع أشكال هندسية بالعجين -الرسم على الرمل -تشكيل متنوع وإنتاجات حرة -التسطير والتزيين باستخدام القطاني -إعادة تدوير النفايات لصنع إنتاجات
	الأداء الوظيفي المستقل والاجتماعي	التربية الحسحركية	-تعرف أعضاء الجسم ووظائفهم -تعرف الحواس ووظائفهم -تعرف المفاصل -التدرب على أنواع الحركات (الجلوس، الوقوف، القفز، الجري) -التدرب على تعابير الوجه والجسد أمام المرآة -ترتيب الأحداث والأفعال باستعمال البطاقات -التعرف على فضاء المكان (يمين، يسار، فوق، تحت، أمام، خلف) -الإلمام بترسيمة الجسد
		السلوك التكيفي	-التعرف على الأدوات المدرسية واستعمالاتها -التعرف على أدوات النظافة واستعمالاتها -التعرف على أدوات المطبخ واستعمالاتها -التدرب على تنظيف المنزل والقسم -التدرب على ترتيب المائدة -تنمية المسؤولية الشخصية والاجتماعية -المحافظة على الممتلكات الشخصية -المحافظة على الممتلكات العمومية -الانضباط لقانون القسم
		المهارات العقلية	-التدرب على الملاحظة والانتباه والتركيز والترتيب والتمييز والمقارنة -التدرب على التركيب والتصنيف والفرز والتمييز حسب الطول والوزن -تحديد أوجه التشابه وأوجه الاختلاف

		المهارات الحياتية	-التعرف على فضاء المؤسسة (القسم، المرحاض، المطعم، الساحة، الإدارة) -التدرب على استخدام أدوات الطبخ -التدرب على تصفيف الشعر وغسل اليدين والوجه والأسنان -التدرب على الاستحمام والنظافة الشخصية -التمرن على الأكل والشرب دون مساعدة التمرن على ارتداء الملابس وطيها وغسلها بالاعتماد على النفس -التدرب على عبور الشارع وقواعد السلامة الطرقية -تجنب مخاطر الحريق والحوادث المنزلية -التدرب على استخدام الهاتف النقال وأخذ الدواء -التعرف على عنوان السكن (اسم الحي ورقم الشارع...) -التعرف على إشارات المرور -التربية الجنسية (يعرف جنسه وجنس أخوانه وعائلته، يميز بين الذكر والأنثى) ويتدرب على حماية جسده عند التعرض للاعتداء -التعرف على أنواع المواصلات -التعرف على أسماء الحيوانات -التدرب على استعمال النقود وامتلاك القدرة على الشراء

يتبين من خلال الجدولين أعلاه، أن البرامج التربوية المعتمدة بالمركزين تختلف من حيث المجالات الكبرى، إذ تم تقسيم برامج التربوي لجمعية تحدي الإعاقة إلى أقطاب أكاديمية (اللغات والتواصل، الرياضيات والعلوم) وقطب للتنشئة والتفتح هو نفسه يتضمن مادة التربية الإسلامية. الشيء الذي يوضح هيمنة المهارات المعرفية على حساب المهارات الحياتية اليومية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، كما أن المهارات الحركية (التربية البدنية) ومهارات الاستقلالية ورعاية الذات تعد المكون البارز ضمن هذه البرامج والتي تعد الأنشطة ذات الأولوية بالنسبة لذوي الإعاقة المتوسطة والشديدة.

كما نسجل غيابا تاما لمهارات الإعداد المهني (أنشطة التعرف على المهن والأعمال المختلفة، اكتساب الاتجاهات والقيم الملائمة للمهن والعمل،..) ومهارات السلامة العامة والحماية والدفاع عن النفس والتربية الجنسية، إضافة إلى غياب مهارات التعامل بالنقود لتمكينهم من القيام بعمليات الشراء البسيطة.

ويمكن تفسير الملاحظات السابقة، إلى أن الأمر راجع للمصدر الذي اعتمد عليه البرنامج التربوي كما سبق ذكره[29] والذي أعد للتربية الدامجة التي يرتادها في العموم ذوي الإعاقة الخفيفة ولم يستهدف ذوي الإعاقة المتوسطة والشديدة.

في المقابل، اعتمدت البرامج التربوية لجمعية مفاتيح الرحمة على مبدأ الدمج والتوازن بين التعلمات الأساسية (المهارات الأكاديمية المتعلقة بالقراءة والكتابة والرياضيات مع تغييب مكون العلوم) والتعلمات الداعمة (المهارات الحياتية والحسحركية والعقلية والسلوك التكيفي ضمن ماسمته بمجال الأداء الوظيفي

(29) الإطار المرجعي للهندسة المناهجية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة ،أقسام التربية الدامجة.مرجع سابق.

المستقل والاجتماعي) .ومع ذلك فإنها لم تركز كثيرا على التنمية الحركية ومهارات التفاعل الاجتماعي والتوافق النفسي (تقدير الذات، الثقة بالنفس، التواصل الشفهي واللغوي).وكانت المعاملات النقدية ومهارات السلامة والصحة والتربية الجنسية وتنمية القدرات العقلية أهم مكوناتها. ومع ذلك يفتقر البرنامج إلى مرجعية علمية يستند إليها وإن كانت أنشطته قريبة من البرنامج الخاص الذي تتبناه الجمعية الأمريكية للإعاقة العقلية[30] .

ويرجع الأمر في الملاحظات السابقة، إلى محاولات الجمعية التوفيقية بين التعلمات المدرسية المستقاة من المناهج الرسمية والتعلمات الداعمة المعتمدة على جهود البحث الذاتي للمربيات والفريق التربوي تحت إشراف مؤطر قصد الاستجابة إلى مختلف درجات الإعاقة.

وبناء على هذا الجرد والتحليل، نخلص إلى أن قياس درجة ملاءمة هذه البرامج للاحتياجات التربوية الخاصة للمتعلمين مستبعدة وغير ممكنة في ظل:

- النقص الواضح في خدمات التشخيص والتقييم النفسي وغياب الأدوات والمقاييس العلمية.
- غياب الأطر المؤهلة القادرة على إجراء عمليات التقييم والقياس والاقتصار على الجانب الطبي الذي يعاني بدوره من ضعف الفحص وأدوات القياس.
- عدم تصنيف الأفواج بناء على قدرات المتعلمين وخصائصهم التعليمية وسماتهم النفسية والاجتماعية ومدى قابليتهم للتعلم والتأهيل والتدريب.
- عدم تركيز المربيات على استراتيجيات التعلم التفريدي المناسب لكل طفل حسب درجة ونوع إعاقته والاقتصار على نموذج جاهز للتعليم الجمعي لا يستحضر الفروق الفردية للمتعلمين.
- عدم الاستناد إلى المشاريع البيداغوجية الفردية في التخطيط للتعلمات ، واعتبارها مجرد وثيقة تفرضها الوزارة للحصول على الدعم المالي فقط[31].وتسند مهمة تعبئتها في الغالب للمربيات مع ضعف خبرتهن في صياغتها.

كل هذا يجعل من موضوع التربية الخاصة بالمغرب ورشا مفتوحا يحتاج إلى تكاثف جهود الباحثين لإجراء مزيد من الدراسات الجادة التي تسهم في تطوير جودة الخدمات المقدمة بهذه المراكز.

توصيات:

بناء على ماسبق، واستحضارا للنموذج التربوي الجديد الذي تبنته الحكومة في إطار التربية الدامجة، واستشرافا لمستقبل المراكز المتخصصة بالمغرب، أصبح مفروضا على هذه الأخيرة أن تعدل من استراتيجيات عملها من خلال اقتراح

(30) انظر : سهير محمد سلامة شاش، تنمية المهارات الحياتية والاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة،مكتبة زهراء الشرق،ط1، 2015 ،ص82-81,

(31) انظر : دليل مساطر مشروع تحسين ظروف تمدرس الأطفال في وضعية إعاقة، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، السنة المالية 2019، النموذج 12.

التوصيات التالية:

1. التركيز على برامج التدخل المبكر الموجهة للفئة(من الولادة إلى 5سنوات) وبرامج التربية الوالدية الموجهة للأسر، والدفاع عن حقوق الأطفال في وضعية إعاقة على مستوى المؤسسات الرسمية.
2. الانتقال إلى لعب دور قاعات موارد للتأهيل والدعم لمد الجسور مع المدارس العادية وضمان الالتقائية معها عبر توفير خبراتها أو بعض المهنيين لمساعدة المدارس في استقبال الأطفال.
3. مد جسور التكامل مع الاقسام العادية عبر تقسيم وقت الطفل بين المدرسة والمؤسسة المتخصصة، وتعزيز الشراكة مع وزارة التربية الوطنية ووزارة الصحة.
4. التخصص في استقبال ذوي الإعاقات العميقة، وتوجيه ذوي الإعاقات الخفيفة والمتوسطة للمدارس العادية.
5. اعتماد و تطوير آليات القياس والتشخيص والتقويم، وتدريب العاملين على استخدامها خاصة مقاييس الذكاء، وشبكات تشخيص المهارات الأكاديمية والحياتية والمهنية.
6. ضرورة التمييز بين التلميذ القابل للتعلم من ذوي الإعاقة الخفيفة والذي تؤكد بعض الدراسات[32] أن بإمكانه الحصول شهادة التعليم الابتدائي إذا تظافرت جهود المدرسة والجمعية والأسرة، و الطفل القابل للتدريب والذي تشكل التنشئة والتفتح ذو الأبعاد المتعددة وكذا التأهيل المهني أولوية بالنسبة له، وبين الطفل الاعتمادي الذي يحتاج إلى تعزيز مهارات الاستقلالية والاعتماد على الذات بالدرجة الأولى.
7. توظيف نتائج التقويم والتشخيص في إعداد المشروع البيداغوجي الفردي واعتباره المحدد الرئيسي في إعداد البرامج التربوية الفردية.
8. إشراك الأسر في إعداد المشروع البيداغوجي الفردي ومساهمتهم في أجرأة الأنشطة المعهودة إليهم لضمان تحقيق أكبر قدر من النتائج، و في تتبع وتقويم الحصيلة التربوية بواسطة دفتر للتواصل بين المؤسسة والأسرة وبتوصلها ببيان حصيلة التمدرس، أو من خلال تنظيم لقاءات مشتركة والحرص على مواظبة أبنائهم.
9. التركيز على التعلم التفريدي الذي يستحضر الاحتياجات التربوية الخاصة بكل مستفيد وكذا التعلم التفريقي الذي يعتمد البيداغوجيا الفارقية وينبني على اعتبار الفروقات الفردية في العمل. المجموعاتي.
10. الاهتمام بتأهيل الموارد البشرية عبر برامج التكوين المستمر، وتطوير معايير انتقائهم بناء على الكفاءات المعرفية والمهنية.
11. الحرص على تشجيع الانتقال من الرعاية الطبية والاجتماعية إلى تطوير

(32) انظر :جمال محمد الخطيب ومنى صبحي الحديدي، المدخل إلى التربية الخاصة، دار الفكر، ط1،2009، ، ص72.

مشاريع حياتية تمكن الأشخاص في وضعية إعاقة من الاندماج في المجتمع.

12. المطالبة بالإشراف المباشر لوزارة التربية الوطنية بحكم اختصاصها على المراكز المتخصصة لضمان المراقبة التربوية للمناهج والبرامج وتوحيدها والتصديق عليها.
13. المطالبة بتفعيل لجن جهوية تتكلف بدراسة ملفات الأطفال في وضعية إعاقة في سن التمدرس وتوجيههم أو إعادة توجيههم وتتبع مسار تعليمهم وتكوينهم.
14. المطالبة بإشراك الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين في اللجن الجهوية المكلفة بانتقاء المستفيدين من صندوق التماسك الاجتماعي لعقلنة الموارد من جهة، وتمكين الأطفال في وضعية إعاقة المتمدرسين في وسط عادي من الاستفادة من جهة ثانية.

قائمة المصادر المراجع:

1. تقييم نموذج تربية الأطفال في وضعية إعاقة في المغرب، نحو تربية دامجة، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، 2019.
2. رشيد الكنوني ،الإعاقة بالمغرب عنف التمثلات وممكنات التغيير ،شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، 2017.
3. السياسة العمومية المندمجة للنهوض بحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، نونبر 2015.
4. تقرير حول تقييم المخطط الاستعجالي لوزارة التربية الوطنية، المجلس الأعلى للحسابات، 2018
5. الإطار المرجعي للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي، مديرية المناهج 2019.
6. البحث الوطني الثاني للإعاقة 2014، التقرير التفصيلي، وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية، فبراير 2015.
7. رأي المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي رقم 4/19، يونيو 2019.
8. عصام حسين، التربية الخاصة للأطفال غير العاديين، دار الصحوة للنشر والطبع، القاهرة، مصر،ط1 ،2019
9. جمال محمد الخطيب ومنى صبحي الحديدي، المدخل إلى التربية الخاصة، دار الفكر، الأردن، ط1 ،2009.
10. سهير محمد سلامة شاش، تنمية المهارات الحياتية والاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2015.

بعض مؤشرات الصدق والثبات لمقياس القلق لدى طلاب جامعة طبرق

إعداد: د. أبوبكر فضل لامين الحبوني
قسم علم النفس- كلية الآداب- جامعة طبرق

الاستلام: 25/ 3/ 2021 القبول 29/ 4/ 2021

المستخلص:

هدف هذا البحث إلى التعرف على دلالات الصدق والثبات لمقياس القلق لسبيلبرجر Spielberger لدى عينة مكونة من (180) من طلاب جامعة طبرق للعام الجامعي 2019 ـــــ 2020م، وتحتوي أداة البحث على (20) فقرة لقياس القلق كسمة و (20) فقرة لقياس القلق كحالة، وهي من إعداد سبيلبرجر Spiel-berger وزملائه عام 1964م، وبعد التطبيق وجمع البيانات تم إجراء التحليل العاملي باستخدام برنامج التحليل الاحصائي (Spss) حيث أظهرت النتائج توافر دلالات الثبات والصدق لمقياسي القلق كسمة والقلق كحالة لدى عينة البحث. إضافة إلى ان أفراد العينة اظهروا مستوى متوسط من امتلاك القلق كسمة والقلق كحالة.

الكلمات المفتاحية: القلق كسمة وكحالة- الصدق البنائي.

Indications of Reliability and Validity of the the State-Trait Anxiety Inventory among Tobruk University Students: a Libyan Study

Abstract

This study aimed to examine the validity and reliability of the Spielberger Anxiety Scale on a sample of 180 Tobruk University students in the academic year 2019-2020. The State-Trait Anxiety Inventory (STAI) is a 40-item self-reported questionnaire designed by Spielberger and his colleagues in 1964 to measure both state and trait anxiety. This scale consists of 20 items to measure anxiety as a trait and 20 items to assess anxiety as a state was used as a tool of this research. To assess the students level of anxiety, a factor analysis was conducted to test and to compare the two-factor model (State Anxiety and Trait Anxiety) by using the statistical analysis program (Spss). The results showed the availability of indications of reliability and validity of the measures of anxiety as a trait and anxiety as a state in the study sample. In addition, the findings indicated that the participants presented average levels of anxiety as a trait and anxiety as a state.

Keywords: reliability, validity, state-trait anxiety inventory, factor analysis

مقدمة:

يعد القلق من المشكلات النفسية لدى الكثير من الناس فهو متعدد في صوره ومختلف في اشكاله, وهو سمة متأصلة في شخصية الفرد ومعبرة عن حقيقة وجوده الانساني.كما انه أساس الاضطرابات والأمراض النفسية, ويعتبر في الوقت ذاته الركيزة الاساسية للانجازات البشرية سواء المألوفة أو الابتكارية.

ويذكر [11] ان فرويد Frued قد نظر إلى القلق على انه "حالة من الخوف الشديد الذي يمتلك الانسان ويسبب له كثيراً من الكدر والضيق والالم", كما نظرت إليه هورني Horney على انه "استجابة انفعالية لخطر يكون موجهاً إلى المكونات الاساسية للشخصية". ويتداخل القلق مع اضطرابات نفسية كثيرة كالخوف والاكتئاب والضغط النفسي, ويؤكد اغلب الباحثين على انه يجب التمييز بينها, ولعل الفارق الأساسي هو ان القلق عبارة عن توجس من خطر محتمل أو مجهول وغير مؤكد الوقوع, في حين ان الخوف هو استجابة لخطر واضح موجود فعلاً, فالخوف وقتي يزول بزوال المنبه الذي أحدثه.

اما اصحاب المدرسة السلوكية فترى ان القلق هو حافز متعلم تستثير صراعا يرتبط بالهدف وعندما يقترب الفرد من الهدف فالخوف يزداد قوة وهذا ما يسمى بالقلق. ويرى دولاروميللر ان القلق هو حافز متعلم يستثير صراعاً يرتبط بالهدف وعندما يقترب الفرد من الهدف فالخوف يزداد قوة وهذا ما يسمى بالقلق. لقد تباينت الدراسات في تاثير القلق على الشخصية فالبعض يعتبره قوة هدامه والبعض الاخر يراه قوه بناءه اما الفريق الثالث فيراه انه يسبب الكثير من الامراض الجسمية والاضطرابات النفسية.

لقد ميزت الدراسات بين مفهوم الضغط ومفهوم التهديد من حيث أن الضغط يشير إلى الاختلافات في الظروف والأحوال البيئية التى تتسم بدرجة ما من الخطر الموضوعي، أما كلمة تهديد فتشير إلى التقدير والتفسير الذاتي لموقف خاص علي أنه خطير أو مخيف، وكان لنظرية سبيلبرجر Spielberger قيمة كبيرة في فهم طبيعة القلق واستفادت منها الكثير من الدراسات والتي تحقق من خلالها صدق فروض ومسلمات نظريته، فالقلق حالة انفعالية مؤقتة يشعر به الفرد عندما يدرك تهديدا فينشط جهازه العصبي اللاإرادي وتتوتر عضلاته ويستعد لمواجهة الخطر، وتزول حالة القلق هذه بزوال التهديد اما سمة القلق فهي استعداد سلوكي مكتسب، يظل كامنا تنبهه وتنشطه مثيرات داخلية او خارجية فتظهر حالة القلق ويتوقف الاثارة عند الشخص اعتمادا على سمة القلق لدية. [5].

ان القلق ينظر إليه على أنه خلل يصيب السياق السوي لنشاطات الإنسان في خبرة أو أكثر، وبعض مظاهر القلق يمكن إعتبارها عارضا طبيعيا يزول دون أن يترك أثارا سلبية على كفاءة الشخص ومنها ما يتجاوز ذلك، بينما يعرف وولكر وروبرتس القلق: "بأنه إستجابة إلى إثارة الفرد داخليا دون وجود سبب

خارجي لينغص على الفرد حياته، مهدد بحيث تؤدي هذه الاستجابة إلى إثارة الفرد داخليا، وقد يرتبط القلق بموضوع أو موقف خارجي غير خطير، بحيث يسلك الفرد وكأنه خائف لسبب غير واضح أو معروف". [12].

لقد قدم سبيلبرجر Spielberger مفهوماً للقلق في تعريفين, هما القلق كحالة (A state) والقلق كسمة (A trait) حيث يعني مفهوم القلق كحالة انفعالية مؤقتة لدى الفرد تختلف من حيث الشدة والتذبذب من وقت لاخر, وقد يرتفع مستوى ذلك وفقاً للظروف التي يواجهها الفرد نتيجة لخطر ما, وينخفض ذلك المستوى عندما يزول ذلك الخطر. اما مفهوم القلق كسمة فانه يشير الى القلق كسمة ثابتة نسبياً لدى ذلك الفرد, حيث يختلف الافراد في درجة امتلاكهم لتلك السمة والذي يرجع إلى استعداده للاستجابة للمواقف أو الاخطار المؤدية لذلك في حياته اليومية. [7].

وتذكر [9] ان سبيلبرجر Spielberger يرى ان سمة القلق ثابتة في الفرد وتشترك في تشكيل شخصيته وان الافراد الذين يتصفون بهذه السمة يدركون عدداً اكبر من المواقف على انها تهديد لهم ويميلون للاستجابة لمثل تلك المواقف بدرجات عالية من الشدة الفسيولوجية، اما حالة القلق فتكون متغيرة في شدتها من وقت لاخر.

ويتعبر مقياس القلق الذي أعده سبيلبرجر Spielbergerوزملائه (1964) والذي عرف باسم (State – Trait Anxiety Inventory) مقياس القلق كحالة والقلق كسمة تعبيراً مباشراً عن ذلك وفقاً لمفهوم عملية القياس. حيث يتكون من مقياسين فرعيين وهما مقياس القلق كسمة ويتكون من (20) فقرة, ومقياس القلق كحالة ويتكون من (20) فقرة. [7].

ويستخدم مقياس سمة القلق كأداة بحث لاختبار الأفراد الذين يختلفون في استعدادهم للاستجابة لمواقف الشدة أو التعصب النفسية بمستويات مختلفة الشدة من حالة القلق ويستخدم مقياس حالة القلق لتحديد مستويات شدة حالة القلق الواقعية الحادثة بواسطة تعصب تجربة أو كمؤشر لمستوى الدافع. [8].

وقد أكد [1] ان هذا المقياس من أكثر مقاييس تقدير القلق شهرة وأوسعها استخداماً في البحث العلمي وفي الممارسات العيادية لانها تتصف بجميع الخصائص السيكومترية للمقياس الجيد فهي أداة صالحة ومفيدة لأغراض البحث العلمي.

موضوع البحث:

ان العصر الذي نعيشه اليوم بما فيه من تغيرات وضغوطات جعل الانسان يشعر بملازمة القلق له في كل مناحي الحياة، غير ان هذا القلق قد يكون في احد جوانبه يمثل دافعاً حيث يعتبر اصحاب نظرية قلق الدافع ان القلق في بدايته كان دافعاً للانسان من أجل النجاح، وان شعور القلق لدى الطالب الجامعي ينمي لديه دافع التعلم لخفض حدة القلق والتخلص منه، أما الجانب الأكبر فهو القلق الذي يعصف بمواهب الانسان وابداعاته حيث يظهر الطلاب في

مواقف الامتحان دوافع القلق فيتدني اداؤهم [10].

لقد وضع هذا الاختبار سبيلبرجر Spielberger ، وزملائه، حيث عمل سبيلبرجر Spielberger على تطوير التمييز الذي قدمه كاتل catell والذي أشار إلى أن القلق ينقسم إلى حالة وسمة، وتشير حالة القلق إلى خبرة وقتية متغيرة ومرحلية متعلقة بشعور الفرد بأنه مضطرباً هنا والآن ، أما سمة القلق فتشير إلى ميل أو تهيؤ أو سمة ثابتة نسبياً في الشخصية ، وعلى أساس التمييز بين كون القلق حالة مؤقتة وموقفية وبين كونه سمة مستقرة في الشخصية. لقد بدأ وضع القائمة من قبل سبيلبرجر Spielberger وزملائه عام (1964) وصدرت صورتها الأولى عام (1966) ثم عُدلت عام (1970) وعرفت بأسم (الصورة س) وصدرت منها الصورة الثالثة المنقحة عام (1983) وعرفت باسم (الصورة ي) وكل هذه الصور خاصة بالراشدين وكانت اللغات المترجمة لها أكثر من ثلاثين لغة.

وقام بترجمة بنود (الصورة س) إلى العربية كل من محمد علاوى (مصر) كابور أهلوت (الأردن) عبد الرقيب البحيرى (مصر) امطانيوس ميخائيل (سوريا) فيليب الصايغ (لبنان) أمينة كاظم (الكويت) أما (الصورة ى) وهى التي استخدمتها فى دراستي فقد قام بترجمتها إلى العربية أحمد عبد الخالق (مصر). [6].

وعلى الرغم من أهمية القلق كمفهوم أساسي في دراسة الصحة النفسية وفي التخطيط للبرامج التي تهدف إلى تحقيق الصحة النفسية لكافة فئات المجتمع، فإننا نجد في الوقت ذاته ان التراث النفسي الاجنبي والعربي يزخر بالدراسات حول القلق وأدواته، وأخرى حول الفروق بين الجنسين في القلق، فيما نجد ان تراثنا النفسي في مجتمعنا الليبي وعلى حد علم الباحث يفتقر إلى دراسات من هذا النوع في التحقق من مدى ثبات الادوات وصلاحيتها للتطبيق على فئة مهمة في المجتمع الا وهي طلاب الجامعة، لاسيما فيما نعيشه اليوم في ظل جائحة كورونا والازمات الاقتصادية المتلاحقة.

ان مُعد المقياس للعربية [6] قام بحساب الثبات وكان (0.91) لمقياس السمة، و (0.54) لمقياس الحالة وهو معامل ثبات مُرضي، وفي دراسة أخرى لمُعد الاختبار كان الثبات (0.80) لمقياس السمة، و(0.81) لمقياس الحالة، وهي معاملات ثبات مرتفعة. وعلى حد علم الباحث لم يتم اجراء أي دراسة للتعرف على الصدق البنائي لمقياس القلق كسمة وكحالة على عينات ليبية.

ويتلخص موضوع البحث الحالي في محاولة للتأكد من مدى صلاحية مقياس سبيلبرجر Spielberger للاستخدام في مجتمعنا المحلي. حيث تتحدد مشكلة البحث في محاولة للاجابة على التساؤلات التالية:

1 . ما مستوى القلق كسمة ومستوى القلق كحالة لدى طلاب جامعة طبرق؟
2 . ما دلالات معاملات الثبات لمقياس القلق كسمة والقلق كحالة؟
3. ما دلالات الصدق البنائي لمقياس القلق كسمة ومقياس القلق كحالة؟

أهمية البحث:

يعتبر طلاب الجامعة هم الطاقة البشرية التي بصلاحها وتوجيهها التوجه الامثل ينهض المجتمع ويتطور في مختلف جوانبه. ومرحلة الشباب لها خصائصا ومطالبها ومشكلاتها لذلك يجب الاهتمام بهم لانهم يتعرضون لضغوط عديدة كباقي أفراد المجتمع نتيجة للتحولات السريعة التي يمر بها مجتمعنا في مختلف الجوانب. كما ان من اهداف التعليم الجامعي الاعداد الأمثل للقوى البشرية اللازمة للعمل بكافة التخصصات التي يحتاجها المجتمع. ولايتحقق هذا الهدف إلا بالتنسيق مع كافة مؤسسات المجتمع لتوفير الرعاية الطلابية في مختلف جوانبها الاجتماعية والنفسية والعقلية والجسمية والاقتصادية لتنمية طاقتهم لابعد مدى ومن هنا تأتي أهمية البحث. [5].

ان أهمية البحث الحالي تنبع من أهمية المتغيرات المدروسة فيها، حيث يعتبر القلق من أهم الموضوعات النفسية فهو يرتبط غالبا بكل مشكلة نفسية يتعرض لها الأفراد في حياتهم وهو جوهر الأعراض المرضية ولب العصاب , وهو من أكثر الإضطرابات شيوعا في العالم. ولعل الضغوط التي يتعرض لها الافراد في مجتمعنا اليوم من أهم مبررات البحث.

أهداف البحث:

1 . التعرف على مستوى القلق كسمة ومستوى القلق كحالة لدى طلاب جامعة طبرق.

2 . الكشف عن دلالات الثبات لمقياس القلق كسمة ومقياس القلق كحالة.

3. الكشف على دلالات الصدق البنائي لمقياس القلق كسمةة ومقياس القلق كحالة.

حدود البحث:

- أقتصرت حدود البحث البشرية على طلاب جامعة طبرق.
- اما الحدود المكانية فتحددت في بعض كليات جامعة طبرق.
- وتراوحت الفترة الزمنية للبحث في الفترة الواقعة مابين 1. 12. 2019م ـ 1. 1. 2020م.

مصطلحات البحث:

حالة القلق: هو شعور انفعالي وقتي يدركه الفرد عندما يواجه مواقف مختلفة تثير لديه نوع من الخوف والتوتر الطبيعي نتيجة لارتباط هذه المواقف بموضوعات ذات أهمية له أو ذات صلة به وتنتهي حالة القلق بانتهاء الموقف المثير أو بمرور الوقت. [3].

سمة القلق: هي شعور انفعالي دائم يلازم الفرد في مختلف المواقف سواء كانت ذات أهمية أو أقل أهمية حيث أنها تختلف من فرد لآخر تبعاً للعوامل المثيرة للقلق وهي تلازم هذه الفئة من الأفراد باستمرار. [3].

طلاب الجامعة: هم الأفراد الملتحقون بجامعة طبرق بمختلف كلياتها ومراحلها.

الدراسات السابقة:

إضافة إلى الدراسات التي تم الاشارة إليها في في مقدمة البحث، سأعرض هنا بعض الدراسات العربية والاجنبية التي لها صلة بمتغيرات البحث. ففي دراسة [7] والتي هدفت إلى التعرف على هذه دلالات الصدق البنائي لمقياس القلق لسبيلبرجر Spielberger مقياس القلق كسمة ومقياس القلق كحالة، اضافة إلى الثبات وذلك على عينة مؤلفة من (349) من طلاب الجامعة، ومن أهم ماتوصلت إليه الدراسة توفر دلالات الثبات والصدق لمقياسي القلق كحالة والقلق كسمة. حيث كان معامل الثبات باستخدام ألفا كرونباخ لمقياس القلق كسمة (0.68)، ومعامل الثبات لمقياس القلق كحالة (0.58). اما الصدق فقد استخدم التحليل العاملي فتراوحت القيم المتعلقة بمقياس القلق كسمة مابين (0.03 ـــــ 0.55) ولمقياس القلق كحالة تراوحت القيم بين (0.10 ـــــ 0.28)، وهي قيم متوسطة.

اما في دراسة [4] والتي كانت بعنوان الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق (حالة ـــــ سمة) حيث شملت عينة الدراسة (280) من الطلاب من الجنسين واستخدم مقياس اسبيلبرجر Spielberger للقلق وكان من أهم نتائجها ان قلق الحالة كان الثبات بالتجزئة النصفية (0.88) ، وكان الثبات بالتجزئة النصفية لمقياس القلق كسمة (0.99).

وفي دراسة [2] التي كانت بعنوان "مركز التحكم وعلاقته بقلق الحالة لدى طلبة جامعة بنغازي فرع المرج"" وهدفت إلى معرفة مستوى القلق والفروق بين الجنسين في مستوى القلق، حيث ان من أهم ماتوصلت إليه ان معاملات الثبات على العينة الاستطلاعية (ن= 50) بطريقة الاتساق الداخلي تراوحت مابين (0.34 ـــــ 0.63) أما معادلة ألفا كرونباخ فكانت قيمة معامل الثبات (0.83).

اما دراسة [11] والتي كانت بعنوان "دراسة لمقياس القلق بوصفه سمة وحالة على عينات من طلبة الجامعات السورية"، وهدفت الدراسة إلى إعداد صورة عربية لمقياس سبيلبرجر Spielberger للقلق, وتقنينها على عينات من الطلبة الجامعيين السوريين وهدفت إلى التحقق من صدقها الظاهر وملاءمتها للغرض الذي أعدت من أجله, حيث طبقت على عينة قدرها (777) وقد استخدمت لاستخراج معاملات الثبات بالاتساق الداخلي عدة طرق وتراوحت هذه المعاملات مابين (0.86 ـــــ 0.91) واعطت معاملات الثبات بالاعادة دلالات مقبولة لمقياس السمة بلغ متوسطه (0.80) فيما انخفضت في مقياس الحالة (0.55). اما (الصدق) فأستخرج الصدق التلازمي بترابطها مع الصورة المصرية، ومع مقياس العصابية (n) ومع مقياس أيزنك للشخصية وترابطها مع المقاييس الشخصية (مينوسوتا المتعدد الأوجه) ووجد الصدق العاملي حيث أظهر تشبعه بعامل القلق. كما تم استخراج معايير لها.

وفي دراسة [8] كان الهدف من الاختبار أداة بحث لاستكشاف ظاهرة القلق عند الراشدين العاديين، وأيضاً لقياس القلق عند طلبة المدارس الثانوية والإعدادية

ولدى المرضى العصابيين والذين هم تحت العلاج الطبي والجراحة . وتكونت عينة التقنين من (1820) فرداً من الجنسين ، وكان الثبات المستخرج باستخدام معادلة كيودر و ريتشاردسن (0.92-0.86). وباستخدام معامل ألفا (0.92-0.86). كما تم استخراج المعايير وهي الرتب المئينية والدرجات التائية.

اجراءات البحث:

مجتمع البحث: تألف مجتمع البحث من طلاب جامعة طبرق والبالغ عددهم (6750)

عينة البحث: تكونت عينة البحث من طلاب الجامعة موزعين على أربع كليات، فتم سحب عينة البحث بطريقة العينة العشوائية الطبقية, حيث بلغ حجم العينة النهائي (180) طالباً وطالبة موزعين (95) طالباً و (85) طالبة. حيث يبين الجدول رقم (1) عينة الدراسة.

جدول رقم (1)
يبين عينة البحث

الكلية	العينة		المجموع
	ذكور	اناث	
الآداب	26	24	50
العلوم	18	22	40
الموارد	23	17	40
التربية	28	22	50
المجموع	95	85	180

أداة البحث: أُستخدمت الصورة المُعربة لمقياس القلق كحالة ومقياس القلق كسمة من إعداد سبيلبرجر Spielberger 1964 وعربها وطورها أحمد عبدالخالق بما يتناسب والبيئة العربية.

حيث يتألف كل منها من (20) فقرة ،وتم الاطلاع على الفقرات وكانت قابلة للتطبيق على عينة استطلاعية مكونة من (40) طالب وطالبة. وتم حساب الثبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ وكانت (0.79) لمقياس القلق كسمة. و بلغت (0.74) لمقياس القلق كحالة. كما تم حساب الثبات من خلال إعادة التطبيق وكان معامل الثبات (0.78) لمقياس القلق كسمة . و(0.77) لمقياس القلق كحالة. [6].

تطبيق البحث: تم التطبيق من خلال الاتفاق مع بعض اعضاء هيئة التدريس في الاقسام التي وقع عليها الاختيار في الكليات لتكون ضمن العينة، حيث تم التوضيح لعينة الدراسة ان الاستجابة لمقياس القلق كحالة هو مايشعر به الفرد في هذه اللحظة أو اثناء استجابته على المقياس، والاستجابة لمقياس القلق كسمة تكون بما يشعر به بشكل عام في المواقف الحياتية المختلفة. وقد استغرقت فترة التطبيق اسبوعان. حيث بين الباحث للعينة الغرض من التطبيق

انمـا هـو لغايـات البحـث العلمـي، وبعـد الانتهـاء مـن التطبيـق وجمـع الاسـتمارات تـم ادخـال اسـتجابات عينـة الدراسـة إلى الحاسـب الآلي ومـن خـلال اسـتخدام برنامـج الحزمـة الاحصائيـة للعلـوم الاجتماعيـة (Spss) تـم تحليـل البيانـات.

نتائج البحث:

1 . السـؤال الأول: للاجابـة عـلى السـؤال الأول والـذي كان نصـه: مامسـتوى القلـق لـدى طـلاب جامعـة طـبرق؟ تـم اسـتخدام التوزيـع التكـراري والنسـب المئويـة وكذلـك المتوسـط الحسـابي والانحـراف المعيـاري لإجابـات المبحوثـين، والجـدول رقـم (2) يوضـح نتائـج التحليـل:

جدول (2)

يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

حول مستوى درجة كل من القلق كسمة والقلق كحالة.

الفقرة	القلق كسمة		القلق كحالة	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	2.37	1.04	2.76	1.13
2	2.82	1.03	2.64	1.85
3	2.59	1.04	2.24	1.49
4	2.86	1.03	3.07	1.03
5	2.92	86.	2.72	80.
6	2.82	78.	3.08	85.
7	2.46	1.03	2.88	83.
8	2.74	1.09	2.40	1.09
9	2.63	98.	2.34	1.00
10	2.75	1.04	3.07	1.07
11	2.88	1.17	2.96	1.15
12	2.42	1.13	3.02	1.16
13	2.84	1.14	3.09	1.09
14	2.64	1.10	2.82	83.
15	2.83	1.05	2.97	1.06
16	2.84	1.11	2.72	70.
17	2.59	1.05	2.90	1.02
18	2.81	1.04	2.76	97.
19	2.32	1.01	3.14	75.
20	2.87	1.05	2.55	1.10

من خلال نتائج الجدول (2) يتبين ان استجابات افراد العينة على فقرات مقياس القلق كسمة تراوحت بين القيمتين (2.32 – 2.92) بانحراف معياري بين القيمتين (0.78 – 1.18) وبمتوسط حسابي (2.62) وانحراف معياري (0.97).

كما يتضح من النتائج ان المتوسط الحسابي لاستجابات افراد العينة على فقرات مقياس القلق كحالة تراوحت مابين (2.24 – 3.14) بانحراف معياري بين القيمتين (0.84 – 1.36) وبمتوسط حسابي (2.69) وانحراف معياري (1.28).

وتشير هذه النتيجة إلى أن مستوى درجات القلق كان متوسطاً، وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع دراسة [7] ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء أن البيئة التي يعيش فيها طلالب الجامعة تساعد على توافقهم، فمفهوم الفرد عن ذاته وتقبله لها يتأثر باتجاهات الآخرين ويعكس اتجاهاته نحوهم، فتقبل الذات يصاحب تقبل الآخرين، والشخص المتقبل لذاته يأتي بتوافق نفسي واجتماعي أفضل.

كما يمكن القول ان مستوى كل من القلق كسمة ومستوى القلق كحالة قد بلغا قيماً متوسطة، حيث ان هناك تقارب في درجة امتلاك القلق كحالة ودرجة امتلاك اللق كسمة. ويمكن تفسير هذه النتيجة ان هذا يُعد أمراً مقبولاً حيث ان من لدية حالة القلق قد نجد لديه سمة القلق، وقد يكون العكس صحيح.

2 . السؤال الثاني: للاجابة على السؤال الثاني الذي كان نصه: مادلالات معاملات الثبات لمقياس القلق؟ تم حساب الثبات بطريقة الاعادة، ومعامل ثبات الفا كرونباخ، ومعامل والتجزئة النصفية باستخدام معامل ارتباط سبيرمان براون، والجدول رقم (3) يوضح نتائج التحليل:

جدول (3)

المقياس	معامل ثبات إعادة الاختبار	معامل ارتباط ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية "سبيرمان براون"
القلق كسمة	0.87	0.76	0.72
القلق كحالة	0.78	0.79	0.78

يبين معاملات الثبات لمقياس القلق كسمة وكحالة

من خلال الجدول (3) يتضح ان قيم معاملات الثبات بطريقة الاعادة كانت (0.87) لسمة القلق، و (0.78)، لحالة القلق، وكان معامل ثبات الفا كرونباخ (0.76) لسمة القلق، و(0.79) لحالة القلق، وكانت بطرقة التجزئة النصفية (0.72) لسمة القلق، و (0.78) لحالة القلق).

كما ان قيمة معامل ثبات الفا كرونباخ كانت (0.75) لسمة القلق ، و (0.69) لحالة القلق وذلك من خلال ما اظهرته نتائج تحليل استجابات افراد عينة الدراسة التجريبية والبالغ عددهم (30) فردا من الجنسين. وتتفق هذه

النتيجة مع نتيجة كلاً من دراسة [3] ، ودراسة [11]، ودراسة [7].

كما تشير هذه النتيجة إلى ان كلاً من المقياسين يتمتع بدرجات مقبولة من الثبات تجعلهما صالحين للتطبيق. كما يتضح ان معامل ثبات الفا كرونباخ لسمة القلق اقل قليلاً من حالة القلق، وكذلك الحال لمعامل ارباط سبيرمان براون. كما تبين النتائج ان معاملات ثبات اعادة التطبيق لمقياس حالة القلق أقل بقليل عن سمة القلق وهذا يعتبر أمر مقبول وذلك على افتراض ان المقياس الصادق لحالة القلق يجب ان يعكس تأثير العوامل الموقفية النادرة التي توجد اثناء موقف القياس وليس من السهل ان تكون حالتهم في الموقفين واحدة.

3 . السؤال الثالث: للاجابة على السؤال الثالث الذي كان نصه: ما دلالات الصدق البنائي لمقياس القلق كسمة ومقياس القلق كحالة؟ تم حساب الصدق البنائي من خلال التحليل العاملي بارتباط الفقرة مع درجة المقياس الكلية لاستجابات افراد العينة على كلاً من المقياسين (السمة و الحالة). وكانت النتائج كما في الجدول رقم (4):

جدول (4)
يبين قيم معاملات ارتباط الفقرة لكل من مقياسي القلق (كسمة وكحالة)
مع الدرجة لكل مقياس

الفقرة	القلق كسمة	القلق كحالة
1	0.05	0.08
2	**0.21	**0.69
3	0.11	**0.44
4	0.12	**0.30
5	**0.58	0.09
6	**0.32	0.43
7	**0.47	**0.38
8	**0.68	**0.39
9	**0.27	**0.33
10	0.06	**0.40
11	0.08	0.06
12	**0.26	**0.63
13	**0.35	**0.61
14	**0.37	**0.58

15	0.09	0.66**
16	0.09	0.66**
17	0.48**	0.66**
18	0.54**	0.43**
19	0.34**	0.36**
20	0.19**	0.24**

يتضح من خلال الجدول (4) قيم معاملات ارتباط الفقرة مع الدرجة الكلية للمقياس والذي يمثل أحد مؤشرات الصدق البنائي للمقياس، حيث تراوحت القيم المتعلقة بمقياس القلق كسمة مابين (0.05 – 0.68**) ولمقياس القلق كحالة (0.8 – 0.66**) وهي قيم متوسطة.

**دالة عند مستوى (0.001).

اما فيما يتعلق بالصدق العاملي كمؤشر للصدق البنائي فقد تم اجراء التحليل العاملي لاستجابات عينة البحث على كل من مقياس القلق كسمة ومقياس القلق كحالة. حيث يبين الجدول رقم (5) النتائج الخاصة بمقياس القلق كسمة، والجدول رقم (6) يبين النتائج الخاصة بمقياس القلق كحالة.

جدول (5)

يبين نتائج التحليل العاملي لمقياس القلق كسمة

العامل	قيمة الجذر الكامن	نسبة التباين	النسبة المتراكمة للتباين
1	4.87	22.88	22.88
2	2.76	13.81	35.70
3	2.17	11.86	42.56
4	1.07	9.25	50.42

يتضح من خلال الجدول (5) التحليل العاملي لمقياس القلق كسمة، حيث تم استخلاص اربعة (4) عوامل تجاوز الجذر الكامن لكل منها الواحد الصحيح، ويُظهر التحليل ان هذه العوامل الاربعة مسؤولة عن 50.42% من التباين الكلي.

وهذا يدل على ان مؤشر الصدق البنائي قد تحقق لهذا المقياس، حيث أن قيمة الجذر الكامن للعامل الأول تساوي(4.87) وهذا يفسر (22.88) من التباين، وأن النسبة ما بين تباين العامل الأول إلى تباين العامل الثاني أكبر من 2 وبالتالي يمكن القول بأن أحادية البعد قد توافرت لمقياس القلق كسمة.

وبشكل عام فان هذه العوامل الاربعة تفسر (50.42 %) من القسم الاكبر

مـن التبايـن الـذي تفـسره بقيـة العوامـل مجتمعـه، حيـث ان هـذه العوامـل تتصـل مبـاشرة فهـي تشـير الى وجـود القلـق كسـمة أو عـدم وجـوده.

جدول (6)
يبين نتائج التحليل العاملي لمقياس القلق كحالة

العامل	قيمة الجذر الكامن	نسبة التباين	النسبة المتراكمة للتباين
1	3.57	18.74	18.74
2	2.27	11.80	30.65
3	1.83	9.65	39.48
4	1.01	8.481	42.92

يتضـح مـن خـلال الجـدول (6) التحليـل العامـلي لمقيـاس القلـق كحالـة، حيـث تـم اسـتخلاص اربعـة (4) عوامـل تجـاوز الجـذر الكامـن لـكل منهـا الواحـد الصحيـح، ويُظهـر هـذا التحليـل ان هـذه العوامـل الاربعـة مسـؤولة عـن (42.92%) مـن التبايـن الـكلي.

وهـذا يـدل بـأن مـؤشر الصـدق البنائـي قـد تحقـق لهـذا المقيـاس حيـث أن قيمـة الجـذر الكامـن للعامـل الأول تسـاوي(3.57) وهـذا يفـسر (18.74) مـن التبايـن، وأن النسـبة مـا بـين تبايـن العامـل الأول إلى تبايـن العامـل الثانـي أكـبر مـن (1) وبالتالي يمكـن القـول بـأن أحاديـة البعـد قـد توافـرت لمقيـاس القلـق كحالـة.

وبشـكل عـام فـان هـذه العوامـل الاربعـة تفـسر (42.92%) مـن القسـم الاكـبر مـن التبايـن الـذي تفـسره بقيـة العوامـل مجتمعـه، حيـث ان هـذه العوامـل تتصـل مبـاشرة بالقلـق فهـي تشـير الى وجـود القلـق كحالـة أو عـدم وجـوده.

ان نتائـج التحليـل العامـلي لمقيـاسي القلـق كسـمة والقلـق كحالـة أظهـرت ان مـؤشرات الثبـات لمقيـاس القلـق كسـمة أعـلى مـن مقيـاس القلـق كحالـة وهـو مايـدل ان القلـق كسـمة أكثـر ثبـات لـدى الفـرد، كمـا ان حالـة القلـق زائلـة مـع زوال المثـير الـذي أوجدهـا، بعكـس سـمة القلـق التـي تعتـبر ثابتـة نسـبياً في شـخصية الفـرد.

المراجع:

1 . الانصاري، بدر محمد. (2002). " مقاييس الشخصية". القاهرة : دار الكتاب.
2 . اهليل، فوزية حسين. (2011) ." مركز الضبط وعلاقته بقلق الحالة لدى طلبة جامعة بنغازي فرع المرج"، اطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة بنغازي، ص ص87 – 89.
3 . داود، ناجى. (2005)." بعض المتغيرات النفسية وعلاقتها بالانجاز العدوانى لدى لاعبى منتخبات جامعة المنيا" اطروحة ماجستير منشورة ، كلية الآداب، جامعة المنيا، ص ص 8 – 9.
4 . رزيقة، محدب. (2011) "الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق (حالة ـــ سمة)" اطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ص ص 149 150- .
5. سلمان شروق كاظم. (2006). " سمة القلق لدى طالبات كلية التربية بجامعة بغداد"، مجلة البحوث النفسية والتربوية، العددان (9 و 10) ـــ ص ص 37 – 48.
6 . عبدالخالق، احمد. (1994). "الدراسة التطورية للقلق"، مجلة جامعة الكويت، الحولية (14)، الرسالة (90).
7 . قواسمه، أحمد. حمادنة، راتب. (2015). "دلالات الصدق البنائي لمقياس القلق كسمة والقلق كحالة"، المجلة التربوية المتخصصة, المجلد (4), العدد (6)، ص ص -1 10.
8 . كاظم، أمينة. (1985). " كتيب تعليمات قائمة حالة_ سمة القلق". الكويت: دار القلم.
9. كاظم، سعاد. محمد، صبيحة. (2010). "القلق المتعدد الابعاد وعلاقته بأداء حركة القفز المتكورة داخلاً على جهاز حصان القفز من الجمناستك"، مجلة علوم التربية الرياضية، المجلد (3)، العدد (2)، ص ص 288 ـــــ 310.
10 . محمد، قريشي. قريشي، عبدالكريم. (2013). "مستوى القلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد (13)، ديسمبر، ص ص 57 – 67.
11. ميخائيل, امطانيوس. (2003). "دراسة لمقياس القلق بوصفه حالة وسمة على عينات من طلبة الجامعات السورية"، مجلة جامعة دمشق, المجلد (19), العدد (2) ص ص 11 ـــــ 71.
12. هدى، دحماني. (2011)." تأثير القلق على الراشدين المصابين بمرض السكري المزمن"، اطروحة ماجستير غير منشورة، معهد العلوم والدراسات الانسانية والاجتماعية،ص ص 5 – 7.

الملاحق

جامعة طبرق
كلية الآداب ـــ قسم علم النفس

عزيزي الطالب..... عزيزتي الطالبة
تحية طيبة،،،

يقوم الباحث بدراسة للكشف عن "دلالات صدق وثبات مقياس القلق كسمة وكحالة لدى الطالب الجامعي".

حيث يُقصد بالقلق هنا بأنه: حالة عاطفية تتميز بعدم الارتياح، وذلك لترقب خطر غير محدد والذي نحن عاجزون امامه.

نرجو منك تسجيل بياناتك الاولية، ثم الانتقال للصفحة التالية للإجابة على عبارات المقياس.

،،،

البيانات الاولية:

الجنس : ذكر ○ أنثى ○

الكلية: ....

القسم: ....

المرحلة: ....

****

شاكراً لكم حسن تعاونكم

الباحث

فيما يلي عدد من العبارات التي يستخدمها الناس في وصف أنفسهم. يرجى قراءة كل عبارة بعناية ووضع علامة (✓) في المكان المناسب امام كل عبارة لتشير إلى ما تشعر به في هذه اللحظة، ليس هناك اجابات صحيحة أو خاطئة.

لاتستغرق وقتاً طويلاً في العبارة الواحدة، ولكن حاول أن تعطي الاجابة التي تبدو انها تصف شعورك في هذه اللحظة.

ر.م	الفقرات	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
1	أشعر بالهدوء.				
2	أشعر بالأمان.				
3	أشعر بالتوتر.				
4	أشعر بالأسف.				
5	أشعر بالاطمئنان.				
6	أشعر بالاضطراب.				
7	أشعر بالانزعاج.				
8	أشعر بالراحة.				
9	أشعر بالقلق.				
10	أشعر بالسرور.				
11	أشعر بالثقة في النفس.				
12	أشعر بالنرفزة.				
13	أشعر بالثوران.				
14	أشعر بالتوتر الزائد.				
15	أشعر بالاسترخاء.				
16	أشعر بالرضى.				
17	أشعر بالضيق.				
18	أشعر بانني مستثار جداً (لدرجة الغليان).				
19	أشعر بالسعادة العميقة.				
20	أشعر أنني أدخل السرور على الاخرين.				

فيما يلي عدد من العبارات التي يستخدمها الناس في وصف أنفسهم. يرجى قراءة كل عبارة بعناية ووضع علامة (✓) في المكان المناسب امام كل عبارة لتشير إلى ما تشعر به عموماً، ليس هناك اجابات صحيحة أو خاطئة.

لاتستغرق وقتاً طويلاً في العبارة الواحدة، ولكن حاول أن تعطي الاجابة التي تبدو انها تصف شعورك عموماً.

ر.م	الفقرات	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
1	أشعر بأنني أدخل السرور على الاخرين.				
2	أتعب بسرعة.				
3	أشعر بالحاجة إلى البكاء.				
4	أتمنى لوكنت سعيداً مثلما يبدو الاخرين.				
5	افقد السيطرة على الاشياء لأنني لا استطيع التغلب عليها بسرعة.				
6	أشعر بالراحة.				
7	أنا هادئ الاعصاب.				
8	أشعر بأن المصاعب تتراكم لدرجة انني لا استطيع التغلب عليها.				
9	أشعر بأنني أقلق بسرعة.				
10	أنا سعيد.				
11	أميل إلى تصعيب الامور.				
12	ينقصني الشعور بالثقة في النفس.				
13	أشعر بالأمان.				
14	أحاول تجنب مواجهة الازمات والصعوبات.				
15	أشعر بالحزن.				
16	أشعر بالرضى.				
17	تدور بذهني بعض الامور التافهة وتضايقني.				
18	تؤثر في خيبة الامل بشدة لا استطيع أن أبعدها عن ذهني.				
19	أنا شخص مستقر.				
20	أصبح في حالة توتر واضطراب عندما أفكر في اهتماماتي وميولي الحالية.				

الضغوط النفسية لدى مرافقي المرضى النفسيين بمستشفى (على الرويعي) الهواري في مدينة بنغازي

إعداد:
ليلى محمد عبد الحفيظ
طالبة دراسات عليا، جامعة عمر المختار، البيضاء.

الاستلام: 3/ 4/ 2021 القبول: 25/ 5/ 2021

المستخلص:

هدفت الدراسة لمعرفة الضغوط النفسية لدى مرافقي المرضى النفسيين (الأسر) بمستشفى (على الرويعي) الهواري في مدينة بنغازي، كذلك لتحديد أهم الضغوط التي يتعرض لها مرافقو المرضى النفسيين المقيمين في المستشفى وتحديد العوامل التي تؤثر على المرافقين وتسبب لهم ضغوطا نفسيا. تم تحديد حجم العينة 25 مرافق بواقع (13.8%) من اجمالي مجتمع الدراسة. تم توزيع صحيفة استبيان صممت خصيصا لهذا البحث، تضمنت قسمين القسم الأول بيانات عامة عن المرافق وعن المريض النفسي، والقسم الثاني أسئلة مصممة وفقا لمقياس ليكرت الخماسي تعكس مقياسا للضغوط التي يتعرض لها المرافقين للمرضى النفسيين. كما تم اجراء مقابلات شخصية مع عدد من المرافقين وذلك من اجل دعم مصادر البيانات. وأكدت نتائج الدراسة بأن "المريض النفسي" يسبب ضغوطًا نفسية للمرافق، ويتعرض المرافقون للمرضى النفسيين لضغوط نفسية عديدة. بينت النتائج أن الاتجاه العام لعينة الدراسة أعطى العوامل العاطفية الشخصية درجة أعلى تأثيرا على المرافق وحالته النفسية بمتوسط عام بلغ 3.90، تليها العوامل المادية بمتوسط بلغ 3.73، ثم العوامل الاجتماعية والعوامل الصحية بنحو 3.49 و3.48 على التوالي، ثم العوامل المتعلقة بسلوكيات المريض بمتوسط عام لاتجاه عينة الدراسة 3.40. وقد تم الاستعانة باختبار (t) لاختبار الفرضيات وقد اتضح أن قيمة t المحسوبة كانت موجبة، بمستوى دلالة أصغر من 0.05 وهو ما يعني رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة، أي صحة الادعاءات التي افترضها البحث حول تعرض المرافقين لضغوط نفسية متعددة الجوانب.

الكلمات المفتاحية: الضغوط النفسية – مرافقي المرضى النفسيين.

Psychological pressures among companions of psychopaths patients at (Ali Al-Ruwai'i) Al Hawari Hospital in Benghazi

Abstract

The research aimed to find out the psychological pressures on families caring for psychopaths at Ali Al-Ruwai'i "Al-Hawari" Hospital in the city of Benghazi, as well as to determine the most influencing pressures facing them while caring of the psychiatric patients in the hospital and to determine the factors that affect the companions (families) and cause them psychological pressure. The sample size of 25 companion was determined, in which counted (13.8%) of the total study population. A questionnaire, specially designed for this research, was distributed. The first section of the questionnaire included general data about the companion and the patient, and the second included questions designed according to the five "Likert" scale, reflecting measures of the stresses that accompanying of psychiatric patients are exposed. Interviews also conducted with a number of companions in order to support data resources. The results of the research confirmed that the "Psychopaths" causes psychological pressure to the companions (families), and they are exposed many psychological pressures. Results showed that the general trend of the sample gave personal and emotional factors the highest degree of influence on the companions and their psychological situation with a general average of 3.90. Followed by financial factors with an average of 3.73, then social and health factors by about 3.49 and 3.48 respectively, then factors related to the patient's behavior with a general average of the study sample's trend of 3.40. The (t) test adopted to test the hypotheses, and it became clear that the calculated (t) value was positive, with a significance level less than 0.05, which means rejection of the null hypothesis and acceptance of the alternative hypothesis, that is, the validity of the claims that the research assumed about the companions being exposed many psychological pressure.

المقدمة:

إن ما يعيشه الإنسان من أيام عسيرة وشهور مريرة وسنوات قاهرة وحروب جائرة فيض من الظروف يصب في بوتقة صروف الدهر فيثقل كاهل القلوب ويحجب أمالها ويقطع أوصالها ويجعلها عرضةً للانكسار وللانهيار ويخلق فجوةً تنفذ منها سهام اليأس فتصيبه بالعجز، ومما لا شك فيه إن ما يكابده الإنسان من مشقة في زمن هشٍ سياسياً واجتماعياً يعد مصدراً يعزز مستوى الضغوط النفسية نتيجة للتغيرات السريعة التي طرأت على كافة نواحي الحياة سواء كانت داخلية أم خارجية. كانت الضغوط النفسية وما تزال أحد الموضوعات المهمة التي تشغل بال الكثير من المتخصصين في فروع علمية مختلفة وربما كان علماء النفس على رأس قائمة المهتمين بهذا الموضوع ؛ ويرجع الاهتمام بدراسة الضغوط النفسية في جانب منه أيضًا للتبعات والتكاليف الباهظة التي تسببها هذه الضغوط للفرد والمجتمع على حدٍّ سواء. وتنجم هذه التكاليف عن العلاقة الوثيقة بين الضغوط النفسية وأطياف واسعةٍ من الأمراض الجسمية والاضطرابات النفسية ، والغياب عن العمل والاستهداف للحوادث ، والصراعات والمشاجرات والسلوك العدواني وسوء التوافق وغير ذلك من أشكال السلوك والمشكلات التي يتعرض لها أولئك الذين يعانون من الضغوط النفسية[1].

لقد ارتبطت الاضطرابات النفسية بنظرة جائرة من المجتمع، حتى أن البعض يحاول الهروب من الاعتراف بالمرض النفسي ليرجع الأعراض إلى المس والسحر وغيرهما، وفي مجتمعاتنا تصبح الأُسَرُ عرضةً للضغط النفسي الناجم عن تأثير المجتمع بشكل عام وعن حالة المريض النفسي بشكل خاص. وبشكل عام يتسبب المرض النفسي في مجموعة متنوعة من المشاكل النفسية والاجتماعية مثل انخفاض نوعية الحياة لأفراد أسرة المريض وكذلك زيادة المسافة الاجتماعية للمريض والأسرة التي ترعى المريض. كما تتعزز التحديات النفسية والاجتماعية من خلال وصمة العار المرتبطة بالمرض النفسي، وهي مشكلة لا تؤثر على المريض فحسب بل تؤثر أيضًا على الأسرة ككل، هذا بالإضافة إلى التحديات الاقتصادية التي قد تواجه أسرة المريض لارتفاع تكاليف العلاج النفسي ومتطلبات الرعاية بالمريض ومن الملحوظ أن آليات التأقلم وتحمل الضغوط للتعامل مع المرضى النفسيين تختلف من عائلة إلى أخرى وتختلف من فرد لآخر في الأُسرة نفسها.

العديد من الدراسات اهتمت بقضية الضغوط التي تقع على مرافقي المرضى سواء في داخل المستشفيات للمرضى المقيمين أو حتى الأُسر التي يعيش معها المريض النفسي في نفس المنزل. وقد ظهر عدد من الضغوط المتعلقة بالقيود

(1) جمعه سيد يوسف (2007) ادارة الضغوط. مشروع الطرق المؤدية إلى التعليم العالى. منشورات مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث. كلية الهندسة – جامعة القاهرة .

المالية، ونقص الدعم الاجتماعي، واضطراب أداء الأسرة والتوتر العاطفي، ووصمة العار، والتمييز المجتمعي، وسلوك المرضى كقضايا مهمة في مجال الضغوط التي تقع على المرافقين. إن الرعاية الأسرية للمرضى النفسيين لها مزاياها بالنسبة للمريض النفسي، ومع ذلك فإن لها العديد من التحديات الاجتماعية والنفسية ولابد من تحسين استراتيجيات المرافقين وتطوير مهارات التأقلم لديهم لتقليل أثر تلك الضغوط على حياتهم وعلى جودتها ولابد من تحقيق التعاون بين مقدمي الرعاية الصحية كالمؤسسات المتخصصة والجهات الحكومية وبين المرافقين للمرضى النفسيين من أفراد أُسرهم.

المشكلة البحثية:

تتلخص مشكلة الدراسة في غياب الإدراك الكامل للضغوط النفسية والصحة النفسية للمرافقين وللأسر التي ترعى المرضى النفسيين؛ حيث يتعرض المرافقون لضغوط كثيرة تؤثر على سير حياتهم بشكل طبيعي وتؤثر على جودة الحياة التي يعيشونها بشكل عام، وتختلف تلك الضغوط من أسرةٍ لأخرى ومن مرافقٍ لآخر. ويمكن تلخيص مشكلة الدراسة في عدد من التساؤلات التي ستحاولُ الدراسة الاجابة عليها:

- هل توجد ضغوط نفسية لدى مرافقي المرضى النفسيين؟
- ماهي العوامل التي تؤثر على نفسية المرافقين وتسبب ضغوطًا نفسية لديهم؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة من كونها تركز على شريحة من المجتمع تتعرض للضغوط وهي الأكثر احتكاكًا بالمريض تتأثر به وتؤثر عليه وبحالته النفسية، كما أنها تعطي مؤشرًا على صحتهم النفسية ونوع الضغوط التي يتعرضون لها من خلال مرافقتهم للمرضى النفسيين، كما أن مثل هذه الدراسات تعتبر حديثة التناول في الوطن العربي بشكل عام وليبيا بشكل خاص، وبالتالي من المهم إجراء مثل هذه الدراسات التي تهتم بهذه الفئة.

أهداف البحث:

1. تحديد أهم الضغوط التي يتعرض لها مرافقو المرضى النفسيين في مستشفى الدكتور علي الرويعي
2. تحديد العوامل التي تؤثر على المرافقين وتسبب لهم ضغوطا نفسيا.

فرضية البحث:

يتعرض مرافقو المرضى النفسيين لعدد من الضغوط النفسية تتعلق بعدد من الجوانب (العاطفية والمادية والصحية وغيرها)

مفهوم الضغوط النفسية:

اختلفت التعاريف المتعلقة بمفهوم الضغوط ولكنها تقع في معظمها ضمن ثلاث فئات رئيسية: وهي التعريف على أساس المثير الخارجي، وعلى أساس الاستجابة وعلى أساس التفاعل بين المثير والاستجابة. الضغط بشكل عام مفهوم يشير إلي درجة استجابة الفرد للأحداث والمتغيرات البيئية في حياته اليومية، وهذه المتغيرات قد تكون مؤلمة بحيث تسبب بعض الاثار الفسيولوجية على الفرد وفقا لشخصيته وخصائصه النفسية واستعداده لتلقي الضغوط بشكل يميزه عن الاخرين[2].

يحدد هانز سيلي مفهوما للضغوط يعتبر مهما جدا للعديد من الباحثين في مجال علم النفس، واستفادوا منه في تحديد معنى الضغط النفسي، حيث حدد بعض الباحثين عوامل خارجية للضغط (ضاغطة) تسمى المثير، ومصدرها البيئة. وعومل الانضغاط وهي تركز على محاولة الفرد التكيف مع الضغوط، فتنشأ الدفاعات النفسية كأثر للتفاعل الداخلي وتعبر عن عدم التوازن النفسي والجسدي. يحدث الضغط النفسي أيضا عند ادارك الفرد عدم قدرته على احداث استجابة مناسبة لطلب ما أو مهام ما، بحيث يصاحب هذا الادراك انفعالات سلبية كالغضب والقلق والاكتئاب وتغيرات فسيولوجية كرد فعل تنبيهي للضغط الذي يتعرض له الفرد[3].

يتعرض مصطلح الضغط للخلط ما بين العوامل المسببة للشعور بالضغط وبين النتيجة وهي الشعور بالضغط. رغم أن التعريف على أساس المثير الخارجي هو من المفاهيم الأكثر شيوعا في علوم الفيزياء والهندسة بحث يسبب الضغط (على أساس المثير الخارجي) تشويها ماديا في هيكل الجسم أو تعطيلا في وظائفه. قام والتركانون (1926)[4] بتجارب لمعرفة تأثير الضغط على البشر والحيوانات وقد لاحظ أن التعرض لعوامل معينة كالبرد الشديد أو نقص الأكسجين بسبب تغيرات فسيولوجية معينة تثير لدى الكائن الحي نزعة نحو القتال أو الهروب، وتتمثل هذه التغيرات الفسيولوجية في ارتفاع لضغط الدم، أو صداع، أو زيادة ضربات القلب أو غيرها كحالة من التجنيد لكل إمكانيات الجسم لمواجهة الخطر. ولذلك فإن الضغوط هي نتائج التعرض للمثيرات الضارة والتي تمثل ردود الفعل النفسية أو الفسيولوجية أو السلوكية. أما التعريف على أساس التفاعل بين المثير والاستجابة فإنه يتأثر بدراسة الضغوط والمفاهيم السائدة في العلوم السلوكية بحيث لم يعد مفهوم الضغوط يشير إلى المثير والاستجابة فقط بل إلى التفاعل

(2) حنان عبد الرحمن الأحمدي (2002) ضغوط العمل لدى الأطباء المصادر والأعراض، دار الطباعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية .

(3) محمد ناصر ياحي (2000)، الضغط القلق والحالات العصبية. دار الهدى للطباعة والنشر. الجزائر.

(4) والتر كانون عالم فسيولوجي وضع نظرية المواجهة أو الهروب عام (1926) وحاول تفسير الاستجابات الفسيولوجية للضغوط في دراسة للانسان والحيوان، ويعد أول من استخدم مصطلح الضغوط النفسية.

بين البيئة والفرد. ويبنى هذا التوجه على القناعة بأن استجابة الأفراد للغوط تختلف باختلاف خصائصهم الفردية وانماطهم الشخصية والخلفية الثقافية ووجود الدعم الاجتماعي. وفقا لذلك فإن مفهوم الضغوط يشير إلى العمليات الداخلية التي تتم لدى الافراد من حيث تعرضه للمثيرات الخارجية ومحاولته التكيف والتعامل معها.

يعرف الضغط النفسي أيضا في أبسط معانيه إلى الأحداث أو المشكلات الخارجية أو الذاتية التي من شأنها أو تؤدي إلى التوتر والاستجابة الانفعالية الحادة والدائمة. من أمثلة تلك الأحداث التغيرات في العوامل التالية: تغيرات في أسلوب الحياة، ضغوط بيئية خارجية (عمل إضافي –تراكم أعمال تحتاج لإنجاز – السهر–الكسل– تعاطي المخدرات إلخ)، أيضا المشكلات الاجتماعية ، والمشكلات الأسرية ، والمشكلات الصحية، والقلق والاكتئاب وضغوط الدراسة وغيرها مثل[5].

الضغوط النفسية لدي مرافقي المرضى النفسيين:

تناولت بعض الدراسات قضايا تتعلق بجودة ونوعية الحياة لدى المرافقين للمرضى والضغوط التي يتعرضون لها نتيجة لذلك، وقد تناولت أغلب الدراسات المرضى المعاقين ذهنيا وحركيا، إضافة إلي أطفال التوحد ومتلازمة دارون، ودراسات قليلة جدا تناولت مرافقي المرضى النفسيين بالعموم، ففي دراسة لأحمد وإبراهيم (2009)[6] للضغوط النفسية لمرافقي مرضى الفصام وعلاقتها بنوعية حياتهم في ضوء عدد من المتغيرات الديموغرافية أهمها النوع، العمر، والمستوى التعليمي. حيث استخدم الباحثان المقياس النفسي لمبارك الشيخ 2006، ومقياس نوعية الحياة لمها عبد الرحمن (2002)، وتم استخدام اختبار (t) وتحليل التباين ومعامل الارتباط سيبرمان الرتبي، ولقد توصلت الدراسة إلى ارتفاع درجة الضغوط النفسية لدى مرافقي مرضى الفصام، كما بينت الدراسة علاقة عكسية ما بين الضغوط النفسية لمرافقي مرضى الفصام ونوعية الحياة، وعلاقة طردية مع المستوى التعليم، كما بينت أنه لا توجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في عينة الدراسة.

دراسة قراقيش (2011)[7] للضغوط النفسية لدى أولياء أمور أطفال التوحد استهدفت تحديد ما يمكن أن يحدثه وجود طفل يعاني من اضطراب التوحد من ضغوط نفسية لدى والديه، وتحديد أهم الاحتياجات لدي أولياء الأمور

(5) عبد الستار ابراهيم (2001)، ضغوط الحياة ماذا تعرف عنها وكيف تتغلب على سلبياتها . مجلة الجامعة ، جامعة الملك فهد، العدد 22.

(6) سليمان علي أحمد ، ابراهيم عبد الرحيم ابراهيم (2009) لضغوط النفسية وعلافتها بنوعية الحياة لدى مرافقي مرضى الفصام ،مجلة بحوث الدراسات النفسية، (102–66) العدد السابع.

(7) صفاء رفيق موسى قراقيش (2011) الضغوط النفسية لدى أولياء أمور أطفال التوحد واحتياجات مواجهتها. رسالة دكتوراه غير منشورة، كمية التربية، قسم علم النفس، السودان.

لمساعدتهم على مواجهة الضغوط النفسية الناجمة عن إصابة أبنائهم باضطراب التوحد، وقد توصلت الدراسة إلى ارتفاع مستوى الضغط النفسي لدى أفراد عينة الدراسة، كما توصلت الدراسة إلى أن مستوى الضغط النفسي لدى أولياء أمور أطفال التوحد أعلى وبدرجة كبيرة من مستوى الضغط النفسي لدى أولياء أمور الأطفال بإعاقات أخرى. وفيما يتعلق بالاحتياجات فقد بينت الدراسة أن الحاجة إلي الدعم المادي جاءت في المرتبة الأولى، ثم الحاجة إلي المعرفة في المرتبة الثانية، ثم الحاجة للدعم المجتمعي في المرتبة الثالثة، أمّا الحاجة إلي الدعم الاجتماعي فقد جاءت رابعا. هدفت الدراسة صباح وعبد الحق (2013)[8] إلى معرفة علاقة الضغوط النفسية لدى أسر المعاقين بالعلاقات الأسرية، وذلك انطلاقا من فرضية وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الضغوط النفسية والعلاقات الأسرية لدى أسر المعاقين. اعتمدت على أداتين للقياس هما: مقياس الضغوط النفسية لدى أسر المعاقين من إعداد زيدان أحمد السرطاوي وعبد العزيز الشخص، واستبيان للعلاقات الأسرية لدى أسر المعاقين من إعداد الباحثين، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين الضغوط النفسية والعلاقات الأسرية، ووجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الضغوط النفسية لدى أسر المعاقين والعلاقات بين الوالدين، العلاقات بين الإخوة، العلاقات بين الآباء والأبناء. في دراسة مغنية (2018)[9] هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين الضغط النفسي واستراتيجيات مواجهته لدى أمهات الأطفال المصابين بالتوحد ؛ وتكونت عينة الدراسة من 41 أمًّا بالمراكز الخاصة للأطفال المعاقين ذهنيا بمستغانم ، وتوصّلت الدراسة إلى النتائج التالية: توجد علاقة دالة إحصائيا بين الضغوط النفسية واستراتيجيات المواجهة عند أمهات الأطفال المصابين بالتوحد. تعاني أمهات الأطفال المصابين بالتوحد من ضغوط نفسية مرتفعة. -الاستراتيجيات الأكثر استخداما لمواجهة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين بالتوحد هي الاستراتيجيات الإيجابية.

في دراسة لسهام عباس، (2019)[10] لاستراتيجيات مواجهة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين بمتلازمة داون في محافظة دمشق بسوريا، حيث اهتمت الدراسة بتحديد تلك الاستراتيجيات وبالتعرف على الفروق في استخدام الاستراتيجيات المختلفة لمواجهة الضغوط وفقًا لعدد من المتغيرات (المستوى التعليمي للأم، جنس الطفل، وعمر الطفل)، وقد تم استخدام مقياس استراتيجيات

(8) عايش صباح، منصور عبد الحق (2013) علاقة الضغوط النفسية لدى أسر المعاقين بالعلاقات الاسرية. المجلة العربية للدراسات الاجتماعية، 2013، العدد الرابع.

(9) قوعيش مغنية (2018)، ضغوط النفسية واستراتيجيات مواجهتها لدى أمهات الأطفال المصابين بالتوحد دراسة وصفية لأمهات الأطفال المصابين بالتوحد بولاية مستغانم، مجلة التنمية البشرية ، العدد (11)، 78-62.

(10)سهام عباس (2019)، استراتيجيات مواجهة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين بمتلازمة داون (دراسة ميدانية في محافظة دمشق)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد (41)، العدد (3) ، -641 663

مواجهة الضغوط النفسية ليشمل 36 بندًا وطبق على عينة عشوائية من 98 أم لأطفال مصابين بمتلازمة داون، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي. أشارت النتائج إلى أن درجة تقدير أفراد العينة لمواجهة الضغوط باستخدام الاستراتيجيات الايجابية مرتفعة، بعكس استخدام الاستراتيجيات السلبية حيث أظهروا تقديرًا منخفضًا لها. كما بينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة حول استراتيجيات المواجهة لأمهات المصابين بمتلازمة داون تعزى لمتغير المستوى التعليمي للأمهات، ولاتوجد فروق معنوية ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير جنس الطفل أو عمره. أوصت الدراسة بضرورة نشر الوعي بكيفية التعامل مع الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، وتطبيق استراتيجيات الدعم الاجتماعي لأسرته، وتطبيق برامج تدريبية لأسرهم لمساعدته على الاعتناء بالأطفال وتقليل الضغوط النفسية على الأمهات.

الإجراءات الميدانية للدراسة:

منطقة ومجتمع الدراسة:

استهدفت الدراسة مستشفى (علي الرويعي) الهواري سابقا للأمراض النفسية الواقع في مدينة بنغازي. يضمن المستشفى عدد أربعة اقسام، ويستوعب عدد لا يزيد عن 180 نزيلا من المرضى النفسيين. وقد تم اعتبار هذا الرقم ممثلا لمجتمع الدراسة الحالية. وبناء على ذلك فقد تم تحديد حجم العينة 25 مرافق بواقع (13.8 %) حيث يقترح بعض المتخصصين في مناهج البحث أن يكون الحد الأدنى لأفراد العينة في بعض أنواع البحوث الوصفية 2% من أفراد مجتمع صغير نسبياً (مئات)، و5 % لمجتمع كبير جدًّا (عشرات الآلاف)، أما البحوث التجريبية فلا يقل عن 15 فرد في كل مجموعة من المجموعات، ولذلك فإن هذه النسبة تعتبر مقبولة جدا.

في الحقيقة فإنه لا ضمان كاملا أن تكون العينة المختارة ممثلة للمجتمع، حيث قد يتم ملاحظة أخطاء الاختيار العشوائي عندما تتباعد قيم معالم المجتمع الحقيقية عن القيم التي نحصل عليها من العينة (اختبارات التوزيع الطبيعي والانتشار والانحراف المعياري وغيرها)، وقد تحدث الأخطاء أيضا عندما يكون هناك تحيز من الباحث لاختيار أفراد بعينهم دون سواهم، ويتسبب ذلك في أن العينة لن تمثل خصائص المجتمع الأصلي الأساسية. في البحث الحالي تم اعتماد طريقة العينة العشوائية البسيطة في التقاط الأفراد المرافقين للمرضى النفسيين في مستشفى (علي الرويعي).

مصادر البيانات:

أولا: المقابلة الشخصية:

تم إجراء مقابلة شخصية مع بعض المرافقين للمرضى النفسيين المقيمين في المستشفى، حيث طرحت أسئلة مفتوحة تترك المجال لهم للحديث عن اتجاهاتهم فيما يخص الضغوط النفسية، وقد ساعدت هذه المقابلات في بناء المقياس الذي استخدم لقياس الضغوط لدى المرافقين.

ثانيا: الاستبيان:

تم تصميم صحيفة الاستبيان بحيث تتضمن قسمين القسم الأول بيانات عامة عن المرافق وعن المريض النفسي، والقسم الثاني أسئلة مصممة وفقا لمقياس ليكرت الخماسي تعكس مقياسا للضغوط التي يتعرض لها المرافقين للمرضى النفسيين.

تصميم مقياس الضغوط النفسية لمرافقي المرضى النفسيين:

تم تصميم وإعداد مقياس الضغوط النفسية لمرافقي المرضى النفسيين وذلك بعد:

1. الاطلاع على بعض مقاييس الضغوط النفسية مثل مقياس الضغوط لدى أولياء أمور المعاقين عقليا الذي أعده زيدان أحمد السرطاوي وعبد العزيز الشخص، أيضا مقاييس الضغوط النفسية لدى أسر المصابين بالعلل الدماغية من إعداد مبارك عثمان الشيخ.
2. الخبرة اكتسبتها الباحثة من التعامل مع المرافقين داخل المستشفى من خلال الزيارات المتكررة لهم واجراء المقابلات معهم.
3. عرض المقياس على عدد من المحكمين في قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الابيار، لإبداء الرأي وإعطاء الملاحظات، وقد تم الأخذ بملحوظاتهم من حيث تعديل محتوى بعض الفقرات.
4. تم اعتماد تقسيم العبارات بعد التعديل على عدد من المحاور، ومن ثم تم تصميم استمارة الاستبيان بحيث تنقسم إلى قسمين، يتعامل القسم الأول مع البيانات العامة للمبحوث وبيانات عامة عن المريض الذي يرافقه. أما القسم فيتعلق باتجاهات المرافقين نحو الضغوطات التي يتعرضون لها من مرافقتهم للمرضى النفسيين، وقد تم اعتماد مقياس ليكرت الخماسي لتحديد هذه الاتجاهات وقد تم تقسيم تلك الضغوط إلى محاور محددة وهي:
   - محور الجوانب العاطفية والشخصية
   - محور الجوانب الصحية
   - محور الجوانب الاجتماعية والأسرية
   - محور الجوانب الخاصة بسلوك المريض
   - محور الجوانب المادية.

أساليب تحليل البيانات:

التحليل الوصفي:

تم استخدام أدوات التحليل الوصفي من أجل تحليل خصائص عينة الدراسة الواردة في الجزء الأول من استمارات الاستبيان مثل النسب المئوية، والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري، كما تم استخدام تطبيقات برنامج Excel من أجل عرض تلك البيانات. فيما يخص المقابلات الشخصية فقد تم استخدام اسلوب تحليل السياق بعد أن تم تسجيل المقابلات وتفريغها، ضمن سياقات تتوافق مع محاور الاستبيان.

التحليل الكمي:

مقياس ليكرت الخماسي وذلك على أساس خمس خيارات (موافق جدا- موافق- محايد- غير موافق – غير موافق جدا)، وعند التحليل يتم الاعتماد على التقسيم التالي: الوسط حسابي من (1.8-1) يعني عدم الموافقة الشديدة من قبل المبحوث، الوسط الحسابي ما بين (2.6-1.8) يعني عدم موافقة المبحوث .، الوسط الحسابي ما بين (3.4-2.6) يعني محايد، الوسط الحسابي (4.2-3.4) يعني موافقة المبحوث، الوسط الحسابي (5-4.2) يعني الموافقة الشديدة من قبل المبحوث .وقد تم الاستعانة ببرنامج (APSS) من أجل تحليل المقياس وحساب المتوسطات والانحراف المعياري والمعنوية. كما تم اختبار (T) في المحاور الخمس المحددة بالدراسة بالاستعانة ببرنامج (SPSS).

التحليل والنتائج:

أولا: التحليل الوصفي للبيانات الخاص بالمرافق للمريض النفسي:

يلاحظ أن أغلب المرافقين هم من الفئة العمرية (31 – 40) سنة بنسبة 32%، تليها الفئة العمرية (41 – 50) بنسبة 24 % وباقي الفئات كما في الشكل (1) أدناه. كما يلاحظ أن أغلب المرافقين هم من الذكور بنسبة نحو 60 %، بينما 40 % هم من الاناث، كما في الشكل (2) أدناه.

توزيع عينة الدراسة من المرافقين للمرضى النفسيين

شكل (1) حسب النوع حسب الفئات العمرية

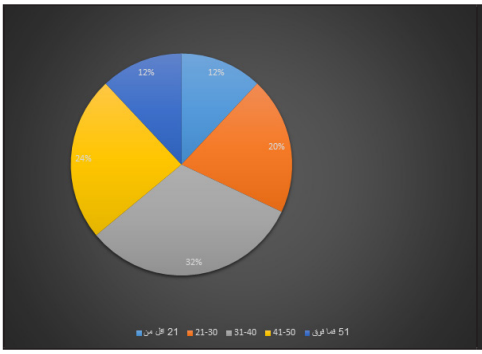

شكل (2) حسب الفئات النوتع

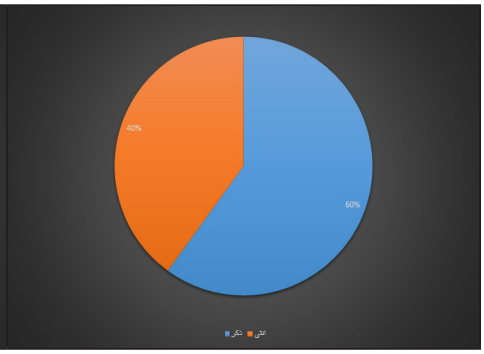

يلاحظ أن أغلب المرافقين من العازبين بنسبة 40 %، تليهم فئة المتزوجين بنسبة 36 %، باقي الفئات كما في الشكل (3) أدناه، يلاحظ أن أغلب المرافقين من المستوى التعليمي المتوسط بنسبة 44 %، يليها وبنسبة 24 % قادرين على القراءة والكتابة، وباقي الفئات كما هو مبين بالشكل (4) أدناه:

توزيع المرافقين للمرضى النفسيين في عينة الدراسة

شكل (3) حسب الحالة الاجتماعية

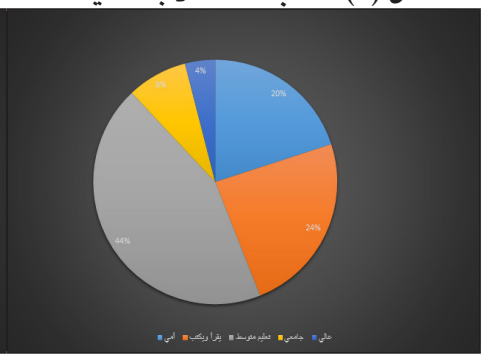

شكل (4) حسب المستوى التعليمي

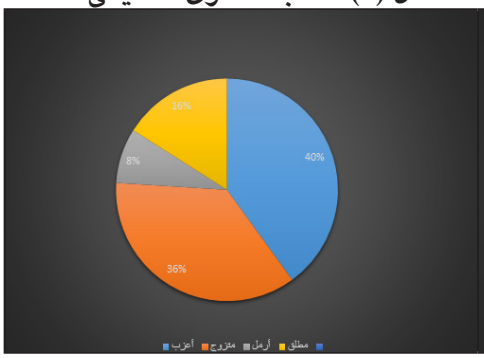

تبين من خلال التحليل الوصفي للبيانات أن أغلب المرافقين يتراوح عدد أفراد أسرهم ما بين (6 – 10) بنسبة 56 %، والنسبة الأقل لعدد أفراد أسرة أكثر من 10، كما هو مبين بالشكل (5) أدناه، كما يلاحظ أن أغلب أفراد العينة من ذوي الدخل المحدود الذي لا يزيد عن 700 دينار في الشهر، بنسبة تزيد عن 47 %، تليها فئة الدخل ما بين 700 – 1000 دينار بنسبة 28 %، باقي النسب كما هو مبين بالشكل (6) أدناه

توزيع المرافقين للمرضى النفسيين في عينة الدراسة

شكل (5) حسب عدد أفراد الأسرة

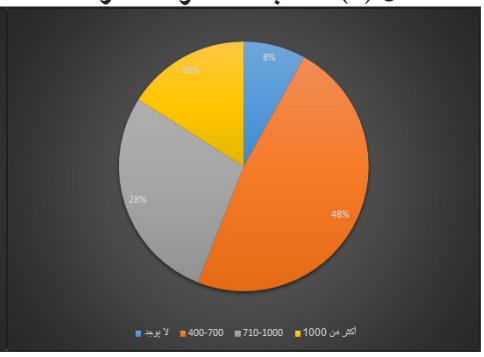

شكل (6) حسب مستوى الدخل

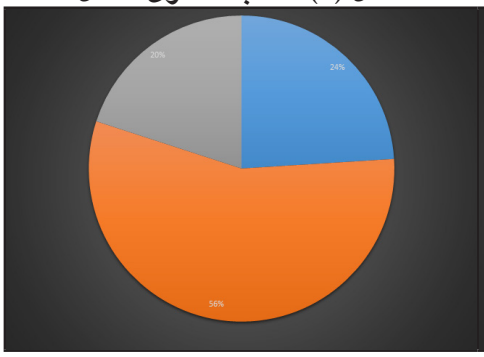

ثانيا: البيانات الخاصة بالمريض النفسي:

يلاحظ من خلال البيانات التي تم جمعها أن أغلب المرضى هم من الذكور بنسبة 76 %، والنسبة المتبقية من الإناث كما هو مبين بالشكل (7) أدناه: يلاحظ من البيانات التي تم جمعها أن أغلب المرضى النفسيين في عينة الدراسة

هـم مـن الفئـة العمريـة مـن 21 – 30 سـنة بنسـبة 32%، تليهـم الفئـة العمريـة مـن 31 – 40 سـنة بنسـبة 24 %، وباقـي الفئـات العمريـة كمـا هـو مبـين في الشـكل (8) أدنـاه:

توزيع المرضى النفسيين في عينة الدراسة

شكل (7) حسب النوع

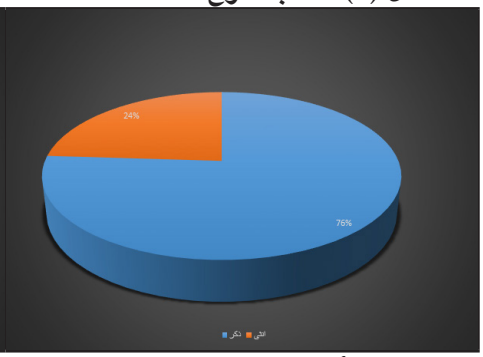

شكل (8) حسب الفئات العمرية

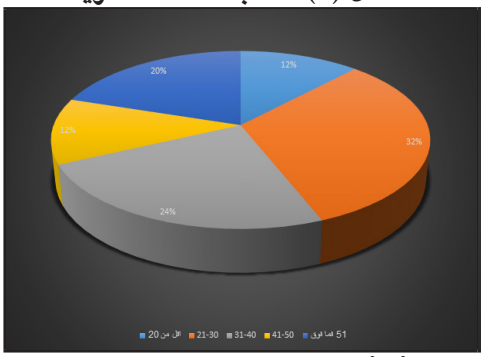

يلاحـظ أيضـا مـن خـلال تحليـل البيانـات أن أغلـب المـرضى النفسـيين الذيـن شـملتهم الدراسـة هـم مـن غـير المتزوجـين (أعـزب) بنسـبة 76 %، تليهـا فئـة المطلـق بنسـبة 16 %، كمـا هـو مبـين بالشـكل (9) أدنـاه، كمـا تبـين مـن خـلال البيانـات أن أغلـب المـرضى النفسـيين ليـس لديهـم أبنـاء بنسـبة 80 % كمـا هـو مبـين في الشـكل (10) أدنـاه.

توزيع المرضى النفسيين في عينة الدراسة

شكل (9) حسب الحالة الاجتماعية

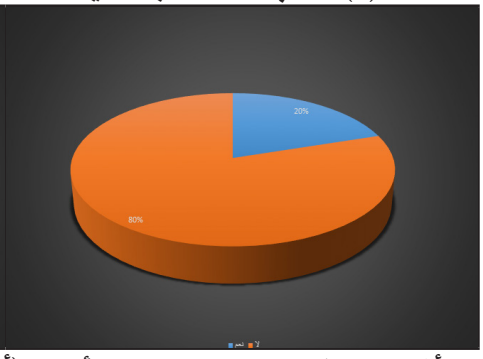

شكل (10) حسب ما إذا كان لديه أبناء

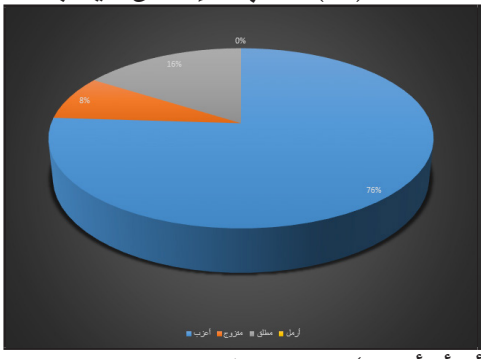

أغلـب المرافقـين للمـرضى هـم الأخـوة (أخ أو أخـت) بنسـبة مثلـت نحـو 52 % مـن أجمـالي المرافقـين، يليهـا الوالدين بنسـبة 24 %، الشـكل (11) يبين صلـة القرابة بالمرضى. الشـكل (12) يبـين دوافـع مرافقتهم للمريـض فمن خـلال التحليل الوصفي نجـد أن أغلب المرافقـين للمـرضى يكونون راغبـين بذلك حيث بلغت نسـبة مـن يرافق المريـض رغبة نحو 44 %، بـين يـرى 40 % مـن اجمـالي العينة المدروسـة أنهم ملزمـون بذلك.

توزيع عينة الدراسة من المرافقين

شكل (11) حسب صلة القرابة بالمريض النفسي

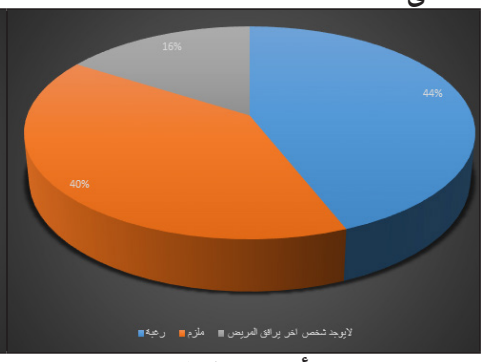

شكل (12) دوافع المرافقين لمرافقة المريض

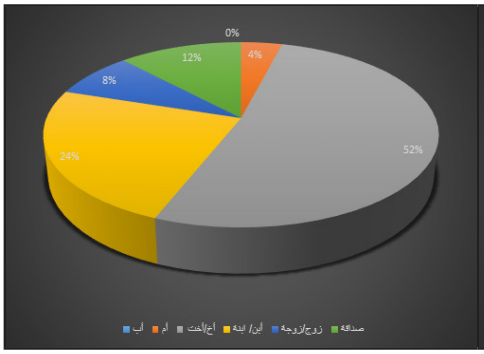

من جهة أخرى فرغم تعدد وتنوع الأمراض النفسية ولكن من خلال الاستبيانات تبين أن الحالات الأكثر شيوعا في مستشفى الأمراض النفسية (بنغازي) هي الاكتئاب بأكبر نسبة حوالي 44%، والادمان 16%، واضطرابات الشخصية بنفس النسبة 16% ، والنسبة الأقل للاضطراب الوجداني 8%، كما هو مبين بالشكل (13) أدناه.

الشكل (13) توزيع المرضى النفسيين في عينة الدراسة حسب تشخيص حالته المرضية

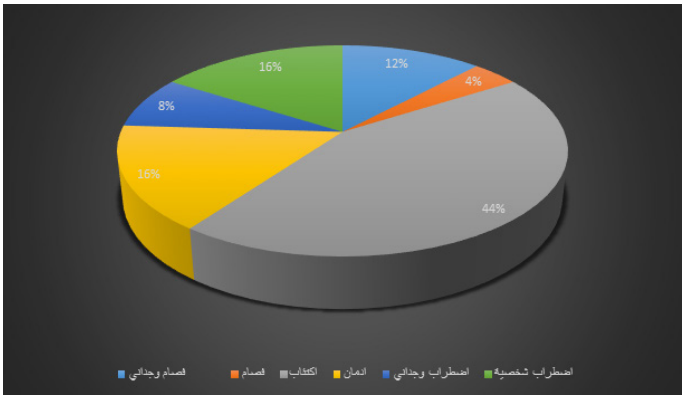

فيما يتعلق بمصادر الانفاق فقد تبين خلال تحليل البيانات تبين أن 88% من الانفاق على المرضى النفسيين يأتي من الأسرة، 12% فقط تلتزم الدولة بالإنفاق عليهم .

الشكل (14) توزيع عينة الدراسة حسب مصادر الانفاق على المرضى

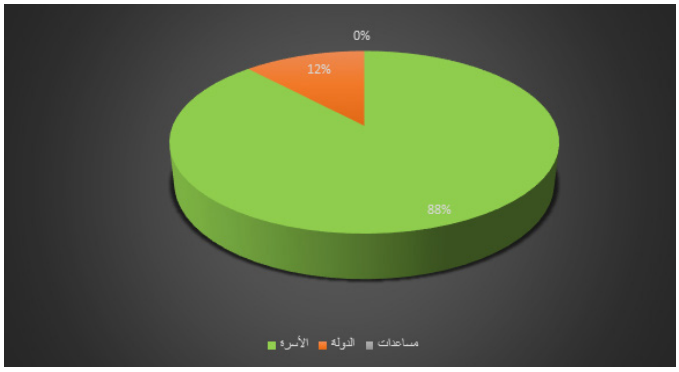

ثالثا: تحليل اتجاهات عينة الدراسة في المحاور التالية:

الجوانب العاطفية والشخصية:

نلاحظ من الجدول (1) أن الاتجاه العام للمحور ككل بلغ 3.9 وبنسبة 78 %، وهو ما يعني ورغم وجود إجابات محايدة تتعلق ببعض القضايا ولكن النتيجة العامة لهذا المحور إيجابية بمتوسط حسابي بلغ 3.90 والتي تقع ضمن فقرة "موافق" وبانحراف معياري بلغ 1.29 بما يعكس وجود تجانس مقبول في اجابات عينة الدراسة وبشكل عام يبين هذه المحور أن لدى مرافقي المرضى النفسيين ضغوطا نفسيا تتعلق بالجوانب العاطفية والشخصية.

جدول (1) اتجاهات افراد العينة حول الضغوط المتعلقة بالجوانب العاطفية والشخصية:

ر.م	العبـــــــــــــــارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه العام
1	أعاني من القلق والتوتر لمعاناة أحد أفراد أسرتي.	3.92	1.20	% 78.4	موافق
2	أعاني ألما نفسيا مستمرًا كلما شاهدت معاناة أحد أفراد أسرتي.	4.08	1.23	% 81.6	موافق
3	يؤلمني الشعور الدائم بنظرات الشفقة من الآخرين بسبب وجود مريض في أسرتي.	4.12	1.07	% 82.4	موافق
4	وجود مريض في أسرتني أفقدني الرغبة بممارسة أشياء كثيرة كنت أستمتع بها.	3.72	1.46	% 74.4	موافق
5	أشعر بالحزن كلما فكرت بحالة المريض.	4.44	0.85	% 88.8	موافق جدا
6	يحزنني أن أكون مضطرًا دائما لتبرير السلوكيات غير المقبولة من المريض للآخرين.	3.76	1.36	% 75.2	موافق
7	أشعر بالحسرة عندما أرى قدرة المريض المحدودة على أداء مهام حياته اليومية.	3.68	1.41	% 73.6	موافق

8	أشعر بالإحباط حين أدرك أن المريض في أسرتي لن يشفى ولن يعيش حياة طبيعية.	3.84	1.38	% 76.8	موافق
9	أشعر بالذنب عندما أجدني مقصرًا في رعاية المريض.	4.24	0.99	% 84.8	موافق جدا
10	أشعر أنني تخليت عن كثير من طموحاتي بسبب وجود مريض في أسرتي.	3.72	1.25	% 74.4	موافق
11	وجود مريض في أسرتي قلل من أدائي في العمل.	3.72	1.31	% 74.4	موافق
12	مرافقتي للمريض يفقدني شعور المتعة بالعطلات وبكثير من الأشياء الأخرى.	3.60	1.50	% 72.00	موافق
الاتجاه العام للمحور ككل		3.9	1.29	% 78.00	موافق

الجوانب الصحية:

نلاحظ من الجدول (2) أن الاتجاه العام للمحور ككل بلغ 3.48 وبنسبة 69.6%، ورغم وجود إجابات محايدة تتعلق ببعض القضايا ولكن النتيجة العامة لهذا المحور إيجابية بمتوسط حسابي بلغ 3.48 والتي تقع ضمن فقرة "موافق" وبانحراف معياري بلغ 1.45 بما يعكس وجود تجانس مقبول في إجابات عينة الدراسة. وبشكل عام يبين هذه المحور أن لدى مرافقي المرضى النفسيين ضغوطًا نفسيةً تتعلق بالجوانب الصحية حيث يعاني المرفقين من بعض الأثار الصحية بسبب ذلك.

جدول (2) اتجاهات أفراد العينة حول الضغوط المتعلقة بالجوانب الصحية

ر.م	العبـــــــــــارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه العام للعينة
1	تتدهور صحتي الجسدية بسبب مرض أحد أفراد أسرتي نفسيا.	3.4	1.5	% 68	موافق
2	أعاني من اضطرابات في النوم بسبب مرض أحد أفراد أسرتي نفسيا.	3.6	1.4	% 72.8	موافق
3	أعاني من فقدان في الوزن بسبب مرض أحد أفراد أسرتي نفسيا.	3.3	1.3	% 67.2	محايد
4	أعاني من فقدان في الشهية بسبب مرض أحد أفراد أسرتي نفسياً.	3.5	1.4	% 70.4	موافق
الاتجاه العام للعينة ككل		3.48	1.45	% 69.6	موافق

الجوانب الاجتماعية والأسرية:

نلاحظ من الجدول (3) أن الاتجاه العام للمحور ككل بلغ 3.49 وبنسبة 69.8 %، ورغم وجود اجابات محايدة تتعلق ببعض القضايا ولكن النتيجة العامة لهذا المحور ايجابية بمتوسط حسابي بلغ 3.49 والتي تقع ضمن فقرة "موافق" وبانحراف معياري بلغ 1.39 بما يعكس وجود تجانس مقبول في اجابات عينة

الدراسة. وبشكل عام يبين هذه المحور أن لدى مرافقي المرضى النفسيين ضغوطا نفسيا تتعلق بالجوانب الاجتماعية والأسرية تؤثر على حالتهم النفسية وتعرضهم للضغوط.

جدول (3) اتجاهات أفراد العينة
حول الضغوط التي تتعلق بالجوانب الاجتماعية والأسرية

ر.م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه العام للعينة
1	أشعر بتذمر بعض أفراد أسرتي من الفرد المريض.	3.7	1.2	% 75.2	موافق
2	أشعر بالتقصير تجاه الآخرين بسبب تركيز مشاعري وتفكيري على الفرد المريض.	3.6	1.3	% 73.6	موافق
3	وجود مريض في أسرتي يضطرني إلي تقليل زياراتي لأصدقائي وأقاربي.	3.6	1.3	% 73.6	موافق
4	أشعر بأن حياتي الاجتماعية تأثرت سلبًا بسبب وجود مريض في أسرتي.	3.4	1.3	% 68.0	موافق
5	أشعر أن الوضع الاجتماعي لأسرتي مهدد كثيرا بسبب وجود مريض فيها.	3.3	1.3	% 67.2	محايد
6	أشعر بالإحراج أمام الآخرين بسبب وجود مريض في أسرتي.	3.1	1.4	% 63.3	محايد
7	أتجنب الحديث مع الآخرين عن اصابة أحد أفراد أسرتي بالمرض النفسي.	3.3	1.5	% 67.2	محايد
8	تؤرقني فكرة إحجام الناس عن الزواج من أسرتي بسبب وجود مريض نفسي فيها.	3.1	1.3	63.8	محايد
9	أشعر بأن الآخرين لا يراعون مشاعر الأسر التي يوجد بها مريض نفسي.	3.8	1.3	% 76.0	موافق
	الاتجاه العام للمحور ككل	3.49	1.39	% 69.8	موافق

الجوانب الخاصة بسلوك المريض:

نلاحظ من الجدول (4) أن الاتجاه العام للمحور ككل بلغ 3.40 وبنسبة 68%، ورغم وجود إجابات محايدة تتعلق ببعض القضايا ولكن النتيجة العامة لهذا المحور إيجابية بمتوسط حسابي بلغ 3.40 والتي تقع ضمن فقرة "موافق" وبانحراف معياري بلغ 1.57 بما يعكس وجود تجانس مقبول في إجابات عينة الدراسة. وبشكل عام يبين هذه المحور أن لدى مرافقي المرضى النفسيين ضغوطًا نفسيا تأتي نتيجة لسلوكيات المرضى النفسيين والتي تسبب انزعاجًا للمرافقين وتعرضهم للضغوط النفسية.

جدول (4) اتجاهات افراد عينة الدراسة
حول الضغوط المتعلقة بسلوكيات المريض النفسي

ر.م	العبـــــــــــــــارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه العام للعينة
1	تزعجنـــي كثـــرة التعليمـــات والتوجيهـــات التـــي تعطـــى للمريـــض.	2.80	1.52	% 56	محايد
2	أشـعر بـأن كل مـا أفعلـه مـع المريـض يعـد جهـدًا ضائعـا وغـير مثمـر.	2.52	1.53	% 50.4	غير موافق
3	لا أعتقـد أن هنـاك أي جـدوى مـن محاولـة تعليـم المريـض النفـسي مهنـة مـا.	2.81	1.57	% 56	محايد
4	لا أعتقـــد أن هنـــاك أي جـــدوى مـــن محاولاتـــي لضبـــط ســـلوك المريـــض.	2.64	1.44	% 52.8	محايد
5	تزعجنـــي الســـلوكيات غـــير المقبولـــة التـــي تصـــدر مـــن المريـــض أمـــام الآخريـــن.	3.46	1.38	% 69.2	محايد
6	يقلقني السلوك العدواني للمريض.	3.64	1.57	% 72.8	موافق
7	يقلقنـــي عـــدم قـــدرة المريـــض عـــلى حمايـــة نفســـه مـــن الآخريـــن.	3.83	1.55	% 76.6	موافق
8	يرهقني أن المريض بحاجة دائمة للمراقبة.	4.36	1.13	% 87.2	موافق جدا
9	أشـعر بالحـزن لعـدم قـدرة المريـض عـلى الاعتمـاد عـلى نفســه في ارتــداء ملابســه أو اســتخدام دورة الميـاه.	3.76	1.45	% 75.2	موافق
10	أشـــعر بالحـــزن لعـــدم قـــدرة المريـــض ممارســـة هواياتـــه التـــي كان يحبهـــا أو ممارســـة الألعـــاب الرياضيـــة.	3.16	1.19	% 83.2	موافق
	الاتجاه العام للمحور ككل	3.4	1.57	% 68	موافق

محور الجوانب المادية:

نلاحـظ مـن الجـدول (5) أن الاتجـاه العـام للمحـور ككل بلـغ 3.73 وبنسـبة 74.6 %، وكل الفقـرات وقعـت ضمـن فقـرة "موافـق" وبانحـراف معيـاري بلـغ 1.34 بمـا يعكـس وجـود تجانـس مقبـول في إجابـات عينـة الدراسـة. وبشـكل عـام يبـين هـذه المحـور أن لـدى مرافقـي المـرضى النفسـيين ضغوطًـا نفسـياً تتعلـق بنقـص أدوات الرعايـة الماديـة وغيـاب الدعـم المـادي خاصـة في ظـل محدوديـة الدخـل وارتفـاع تكاليـف رعايـة المـرضى النفسـيين.

جدول (5) اتجاهات أفراد عينة الدراسة حول الضغوط المتعلقة بالجوانب المادية

ر.م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الاتجاه العام للعينة
1	تتخلى الأسرة عن العديد من الضروريات من أجل المريض.	3.84	1.25	% 76.8	موافق
2	يقلقني أن متطلبات رعاية المريض تفوق قدراتي المادية.	3.40	1.33	% 68	موافق
3	أشعر بالإحباط لعدم توفر الدعم المادي من المجتمع لأسر المرضى النفسيين.	3.76	1.34	% 75.2	موافق
4	أشعر بالإحباط لعدم توفر الدعم المعنوي من المجتمع لأسر المرضى النفسيين.	3.92	1.38	% 78.4	موافق
	الاتجاه العام للمحور ككل	3.73	1.34	% 74.6	موافق

اختبار الفرضيات :

وفقا للفرضية العامة للبحث فإنه سيتم تقسيمها إلي خمس فرضيات وفقا لمحاور الدراسة

- **يواجه مرافقو المرضى ضغوطًا تتعلق بالجوانب العاطفية**
- **يوجه مرافقو المرضى ضغوطًا تتعلق بالجوانب الصحية**
- **يواجه مرافقو المرضى ضغوطًا تتعلق بالجوانب الاجتماعية والأسرية**
- **يواجه مرافقو المرضى ضغوطًا تتعلق بسلوكيات المرضى وتصرفاتهم**
- **يوجه مرفقو المرضى ضغوطًا تتعلق بالجوانب المادية اللازمة لرعاية المريض.**

ولاختبار صحة هذه الفرضيات اعتمد البحث على اختبارt لتحديد ما إذا كان متوسط درجة استجابة أفراد العينة قد وصلت إلى الدرجة الافتراضية (3) حسب مقياس ليكرت الخماسي، ويمكن صياغة الفرضيات على شكل فرضية العدم والفرض البديل كالتالي:

H0 .....(فرضية العدم) تشير إلى عدم صحة ادعاء البحث

H1 ..... (الفرض البديل) يشير إلي صحة ادعاء البحث

وفقًا لذلك فإن منطقة الرفض لفرضية العدم تقع في المنطقة الموجبة وفي هذه الحالة يمكن الاستفادة من إشارة (t) المحسوبة، حيث تشير القيمة الموجبة إلي قبول الفرضية البديلة التي وضعها الباحث وتشير القيمة السالبة إلي قبول فرضية العدم التي تدحض الفرضية التي وضعها البحث. من خلال بيانات الجدول (6) أدناه، يتضح أن قيمة t المحسوبة لكل من المحاور الخمس موجبة، كما أن مستوى الدلالة أصغر من 0.05 وهو ما يعني رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة، أي صحة الادعاءات الخمس التي افترضتها الباحثة وهي وهو ما يتوافق مع نتائج التحليل الوصفي أعلاه.

جدول (6) نتائج تحليل اختبارt للفرضيات

One-Sample Test				
المحاور	Test Value = 3			
	T	Df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference
المحور الأول	5.2311	24	001.	0.91
المحور الثاني	4.4162	24	000.	0.76
المحور الثالث	9.534	24	004.	1.03
المحور الرابع	8.3673	24	000.	0.98
المحور الخامس	11.1890	24	002.	1.12

رابعا نتائج تحليل المقابلات:

تم إجراء أربع مقابلات شخصية مدة المقابلة لم تزد عن الساعة، وكانت في زيارات مختلفة ، كما تم تسجيل المقابلات بموافقتهم، حيث طرحت الباحثة أسئلة مفتوحة عليهم، منبثقة من أسئلة المقياس المحددة في الاستبيانات ولكنها تركت المجال لهم ليعبروا عن مشاعرهم وآرائهم دون تقيد بمقياس ليكرت الخماسي؛ ثم تم تفريغ إجابتهم وتحليلها وفقا لأسلوب تحليل السياق، وكانت النتائج متوافقة مع ما بينته نتائج تحليل الاستبيانات حيث أظهرت المقابلات أن مرافقي المرضى النفسيين يتعرضون لضغوط نفسية وكم هم بحاجة لمن ينصت لهم ويخفف عنهم ذاك الحمل حيث عندما أجرت الباحثة المقابلة الاولى كانت مع رجل مسن تجلت على ملامحه المعاناة والوهن فطلبت منه الجلوس للحديث قليلا في بداية الامر رفض الرجل تلك المقابلة، بعدما اصرت الباحثة على جلوسه بالقرب منها جلس وبدأت بطرح الاسئلة فكانت آنذاك الاجابات مبتورة ومع تكرار الاسئلة التي تمس الجوانب العاطفية والصحية انسكبت تلك الاوجاع دفعة واحدة دون توقف بل فاضت معها تفاصيل كثيرة مثقلة بالهموم واغرورقت عيناه حزنا وأسى ومن هنا يتضح كم هي الحاجة للتنفيس كبيرة. كما تكرر حديثهم في المقابلات عن الاحباط الذي يسيطر عليهم وفقدانهم للأمل بأن ذاك المريض مآله الشفاء وكذلك هاجس التقصير حتى وان لم يحدث يلازمهم هذا الشعور الدائم فكم هم بحاجة لبصيص أمل يتغلبون به على إحباطهم واوجاعهم في تلك الظروف.

الخلاصة والتوصيات

استناداً الى كل ما سبق فإن المريض النفسي يشكل ضغطاً نفسيا على مرافقه والذي يؤدي بدوره إلى حدوث اضطراب في حياة المرافق . ويلاحظ ذلك من خلال السلوكيات والتصرفات التي تصدر من المرافق أثناء مكوثه بالمستشفى مع

المريض والتي تمثل مشكلة بالنسبة إلى الفريق العامل بالمستشفى والتي تتطلب منهم معالجة هذه التصرفات بالعلاج النفسي والإرشاد النفسي .

بالنظر إلى ما توصلت إليه نتائج الدراسة ومنها أن المريض النفسي يسبب ضغوطًا نفسية للمرافق. فقد بينت الدراسة بالعموم تعرض المرافقين للمرضى النفسيين لضغوط نفسية وكان العوامل العاطفية الشخصية هي الأكثر تأثيرا على المرافق وحالته النفسية بمتوسط عام بلغ 3.90، تليها العوامل المادية بمتوسط بلغ 3.73، العوامل الاجتماعية والعوامل الصحية، والعوامل المتعلقة بسلوكيات المريض أيضا تؤثر على المرافق وتزيد من ضغوطه النفسية. وبالرغم من صغر حجم عينة الدراسة إلا أن النتائج كانت متوافقة جدًّا مع المنطق الذي حددته الدراسة وفقًا لعدد من الافتراضات. ولكن ورغم أن الدراسة لم تتناول جانب الاستراتيجيات اللازمة لمواجهة تلك الضغوط ولكن من الواضح أن مرافقي المرضى النفسيين بحاجة إلى المساعدة الخارجية لاستعادة التوازن النفسي والتكيف مع واقع وجود مريض نفسي في الأسرة. ولذلك فإن الباحثة تقترح ما يلي:

- إعداد وتصميم برامج مساندة نفسية لمرافقي المرضى النفسيين تساعد على خفض درجة الضغط النفسي لديهم.
- تقديم برامج حكومية للدعم المادي لأسر المرضى النفسيين
- دعم مستشفيات الأمراض النفسية وجعلها أكثر ملاءمة لاستقبال المريض حتى لا تصبح مجرد مكان شبيه بالسجن، وتغيير النظرة النمطية من المجتمع عن مستشفيات الأمراض النفسية.
- إعداد برامج تستهدف أُسر المرضى النفسيين تساعدهم في كيفية التعامل مع المشكلات التي تواجههم في رعاية المريض النفسي
- تنظيم حملات توعوية للمجتمع ككل من أجل استيعاب المريض النفسي وعدم التعامل معه كشيء مثير للعار
- إجراء المزيد من البحوث التي تهتم بأسر المرضى النفسيين.

المقترحات: تقترح الباحثة القيام بالمزيد من الدراسات حول موضوع الضغوط النفسية لدى مرافقي المرضى النفسيين.

المراجع:

- جمعه سيد يوسف. (2007). ادارة الضغوط (مشروع الطرق المؤدية إلى التعليم العالى). منشورات مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث. كلية الهندسة – جامعة القاهرة .
- حامد زهران .(1997). الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- حنان عبد الرحمن الأحمدي . (2002). ضغوط العمل لدى الأطباء المصادر والأعراض، دار الطباعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية .
- سليمان علي أحمد و ابراهيم عبد الرحيم ابراهيم.(2009). الضغوط النفسية وعلافتها بنوعية الحياة لدى مرافقي مرضى الفصام ،مجلة بحوث الدراسات النفسية، (66- 102) العدد السابع.
- سهام عباس.(2019).استراتيجيات مواجهة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال المصابين بمتلازمة داون، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد (41)، العدد (3) ، 663-641.
- صفاء رفيق وموسى قراقيش. (2011). الضغوط النفسية لدى أولياء أمور أطفال التوحد واحتياجات مواجهتها. رسالة دكتوراه غير منشورة، كمية التربية، قسم علم النفس، السودان.
- عايش صباح و منصور عبد الحق.(2013). علاقة الضغوط النفسية لدى أسر المعاقين بالعلاقات الاسرية. المجلة العربية للدراسات الاجتماعية، 2013، العدد الرابع.
- عبد الستار ابراهيم. (2001). ضغوط الحياة ماذا تعرف عنها وكيف تتغلب على سلبياتها . مجلة الجامعة ، جامعة الملك فهد، العدد 22.
- عبد الستار ابراهيم. (2002). الحكمة الضائعة، الابداع والاضطراب النفسي والمجتمع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت.
- عبد العزيز الشخص وزيدان احمد السرطاوي.(1998).الضغوط النفسية لدى أولياء الأمور الأطفال المعوقين وأساليب مواجهتها ، مركز البحوث التربوية الرياض.
- قوعيش مغنية. (2018). ضغوط النفسية واستراتيجيات مواجهتها لدى أمهات الأطفال المصابين بالتوحد دراسة وصفية لأمهات الأطفال المصابين بالتوحد بولاية مستغانم، مجلة التنمية البشرية ، العدد (11)، 78-62.
- محمد ناصر ياحي. (2000). الضغط القلق والحالات العصبية. دار الهدى للطباعة والنشر. الجزائر.
- محمد يعقوب.(2014). الإحصاء التطبيقي. منشورات جامعة عمر المختار. دار الكتاب الوطنية .بنغازي.ليبيا.

صناعة الجرار التريبوليتانية (T.I, T.II, T.III) وصلتها بتجارة حوض المتوسط خلال العصر الروماني

إعداد:
د. مفتاح أحمد الحداد
الاستاذ المشارك بقسم الآثار والسياحة- كلية الآداب- جامعة الزيتونة
تاريخ الاستلام 13/ 5/ 2021 تاريخ القبول 21/ 6/ 2021.

المستخلص:

تعتبر بقايا الجرار الفخارية من بين أكثر الشواهد الأثرية حضورا في المواقع الأثرية العائدة إلى الفترة الرومانية، وتفيد دراسة الجرار في معرفة وفهم الكثير من المعطيات والحصول على استنتاج عن جوانب مهمة من النشاط الاقتصادي وحركة التجارة الرومانية، لهذا اهتمت هذه الدراسة بالبحث في موضوع صناعة الجرار الفخارية في تريبوليتانيا(T.I, T. II and T.III) وإيضاح المستوى الذي وصلت إليه الدراسات المختصة في هذا الموضوع، وتحديد أشهر أماكن تواجد البقايا المكتشفة من هذه الجرار، ومدى أهمية هذه الشواهد الأثرية وبرهنتها على حركة السوق والصلات التجارية التي ربطت تريبوليتانيا مع روما نفسها خاصة وعالم البحر المتوسط عامة. من أهم النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة هي أهمية الدور الذي لعبته الجرار التريبوليتانية في حركة التجارة الرومانية، خاصة تجارة زيت الزيتون التي بلغت مرحلة الذروة والسيطرة خلال عهد حكم الأسرة السيفيرية للإمبراطورية الرومانية.

كلمات مفتاحية: جرار، تجارة، أختام، روما، تريبوليتانيا.

The remains of amphorae are considered among the most important archaeological evidence at the Roman period archaeological sites. Nowadays, it is known that how much the study of this evidence is very significant because of its value in knowing and understanding a lot of information and achieving a logical conclusion on several important aspects of economic activity of the Roman goods trade. Therefore, this study is interested in researching the production of the three Tripolitanian amphorae (T.I, T. II and T.III) to clarify the level that has been reached by the relevant studies, to determine the most famous sites of remains of these amphorae, and demonstrate the importance of this archaeological evidence as an indicator on the market and the commercial network that linked the region of Tripolitania, particularly, with Rome itself and with the Mediterranean world. One of the most relevant results of this study is the importance of the role played by Tripolitanian amphorae in the Roman trade, especially the olive oil trade, which reached its peak and domination during the reign of the Severian family of the Roman Empire.

Key words: amphorae, trade, amphora stamps, Rome, Tripolitania.

مقدمة

تعرف الجرار الفخارية amphorae بأنها أوعية أساسية لنقل وتخزين العديد من المنتجات والسلع طوال الفترة الرومانية، وارتبطت بداية الاهتمام بالجرار الفخارية الرومانية مع بداية جمع ودراسة النقوش اللاتينية، ومع مرور الوقت تحول هذا الاهتمام من دراسة النقوش والخربشات التي تحملها الجرار إلى دراسة أشكال الجرار نفسها وتصنيفها وكمياتها لما لذلك من أهمية في فهم وتتبع حركة التجارة القديمة، حيث بدأ الباحثون المختصون في دراسة الفخار القديم، وخاصة فخار الفترة الرومانية، في العقود القليلة الماضية يركزون على جوانب مهمة في هذا المجال غير الجوانب الوصفية والتصنيفية للجرار، من أهمها إجراء التحاليل الشاملة لغرض استنباط معطيات ونتائج ذات تضمين اقتصادي يساهم في تسليط مزيدا من الضوء على حركة انتقال السلع والمعارف، وشبكة الطرق التجارية وعلاقتها بالموارد وحركة السوق وما ورائها من دوافع سياسية واجتماعية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تقدير الدور تلعبه دراسة الجرار الفخارية كشواهد مادية حضارية، وأهمية ما تزودنا به دراسة الجرار الفخارية المنتجة في تريبوليتانيا خلال العصر الروماني من معلومات مهمة عن مواقع إنتاجها والنشاط الاقتصادي والعلاقات التجارية التي ربطت الإقليم مع غيره من المناطق الأخرى في عالم البحر المتوسط خلال تلك الفترة التاريخية.

ينصب الهدف الأساسي لهذا البحث على تسليط مزيدا من الضوء على الخطوط الرئيسة التي وصلت لها الأبحاث الحديثة حول الجرار التريبوليتانية المنتجة في العصر الروماني، والمدى الذي بلغته الدراسات التحليلية لها، وما هي المناطق الرئيسة التي ارتبطت معها تريبوليتانيا تجارياً وتشهد عليه بقايا تلك الجرار.

ستكون المنهجية المقترحة لهذه الورقة هي تتبع أهم المحطات التاريخية لاكتشافات ودراسات الجرار التريبوليتانية مع التركيز على حركة تنقل هذه الجرار المحملة بأهم السلع الاقتصادية، فالعامل الاقتصادي حث هذه الدراسة إلى الانطلاق من فرضية إن كميات الجرار المستخدمة في حركة التجارة كانت مرتبطة مع ازدهار واضمحلال مستويات الإنتاج الاقتصادي المعد لغرض التصدير من تريبوليتانيا.

بناء عليه، سيهتم البحث بالخلفية التاريخية عن الجرار التريبوليتانية المكتشفة في عالم البحر المتوسط ودرجة تقدم الدراسات في هذا المجال، وانعكاسها على فهمنا وتفسيرنا لتجارة المنطقة مع هذا العالم. هل بلغت الدراسات العلمية عن الجرار التريبوليتانية مرحلة الدراسة المتقدمة المعتمدة على إجراء تحاليل بترولوجية (بتروجرافية)، وكيميائية، وتصوير مقطعي دقيق Thin section، أم مازالت الدراسات عنها في مراحلها الأولية التي تهتم فقط بالجوانب الوصفية والشكلية ؟

تناولت الأبحاث العلمية، في مجال دراسة الآثار الرومانية، الجرار الفخارية بشكل عام ضمن المحتوى التقليدي لدراسة التجارة الرومانية في عالم البحر المتوسط، وهو موضوع يزخر بالعديد من الدراسات المنشورة[1]، ويعود سبب هذه الوفرة في الدراسات إلى كثرة تواجد بقايا الجرار الفخارية في المواقع الأثرية التي نفذت بها تنقيبات أثرية علمية، وكذلك إلى العثور على كميات كبيرة من الجرار في مواقع السفن القديمة الغارقة[2]. ساعد ذلك المختصين في دراسات الجرار الفخارية الرومانية على الاهتمام بتصنيف أشكال الجرار، ومعرفة مواطن إنتاجها، وتفسير الأختام أو النقوش والمخربشات التي تحملها، وتحليل تركيبة طينة صناعتها، وتحديد السلع التي استعملت الجرار لنقلها، ومظاهر انتشارها واستهلاكها[3].

(1)Bonifay ,M (2004) .Études sur la céramique romaine tardive d'Afrique .Oxford :Archaeopress ,British Archaeological Reports .International Series ;Reynolds ,P (1995) .Trade in the western Mediterranean ,AD :400–700the Ceramic evidence .Oxford :Archaeopress ,British Archaeological Reports International Series; Tomber ,R .S" (1993) .Quantitative approaches to the investigation of long–distance exchange ,"in :Journal of Roman Archaeology ,.pp ;142–166 .Peacock ,D .P .S & .Williams ,D .F (1986) .Amphorae and the Roman Economy .London :Longman ;Keay ,S .J (1984) .Late Roman amphorae in the Western Mediterranean .A typology and economic study :the Catalan evidence .Oxford ,British Archaeological Reports International Series ;Keay ,S .J" (1998) .African amphorae ".Ceramica in Italia :VI–VII secolo .Atti del convegno in onore di John W .Hayes .Roma 11–13 ,maggio ;141–155 : .1995 Panella ,C1986) .a" (Oriente ed Occidente .I considerazioni su alcune anfore" egee "di età imperiale a Ostia ".Recherches sur les amphores grecques .Bulletin de correspondance héllenique .Supplément ; 609–636 :13 Panella ,C1986) .b" (Le anfore tardantiche : centri di produzione e mercati preferenziali ,"in :A .Giardina ,ed ,.Societa romana e impero tardonatico III .Le merci .Gli insediamenti) RomaBari1986 ,b ,(pp ;251–72 .Panella ,C" (1993) .Merci e scambi nel Mediterraneo tardoantico ".Storia di Roma ,3 L'età tardoantica .II .I luoghi e le culture ;613–697 : .Panella ,C" (2001) .Le anfore di eta imperiale del Mediterraneo occidentale ,"in :E .Geny ,ed ,.Ce i em i que s tie LLen i s tique et romaines) Publications du Centre Camille Jullian ,(28 Paris ,pp;177–275 .

(2)Bonifay ,M" (2009) .Cargaisons africaines :reflet des entrepôts ,"?Antiquites Africaines ,43 ,pp;253–60 . Bonifay ,M" (2002) .Les ultimes niveaux d'occupation de Sidi Jdidi ,Pupput et Neapolis:
difficultés de datation par la céramique ,"in : L'Afrique vandale et byzantine .Actes du colloque international)Tunis 5–8 ,octobre .(2000 Antiquité Tardive ,.pp ; 182–190 .Bonifay ,M & .A .Tchernia" (2012) Les résaux de la céramique africaine) Ier–Ve siècles ," (in :S .Keay) ed ,(Rome ,Portus and the Mediterranean) Archaeological Monographs of the British School at Rome ,333–315 ,(21 London ;Gibbins ,D" (2001) .A Roman shipwreck at Plemmirio ,Sicily :evidence for north African amphora production during the Severan period," in :World Archaeology ,pp ;311–334 .Volpe ,G" (2002) .Relitti e Rotte Commerciali nel Mediterraneo Occidentale Tardoantico,"L'Africa Romana XIV ,1,pp.239–50.

(3)Bonifay ,M ;(2004) .Bonifay ,M" (2005) .Observations sur la typologie des amphores africaines de l'antiquitétardive ".LRCW I .Late Roman Coarse Wares ,Cooking Wares and Amphorae in the
Mediterranean :Archaeology and Archaeometry .British Archaeological Reports International Series:1340 . ;451–472Bonifay ,M" (2007) .Que transportaient done les amphores africaines ,'?in E .Papi ,ed ,.Supplying Rome and the Empire .The Proceedings of an International Seminar held at SienaCertosa di Pontignano on May 2004 ,2–4 on Rome ,the Provinces ,Production and Distribution) Portsmouth ,Rhode Island ,(pp;8–24 . Bonifay ,M & .Piéri ,D" (1995) .Amphores du Ve au VIIe s .à Marseille :Nouvelles données sur la typologie et le contenu ,"in :Journal of Roman Archaeology ,.pp.94–120 .

الخلفية التاريخية عن دراسات الجرار الفخارية الرومانية

من المعروف جيدا عند المهتمين بدراسة الفخار الروماني أن الانطلاقة الأولى لدراسة الجرار الفخارية بدأت من الاهتمام الذي كان موجه إلى دراسة الكتابات المنقوشة أو المدونة بالطلاء على عدة أنواع من الجرار الفخارية المكتشفة ضمن المحتويات الطبقية بمواقع الحفريات الأثرية في مدينتي روما وبومبي[4]، فمن خلال توثيق الأختام والمخربشات الموجودة على الجرار توصل المختصون إلى عمل تصنيف أولي للجرار على الرغم من أن ذلك لم يكن هدف دراساتهم الأساسي[5].

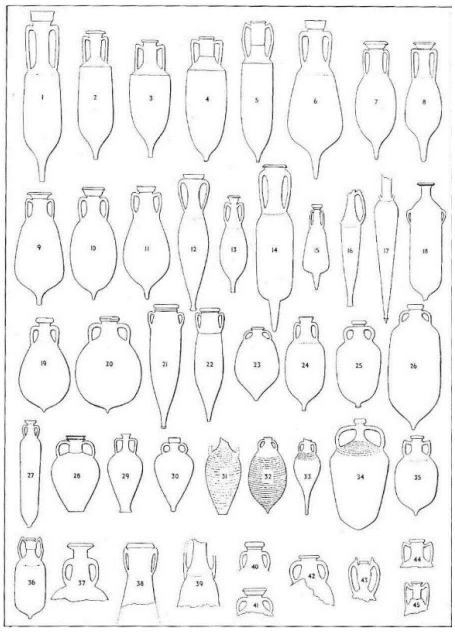

شكل 1: تصنيف Dressel (Franco 2012: 58)

قدم عالم النقوش إينيريك درسل (Einrich Dressel 1899) قائمة مجدولة تمثل عدد من أشكال الجرار المكتشفة من حفريات موقع كاسترو بريتوريو Castro Pretorio في روما (شكل 1)، وقدم وصف لهذه الأشكال فقط لكونها كانت تحمل نقوشا وكتابات قام هو نفسه بنشرها في مجموعة النقوش اللاتينية، المجلد 15 –Corpus Inscriptionum Lati narum, Volum. بذلك أتى Dressel بأول تصنيف منظم للجرار، وبه أرسى القواعد المتينة للدراسات المقارنة المستقبلية، وعلى الرغم من مرور قرن ونيف على ما قدمه، مازال لتصنيفه الحضور والشرعية فهناك عدة أنواع من الجرار الفخارية الرومانية تحمل اسمه وترقيمه لها[6].

تعتبر الدراسات المصنفة والمنسقة للجرار الفخارية حديثة التطور إذ ترجع بدايتها إلى خمسينيات وستينيات القرن العشرين[7]. لقد ساهمت الحفريات

(4)Dressel ,H" (1879) .Di un grande deposito di anfore rinvenuto nel nuovo quartiere del Castro Pretoria," Bullettino della Commissione archeologica comunale di Roma ,7 ,pp 36–112 .and ;43–95 Mau ,A(1898) . "Tituli fictilibus vasi inscripti ,"Corpus ,Inscription um La tinarum .Vol.4 .

(5)Peacock and Williams :(1986) p.3 .

(6)Franco ,P" (2012) .African Amphorae from Portus ."A PhD Thesis ,Southampton University ,Southampton .2012 ,pp.57–58 .

(7)Lamboglia ,N" (1955) .Sulla cronologia delle anfore romane de età republicana ,"in :Rivista di studi Liguri ,.pp ;252–260 .Callender ,M .H (1965) .Roman Amphorae .Oxford ;Zevi ,F" (1966) .Appunti sulle anfore

الأثرية التي أجريت بميناء أوستيا[8] مساهمة جوهرية في تطور دراسات الجرار الفخارية، ونشرت نتائج تلك الحفريات في سلسلة من المجلدات بواسطة مجموعة من المختصين في دراسة الأواني الفخارية[9]، ونظراً لأن موقع أوستيا قد كشف عن كميات كبيرة جداً من بقايا الجرار الفخارية فإن هذه الكمية قد فاقت قدرة ما يمكن أن يقدمه تصنيف Dressel الرائد للجرار الفخارية مما دفع المختصين إلى العمل على تحديث ذلك التصنيف وإضافة أنواع مكتشفة جديدة له. لازال للدراسات المنشورة عن موقع أوستيا أهمية كبيرة اليوم في مجال تصنيف الجرار الفخارية نظرا للكميات الكبيرة من بقايا الأواني الفخارية التي كشف عنها الموقع وتعود إلى مناطق مختلفة من عالم البحر المتوسط الروماني بما فيها ولاية أفريقيا. ففيما يخص دراسة الجرار المنتجة في ولاية أفريقيا الرومانية، كان زيفي 1966) Zevi) أول من لفت الانتباه إلى أهمية دراسة الجرار الأفريقية، ثم تبعه في ذلك تكرنيا 1969) Tchernia).

تتجلى أهمية دراسة مكتشفات موقع أوستيا في أنه صار من الممكن القيام بعملية ربط الجوانب الخاصة بالاقتصاد الروماني في عالم البحر المتوسط مع بعضها البعض عبر حصر كميات البقايا الفخارية المكتشفة ضمن طبقات الموقع ونسبتها إلى أصول مواقع إنتاجها بناء على جملة من المعطيات، منها: الأختام التي تحملها؛ وشكل الجرة؛ والدراسات السابقة عنها. بهذه النتيجة صار للجرار الفخارية معنى وقيمة لكونها دليلا ملموسا عن الجوانب الأثرية والتاريخية والاقتصادية. كما بينت نتائج حفريات موقع أوستيا مؤشرات اقتصادية مهمة حدثت خلال عصر الإمبراطورية الرومانية من مثل حدوث تدهور في كمية المنتجات الإيطالية بطبقات الموقع التي تعود إلى نهاية القرن الأول بعد الميلاد، وترافق هذا الحدث مع حدوث ارتفاع مفاجئ في معدل الواردات القادمة من الولايات خارج شبه الجزيرة الإيطالية في عهد الإمبراطورين تراجان وهادريان، ففي هذه الفترة التاريخية صار واضحاً الدور المهم الذي لعبته تجارة زيت الزيتون من ولاية بايتكا Baetica إلى ميناء أوستيا بروما[10]. بينما بينت المحتويات الطبقية العائدة إلى القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد وجود أنواع أخرى من الجرار الفخارية التي

---

romane .La tavola tipologica del Dressel ,"in :Archaeologia Classica ,.pp ;208-247 .Tchernia ,A" (1967) .Les amphores romaines et l'histoire économique ,"in :Journal des Savants ,.pp ;216-234 .Zevi ,F & .Tchernia ,A. " (1969)Amphores de Byzacène au Bas-Empire ".Antiquités Africaines.173-214 :3 .

(8) يقع ميناء أوستيا على مصب نهر التيبر، جنوب غرب مدينة روما بمسافة حوالي 25 كم. كان ميناء أوستيا واحد من بين أهم موانئ روما القديمة، ويشتهر موقع أوستيا الأثري اليوم باحتوائه على العديد من المعالم الأثرية الرائعة والجيدة الحفظ.

(9)Carandini ,A (1968) .Ostia I .Scavo Le terme del Nuotatore .dell'Ambiente IV ,Roma ;Carandini ,A. (1970)Ostia II :le terme del Nuotatore :scavo dell'ambiente I .Rome :Studi miscellanei ;Carandini ,A& . Panella ,C (1973) .Ostia III :Le terme del Nuotatore :scavo dell'ambiente V et di un saggio nell'area .Rome: Studi miscellanei.

(10)Franco ;(2012) Carandini and Panella ;(1973) Carandini and Panella.(1977)

صنفهـا كل مـن Zevi و1969) Tchernia) بأنهـا تعـود إلى تريبوليتانيـا (Ostia II). وهـي الجـرار التـي قامـت بانيـلا 1973) Panella) بتصنيفهـا إلى ثلاثـة أنـواع "تريبوليتانـا Tripolitana I, II; III" (شـكل 2)، ومقترحـة بأنهـا جـاءت مـن مواقـع إنتـاج منتـشرة عـلى منطقـة واسـعة مـن تريبوليتانيـا.

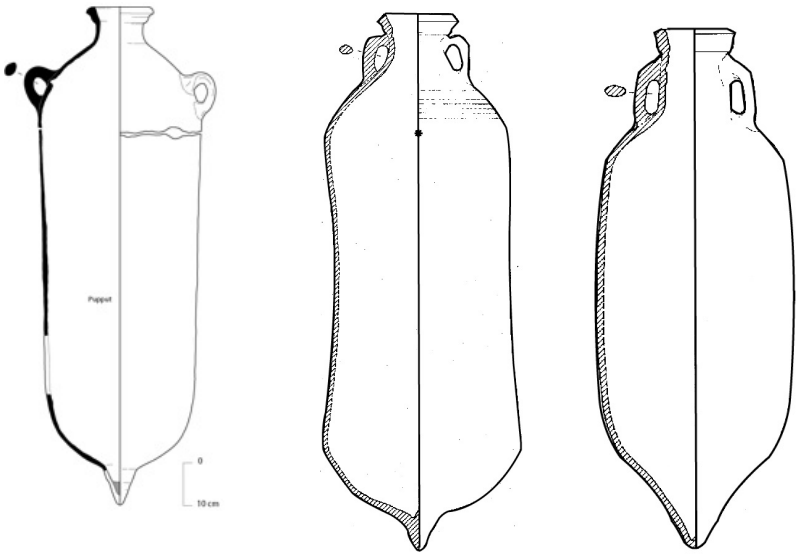

Tripolitana I Tripolitana II Tripolitana III

شكل 2: أشكال ومسميات الجرار التريبوليتانية الثلاث (المصدر: Bonifay 2004)

يجـب أن يثمـن التقـدم الـذي حـدث عـلى دراسـة الجـرار الرومانيـة مرتبطـاً، أولاً، مـع التغـير الـذي طـرأ عـلى أسـلوب دراسـة الاقتصـاد الرومانـي بتركيـزه عـلى الـدور الـذي لعبـه النشـاط الزراعـي والمنتجـات الزراعيـة والبحريـة، والاسـتثمار، والتجـارة؛ وثانيـاً، مـع تطـور التقنيـات والأسـاليب الحديثـة المسـتعملة في علـم الآثار ومسـاهمتها الفعالـة في تقـدم دراسـات الفخـار ممـا مكـن المختصـين مـن معرفـة أصـول أماكـن الكثـير مـن المنتجـات الفخاريـة، وبالتـالي تتبـع حركتهـا وانتشـارها خـارج مواقـع إنتاجهـا. مـن بـين أهـم هـذه التقنيـات العلميـة الحديثـة المسـتخدمة في هـذا المجـال، تقنيـات التحليـل البتروجـرافي، وتقنيـات التحليـل الكيميائـي لرواسـب المواد المشـحونة في الجـرار، بالإضافـة إلى برامـج الإحصـاء والتحليـل الكمـي للعينـات. واسـتفاد المختصـون في دراسـة الفخـار الرومانـي مـن وجـود تنـوع واختـلاف واضـح بـين أشـكال الجـرار الفخاريـة الرومانيـة بنـاء عـلى تنـوع مناطـق الإنتـاج، واختـلاف بنيـة العجينـة الطينية وتأثـير هـذه العوامـل عـلى شـكل الآنيـة الفخاريـة وحجمهـا.

أهمية الجرار الفخارية كشواهد مادية حضارية

تشكل صادرات السلع الزراعية المهمة، خاصة سلعة زيت الزيتون، المورد الاقتصادي الرئيس الذي اعتمد عليه ازدهار العديد من المدن بولايتي بايتكا (إسبانيا) وأفريقية البروقنصلية في العصر الروماني. تعتمد معرفتنا عن تجارة زيت الزيتون بشكل أساسي على المعلومات الخام التي نستمدها من الشواهد المادية التي تكشف عنها مخلفات الجرار الفخارية عند نقاط الوصول، خاصة مينائي روما (أوستيا Ostia، وبورتوس Portus[11])، ومكب رمي الجرار الفخارية المشهور باسم مونت تستاشيو Monte Testaccio. فكما بين Bowman and Wilson [12] أنه بفهمنا لطبيعة إنتاج الأواني الفخارية، وانتشارها واستهلاكها في العصر الروماني، نستطيع أن نجمع أجزاء الاقتصاد الروماني مع بعضها. هذا ينطبق بشكل خاص على الجرار الفخارية كونها كانت تستخدم بشكل كبير كوسيلة حفظ وشحن للكثير من المنتجات الزراعية، كما أنها شكلت مصدرا ماديا يخبرنا عن واحد من أهم مواضيع الأبحاث في الدراسات الرومانية اليوم وهو العلاقة بين أماكن الإنتاج وأماكن الاستهلاك[13].

يقوم تحليل العينات الفخارية المكتشفة من الحفريات العلمية بالمواقع الأثرية على خطين رئيسيين من الاستقصاء، إذ يعتمد الاستقصاء الأول على دراسة شكل الأواني الفخارية والتغيرات التي طرأت عليها عبر مراحل تاريخ صناعتها، ويعرف هذا باسم التحليل التصنيفي، ويستند بشكل أساسي على التحليل المفصل لأشكال الفوهات والملامح الزخرفية للآنية. أما الخط الثاني من الاستقصاء فيشتمل على فحص بنية وتركيبة الفخار، ويهدف هذا الفحص إلى تحديد المواد الخام التي يتشكل منها الطين المستعمل في الصناعة الفخارية والطرق المستخدمة في صناعة وحرق الفخار؛ وينتج من الجمع بين هذين الخطين من الدراسة الحصول على معرفة موثوقة لأنواع الأواني الفخارية مما يساهم بشكل كبير في فهم وتفسير وتأريخ المحتويات الطبقية بحفريات المواقع الأثرية.

تختلف أنواع الجرار وتتنوع في أحجامها وأشكالها، ويساعد هذا الاختلاف في الشكل في تحديد نوع الآنية، ومعرفة موقع الإنتاج، والتأثيرات الأنثروبولوجية على صناعتها، والفترة التاريخية التي ترجع إليها. إن الجرار الفخارية هي نوع من الفخار الخشن في مادتها أو تركيبة بنيتها، وتوفر هذه البنية الخشنة إمكانية

(11) شيد ميناء بورتوس عام 42 بعد الميلاد في عهد الإمبراطور كلاوديوس على الرافد الشمالي لنهر التيبر بمسافة حوالي 3 كم شمال الميناء القديم أوستيا.

(12)Bowman ,A & Wilson ,A) ed" (2009) ,(.Quantifying the Roman Economy :Methods and Problems ",OUP Catalogue ,Oxford University Press ,pp.17-20 .

(13)Franco ;(2012) Kehoe ,D .P" (2007) .The Early Roman Empire :Production ,"in W .Scheidel ,I .Morris and R .Saller ,eds ,.The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World ,Cambridge, pp ;543-69 .Morley ,N2007) .a (Trade in Classical Antiquity ,Cambridge ;Morley ,N2007) .b" (The Early Roman Empire .Distribution ,"in W.Scheidel ,I .Morris and R .Saller ,eds ,.The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World ,Cambridge,pp ;570-91.Keay.(1998)

تحليلها تحليلا بترولوجيا[14] وكيميائياً للتعرف على أصلها المكاني. كما أن الأختام أو المخربشات أو الكتابات الطلائية tituli picti التي توجد على الكثير من الجرار تفيد في تحديد نوع السلع المنقولة فيها، وأماكن إنتاجها[15]. من جانب آخر، ارتبط موضوع دراسة الجرار الفخارية وأهميتها الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً بالتطور الذي حدث في علم الآثار الغارقة أو ما يعرف بعلم "آثار ما تحت الماء" الذي تطور بفضل الكشف عن الكثير من السفن الغارقة، والعائدة إلى الفترة الرومانية، المحملة بشحنات من الجرار المعبأة بمختلف السلع والمنتجات الزراعية والبحرية[16].

الخصائص التأريخية والشكلية والمكانية للجرار التريبوليتانية

ميزت Panella[17] بين ثلاثة أنواع من الجرار التريبوليتانية وذلك بناء على أمثلة مكتملة من متحف مدينة لبدة الكبرى. ترتبط الفروق بين الأنواع الثلاثة باختلاف المرحلة التاريخية التي ظهر فيها كل نوع، حيث ظهرت الجرة Trip-olitana I (لاحقاً T.I) في موقع أوستيا بالمحتويات الطبقية التي تعود إلى الفترة الفلافية (69 – 98 بعد الميلاد)، لكنها تظهر جلياً بوفرة في العقود الأولى من القرن الثاني بعد الميلاد[18]، أما نوع الجرة التريبوليتانية T.III فأنها تعود في الغالب إلى

(14) للمزيد من المعلومات حول عمليات التحليل البترولوجي ومعرفة عناصر ومكونات مادة العجينة الطينية للفخار، يمكن الرجوع إلى أبحاث كابيلي Capelli العديدة، والتي منها:

Capelli ,C" (1998) .Analisi minero-petrografiche".Ceramica in Italia :IV-VII secolo .Atti del convegno in onore di John W .Hayes) Roma 11-13 maggio ;331-333 : .(1995 Capelli ,C" (2001) .Analisi minero-petrografiche perliminari su anfore del tipo" Stazione 48 del Piazzale delle Corporazione "."In Ben-Abed-Ben Khader ,A ,.Bonifay ,M .and Griesheimer ,M) .edd ,(.L'amphore maurétanienne de la Station 48 de la Place des Corporations identifiée a Pupput) Hammamet ,Tunisie .(Antiquités Africaines ,.pp ; 169180 .Capelli ,C." (2004)Annexe :Analisi minero-petrografiche sulle anfore del golfo di Hammamet ".La necropole romaine de Pupput ;230-238:.Capelli ,C" (2005) .Ricerche petrografiche preliminari sulle ceramiche" eoliche "."In Bonifay ,M ,.Capelli ,C ,.Martin ,T ,.Picon ,M & .Vallauri ,L ,.Le littoral de la Tunisie :étude geoarchéologique et historique :(1987-1997) la céramique .Antiquités Africaines ,.pp ; 152-202 .Capelli , C & .Bonifay ,M. (2007)Archéométrie et archéologie des céramiques africaines :une approche pluri disciplinaire .In :M .Bonifay & J-.C .Tréglia) eds (.LRCW ,2 Late Roman Coarse Wares ,Cooking Wares and Amphorae in the Mediterranean .Archaeology and Archaeometry .BAR Int .Ser .551-567 ,1662.Oxford.

(15)Remesal Rodriguez ,J" ,(2004).L'Afrique au Testaccio ,"L'Africa Romana) ,Tozeur ,(pp ;1077-90 .Peacock and Williams ;(1986) Keay ;(1984) Rodriguez Almeida ,E ,(1984) .Il Monte Testaccio .Ambiente ,storia, materiali , Roma;Callender.(1965)

(16)Horden ,P .and Purcell ,N" ,(2000) .The Corrupting Sea .A Study of Mediterranean History ."Oxford; Casson ,L" ,(1995) .Ships and Seamanship in the Ancient World ."London ;Parker ,A .J" ,(1992) .Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces ."Oxford.

- حول هذا التحفظ باستفاضة، يمكن الرجوع إلى:

(17)Panella ,C" (1973) .Appunti su un Gruppo di Anfore della Prima ,Media e Tarda Età Imperiale ."Ostia III :Le terme del Nuotatore :Scavo dell'ambiente V et di un saggio dell'area ,Studi miscellenei.463-633 ,21 , Pp.82-88 ,78-80 .

(18)Manacorda ,D" (1977) .Le anfore ,"in A .Carandini and C Panella ,eds ,.Ostia IV .Le terme del Nuotatore.

القـرن الثالـث بعـد الميـلاد، إذ نجدهـا في أوسـتيا تظهـر في المحتويـات الطبقيـة التـي ترجـع مكوناتهـا إلى نهايـة القـرن الثانـي وبدايـة القـرن الثالـث بعـد الميـلاد، فهـي جـرة سـيفيرية بامتيـاز[19]، وهنـاك أشـكال متحـورة مـن الأصـل اسـتمرت في الظهـور بموقـع أوسـتيا حتـى القـرن الرابـع بعـد الميـلاد[20]. أمـا النـوع T.II فنجدهـا في موقـع أوسـتيا بالطبقـات التـي أُرخـت بنهايـة القـرن الأول بعـد الميـلاد عـلى الرغـم مـن أنهـا كانـت أكثـر تواجـد في منتصـف القـرن الثانـي بعـد الميـلاد[21]. هنـاك تحويـرات مـن هذا النـوع اسـتمرت في التواجـد إلى العهـد البيزنطـي، وكانـت النـوع الوحيـد مـن الجـرار التريبوليتانيـة المكتشـفة إلى اليـوم التـي ظهـرت بالمحتويـات الطبقيـة العائـدة إلى القـرن الخامـس سـواء في ميناء أوسـتيا أو بورتـوس[22].

شـكلياً، يختلـف النـوع T.II عـن النوعـين T.I و T.III في موضـع المقبضين (شـكل 2)، إذ يظهـرا بالنـوع T.II مرتكزيـن عـلى كتـف الجـرة، وذلـك لكـون هـذه الجـرة صنعـت وفـق التقاليـد البونيقيـة ولـم تصنـع وفـق التقاليـد الرومانيـة، أمـا النوعـين الآخريـن فمقابضهمـا تكـون عـلى الرقبـة، وغالبـاً في النمـاذج غـير الكاملـة أو شـبه الكاملـة يصعـب عـلى الباحثـين التمييـز بـين النوعـين بشـكل قاطـع عـن طريـق وضعيـة المقبضـين[23]، كمـا تتميـز حافـة فوهـة النـوع T.II بأنهـا ممتـدة باتسـاع إلى أعـلى وفي الغالـب تبـدو مـن الخـارج مركبـة مـن درجتـين، أمـا في النـوع T.I تظهـر أكثـر انتصابـاً وأحيانـاً تكـون ممتـدة قليـلا إلى الخـارج، وفي النـوع T.III فالفوهـة تكـون أطـول قليـلا وممتـدة أكثـر إلى الخـارج.

في النصـف الثانـي مـن القـرن العشريـن، اقتـصرت الأدلـة المتوفـرة عـن مواقـع إنتـاج الجـرار في تريبوليتانيـا عـلى منطقتـين محددتـين: هضبـة ترهونـة، والمنطقـة السـاحلية الخاصـة بالمـدن والمرافـئ الرئيسـية بالإقليـم. ومـع نهايـة العقـد الأول مـن هـذا القـرن زاد عـدد مواقـع ورش صناعـة الجـرار المكتشـفة في تريبوليتانيـا، بجزئيهـا الليبـي والتونـسي، زيـادة ملحوظـة حيـث سـاهمت المسـوحات الأثريـة الحديثـة في تطـور معرفتنـا عـن مواقـع الإنتـاج وتوزيعهـا المكانـي وعلاقتهـا بالمجـالات السـاحلية والريفيـة الداخليـة، وكان المسـح الأثـري لهضبـة ترهونـة 2007 علامـة بـارزة في هـذا التطـور، فعـلى سـبيل المثـال زاد عـدد مواقـع ورش صناعـة الجـرار المعروفـة في هضبـة ترهونـة مـن ثلاثـة مواقـع إلى 17 موقعـاً[24] (شـكل 3). قسـمت الباحثـة إليسـا جـرّاي

Scavo dell'Ambiente XVI e dell'Area XXV ,Roma ,pp ;117–285 .Panella ,C.(1973) .

(19)Manacorda ,(1977) pp.155–6 .

(20)Bonifay ,(2004) p.105.

(21)Panella ,(1973) p.562 .

(22)Franco ,(2012) p ;111.Bonifay ,(2004) p.92 .

(23)Bonifay2004) a.(

(24)Ahmed ;(2019) Jerray ,E" (2015) .La production d'amphores romaines en Tripolitaine occidentale : les ateliers de Zitha et de sa région en Tunisie méridionale ."PhD Thèses ,CNRS – Université Aix–Marseille; Schörle ,K ,.Leitch ,V ,.Liñeiro ,I ,.Ahmed ,M ,.Rabha ,K & ,.Ali ,M" .(2012) .Report on the preliminary sea–

Elyssa JERRAY توزيع أماكن ورش صناعة الجرار التريبوليتانية بين أربعة مناطق رئيسة: المنطقة (A) تخص الجزء الغربي من تريبوليتانيا الذي تشغله اليوم جزيرة جربة وجرجيس وبحيرة البيبان، والمنطقة (B) مدينة أويا (طرابلس) وظهيرها، والمنطقة (C) تضم الساحل الغربي لمدينة لبدة الكبرى وظهيرها بوادي كعام-ترغلات، أما المنطقة الأخيرة (D) فتشغلها المنطقة الزراعية الخصبة بهضبة ترهونة[25] (شكل4). بالمقارنة بين المناطق الأربعة، نجد أن المنطقة الأخيرة قد تميزت بكثرة مواقع ورش صناعة الجرار، وأنها الأكثر إنتاجاً لجرار تحمل أختام منها ما عثر عليه في أوستيا ومونت تستاشيو وبورتوس.

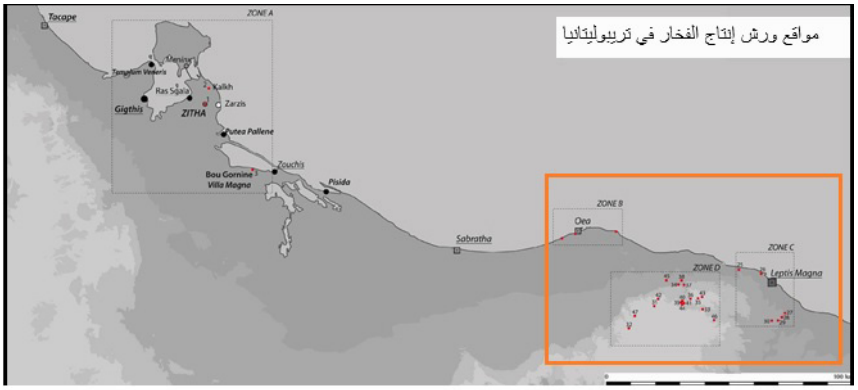

شكل 3: مواقع ورش صناعة الفخار في تريبوليتانيا (بعد Jerray 2015)

son of the Lepcis Magna Coastal Survey ."Libyan Studies ;149-154 ,43 ,Felici ,F .and Pentiricci ,M(2002) .
"Per una definizione delle dinamiche economiche e commerciali del territorio di Leptis Magna ."AfrRom:14
.1875-1900

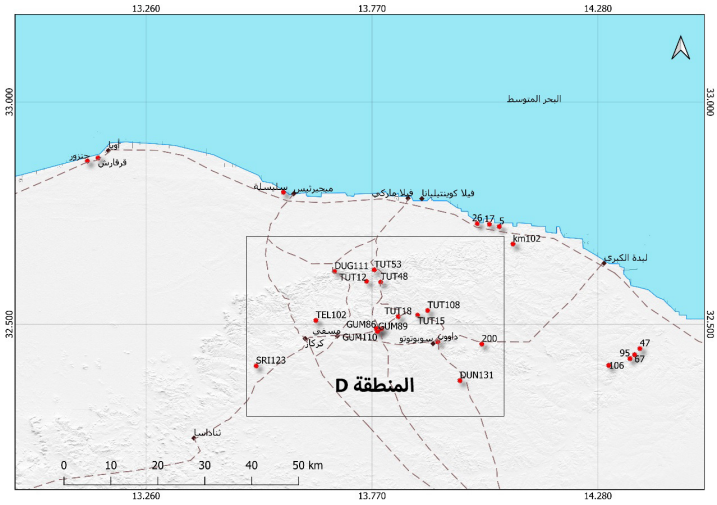

شكل 4: المنطقة D، هضبة ترهونة

قراءة لحركة الاقتصاد الروماني بناء على شواهد الجرار الفخارية

على الرغم من التحفظ الذي يبديه بعض المؤرخين والآثاريين[26]، إلا أنه صار من المألوف أكثر فأكثر اليوم استخدام العينات الأثرية الفخارية كمؤشر لقياس طبيعة ووجهات وكثافة التجارة في الفترة الكلاسيكية. ويرى بونيفاي **Bonifay** أن الشواهد الفخارية، إذا ما درست وفسرت بعناية، ستكون على أقل تقدير في مستوى الأدلة الأدبية في أمر تزويدنا بالمعلومات حول التجارة الرومانية[27]. لذلك تستعمل البقايا الأثرية للجرار الفخارية اليوم لتقييم الاقتصاد الروماني في مجاله الواسع عبر حصر الكميات النوعية المتأتية من الاستيراد والتصدير من عدة أقاليم اعتماداً على تواجد كسر الجرار في الطبقات الأثرية. من الجدير بالذكر هنا أنه يجب أن نأخذ في الحسبان أن الجرار الفخارية تعتبر مؤشرا فقط للمنتجات الاقتصادية لمناطق الإنتاج التي تنتج المنتجات السائلة أو شبه السائلة، وليس للجرار الفخارية علاقة بتجارة الحبوب، كالقمح مثلا.

لقد تبين من دراسة الجرار الفخارية أن هناك تغيرات مهمة حدثت على الاقتصاد الروماني في أواخر العهد الأنطونيني، فقد شهدت هذه الفترة تدهور في كمية الجرار الإيطالية الخاصة بنقل النبيذ وغيرها من أنواع جرار فخارية استخدمت لنقل سلع أخرى، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى مجموعة من العوامل،

(26)Bang ,P .F" .(2008) .The Roman bazaar :a comparative study of trade and markets in a tributary empire." Cambridge ,Cambridge University Press.

(27)Bonifay ,M" .(2013) .The distribution of African pottery under the Roman Empire ,evidence versus interpretation ."In :Trade ,Commerce ,and the State in the Roman World ,edited by Andrew Wilson and Alan Bowman ,Oxford .Pp.237-252 :

منهـا حـدوث تغـير في سياسـة الأباطـرة تجـاه الولايـات التـي تنحـدر أصولهـم منهـا، مثـل الإمبراطـوران تراجـان وهادريـان اللـذان يعـود أصلهمـا إلى إسـبانيا، والتـي أغدقـا عليهـا المزيـد مـن الاسـتثمارات الزراعيـة[28]. بينمـا شـهد القـرن الثالـث بعـد الميـلاد ارتفاعـاً في واردات المنتجـات الأفريقيـة المجلوبـة في الجـرار الفخاريـة[29]، فمـع منتصـف هـذا القـرن المذكـور بلغـت كميـة واردات زيـت الزيتـون مـن الولايـات الأفريقيـة معـدلات أعـلى مـن تلـك المـوردة مـن ولايـة بايتـكا[30]. في هـذا السـياق أفـاد كاراندينـي Carandini أن منطقـة شـمال أفريقيـا في عهـد الأباطـرة السـيفيرين صـارت المصـدر الاقتصـادي الأكثـر أهميـة في عالـم البحـر المتوسـط الرومانـي[31]. وتشـهد الكميـات الكبـيرة مـن الجـرار الأفريقيـة في ميناء بورتـوس عـلى أهميـة وحجـم واردات زيـت الزيتـون مـن أفريقيـا، وخاصـة مـن تريبوليتانيـا خـلال العهـد السـيفيري، فهنـا بلغـت كميـة الكسـر الفخاريـة للجـرار التريبوليتانيـة كميـات أكـبر مـن تلـك التـي عثـر عليهـا في ميناء أوسـتيا[32]. تعتـبر فرانكـو Franco أن بقايـا الجـرار القادمـة مـن تريبوليتانيـا، خاصـة مـن هضبـة ترهونـة في إقليـم لبـدة، هـي مـن أكثـر الشـواهد حضـورا منـذ بدايـة القـرن الثالـث بعـد الميـلاد، متزامنـة مـع ازدهـار النشـاط التجـاري الـذي شـهده ميناء بورتـوس في هـذه الفـترة[33]، وهـو اسـتنتاج تدعمـه الشـواهد الأثريـة اليـوم، حيـث تحتـوي منطقـة شـمال أفريقيـا عـلى الكـم الأكثـر عـدداً والأضخـم حجمـاً مـن مواقـع معـاصر زيـت الزيتـون والنبيـذ المكتشـفة، وهـي في أغلبهـا كانـت تنتـج هـذه المنتجـات الزراعيـة لغـرض السـوق وجنـي الأربـاح[34]، ففـي هـذا السـياق، قـدرت دي فـوس De Vos [35]معـدل الربـح الـذي يمكـن جنيـه مـن تجـارة زيـت الزيتـون مـن معـصرة واحـدة في العـام بمـا يسـاوي 92.228 denarii وذلـك وفـق معـدلات أسـعار مرسـوم الإمبراطـور دوقلديـان الصـادر عـام 301 بعـد الميـلاد.

يبـدو أن بقايـا الجـرار التريبوليتانيـة المكتشـفة في ميناء بورتـوس تبرهـن أكثـر

(28)Panella ,(1993) p.619 .

(29)Fulford ,M" ,(1987) .Berenice ,Carthage ,Ostia :the amphoras of three cities ,"Rei Creatariae Romanae Fautorum Acta ,25-26 ,pp.155-9 .

(30)Panella ,(1993) pp.624-5 .

(31)Carandini ,A" ,(1986) .Il mondo dell a tarda antichita visto attraverso le merci ,"in A.Giardina ,ed ,.Societa romana e impero tardoantico .Le merci ,gli insediamenti ,Bari ,p.8.

(32)Zampini,S" (2011).La ceramica dello scavo del 2007 nel Palazzo Imperiale di Portus ,"in S .Keay and L. Paroli ,eds ,.Portus and its Hinterland 18 .Archaeological Monographs of the British School at Rome ,London, pp;93-9.Munzi ,F .Felici ,G .Cifani and G .Lucarini",(2004-2005) ,Leptis Magna :citta e campagna dall'origine alla scomparsa del sistema sedentario antico ,"Scienze dell'Antichita .Storia ,archeologia ,antropologia, ,12pp.433-71 .

(33)Franco ,(2012) p.50 .

(34)Bowman and Wilson ,(2013) p.19 .

(35)De Vos ,M" .(2013) .The Rural Landscape of Thugga :Farms ,Presses ,Mills ,and Transport ."In :The Roman Agricultural Economy :Organisation ,Investment ,and Production .Oxford University Press .P.186 .

على الأهمية الاقتصادية لبعض المناطق الداخلية المنتجة من إقليم مدينة لبدة الكبرى والتي كرست لزراعة أشجار زيت الزيتون ويشهد عليه العدد الكبير من مواقع مباني المزارع المختلفة الأحجام والمزودة بعدد كبير من معاصر زيت الزيتون والنبيذ[36]. يمكننا القول بأن شواهد الجرار التريبوليتانية المكتشفة سواء في مينائي روما الرئيسين (أوستيا وبورتوس)، أو في مونت تستاشيو، أو في مواقع السفن الغارقة، هي رافد أساسي ساهم في تطور معرفتنا وفهمنا لحركة الاقتصاد الروماني ومدى مساهمة تريبوليتانيا في تجارة عالم البحر المتوسط الروماني.

لقد اهتمت الكثير من الدراسات الحديثة بموضوع الاقتصاد الروماني وركزت بشكل خاص على طبيعة التجارة الرومانية، مع اختلاف في بعض وجهات النظر حول شكل وأسلوب تلك التجارة. يقترح كاراندیني Carandini وجهة النظر التي ترى بوجود سوق حرة لها قوانينها الخاصة المتمحورة حول تنافس رأس المال[37]، بينما يرى كل من هوبكنز Hopkins ووايتكر Whittaker وجهة نظر مغايرة تقول بأن سوق التجارة كان تحت سيطرة وتنظيم الدولة[38]. أما الباحثان بياكوك ووليامز Peacock and Williams فيؤكدا على وجود تجارة مركبة من عدة أساليب، لأن معنى التجارة هو "تبادل السلع لغرض نيل الربح"[39]، إلا أنه بالنظر إلى ما ذكر بالمصادر الأدبية فإن استعمال هذا المصطلح لا يدل دائما على هذا المعنى المذكور بشكل دقيق، لذلك يرى الباحثان المذكوران بأن هناك ثلاث آليات أساسية للتجارة القديمة: المعاملة التبادلية (المقايضة)، وإعادة توزيع السلعة، والعرض والطلب[40]. يبدو أن هذه الآليات الثالثة كانت متبعة في التجارة الرومانية، وربما

(36)Ahmed ,M" ,(2019) .Rural settlement and economic activity :olive oil and amphorae production on the Tarhuna plateau during the Roman period ."SLS .London ;Mattingly ,D .J" (1984) .Olive Oil Production in Roman Tripolitania ,"in D .J .Buck and D .J .Mattingly ,eds ,.Town and Country in Roman Tripolitania ,Oxford, pp ;27–46 .Mattingly ,D .J1988) .a" (Oil for export ?A comparison of Libyan ,Spanish and Tunisian olive production in the Roman empire ,"Journal of Roman Archaeology ,1 ,pp ;33–56 .Mattingly ,D .J1988) .b"(The olive boom .Oil surpluses ,wealth and power in Roman Tripolitania ,"Libyan Studies ,19 ,pp ;21–41.Oates, D" (3 5 19) .The Tripolitanian Gebel :settlement of the Roman Period around Gasr Ed–Daun ,"Papers of the British School at Rome ,21 ,pp;81–117 .

Oates ,D" (4 5 19) .Ancient settlement in the Tripolitanian Gebel ,II :the Berber period ,"Papers of the British School at Rome ,22 ,pp ;91–117 .Cowper ,H .S" (1897) .The Hill of Graces "Glasgow.

(37)Carandini ;(1970) ,Carandini ,A" (1983) .Pottery and the African economy ,"in P.
Garnsey ,K .Hopkins and C .R .Whittaker ,eds ,.Trade in the Ancient Economy ,Berkeley and Los Angeles, pp ;145–62.Carandini ,A.(1986) .

(38)Hopkins ,K" .(1980) .Taxes and Trade in the Roman Empire 200) BC–AD ," (400 JRS;25–101 :70 Whittaker ,C .R" (1983) .Late Roman trade and traders ,"in P .Garnsey ,K .Hopkins and C .R .Whittaker ,eds,. Trade in the Ancient Economy ,Berkeley and Los Angeles ,pp.163–80 .

(39)Peacock and Williams ,(1986) p.55.

(40)Peacock and Williams.(1986)

حدثت في الحركة الاقتصادية في وقت متزامن حسب الظروف السائدة مما يجعل عدم حدوث غلبة لآلية على أخرى لأن كل منها كانت تشكل مقوم من مقومات الاقتصاد الروماني. فمثلا آلية إعادة التوزيع كانت متبعة من قبل الدولة الرومانية بشكل عام، وكان محركها الأساسي هو ما يعرف بمصطلح "الأنونا annona"[41]، وهي ضريبة عينية تدفعها الولايات الخاضعة لروما، ومن ناحية أخرى تعتبر آلية تجارية تديرها وتشرف عليها الدولة لأن التجار الناقلين أو الموزعين لهذه الضريبة هم ملتزمون بعقود مع الدولة. كانت ضريبة الأنونا من اهم المسؤوليات التي تولتها الدولة الرومانية لغرض تزويد العامة والجيش الروماني بالمؤن الغذائية[42]، ومنحت ضريبة الأنونا الائتمان للدولة بأن تتحكم في التجارة ومبتعدة بهذه الآلية عن مفهوم تجارة السوق القائمة على المسلك الرأسمالي لغرض جني الأرباح.

إن أهم سلعتان غذائيتان تشكلت منهما ضريبة الأنونا، هما: القمح وزيت الزيتون، وارتبط شحن ونقل السلعة الأخيرة عبر السفن التجارية بالأوعية الفخارية، بينما شحن القمح في وسائل شحن أخرى. بناء على المصادر الأدبية والأثرية فإن سلعة زيت الزيتون كانت قد دخلت ضمن شبكة الإمدادات الغذائية مع نهاية القرن الثاني بعد الميلاد[43]، ففي عهد الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس صار زيت الزيتون جزء من المواد الغذائية التي توزع مجاناً وبانتظام على العامة في روما وبقي الدليل عنها في المخلفات الفخارية التي شحنت فيها هذه السلعة (Historia Augusta, sev. 18:3). يرى كريستول Christol[44] أن الهيئة المسؤولة عن ضريبة الأنونا اهتمت بسلعة زيت الزيتون على نحو مختلف عن إمدادات القمح حتى قبل أن يصير زيت الزيتون من ضمن السلع الموزعة مجانا على العامة في روما في عهد الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس. لقد اهتمت هيئة

(41)[]- لمزيد من المعلومات عن الأنونا والجدل حول دورها وتأثيرها في سياسة وحركة الاقتصاد الروماني في العهد الإمبراطوري، يمكن الرجوع إلى:

Scapini ,M" (2016) .Studying Roman Economy and Imperial Food Supply .Conceptual and Historical Premises of the Study of the Economic Initiatives of the Emperors in the1 st and2 nd Century AD ,"Gerión,2016 Vol ;217-248 ,34 .Rice ,C" (2012) .Mediterranean connectivity and Roman ports ",in S .J .Keay) ed (.Rome, Portus and the Mediterranean) Brit .School at Rome Arch .Monog ;367-91 (2012 ,21 .Temin ,P" (2001) A Market Economy in the Early Roman Empire ,"JRS ,Vol ,91 .pp .169-181 .

(42)Remesal Rodriguez ,J"(1998) .Baetican olive oil and the Roman economy ,"in S .J .Keay ,ed ,.The Archaeology of early Roman Baetica ,Portsmouth ;Remesal Rodriguez ,J" (1995) .El sistema annonario como base de la evoluci6n del imperio romano ,"in Hackens T .and M .Miro ,eds ,.Le commerce maritime romain Mèditerrannee Occidentale ,pp ;355-67 .Blazquez ,J .M" ,(1992) .The Latest Work on the Export of Baetican Olive Oil to Rome and the Army ,"Greece & Rome 39 ,pp ;173-88 .Sirks ,B .(1991) .Food for Rome .Amsterdam.

(43)Panella.(1993)

(44)Christol ,M" .Annona Urbis : remarques sur l'organisation du ravitaillement en huile de la ville de Rome au II siècle ap .J-.C ," .in Titvli IX ,vol ,1 .pp.271-298 .

الأنونا بتوفير سلعة زيت الزيتون وغيرها من السلع، لكن يبدو أنها مارست تحكم جمركي عليها عند وصولها إلى مينائي روما (أوستيا وبورتوس)، إذ يلمح مكب الجرار الفخارية في مونت تستاشيو إلى وجود درجة من التحكم سواء في التوريد أو في إعادة التوزيع لهذه السلعة المجلوبة في الجرار الفخارية[45].

مكب الجرار (مونت تستاشيو)

يقع مونت تستاشيو على ضفاف نهر التيبر، بالقرب من بوابة سان باولو، ضمن المنطقة التي كانت تشغلها مخازن روما القديمة horrea (شكل 5). وهو عبارة عن تل اصطناعي يبلغ محيطه حوالي واحد كيلومتر وارتفاع يصل إلى 50 م، وتشكل مونت تستاشيو من بقايا كسر ملايين الجرار الفخارية التي رميت بالمكان خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد[46].

شكل 5: موقع مونت تستاشيو (José Remesal Rodríguez 2018)

انطلقت الحفريات الأثرية العلمية في جبل ركام الجرار الفخارية المعروف باسم "مونت تستاشيو Monte Testaccio" في أواخر ثمانيات القرن الماضي بواسطة بعثة جامعة برشلونة. على الرغم من أن غالبية الركام الذي فحص منه إلى اليوم هو

(45)Revilla Calvo ,V" (2007) .Les amphores africaines du II ème et III ème siècles du Monte Testaccio)Rome ," (in Huile africaine ,pp.269-297 .

(46)Remesal Rodríguez ,J"(2010) .Los sellos ,in Monte Testaccio ,"1999-2014 vol ,5 .pp ;246-260 .Remesal Rodríguez ,J" ,(2013) ,.El Monte Testaccio :de vertedero a archivo ,"in" RPAA ,2012-2013 ,85 ,"pp111- . .128

لجرار من ولاية بايتكا، إلا أن هناك كميات معتبرة من الجرار الأفريقية[47]. إن الانطباع الأولي الذي توحي به البقايا الكثيرة جدا من مخلفات الجرار الفخارية في كل من مونت تستاشيو وميناءي بورتوس وأوستيا هو وجود نظام تجاري موحد يهتم بتجارة زيت الزيتون وجلبه من مناطق الإنتاج الرئيسة (إسبانيا وأفريقيا)، وأدت كثرت وجود بقايا الجرة الإسبانية درسل 20Dressel وجرار نقل زيت الزيتون الأفريقية إلى اقتراح بعض الباحثين بأن مونت تستاشيو قد استعمل بشكل محدد كمكب للجرار الخاصة بنقل زيت الزيتون أكثر من كونه مكان لرمي جرار استعملت لنقل سلع أخرى من مثل النبيذ والمنتجات السمكية[48]. يمكن استعمال هذه الفرضية -إن صحت- كحجة على وجود إيداع منظم ومتحكم فيه للجرار الناقلة للسلع المرتبطة بعملية تزويد سكان روما بالسلع الأساسية في فترة سبقت زمنياً قرار ضم سلعة زيت الزيتون إلى ضريبة الأنونا نفسها حيث كان زيت الزيتون المورد إلى روما يجمع من الولايات الرئيسة المنتجة لهذه السلعة، ثم يعبأ في الجرار الفخارية ويشحن في السفن التي تبحر به إلى أحد ميناءي روما (أوستيا أو بورتوس)، وهناك تفرغ أغلب الشحنات في جرار ضخمة ثابتة تعرف باسم دوليا dolia ومن ثم ترمى الجرار التي لا يعاد استعمالها، خاصة الموردة عبر ميناء أوستيا، في مكب مونت تستاشيو[49]. يجدر بالذكر في هذا السياق أنه بالمقارنة بين الجرار الإسبانية من ولاية بايتكا والجرار التريبوليتانية نجد أن الأولى تشكل الأكثرية في مونت تستاشيو، إذ شكلت الجرار الأفريقية فقط نسبة 20% من كمية بقايا الجرار الموجودة في مونت تستاشيو والتي تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد، وأظهرت التحريات الأكثر تفصيلا أن الجرار الأفريقية التي تعود إلى الفترة المذكورة كان منها ما نسبته 63.23% جرار تونسية، و 36.27% جرار تريبوليتانية، وتغير الحال في القرن الثالث بعد الميلاد حيث شكلت الجرار التريبوليتانية الأغلبية (95.43%)، وتدنت نسبة الجرار التونسية إلى 4.45% من الجرار الأفريقية المكتشفة في مونت تستاشيو[50]. يرى عدد من المختصين في الاقتصاد الروماني اليوم برهنة البيانات الكمية لبقايا الجرار الأفريقية الخاصة بنقل زيت الزيتون إلى روما، المتأتية من أوستيا ومونت تستاشيو، على وصول كميات كبيرة من هذه السلعة خاصة في

(47)Revilla Calvo ,V" (1999) .Las a n f oras afr icanas de las campafias de 1989 y ,"1990 in J .M .Blazquez Martinez and J .Remesal Rodriguez ,eds ,.Estudios sabre el Monte Testaccio) Roma (I Barcelona ,pp.75-90 .

(48)Revilla ,(1999) pp ;75-76 Rodriguez-Almeida ;(1984) p.117

(49)Martin ,A .A" (2002) .El Monte Testaccio y la llanura subaventina .Topografia extra portam Trigeminam ,"Roma ;Rodriguez Almeida.(1984)

(50)Johnson ,P.S" (2013) ,.Economic evidence and the changing nature of urban space in late antique Rome ,"Publicacions i Edicions de la Universitat de Barcelona ,p ;126 .Broekaert ,Wim" (2011) .Oil for Rome During the Second and Third Century AD :A Confrontation of Archaeological Records and the" Historia Augusta ."Mnemosyne ,64 no ,591-623 :4 .p ;595 .Revilla ,(1999) p.88 .

أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث بعد الميلاد، وواجه هؤلاء المختصون - عند بداية دراسة البقايا الفخارية بموقع مونت تستاشيو - صعوبة في وضع تفسير واضح لحقيقة أن نسبة الجرار الأفريقية في مونت تستاشيو لا تتجاوز 20% من كمية جرار نقل زيت الزيتون التي تم رميها في هذا المكب الذي يحتوي على ما يقدر بـ 60 مليون جرة، لكن صار الآن واضحا لديهم أن هيمنة الجرار الإسبانية من نوع Dressel 20 في هذا المكب تعود ببساطة إلى أنها انعكاس لعملية رفض إعادة استخدام هذا النوع من الجرار مرة أخرى لأغراض أخرى مختلفة، أكثر من كونها تشكل الكمية الحقيقية الموردة إلى روما من سلعة زيت الزيتون[51]. بينما من جانب أخر تبين الشواهد الأثرية المكتشفة من ميناء بورتوس أن الجرار الأفريقية، وخاصة الجرار التريبوليتانية، قد شكلت النسبة العظمى من الكميات المكتشفة في هذا الميناء منذ نهاية القرن الثاني وطوال القرن الثالث بعد الميلاد[52].

كان، ولا يزال، اقتصاد منطقة شمال أفريقيا يحتل مركز مهم في دراسات الاقتصاد القديم، فمنذ عام 1970 عندما قام كاراندیني Carandini بأتباع منهج الدراسات الكمية وتأريخه لنماذج من الفخار الأفريقي الأحمر المصقول ARS دفع بفكرة بلوغ منطقة شمال أفريقيا في عهد الإمبراطورية الرومانية مرحلة السيطرة الاقتصادية على بقية عالم البحر المتوسط في الفترة الممتدة من أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث بعد الميلاد، وليصرح أيضاً بأن هذه السيطرة الاقتصادية اعتمدت على الثروة الغنية التي جنتها ولاية أفريقيا من إنتاج وتجارة زيت الزيتون[53]، وهو الأمر الذي أكدته العديد من الدراسات اللاحقة من بعده التي برهنت على إنتاجية ولاية أفريقيا الرومانية ليس لسلعة زيت الزيتون فقط، بل لعدد من السلع الاستهلاكية الأخرى، وشهد على نجاح تجارة السلع الأفريقية في عهد الإمبراطورية الأدلة الأثرية التي أظهرتها طبقات الكثير من مواقع الحفريات العلمية الأثرية في عالم البحر المتوسط [54].

(51)Hobson ,M" (2015) .The North African Boom : Evaluating Economic Growth in the Roman Province of Africa Proconsularis 146) B.C – .A.D , " (439 .JRA ;Franco ;(2012) Peña ,J .(2007) .Frontmatter .In Roman Pottery in the Archaeological Record) pp .I–Vi .(Cambridge :Cambridge University Press ;Mattingly1988) a.(

(52)Zampini ,S" (2011) .La ceramica dello scavo del 2007 nel Palazzo Imperiale di Portus ,"in S .Keay and L. Paroli) eds ,.(Portus and its Hinterland .Recent Archaeological Research ,London ,pp.93–99.

(53)Carandini.(1970)

(54)Youcef Aibeche ,Muftah Ahmed Alhaddad ,Sami Ben Tahar ,Michel Bonifay ,Clementina Panella ,Introduzione alla sessione" (2020) North Africa :Territories ,Centres of Production and Trade
In Ancient Mediterranean :an Introduction .In :RAC IN ROME ,Atti della12 a Roman Archaeology Conference ,le sessioni di Roma ,(2016) eds .By Maria Teresa D'Alessio e Chiara Maria Marchetti;
Ahmed ;(2019) Hobson ;(2015) De Vos.(2013)

من بين أهم المسائل المتعلقة بالتجارة من ولاية أفريقية هي معرفة ما هي الآلية التي سارت عليها حركة تجارة المنتجات الأفريقية المنقولة في الجرار الفخارية؟ بناء على بعض الدراسات الحديثة المهتمة بحركة التجارة الرومانية، يبدو أن هذه الآلية اعتمدت على طريقتين رئيسيتين هما، الأولى: عبر التصدير المباشر إلى روما أو موانئ مدن رئيسية أخرى، وهو ما تبرهن عليه شواهد العديد من السفن الغارقة؛ الثانية: عبر التصدير غير المباشر إلى روما أو غيرها من الموانئ الرئيسية، ويشهد عليها شحنات السفن الغارقة التي تعود إلى فترة منتصف وأواخر القرن الثالث بعد الميلاد وتحتوي على شحنات مختلطة من الجرار الأفريقية والإسبانية؛ على سبيل المثال، تلك الشحنة المختلطة بالسفينة الغارقة بموقع Majorca وتعود إلى حوالي عام 267 وتحمل جرار من بايتكا معبأة بزيت الزيتون، وبالسمك المملح salsamenta مع جرار أفريقية معبأة salsamenta، وترجح بعض الدراسات أن كامل الشحنة حملت نحو روما من ميناء قادش في إسبانيا، وأن الجرار الأفريقية شحنت في مرحلة أولى من ولاية أفريقيا إلى إسبانيا ثم أعيد توجيهها إلى روما (أو لأي مكان آخر بعالم البحر المتوسط)[55].

الأختام والخَربَشات على الجرار التريبوليتانية

تعتبر دراسة الأختام المضروبة على الجرار الفخارية مكون أساسي ضمن دراسات وأبحاث الجرار الفخارية الرومانية، وينطبق الأمر ذاته على المخربشات والكتابات المدونة بالطلاء tituli picti. وتكمن أهميتها في أنها توفر معلومات عن المظاهر الاقتصادية المحيطة بإنتاج وتجارة الأواني الفخارية ومحتوياتها مرورا من مكان صناعة الآنية إلى ماهية السلعة المنقولة فيها، ومن ثم إلى وجهة النقل ومكان استهلاك تلك السلعة[56]، وتزداد هذه المعلومات المستمدة من مما تم تدوينه على الأواني الفخارية قيمة إذا ارتبطت باسم إمبراطور أو والي محدد فهي بذلك تعبر عن الفترة التاريخية لذلك الحاكم، وتشير إلى أنواع السلع التي كان يتاجرُ بها في تلك الفترة.

(55)Bonifay ;339-340 :(2013) Bost ,J-.P .,Campo ,M .,Colls ,D .,Guerrero ,V .,and Mayet ,F" .(1992) .L'Épave Cabrera III) Majorque :(Échanges commerciaux et circuits monétaires au milieu du III siècle ap .J-.C) " .Publications du Centre Pierre Paris .(23 Paris ;Fentress ,L .,Fontana ,S .,Hitchner ,B .,and Perkins ,P.(2004) ."Accounting for ARS :Fineware and Sites in Sicily and Africa ,"in S .Alcock and J .Cherry) eds ,(Side-by-Side Survey .Oxford ;62–147 ,Arnaud ,P " .(2005) .Les Routes de la navigation antique :Itinéraires en Méditerranée ."Paris.

(56)Harris ,W .V"(1993) .Problems in the history of the Roman economy ,"in W .V .Harris ,ed ,.The Inscribed Economy .Production and distribution in the Roman Empire in the light of instrumentum domesticum ,Rome, pp ;11-29 .Manacorda ,D"(1993) .Appunti sulla bollatura in eta romana ,"in :The Inscribed Economy ,pp. ;37-54Tchernia ,A" (1993) .Des timbres d'amphores a l'organisation du commerce ,"The Inscribed Economy, pp.183-5 .

حملت العديد من الجرار التريبوليتانية أختام تكونت من مختصرات لألقاب إمبراطورية تخص بشكل خاص الأباطرة السيفيريين، وظهرت هذه المختصرات على شكل: AVGG، AVGGG، IMP، ANT/AVG[57]. لا تفهم في بعض الأحيان المعاني التي تعنيها هذه الأختام المضروبة على الأواني الفخارية، ما إذا هي تدل على أشخاص من مثل ملاك مصانع الإنتاج، أو ملاك الإقطاعيات الزراعية، أو ما إذا هي تشير إلى أماكن الإنتاج. يرجع سبب هذا الغموض إلى أن الغالبية العظمى من النقوش والكتابات على الجرار الفخارية كانت تكتب بشكل مختصر، فأحيانا كثيرة تتكون من حرفين أو ثلاثة تشير في الغالب إلى tria nomina وهي اختصار لأسماء أفراد أو أماكن. هناك عدة فرضيات سعت إلى فهم وتحديد الأفراد الذين ذكروا في النقوش الموجودة على الجرار، فهل هو مالك الأرض التي استغلت للنشاط الزراعي، أو هو صاحب ورشة صناعة الفخار ومقطع الطين. على سبيل المثال، قام رامسال رودريجز Remesal Rodríguez [58] بإجراء دراسة مفصلة لمواقع أفران صناعة الجرار الواقعة على طول مجرى الوادي الكبير Guadalquivir في ولاية بايتكا (إسبانيا)، وقدم نموذجا يشرح ملكية هذه الأفران وأسلوب عملها، حيث قسمها إلى ما يلي:-1أ: أفران تقع بأملاك خاصة، واستغلت منتجاتها لشحن منتجات أرض المالك فقط؛ -1ب: أفران أنتجت منتجات لكل من الإقطاعية التي توجد بها ورشة إنتاج الفخار وكذلك لصالح الإقطاعيات المجاورة؛ -1ج: أفران شيدت لصالح أملاك أخرى وليس لها علاقة بالملكية التي تقع عليها. 2: أفران أقيمت على أراضي عامة وسيرت بواسطة وكلاء عامين أو منفذين.

تشير الأختام الموجودة على الجرار التريبوليتانية إلى أسماء عائلات أرستقراطية ثرية، غالباً ما وردت أسماؤها في الشكل المختصر CV، والذي هو اختصار للكلمتين clorissimus vir [59]؛ وتحدد صيغة CV الأفراد الذين نالوا حظوة سياسية واقتصادية وينتمون إلى عائلات ثرية أرستقراطية تولت مهام تصدير العديد من السلع التجارية المهمة وربما وصل أفرادها إلى مرتبتي الفرسان ومجلس الشيوخ[60]. تسمح لنا هذه الأختام التي تحمل هذا المختصر CV بربطها بأسماء عائلات أرستقراطية ثرية، خاصة من لبدة الكبرى، من مثل Septimii و Fulvii و Plautii و Marcii و Ulpii و Vibii و Cornelii وServilii و Pompeii و Cassii و Granii و Calpurnii و Verginii ، وهي عائلات عرفت جيداً بظهور أسماء أفرادها في الكثير

(57)Ahmed ;(2019) Mattingly ,D.J" (1995) .Tripolitania ."London ,Batsford ;.Manacorda ,D(1976–1977) . "Testimonianze sulla produzione e il consumo dell'olio tripolitano nel secolo III ,"Dialoghi di Archeologia, ,9–10pp.546–601 .

(58)Remesal Rodríguez.(2004)

(59)Mattingly ;(1995) Manacorda.(1976–1977)

(60)Manacorda" (1983) Prosopografia e anfore tripolitane ,nuove osservazioni ,"in J .M .Blazquez and J. Remesal ,eds ,.ProducciÓn y Comercio del aceite en la s nt i qiieded .Segundo Congreso International) Sevilla, 24–28Febrero) (1982 Madrid ,(1983 ,pp ,483–500 .p.496 .

من النقوش المكتشفة بمدينة لبدة الكبرى[61]. وتعتبر هذه الأختام الموجودة على بعض الجرار التريبوليتانية المكتشفة خارج تريبوليتانيا دليلا واضحاً على اعتناء ملاك هذه الأملاك الزراعية برفع مستوى الإنتاج الزراعي لغرض التصدير، خاصة زيت الزيتون والنبيذ، ودعمه بصناعة الجرار ضمن أملاكهم لغرض شحن تلك المنتجات فيها.

يعود تاريخ اغلب الأختام الموجودة على الجرار التريبوليتانية إلى عهد الأسرة السيفيرية، وهناك تشابه بين الأختام المكتشفة في كل من مونت تستاشيو واوستيا وبورتوس[62]. بالاستناد إلى دراسات كل من: ماناكوردا (1983) Manacorda و دي فيتا-إفرارد (1985) Di Vita-Evrard، قام ماتينقلي Mattingly بتقديم قائمة تحتوي على عدد 62 ختما معروفا للجرار التريبوليتانية والتي شكلت الأختام المضروبة على الجرة نوع T III الأغلبية منها[63].

شكل 6: الختم AIM

طور كاتب هذه الورقة[64] عبر المسح الميداني ودراسته لمواقع إنتاج الفخار بمنطقة ترهونة القائمة الخاصة بأختام الجرار التريبوليتانية المعروفة إلى حد اليوم (جدول 1). تحتوي هذه القائمة على عدد من الأختام الجديدة التي لم يرد ذكرها قبل في المصادر السابقة، فهي لم تظهر بعد في مواقع تجمعات بقايا الجرار التريبوليتانية من مثل موقع مونت تستاشيو وميناءي روما (أوستيا وبورتوس)، ولعل مشاريع التنقيبات الأثرية العلمية القادمة سوف تكشف عن بعض من هذه الأختام الجديدة. من بين هذه الأختام الجديدة التي عثر عليها الباحث الختم الذي عثر عليه بأفران حرق الفخار في أعلى وادي القومن (5 كم شمال قرية الخضراء) وهو يحمل الحروف اللاتينية الثلاثة AIM على فوهة ورقبة جرار من النوع T.I وT II.(شكل 6)، وما يميز هذا الختم كثرة النماذج التي عثر عليها مقارنة مع عدد الأختام الأخرى، حيث عثر على عدد 12 نموذج منه عند وقرب موقع إنتاج الفخار GUM89.

(61)IRT ,http//:inslib.kcl.ac.uk/irt2009 ;/Mattingly1988) b ;(1995) ;(Di Vita-Evrard ,G" (1985) .Regio Tripolitana .A Reappraisal ,"in D .J .Buck and D .J .Mattingly ,eds ,.Town and Country in Roman Tripolitania, Oxford ,pp.143-63 .

(62)Revilla Calvo ;(2007) Zevi and Tchernia.(1969)

(63)Mattingly ,(1995) pp.153-5 .

(64)Ahmed.(2019)

يتضح من المسح الأثري الذي نفذه الباحث على هضبة ترهونة 2007 أن أغلب الجرار التريبوليتانية التي تحمل أختاماً أنتجت بالمنطقة الزراعية الخصبة من هضبة ترهونة (جدول1)، وهي تسجل النسبة الأكثر لأختام الجرار التريبوليتانية المكتشفة إلى حد اليوم. يتضح من مقارنة أختام وتركيبة عجينة الجرار المنتجة في ورش صناعة الفخار في هضبة ترهونة مع تلك الجرار التي كُشِفَ عنها حديثاً في ميناء بورتوس أن كميات كبيرة جداً من الجرار التريبوليتانية التي أميط الغطاء عنها في موقع ميناء بورتوس لم تختلف عن تلك التي ظهرت بمواقع ورش الصناعة بهضبة ترهونة، وهذا يوحي بأن الأملاك الزراعية المنتشرة بالمنطقة الداخلية لمدينة لبدة الكبرى، خاصة هضبة ترهونة، كانت المصدر الرئيسي لزيت الزيتون إلى روما عبر ميناء بورتوس في أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث بعد الميلاد[65].

جدول 1: مواقع ورش صناعة الجرار التريبوليتانية المكتشفة عبر المسح الأثري ترهونة 2007

رمز الموقع	المكان	الاسم	عدد الأفران	ختم	تابع لـ	البعد عن مبنى المزرعة
TUT12	وادي الحواتم	س. أبوعجيلة	2؟	نعم	فيلا-مصنع للزيت	50 م شرقاً
TUT15	وادي تورغت	ه. الصالحة	4؟	نعم	فيلا-مصنع للزيت	70 م غرباً
TUT18	وادي تورغت	عين السطيل	2	نعم	مصنع للزيت	250 م جنوب شرق
TUT48	وادي تورغت	ه. الربعية	5	نعم	مبنى مزرعة صغيرة	150 م شمالا
TUT53	وادي تورغت	س. عيساوي	1	لا	مبنى مزرعة كبيرة	50 م جنوب
TUT108	وادي تورغت	ه. الرمادية	4؟	نعم	مبنى مزرعة كبيرة	500 م شمال شرق
GUM86	وادي قومن	شقافية السري	1	لا	مبنى مزرعة صغيرة	400 م شمال غرب
GUM89	وادي قومن	شقافية الطريق	3؟	نعم	مبنى مزرعة صغيرة	300 م جنوب غرب
GUM90	وادي قومن	شقافية بن حمد	3	نعم	مبنى مزرعة صغيرة	150 م جنوب شرق
GUM110	وادي قومن	شقافية معمري	2؟	لا	مبنى مزرعة صغيرة	300 م جنوب
TEL102	وادي تاربوت	حامزية	2	لا	مبنى مزرعة صغيرة	250 م جنوب
DOG111	وادي دوغه	المسيل	1	لا	مبنى مزرعة كبيرة	50 م غرب
SRI114	وادي السري	وادي السري	18	لا	مبنى مزرعة كبيرة	150 م غرب
DUN131	فرجان	ه. حلافي	5؟	نعم	مبنى مزرعة كبيرة	300 م شمال غرب

برهن المسح الأثري على ارتباط مواقع ورش إنتاج الفخار في جبل ترهونة بمواقع الأملاك الزراعية التي تنتج المنتجات الزراعية، فهي أملاك اشتملت أيضاً على ورش صناعة الفخار صنعت فيها الجرار المعدة لنقل وتخزين تلك المنتجات. بالنظر إلى العلاقات المكانية بين الاثنين نجد أن بعض مواقع ورش

(65)Franco ,(2012) p.135.

صناعة الفخار، في المنطقة المذكورة، لا تبعد إلا مسافة قصيرة جداً عن مباني المزارع المشتملة على معاصر زيت الزيتون والنبيذ[66]. ربما منح هذا التجاور لورش صناعة الفخار ضمن نفس المجال المكاني للملكية الزراعية ميزة جعلت الجرار المصدرة من هذه الأملاك تحمل أختام أو علامات تعبر عن أصحاب هذه الأملاك الزراعية، فعلى سبيل المثال، برهنت الشواهد المادية المسجلة من بعض المواقع بجبل ترهونة أنها كانت من ضمن الأملاك التي زودت روما بسلعة زيت الزيتون، حيث أن بعض الأختام التي عثر عليها الباحث في ورش صناعة الفخار بالمنطقة عُثِرَ عليها قبل ذلك على بعض كسر الجرار المكتشفة في مونت تستاشيو (جدول 2)، وبما أن هذه الأختام هي عبارة أن أسماء أفراد tria no-mina غالبا ما ترتبط بأشخاص ذو مكانة ورفعة وردت أسماؤهم بالنقوش التشريفية والتكريسية بالمراكز الساحلية الكبرى (لبدة الكبرى، أويا، وصبراتة)، فهي تعتبر برهان على أن هناك شخصيات من طبقتي الفرسان ومجلس الشيوخ سعت إلى زيادة ثروتها عبر إنتاج وتصدير منتجات أملاكها الزراعية. وبناء على ما كشف عنه المسح الأثري لهضبة ترهونة (TAS 2007) من أدلة مهمة تتعلق بوجود مختصرات أسماء أصحاب الأملاك الزراعية بالأختام المضروبة على الجرار الفخارية المنتجة بالمنطقة فأنه يبدو أن هناك بعض الأملاك التي تعود ملكيتها كذلك للعائلة الإمبراطورية، إذ عثر الباحث بموقع ورشة صناعة الفخار بموقع هنشير الربعية (TUT48) في وادي تورغت على أربعة كسر مقابض وفوهات جرار تحمل الختم IMPANTAVG (شكل 7) الذي يخص الإمبراطور كاراكالا وذلك وفق تفسير Mattingly[67]، وترى Di Vita-Evrard أن هذا يدل على وجود أملاك أو إقطاعيات إمبراطورية ضمن المجال المكاني الذي تشغله الأراضي الداخلية الخصبة بإقليم لبدة الكبرى[68].

شكل 7: الختم الإمبراطوري من موقع TUT48

(66)Ahmed.(2019)

(67)Mattingly ,(1995) pp.154-5 .

(68)Di Vita-Evrard ,(1985) pp.150-149.

م	الختم	نوع الجرة	مكانه	المرجع العلمي
1	ADYRMP & ADYRMF	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 29
2	QCCC	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 1428
3	QCLCV	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 1436(b)
4	CR	T.III	المقبض	Callender 1965, no 449
5	CFPCV & CFRCV	T.III	المقبض	Callender 1965, no 319
6	CFPPPCV	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 319
7	MPF	T.III	؟	Callender 1965, no 1158(a)
8	LSPLHBVR	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 941(b)
9	MVC	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 1188(a)
10	...DAVG	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
11	MD...	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
12	IMPANTAVG?	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
13	ABCVACMV...?	T.III	المقبض	Rodriguez Almeida 1981
14	BINOM...	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
15	CR	T.III	المقبض	Rodriguez Almeida 1981
16	PCSSCV MARIA...?	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
17	PCAQ...?	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
18	LCS	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
19	...FC	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
20	OPGAT?	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
21	LSACV	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
22	CSM / BAICI	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
23	LSPLHBVR	T.III	الرقبة	Rodriguez Almeida 1981
24	FYN	T.III	المقبض	Rodriguez Almeida 1981
25	QCL	T.III	الرقبة	Callender 1965, no 1436(a)
26	MIVSCA?	؟	المقبض	Blázquez Martínez and Remesal Rodríguez 2001
27	PSDL	؟	؟	Blázquez Martínez and Remesal Rodríguez 2003
28	OPHNNAEAES	T.I	الفوهة	Blázquez Martínez et al. 1994
29	MVACGAL	T.I	الفوهة	Blázquez Martínez and Remesal Rodríguez 2003

المصدر: (Table 5.4: The main Tripolitanian amphora stamps from Monte Testaccio (http://ceipac.gh.ub.es

أمثلة من بقايا جرار تريبوليتانية خارج روما

بالرغم من أن أغلب المنتجات التجارية الأفريقية المعبأة في الجرار الفخارية كانت وجهتها الرئيسية هي روما خاصة عبر سياسة ضريبة الأنونا، إلا أن هناك الكثير من الشواهد المادية التي تدل على وصول هذه المنتجات إلى مرافئ ومراكز أخرى غير روما، سواء في شبه الجزيرة الإيطالية أو في سواحل البحر الأدرياتيكي أو منطقة بحر إيجه وشرق المتوسط. فقد كشفت التنقيبات الأثرية بموقع فيلا رومانية مزودة بمبنى حمام في Pollena Trocchia تقع على أسفل المنحدر الشمالي الغربي لمنحدر جبل فيزوف بالقرب من مدينة نابولي الإيطالية عن عدد من كسر الجرار التريبوليتانية، من بينها عدد ستة كسر فوهات من الجرة T.I، وتتشابه هذه الفوهات في شكلها مع الجرة التريبوليتانية المكتشفة بموقع السفينة الغارقة في Laurons II بالقرب من مرسيليا والتي رجح أنها تعود إلى النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد[69]. كما أظهرت الحفريات بالموقع المذكور أيضاً عدد 17 قطعة من نوع الجرة T. II، وعدد 9 قطع من الجرة T. III [70]. بالعودة إلى الجرة التريبوليتانية المكتشفة بموقع السفينة الغارقة في Laurons II بالقرب من مرسيليا (شكل 8) فبعد دراسته الختم الذي يظهر عليها وتحليل بنية طينتها، شكك Bonifay[71] في نسبتها إلى تريبوليتانيا (خصوصاً، لبدة الكبرى وأويا)، وقدم احتمال أنها تعود إلى جرجيس أو جزيرة جربة (جنوب شرق تونس)[72]، لكن بعد ما عثر كاتب هذه الورقة عام 2007 على ورشة صناعة الفخار بموقع هنشير الصالحة (TUT15) في وادي تورغت – ترهونة، وجمعه لعينات فخارية كان من بينها أربعة كسر لفوهات جرار من النوعين T.I و T. II تحمل نفس الختم المذكور أعلاه (شكل 9)، عاد بونيفاي في مقال أخر[73] وعدل رأيه إلى إرجاع أصل هذه الجرة إلى منطقة هضبة ترهونة.

(69)De Simone ,D .F" (2016) .Thirst for wine ?An amphorae assemblage from Vesuvius and the problem of self-sufficiency in late antique Campania ,"In :Rei Cretariae Romanne Fauterum Acta ,127-135 ,44 p;128 . Bonifay ,(2004) p.11 .

(70)De Simone ,(2016) ,p.128 .

(71)Bonifay ,(2004) fig ,3 .n.5 °

(72)Ahmed ,(2010) fig ,5.4 .a.

(73)Bonifay ,M .et Capelli ,C (2013) .avec la collaboration de Carmela FRANCO ,Victoria LEITCH ,Laurent RICCARDI et Piero BERNI MILLET" ,Les Thermes du Levant à Leptis Magna : quatre contextes céramiques des IIIe et IVe siècles ."In : Antiquités africaines .49 ,P.121 .

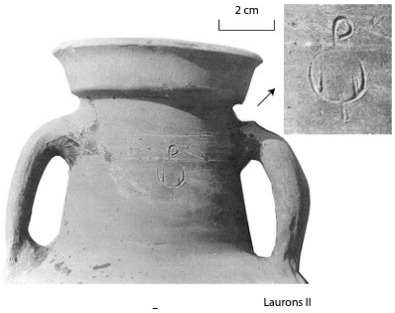

شكل 8: الجرة T.I من موقع Laurons II

شكل 9: هنشير الصالحة (TUT15)

هنـاك شـواهد ماديـة تبـين أن الجـرار التريبوليتانيـة كان لهـا حضـور أيضـاً في مرافـئ البحـر الأدرياتيكـي، ففـي القطـاع الشـمالي مـن سـواحل هـذا البحـر، بالمنطقـة التـي تشـغلها مرافـئ Grado و Trieste عثـر بالمرفـأ الأخـير في موقـع Domusdi Piaz-za Barbacan عـلى مكـب لكـسر جـرار فخاريـة، ومـن بـين تلـك الكـسر واحـدة لجـرة تريبوليتانيـة مـن نـوع T. III، تعـود للقـرن الثالـث بعـد الميـلاد، وتحمـل ختمـاً يتكـون مـن ثلاثـة حـروف CSM يرجـح أنـه يخـص عضـو مجلـس الشـيوخ مـن مدينـة لبـدة الكـبرى C. Servilius Marsus الـذي تـولى إدارة شـؤون العامـة بمدينـة لبـدة في عهـد الإمبراطـور جالينـوس (260 – 268) C. Servilius Marsus, clarissimus vir curator res publicae Tripolitanae a Leptis Magna؛ وفي المواقـع المكتشـفة بالمنطقـة الجنوبيـة مـن سـواحل البحـر الأدرياتيكـي Puglia Adriatico شـكلت الجـرة التريبوليتانيـة T. III نسـبة 63% مـن واردات جـرار زيـت الزيتـون الأفريقيـة[74]. وفي موقـع Spinut بولايـة دلماشـيا Dalmazia عـلى السـاحل الشرقـي للبحـر الأدرياتيكـي عثـر عـلى عـدد 7 جـرار مـن نـوع T.I يعـود تاريخهـا إلى نهايـة القـرن الأول وبدايـة الثانـي بعـد الميـلاد[75].

مـن أفضـل الشـواهد الدالـة عـلى حركـة تجـارة الجـرار التريبوليتانيـة بمنطقـة شرق البحـر المتوسـط مـا كشـفت عنـه حفريـات البعثـة البولنديـة خـلال موسـم 2012-2013 في موقـع كـوم الدكـة بمدينة الإسـكندرية، حيـث صرح Majcherek أنه كان مـن غـير المتوقـع العثـور عـلى كميـات كبـيرة مـن جـرار نقـل زيـت الزيتـون المصنعـة في ولايـة أفريقيـا البروقنصليـة بمـا فيهـا جـرار مـن تريبوليتانيـا (شـكل 10)، وهـي دليـل عـلى رواج تجـارة زيـت الزيتـون مـن هـذه الولايـة ليـس فقـط إلى رومـا بـل أيضـاً إلى مراكـز أخـرى في غـرب وشرق البحـر المتوسـط، وكذلـك أهميـة مدينـة الإسـكندرية

(74)Auriemma ,R .and Pesavento Mattioli ,S " (2009) .I tituli picti delle anfore di Grado ,"in :Olio e pesce, .275-280

(75)Nenad ,N" (1989) .Anfore romane in Dalmazia ."In :Amphores romaines et histoire économique .Dix ans de recherche .Actes du colloque de Sienne 22-24) mai (1986 Rome : École Française de Rome .311-337 ,Pp. .228-9

كمركز من مراكز استهلاك هذه السلعة التجارية[76].

شكلت الجرار التريبوليتانية التي نقلت سلعة زيت الزيتون بشكل خاص، وبنسبة أقل النبيذ والسمك المملح، ما نسبته 6% من مجموع الصادرات التي جلبت إلى الإسكندرية في القرن الثالث بعد الميلاد[77]. على الرغم من العثور على بقايا الجرار التريبوليتانية في العديد من المواقع الأثرية في شرق البحر المتوسط إلا أن ما عثر عليه في موقع كوم الدكة وغيره من المواقع في الإسكندرية يعتبر امر استثنائي، وتواجدها هنا يشير إلى أنها صارت تحل تدريجيا منذ منتصف القرن الثاني بعد الميلاد محل جرار نقل زيت الزيتون الإسبانية وذلك في حالة مشابهة لما سجل في مونت تستاشيو وميناء بورتوس في روما.

توحي الأدلة التي عثر عليها بمواقع السفن الغارقة في منطقة شرق البحر المتوسط أن منتجات ولاية أفريقيا البروقنصلية وصلت إلى منطقة بحر إيجه على نحو متسق إلى حد ما، فمن بين أقدم الجرار التريبوليتانية التي عثر عليها ضمن شحنات السفن الغارقة في هذه المنطقة الجرة T.I، وكانت من أولى الجرار الأفريقية التي وصلت إلى أسواق منطقة بحر إيجه حيث عثر عليها في خمسة مواقع لسفن غارقة في بحر إيجه وترجع إلى بداية القرن الأول بعد الميلاد، خاصة في موقعي جزيرتي Ithaki و Kephallonia[78]. أما في مضيق Euboean فعثر على حطام سفينة صغيرة تحتوي على حوالي 50 جرة تريبوليتانية من نوع T.I (شكل 11) تعود أيضا إلى القرن الأول بعد الميلاد[79].

(76)Majcherek ,G" (2014) .Alexandria :excavations and preservation work on Kom el-Dikka ,seasons2012 and ,"2013 Pp.37-39 :

(77)Majcherek ,G" (2017) .African Amphorae in the East :A View from Alexandria ,"Journal on Hellenistic and Roman Material Culture ,Volume – 6 Issue .205-234 :2 Pp.208-210 .

(78)Koutsouflakis ,G .V" (2020) .Converging to the Eastern market :Roman North Africa amphorae in the Aegean ,"In :RAC IN ROME ,Atti della12 a Roman Archaeology Conference ,le sessioni di Roma ,(2016) eds. By Maria Teresa D'Alessio e Chiara Maria Marchetti ,p.385 .

(79)Koutsouflakis ,(2020) p.386 .

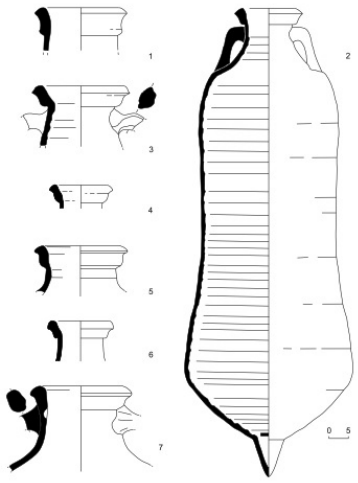

شكل 10: جرار تريبوليتانية من موقع كوم الدكة، الإسكندرية. (المصدر: Majcherek 2017: 209)

لقد بين المسح الأثري الذي أجراه Koutsousouflakis وفريقه على حطام السفن الغارقة في بحر إيجه عام 2013 وجود عدد كبير من السفن الغارقة المحملة بشحنات جرار أفريقية وكان للجرة T.I الغلبة خلال القرن الأول بعد الميلاد ثم مع القرن الثاني بدأت تحل محلها جرار أفريقية أخرى وهي ظاهرة مشابهة لما عثر عليه في مواقع السفن الغارقة بالمنطقة الوسطى من البحر المتوسط، كمواقع Grado و Copo Grazino M و Copo Palia [80]. يمكن أن نستنتج من وجود هذه الشحنات المعبأة بالمنتجات الأفريقية، خاصة زيت الزيتون، في المنطقة الإيجية بأنه كانت هناك حالة تذبذب تحدث في الكميات المطلوب إنتاجها من هذه السلعة بالمنطقة الإيجية مع وجود طلب عالي لها بالسوق، ونفهم من القانون الذي أقره الإمبراطور هادريان ونشر منقوشا في مبنى الأجورا (السوق) ويعرف باسم "قانون أثينا للزيت" بأن هناك اهتمام رسمي من أعلى هرم السلطة بمواجهة أي تذبذب أو عجز في هذه السلعة المهمة ببلاد اليونان خلال تلك الفترة التاريخية من عصر الإمبراطورية الرومانية، بهذا القانون أرسى الإمبراطور هادريان نظام تحكم من جانب الإدارة الرومانية ضُمن به لمنطقة أتيكا وجود مستمر من إمدادات زيت الزيتون وبأسعار مناسبة[81].

(80)Koutsouflakis ;(2020) Auriemma ,R" (2000) .Le anfore del relitto di Grado e il loro contenuto ,"in ME-FRA ,1 ,112 pp ;27-51 .Parker.(1992)

(81)Harter-Uibopuu ,K" .Hadrian and the Athenian Oil Law ,"in :O.M .Van Nijf – R .Alston) Hg ,(.Feeding the Ancient Greek city .Groningen –Royal Holloway Studies on the Greek City after the Classical Age ,vol,1 .

أمـا في جزيـرة قـبرص بالجـزء الشرقـي مـن البحـر المتوسـط، وجنـوب شرق المنطقـة الإيجيـة، فقـد بينـت الدراسـات الكميـة للقـى الفخاريـة المكتشـفة مـن موقـع منـزل أورفيـوس Orpheus في مدينـة بافـوس Paphos أن نسـبة كميـة الجـرار القادمـة مـن منطقـة غـرب البحـر المتوسـط بلغـت 48.8%، وهـي تبلـغ تقريبـاً ضعـف كميـة الجـرار القادمـة مـن منطقـة شرق المتوسـط (25.7%)، وبلغـت نسـبة الجـرار المحليـة القبرصيـة 25.5%، ومـن مجمـوع جـرار منطقـة غـرب المتوسـط كانـت حصـة الجـرار التريبوليتانيـة 3%، والجـرار الأفريقيـة الأخـرى [82]0.4%. أمـا مـن مجمـوع لقـى الجـرار الفخاريـة المكتشـفة بموقـع المسرح بمدينـة بافـوس فقـد بلغـت نسـبة الجـرار التريبوليتانيـة أكثـر مـن النصـف بقليـل 4.3% مـن مجمـوع الجـرار القادمـة مـن غـرب البحـر المتوسـط، وهـي نسـبة تفـوق بقليـل ممـا عثـر عليـه مـن بقايـا جـرار بموقـع ثالـث يعـرف باسـم أجـورا أماثـوس Amathus Agora حيـث كانـت 3.6% مـن مجمـوع الجـرار المـوردة مـن غـرب البحـر المتوسـط[83].

شـكك Kaldeli 2013) في وجهـة نظـر Fulford 1989) التـي رأى فيهـا أن الجـرار التريبوليتانيـة التـي وصلـت عـبر الحركـة التجاريـة في الفـترة الرومانيـة إلى جزيـرة قـبرص ارتبطـت كميـاً ارتباطـاً وثيقـاً مـع شـحنات جـرار أخـرى جـاءت مـن ولايـة كيليكيـا Cilicia وبحـر إيجـه، أي بمعنـى أن حركـة التجـارة الأفريقيـة كانـت أولا تتجـه شـمالا وتتـوزع بالمنطقـة الإيجيـة، ومنهـا تتحـول مـع الجـرار الإيجيـة إلى كيليكيـا قبل أن يصـل جـزء منهـا إلى جزيـرة قـبرص وشرق البحـر المتوسـط، بـل رجـح هـذا الباحـث فكـرة الصلـة التجاريـة المبـاشرة بـين المصـدر (الولايـة الأفريقيـة) والمـورد (جزيـرة قـبرص) دون الحاجـة إلى مـرور شـحنات هـذه التجـارة الأفريقيـة بمراكـز أخـرى[84].

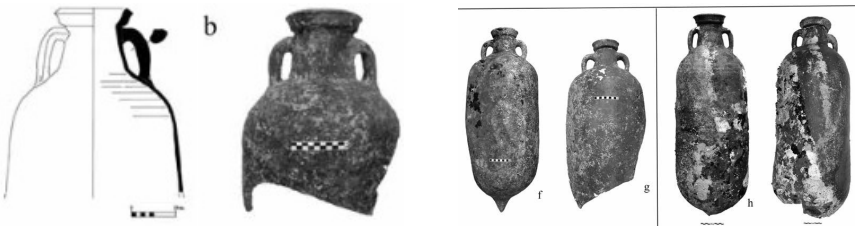

شـكل 11: أمثلـة لجـرار تريبوليتانيـة مـن حطـام السـفينة الغارقـة بمضيـق Eu-boean في بحـر إيجـه، المصـدر: Koutsouflakis 2020)

Louvain.127-141 ,2008

(82)Kaldeli ,A" (2009) .Trade and the transmission of Roman values to Cyprus ,as evidenced by the amphorae ."Cahiers du Centre d'Études Chypriotes ,Année 39 2009 pp.365-386 .

(83)Kaldeli ,(2009) p.127 .

(84)Kaldeli ,A" (2013) .Roman amphorae from Cyprus :integrating trade and exchange in the Mediterranean ,"PhD Thesis ,Institute of Archaeology University College London .P.210 .

الخاتمة

اقتصرت هذه الدراسة على البحث في الثلاثة أنواع الأصلية والمشهورة من الجرار التريبوليتانية التي صنعت في المنطقة لغرض نقل المنتجات الزراعية والسمكية التي أنتجتها تريبوليتانيا في الفترة الرومانية، ولم تتعرض هذه الدراسة لأنواع جرار أخرى أنتجت أيضاً في تريبوليتانيا لكنها كانت غير أصلية بل مقلدة لنماذج خارجية من أشهرها الجرة Dressel 2-4 والجرة Mau 35 . تظهر نتائج الدراسة بوضوح أن بقايا الجرار التريبوليتانية هي دليل مادي ملموس عن حركة التجارة البعيدة المدى بين تريبوليتانيا وروما مركز الإمبراطورية بالدرجة الأولى، والمراكز والمرافئ الأخرى في عالم البحر المتوسط بدرجة ثانية. كما برهنت على أن الشواهد الكمية لبقايا الجرار التريبوليتانية المكتشفة سواء في روما أو في مواقع السفن الغارقة هي مؤشر واضح على مساهمة تريبوليتانيا مساهمة كبيرة في حركة التجارة الرومانية خلال عصر الإمبراطورية، خاصة في تجارة سلعة زيت الزيتون التي وصلت لأعلى مستوياتها خلال عهد حكم الأسرة السيفيرية عندما بلغ الإقليم أوج نشاطه التجاري وقوته الاقتصادية.

نستنتج من ما تم تناوله من الدراسات عن الجرار التريبوليتانية في الفترة الرومانية أنه على الرغم من الأهمية الكبيرة لها كشواهد مادية ثقافية، إلا أنه بالمقارنة مع جرار الولايات والأقاليم الأخرى في الإمبراطورية نجد أن دراسات الجرار التريبوليتانية مازلت في مراحلها الأولى ومتأخرة عن المراحل المتقدمة التي وصلت إليها دراسات غيرها من الجرار من مثل الجرار الإيطالية والإسبانية والأفريقية (المصنعة في البلاد التونسية)، لذلك نرى أن الجرار التريبوليتانية مازالت تحتاج للمزيد من الدراسات البحثية في عدة جوانب من أهمها، ما يلي:

مراجعة تصنيف الجرار المنتجة في تريبوليتانيا وربطه بالتغيرات المتأخرة التي طرأت على إنتاج وشكل الجرتين T.II وT.III.

إجراء فحص ودراسة مركزة وشاملة لكل عينات الجرار التريبوليتانية المكتشفة عبر التنقيبات العلمية الأثرية بالمواقع الأثرية بالمنطقة، خاصة من مدينة لبدة الكبرى، والعمل على ربط تلك المكتشفات الأثرية بمواقع ورش صناعة الجرار المكتشفة.

تنفيذ المزيد من المسوحات والدراسات الميدانية وتغطية باقي المجالات الترابية الساحلية والداخلية لعلها تكشف عن المزيد من مواقع صناعة الأواني الفخارية مما سيزيد من معرفتنا وتفسيرنا للدور الذي لعبته هذه الصناعة في النشاط الاقتصادي للإقليم ومساهمته بالتالي في الحياة الاقتصادية للإمبراطورية الرومانية.

إجراء اختبارات وتحاليل بترولوجية، وتصوير مقطعي دقيق (مسح ميكروسكوبي مستقطب) لعينات فخارية تأخذ من مخلفات ورش صناعة الفخار المكتشفة بالمنطقة لغرض تحديد نوع وبنية وخصائص العجينة الطينية لكل ورشة صناعة نظراً لاختلاف العناصر الجيولوجية بين منطقة وأخرى، وسيترتب على ذلك توفر إمكانية ربط أي لقية فخارية مكتشفة سابقاً ومستقبلا بمكان الإنتاج الأصلي لتلك العينة.

المصادر والمراجع:

1. Ahmed, M.A.M. (2019). "Rural Settlement and Economic Activity. Olive Oil, Wine and Amphorae Production on the Tarhuna Plateau During the Roman Period". Society for Libyan Studies, London.
2. Ahmed, M.A.M. (2010). "Rural Settlement and Economic Activity: Olive Oil and Amphorae Production on the Tarhuna Plateau During the Roman Period". Unpublished PhD Thesis, University of Leicester.
3. Arnaud, P. (2005). " Les Routes de la navigation antique: Itinéraires en Méditerranée". Paris.
4. Auriemma, R. (2000) "Le anfore del relitto di Grado e il loro contenuto", in MEFRA 112, 1, pp. 27–51.
5. Bang, P. F. (2008). "The Roman bazaar: a comparative study of trade and markets in a tributary empire". Cambridge, Cambridge University Press.
6. Blazquez, J. M. (1992), "The Latest Work on the Export of Baetican Olive Oil to Rome and the Army", Greece & Rome, 39 pp. 173–88.
7. Bonifay, M. (2004) Études sur la céramique romaine tardive d'Afrique. Oxford: Archaeopress, British Archaeological Reports. International Series.
8. Bonifay, M. (2005) "Observations sur la typologie des amphores africaines de l'antiquitétardive." LRCW I. Late Roman Coarse Wares, Cooking Wares and Amphorae in the
9. Mediterranean: Archaeology and Archaeometry. British Archaeological Reports International Series. 1340: 451–472.
10. Bonifay, M. (2007) "Que transportaient done les amphores africaines?', in E. Papi, ed., Supplying Rome and the Empire. The Proceedings of an International Seminar held at SienaCertosa di Pontignano on May 2–4, 2004 on Rome, the Provinces, Production and Distribution (Portsmouth, Rhode Island), pp. 8–24.
11. Bonifay, M. (2009) "Cargaisons africaines: reflet des entrepôts?", Antiquites Africaines, 43, pp. 253–60.
12. Bonifay, M. (2013). "The distribution of African pottery under the Roman Empire, evidence versus interpretation". In: Trade, Commerce, and the State in the Roman World, edited by Andrew Wilson and Alan Bowman, Oxford. Pp: 237–252.
13. Bonifay, M. et Capelli, C. (2013) avec la collaboration de Carmela FRANCO, Victoria LEITCH, Laurent RICCARDI et Piero BERNI MILLET, "Les Thermes du Levant à Leptis Magna: quatre contextes céramiques des IIIe et IVe siècles". In : Antiquités africaines, 49. P. 121.
14. Bonifay, M. & A. Tchernia (2012) "Les résaux de la céramique africaine (Ier–Ve siècles)", in: S. Keay (ed), Rome, Portus and the Mediterranean (Archaeological Monographs of the British School at Rome 21), 315–333, London.
15. Bonifay, M. & Piéri, D. (1995) "Amphores du Ve au VIIe s. à Marseille: Nouvelles

données sur la typologie et le contenu", in: Journal of Roman Archaeology., pp. 94–120.

16. Bost, J.–P., Campo, M., Colls, D., Guerrero, V., and Mayet, F. (1992). "L'Épave Cabrera III (Majorque): Échanges commerciaux et circuits monétaires au milieu du III siècle ap. J.–C. " (Publications du Centre Pierre Paris 23). Paris.
17. Bowman, A & Wilson, A (ed.), (2009) "Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems," OUP Catalogue, Oxford University Press, pp. 17–20.
18. Bowman, A & Wilson, A (ed.), (2013) Trade, Commerce, and the State in the Roman World, Oxford.
19. Broekaert, Wim. (2011) "Oil for Rome During the Second and Third Century AD: A Confrontation of Archaeological Records and the "Historia Augusta". Mnemosyne 64, no. 4: 591–623.
20. Callender, M. H. (1965) Roman Amphorae. Oxford.
21. Capelli, C. (1998) "Analisi minero–petrografiche."Ceramica in Italia: IV–VII secolo. Atti del convegno in onore di John W. Hayes (Roma 11–13 maggio 1995). : 331–333.
22. Capelli, C. (2001) "Analisi minero–petrogtafiche perliminari su anfore del tipo "Stazione 48 del Piazzale delle Corporazione"." In Ben–Abed–Ben Khader, A., Bonifay, M. and Griesheimer, M. (edd.), L'amphore maurétanienne de la Station 48 de la Place des Corporations identifiée a Pupput (Hammamet, Tunisie). Antiquités Africaines., pp. 169180.
23. Capelli, C. (2004) "Annexe: Analisi minero–petrografiche sulle anfore del golfo di Hammamet." La necropole romaine de Pupput.:230–238.
24. Capelli, C. (2005) "Ricerche petrografiche preliminari sulle ceramiche "eoliche"." In Bonifay, M., Capelli, C., Martin, T., Picon, M. & Vallauri, L., Le littoral de la Tunisie: étude geoarchéologique et historique (1987–1997): la céramique. Antiquités Africaines., pp. 152–202.
25. Capelli, C. & Bonifay, M. (2007) Archéométrie et archéologie des céramiques africaines: une approche pluri disciplinaire. In: M. Bonifay & J.–C. Tréglia (eds.) LRCW 2, Late Roman Coarse Wares, Cooking Wares and Amphorae in the Mediterranean. Archaeology and Archaeometry. BAR Int. Ser.1662, 551–567. Oxford.
26. Carandini, A. (1968) Ostia I. Scavo Le terme del Nuotatore. dell'Ambiente IV, Roma;
27. Carandini, A. (1970) Ostia II: le terme del Nuotatore: scavo dell'ambiente I. Rome: Studi miscellanei.
28. Carandini, A. (1986) "Il mondo dell a tarda antichita visto attraverso le merci", in A.Giardina, ed., Societa romana e impero tardoantico. Le merci, gli insediamenti, Bari.
29. Carandini, A. & Panella, C. (1973) Ostia III: Le terme del Nuotatore: scavo dell'ambiente V et di un saggio nell'area. Rome: Studi miscellanei.
30. Casson, L. (1995), "Ships and Seamanship in the Ancient World". London; Parker,

A. J. (1992), "Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces". Oxford.

31. Christol, M. "Annona Urbis : remarques sur l'organisation du ravitaillement en huile de la ville de Rome au II siècle ap. J.-C. ", in Titvli IX, vol. 1, pp. 271-298.
32. Cowper, H. S. (1897) "The Hill of Graces" Glasgow.
33. De Simone, D. F. (2016) "Thirst for wine? An amphorae assemblage from Vesuvius and the problem of self-sufficiency in late antique Campania", In: Rei Cretariae Romanne Fauterum Acta 44, 127-135.
34. De Vos, M. (2013). "The Rural Landscape of Thugga: Farms, Presses, Mills, and Transport". In: The Roman Agricultural Economy: Organisation, Investment, and Production. Oxford University Press.
35. Di Vita-Evrard, G. (1985) "Regio Tripolitana. A Reappraisal", in D. J. Buck and D. J. Mattingly, eds., Town and Country in Roman Tripolitania, Oxford, pp. 143-63.
36. Dressel, H. (1879) "Di un grande deposito di anfore rinvenuto nel nuovo quartiere del Castro Pretoria", Bullettino della Commissione archeologica comunale di Roma, 7, pp. 36-112 and 43-95.
37. Fentress, L., Fontana, S., Hitchner, B., and Perkins, P. (2004). "Accounting for ARS: Fineware and Sites in Sicily and Africa", in S. Alcock and J. Cherry (eds), Side-by-Side Survey. Oxford, 147-62.
38. Franco, P. (2012) "African Amphorae from Portus". A PhD Thesis, Southampton University, Southampton.
39. Fulford, M. (1987), "Berenice, Carthage, Ostia: the amphoras of three cities", Rei Creatariae Romanae Fautorum Acta, 25-26, pp. 155-9.
40. Gibbins, D. (2001) "A Roman shipwreck at Plemmirio, Sicily: evidence for north African amphora production during the Severan period", in: World Archaeology., pp. 311-334.
41. Harris, W. V. (1993)"Problems in the history of the Roman economy", in W. V. Harris, ed., The Inscribed Economy. Production and distribution in the Roman Empire in the light of instrumentum domesticum, Rome, pp. 11-29.
42. Hobson, M. (2015) "The North African Boom: Evaluating Economic Growth in the Roman Province of Africa Proconsularis (146 B.C. - A.D. 439) " , JRA.
43. Hopkins, K. (1980). "Taxes and Trade in the Roman Empire (200 BC-AD 400) ", JRS 70: 101-25.
44. Horden, P. and Purcell, N. (2000), "The Corrupting Sea. A Study of Mediterranean History". Oxford; Casson, L. (1995), "Ships and Seamanship in the Ancient World". London; Parker, A. J. (1992), "Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces". Oxford.
45. Johnson, P.S., (2013) "Economic evidence and the changing nature of urban space in late antique Rome", Publicacions i Edicions de la Universitat de Barcelona, p.

126; Broekaert, Wim. (2011) "Oil for Rome During the Second and Third Century AD: A Confrontation of Archaeological Records and the "Historia Augusta". Mnemosyne 64, no. 4: 591–623.

46. ; Keay, S. J. (1984) Late Roman amphorae in the Western Mediterranean. A typology and economic study: the Catalan evidence. Oxford, British Archaeological Reports International Series.
47. Keay, S. J. (1998) "African amphorae." Ceramica in Italia: VI–VII secolo. Atti del convegno in onore di John W. Hayes. Roma, 11–13 maggio 1995. : 141–155.
48. Kehoe, D. P. (2007) "The Early Roman Empire: Production", in W. Scheidel, I. Morris and R. Saller, eds., The Cambridge Economic History of the Greco–Roman World, Cambridge, pp. 543–69.
49. Koutsouflakis, G. V. (2020) "Converging to the Eastern market: Roman North Africa amphorae in the Aegean", In: RAC IN ROME, Atti della 12a Roman Archaeology Conference, le sessioni di Roma (2016), eds. By Maria Teresa D'Alessio e Chiara Maria Marchetti.
50. Lamboglia, N. (1955) "Sulla cronologia delle anfore romane de età republicana", in: Rivista di studi Liguri., pp. 252–260.
51. Manacorda, D. (1977) "Le anfore", in A. Carandini and C Panella, eds., Ostia IV. Le terme del Nuotatore. Scavo dell'Ambiente XVI e dell'Area XXV, Roma, pp. 117–285.
52. Manacorda, D. (1976–1977) "Testimonianze sulla produzione e il consumo dell'olio tripolitano nel secolo III", Dialoghi di Archeologia, 9–10, pp. 546–601.
53. Manacorda, D. (1993)"Appunti sulla bollatura in eta romana", in: The Inscribed Economy, pp. 37–54.
54. Martin, A. A. (2002) "El Monte Testaccio y la llanura subaventina. Topografia extra portam Trigeminam", Roma.
55. Mattingly, D. J. (1984) "Olive Oil Production in Roman Tripolitania", in D. J. Buck and D. J. Mattingly, eds., Town and Country in Roman Tripolitania, Oxford, pp. 27–46.
56. Mattingly, D. J. (1988a) "Oil for export? A comparison of Libyan, Spanish and Tunisian olive production in the Roman empire", Journal of Roman Archaeology, 1, pp. 33–56.
57. Mattingly, D. J. (1988b)"The olive boom. Oil surpluses, wealth and power in Roman Tripolitania", Libyan Studies, 19, pp.21–41.
58. Mattingly, D.J. (1995) "Tripolitania". London, Batsford.
59. Mau, A. (1898) "Tituli fictilibus vasi inscripti", Corpus, Inscription um La tinarum. Vol. 4.
60. Morley, N. (2007a) Trade in Classical Antiquity, Cambridge.
61. Morley, N. (2007b) Trade in Classical Antiquity, Cambridge; Morley, N. (2007b) "The

Early Roman Empire. Distribution", in W.Scheidel, I. Morris and R. Saller, eds., The Cambridge Economic History of the Greco–Roman World, Cambridge,pp.570–91.

62. Munzi, F. Felici, G. Cifani and G. Lucarini, (2004–2005),"Leptis Magna: citta e campagna dall'origine alla scomparsa del sistema sedentario antico", Scienze dell'Antichita. Storia, archeologia, antropologia, 12, pp. 433–71.
63. Oates, D. (19 5 3) "The Tripolitanian Gebel: settlement of the Roman Period around Gasr Ed–Daun", Papers of the British School at Rome, 21, pp. 81–117.
64. Oates, D. (19 5 4) "Ancient settlement in the Tripolitanian Gebel, II: the Berber period", Papers of the British School at Rome, 22, pp. 91–117.
65. Panella, C. (1973) "Appunti su un Gruppo di Anfore della Prima, Media e Tarda Età Imperiale". Ostia III: Le terme del Nuotatore: Scavo dell'ambiente V et di un saggio dell'area, Studi miscellenei, 21, 463–633.
66. Panella, C. (1986a) "Oriente ed Occidente. I considerazioni su alcune anfore "egee" di età imperiale a Ostia." Recherches sur les amphores grecques. Bulletin de correspondance héllenique. Supplément 13: 609–636.
67. Panella, C. (1986b) "Le anfore tardantiche : centri di produzione e mercati preferenziali", in: A. Giardina, ed., Societa romana e impero tardonatico III. Le merci. Gli insediamenti (RomaBari, 1986b), pp. 251–72.
68. Panella, C. (1993) "Merci e scambi nel Mediterraneo tardoantico." Storia di Roma 3, L'età tardoantica. II. I luoghi e le culture. : 613–697.
69. Panella, C. (2001) "Le anfore di eta imperiale del Mediterraneo occidentale", in: E. Geny, ed., Ce i em i que s tie LLen i s tique et romaines (Publications du Centre Camille Jullian 28), Paris, pp. 177–275.
70. Parker, A. J. (1992), "Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces". Oxford.
71. Peacock, D. P. S. & Williams, D. F. (1986) Amphorae and the Roman Economy. London: Longman.
72. Peña, J. (2007). Frontmatter. In Roman Pottery in the Archaeological Record (pp. I–Vi). Cambridge: Cambridge University Press.
73. Remesal Rodriguez, J. (1995) "El sistema annonario como base de la evoluci6n del imperio romano", in Hackens T. and M. Miro, eds., Le commerce maritime romain Mèditerrannee Occidentale, pp. 355–67.
74. Remesal Rodriguez, J. (1998)"Baetican olive oil and the Roman economy", in S. J. Keay, ed., The Archaeology of early Roman Baetica, Portsmouth.
75. Remesal Rodriguez, J.(2004), "L'Afrique au Testaccio", L'Africa Romana, (Tozeur), pp. 1077–90.
76. Remesal Rodríguez, J. (2010)"Los sellos, in Monte Testaccio 1999–2014", vol. 5, pp. 246–260.
77. Remesal Rodríguez, J., (2013), "El Monte Testaccio: de vertedero a archivo", in

"RPAA", 85, 2012–2013, pp. 111–128.
78. Remesal Rodriguez, J. (2018),"Monte Testaccio (Rome, Italy) ", Encyclopedia of Global Archaeology, Springer International Publishing.
79. Revilla Calvo, V. (1999) "Las a n f oras afr icanas de las campafias de 1989 y 1990", in J. M. Blazquez Martinez and J. Remesal Rodriguez, eds., Estudios sabre el Monte Testaccio (Roma) I Barcelona, pp. 75–90.
80. Revilla Calvo, V. (2007) "Les amphores africaines du II ème et III ème siècles du Monte Testaccio (Rome) ", in Huile africaine, pp. 269–297.
81. Reynolds, P. (1995) Trade in the western Mediterranean, AD 400–700: the Ceramic evidence. Oxford: Archaeopress, British Archaeological Reports International Series.
82. Rice, C. (2012) "Mediterranean connectivity and Roman ports," in S. J. Keay (ed.) Rome, Portus and the Mediterranean (Brit. School at Rome Arch. Monog. 21, 2012) 367–91.
83. Rodriguez Almeida, E. (1984), Il Monte Testaccio. Ambiente, storia, materiali , Roma.
84. Scapini, M. (2016) "Studying Roman Economy and Imperial Food Supply. Conceptual and Historical Premises of the Study of the Economic Initiatives of the Emperors in the 1st and 2nd Century AD", Gerión, Vol. 34, 217–248.
85. Sirks, B. (1991). Food for Rome. Amsterdam.
86. Tchernia, A. (1967) "Les amphores romaines et l'histoire économique", in: Journal des Savants., pp. 216–234.
87. Tchernia, A. (1993) "Des timbres d'amphores a l'organisation du commerce", The Inscribed Economy, pp. 183–5.
88. Temin, P (2001) "A Market Economy in the Early Roman Empire", JRS, Vol. 91, pp. 169–181.
89. Tomber, R. S. (1993) "Quantitative approaches to the investigation of long–distance exchange", in: Journal of Roman Archaeology., pp. 142–166.
90. Volpe, G. (2002) "Relitti e Rotte Commerciali nel Mediterraneo Occidentale Tardoantico", L'Africa Romana XIV, 1, pp.239–50.
91. Whittaker, C. R. (1983) "Late Roman trade and traders", in P. Garnsey, K. Hopkins and C. R. Whittaker, eds., Trade in the Ancient Economy, Berkeley and Los Angeles, pp. 163–80.
92. Youcef Aibeche, Muftah Ahmed Alhaddad, Sami Ben Tahar, Michel Bonifay, Clementina Panella, Introduzione alla sessione (2020) "North Africa: Territories, Centres of Production and Trade
93. In Ancient Mediterranean: an Introduction. In: RAC IN ROME, Atti della 12a Roman Archaeology Conference, le sessioni di Roma (2016), eds. By Maria Teresa D'Alessio e Chiara Maria Marchetti.

94. Zampini,S.(2011) "La ceramica dello scavo del 2007 nel Palazzo Imperiale di Portus", in S. Keay and L. Paroli, eds., Portus and its Hinterland. 18 Archaeological Monographs of the British School at Rome, London, pp.93–9.
95. Zevi, F. & Tchernia, A. (1969) "Amphores de Byzacène au Bas–Empire." Antiquités Africaines. 3: 173–214.

قورينا 96 – 74 قبل الميلاد

إعداد: ستيوارت إيرفين أوست
(نُشر في مجلة فقه اللغة الكلاسيكية، المجلد. 58، (يناير، 1963) الناشر: جامعة شيكاغو)

ترجمة:

د. الشريف امراجع علي حامد
أستاذ التاريخ اليوناني الروماني المساعد، كلية الآداب، جامعة عمر المختار البيضاء.

د. محمد عمر محمد عبدربه
محاضر بقسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار البيضاء.

الاستلام : 24/ 4/ 2021 م القبول : 29/ 5/ 2021 م

المستخلص:

تعالج هذه الورقة، أوضاع إقليم قورينا، منذ أن أوصى بها أخر ملوكها، بطليموس أبيون للرومان، عام 96 قبل الميلاد، حتى وصول أول حاكم روماني للإقليم 74 قبل الميلاد. متناولا بالتحليل الظروف التي دعته لذلك، وأوضاع المدن والأراضي الملكية، وعلاقة القبائل الليبية بالإقليم، وتدخلها في النزاع بين الطغاة. وإذا ما كان الإقليم قد دفع الضرائب لروما، منذ تاريخ الضم في البداية، أو مع وصول أول حاكم للإقليم. وتطرق للصراع بين السناتو وطبقة الفرسان وأثره على الإقليم. وزيارة لوكولوس أحد ضباط سولا للإقليم، ووصول أول حاكم روماني للإقليم، بعد ترك الإقليم لأكثر من عشرين عاما، يعاني الفوضى والحروب وحكم الطغاة.

الكلمات المفتاحية: قورينا، حاكم، رومان، ليبيا.

Abstract:

This paper deals with the situation of the Cyrenean region, since its last king, Ptolemy Apion, bequest it to the Roman, in 96 BC., until the arrival of the first Roman ruler to the region 74 BC. Dealt with the analysis of the circumstances that prompted him to do so, the conditions of cities and royal lands, the relationship of the Libyan tribes to the region, and their interference in the conflict between tyrants. The researcher discussed whether the region had paid taxes to Rome, since the date of the annexation, in the beginning, or with the arrival of the first governor of the region. In addition, dealt with the conflict between Senate and the equestrian and its impact on the region. Moreover, the visit of Lucullus, one of Sulla's officers, to the region, and the arrival of the first Roman governor to the region, after leaving the region for more than twenty years, suffering chaos, wars, and the rule of tyrants.

Key words: Cyrene, Province, Governor, Roman, Libya.

جاء ضم قورينا لروما حسب وصية ملكها بطليموس أبيون، وذلك عام 96 قبل الميلاد، إلا أنه لم يتم تنظيمها كولاية، إلا بعد مرور أكثر من عشرين عاماً، ومن الطبيعي أن يثير هذا بشكل طبيعي فضول الدارس. لكن المصادر المتفرقة عادةً ما تكون محيرة في اختصارها. والأعمال الحديثة ازداد عددها بواسطة التنقيبات الأثرية المكثفة للمدينة والإقليم، التي أجريت أثناء الاحتلال الإيطالي لبرقة، غالبًا ما تكون متناقضة ليس فقط مع بعضها البعض، بل حتى مع الأدلة القديمة التي لا تزال موجودة.

وعليه فإن إعادة استنطاق مصادر قورينا ومناطقها الداخلية، من نهاية الحكم البطلمي إلى تنظيم الإقليم كولاية رومانية، قد يكون مفيداً. سيتعين على دراسة كهذه أن توازن باستمرار بين الفروق الضئيلة في الاحتمالات، ولكن يبدو أن بعض المصادر لم يتم استثمارها، إلى الحد الذي يمكننا معه استخلاص المعلومات منها. وحتى النتائج السلبية قد تساعد في فهمنا أكثر، لفترة صعبة في تاريخ التأسيس القديم والشهير لأسرة باتوس، وكذلك توضيح بعض الجوانب الثانوية للسياسة الرومانية في ذلك الوقت.

لا يُعرف سوى القليل جدًا عن أبيون -آخر ممثل للسلالة اللاجيدية (البطلمية) في قورينا[1]، ومعظم إفادات المؤرخين القدماء النادرة عنه كانت موضع شك من قبل العلماء المعاصرين في جانب أو آخر. أصبح ابن بطليموس الثامن- يورجيتيس الثاني (فيسكون)، (المتوفى 116 قبل الميلاد)، من قبل محظية- أصبح حاكمًا لقورينا قبل نهاية القرن الثاني في ظل ظروف أشارت الأدلة المكتشفة في العصر الحديث أنها غير مؤكدة تمامًا[2]. وعندما توفي عام 96 قبل الميلاد، أوصى بمملكته لروما[3]. في ظل ندرة المعلومات ذات الصلة، فإنه من

(1) جُمعت الأدلة بواسطة فولكمان، انظر "بطليموس"(29)، في الموسوعة الألمانية، الموسوعة الحقيقية للعصور الكلاسيكية، 23: 2، (1959)، 1738-1737.

(2) طبقًا لجستينوس. 39. 5. 2 من المفترض أنه أصبح ملكًا على قورينا بوصية أبيه، أي في عام 116، لكن إذا كانت SEG، IX، 5 مؤرخة بشكل صحيح إلى 109/8، فإن الوثائق الواردة في هذا النقش، تظهر الفرع الرئيسي لبطالمة الإسكندرية، الذي كان يمارس السيادة على قورينا في ذلك الوقت. حول تاريخ 109/8 وانعكاساته انظر لوتزاتو، "ملاحظات على وصية بطليموس أبيون لصالح روما" في دورية دراسة وتوثيق التاريخ والقانون، 7، (1941)، ص ص. 312-259، خصوصًا 269-263، و288. مع مزيد من المناقشة من قبل لوتزاتو، النقوش القانونية اليونانية واللاتينية، 3، (1949-1939)، في دورية دراسة وتوثيق التاريخ والقانون، 17، ملحق، روما، (1951)، ص. 163. وقبل اكتشاف النقش انظر، أوغست بوشي ليكلير، تاريخ اللاجيديين، المجلد 2، باريس، (1904)، ص. 86، هامش 2. شك في سيادة أبيون المطلقة على قورينا. انظر أيضًا أوتتو، وبينجستون، "حول تاريخ اضمحلال إمبراطورية البطالمة"، في أطروحات / الأكاديمية البافارية للعلوم، المدرسة الفلسفية التاريخية، 17، (1938)، ص ص. 123-122، 175-174، 188-187. من ناحية أخرى، قانون قراصنة دلفي المزعوم، (SEG ، الثالث ، 378) الوارد عند جريندينج و كلاي، مصادر التاريخ الروماني، 133- 70 ق.م، الطبعة الثانية، تحرير جراي، منشورات أكسفورد،(1960)، ص ص. 281-279، و B 9-8.، تظهر قورينا بوضوح كمملكة مستقلة، لأنها تشير إلى ثلاثة ملوك منفصلين في قبرص والإسكندرية ومصر، وقورينا (حوالي 100 قبل الميلاد). يعتقد علماء آخرون أن أبيون كان نائبًا لوالده في قورينا بعد عودة الأخير إلى الإسكندرية في 145، لكن هذه فرضية محضة، ورُفضت كما لم يثبتها فولكمان (أعلاه، رقم 1)، عمود. 1737.

(3) حول التاريخ: أوبسيكوينس، 49 (109)، (الملك المصري). كاسيودوروس، الحوليات، S.U.A 658 وهذا الاختصار يعني (منذ إنشاء المدينة "روما") (مومسن، تأريخ الأحداث الصغرى، المجلد الثاني، 132)، أكده ليفيوس، الحدث،

غـير المجـدي إلى حـد كبـير، التكهـن بطبيعـة الدوافـع التـي دفعـت الملـك إلى اتخـاذ هـذه الخطـوة. وجـرت العـادة عـلى افـتراض أنـه لـم يكـن لـه ورثـة طبيعيـون، وحتـى إن كان ذلـك محتمـلاً، فسـيظل محـض افـتراض. ولذلـك فـإن النظريـة القائلـة بأنـه كان عـلى خـلاف مـع أقاربـه في الإسـكندرية هـي أيضـاً غـير مـبررة[4]. مـن الواضـح أنـه قـد كان متأثـراً بوالـده، الـذي صـارت وصيتـه -بـأن يكـون الشـعب الرومانـي وريثـاً لـه (سلسـلة النقـوش اليونانيـة، المجلـد، 9، النقـش السـابع) (SEG. ix. 7)- غـير نافـذة بـولادة الأطفـال، لكـن الظـروف الخاصـة غـير معروفـة.

مـن الواضـح أن مملكـة قورينـا قـد شـملت ثلاثـة مناطـق محـددة: المـدن (بوليس، أي قورينـا والمناطـق المجـاورة التابعـة لهـا)، والريـف (chora)، والأراضي الملكيـة (agri regii = get basilike).

ميّـزت وصيـة يورجيتيـس الثانـي بـين المـدن والريـف[5]، ولا شـك في أن مجلـس الشـيوخ الرومانـي في عـام 96 قـد تعامـل مـع المـدن بشـكل يختلـف عـن غيرهـا في الإقليـم، لأنـه أمـر بـأن تكـون مـدن "حـرة" (ليـبراس، ليفيـوس، الحـدث، 70). وقـد قيـل مؤخـرًا أن أبيـون قـد حـرر المـدن في وصيتـه، مثـل مـا فعـل أتاللـوس الثالـث،

70. للوصيـة انظـر: سالـوست، التواريـخ، 1. 10. (بخصـوص الخلـط مـع قـبرص، انظـر: مورينبريـشر، المرجـع نفسـه)، جوسـتينوس. 39. 5. 2. تاكيتـوس، الحوليـات، 14. 18. أبيانـوس، الحـرب الأهليـة، 1. 111. أبيانـوس، الحـروب الميثريداتيـة، 121. هيجينـوس، حـول طبيعـة الحقـول، ص 85 (نسـخة ثولـين). أميانـوس ماركيلينـوس، 22. 16. 40. يوتروبيـوس، 6. 11. 2. = التاريـخ المجمـع، 6. 10. روفـوس فيسـتوس، 13. جوردانيـس، الحكـم، ص. 41. هيرونيمـوس (جـيروم)، الحوليـات، الأولمبيـاد، 171. 2، والأولمبيـاد، 178، 4. يسـجل الحـدث في وقتـين مختلفـين. حـول الارتبـاك في المصـادر القديمـة المتأخـرة حـول التاريـخ (ذو شـقين وصيـة أبيـون وتشـكيل الولايـة) انظـر ثريـدج، تاريـخ قورينـا، كوبنهاجـن، 1828، (الاقتبـاس سـيكون مـن طبعـة 1940)، ص ص 308-305 (عمـل ثريـدج متقـن، وجمعـه للبيانـات المتاحـة لـه وافي وشـامل، وحكمـه معقـول ومؤكـد بانتظـام). روسـبيرج، مسـائل تتعلـق بشـؤون ولايـة قورينـا الرومانيـة، أطروحـة، ليبـزج، (1876)، ص 11. بورغيسـي، أعمـال كاملـة، 2، باريـس، (1864)، ص ص. 396-395. وصيـة والـد أبيـون غـير المفعلـة (SEG, IX, 7)، التـي أورثـت أيضًـا القيروانـي لرومـا سـهلت الالتبـاس حـول هـذه النقطـة. (حتـى لوتزاتـو، دراسـة وتوثيـق التاريـخ، 7، 1941، ص. 287). الحجـة الأخـيرة، التـي كانـت تـورث قورينـا لرومـا إذا لـم يكـن لـدى يورجيتيـس أطفـال (II. 14-13)، أصبحـت باطلـة بشـكل واضـح عندمـا كان لديـه "ورثـة". لا أسـتطيع أن أتبـع حجـة أوليفيريـو، (لـوح بطليمـوس نيوتـيروس، ملـك قورينـا)، وثائـق أفريقيـا الإيطاليـة القديمـة، I، ص ص. 84-11، II، ص. 84، و78-75. عندمـا يعتقـد أنـه عـلى الرغـم مـن أن الوصيـة السـابقة كانـت باطلـة في القانـون، إلا أنـه "يبـدو أنـه لا يـزال يتـم الاعـتراف بـه ضمنيًـا في الواقـع"، يبـدو أن التبـاس المصـادر المتأخـرة قـد تـم تفسـيره بالكامـل بالسـبب المشـار إليـه أعـلاه. وكان رأي ف. بيجوينـو أقـل قبـولًا (انظـر برقـة، في الموسـوعة الإيطاليـة، 10، (1931)، ص ص. 429-417)، إلى أن أبيـون حكمهـا "بامتيـاز" مـن رومـا. راجـع لوتزاتـو، دراسـة وتوثيـق التاريـخ، 7، (1941)، ص. 259، هامـش 1. مثـل هـذا الموقـف كان يجـب أن يصـدر عـن عمـل رومانـي إضـافي مـن نوع مـا (لا يوجـد دليـل عـلى ذلـك في المصـادر)، لأنـه عندمـا يتـم إبطـال تفعيـل الوصيـة بسـبب مخالفـة قانونيـة، يتـم إبطالهـا أيضًـا في الواقـع فيمـا يتعلـق بالحجـة المعنيـة (راجـع لوتزاتـو، المرجـع السـابق، ص. 305).

(4) عـدم وجـود ورثـة: عـلى سـبيل المثـال، ل. هومـو، "الرومـان في طرابلـس وبرقـة"، مجلـة العالـمين، 20، (مارس-أبريـل، 1914)، ص ص. 423-389، خصوصًـا ص 401. كراهيـة الأقـارب: عـلى سـبيل المثـال، تشاشـيري، العمليـات السياسـية والعلاقـات الدوليـة، رومـا، (1918)، ص. 52. العديـد مـن الدوافـع العامـة، التـي أثـرت عـلى أتالـوس بيرغامـوم قبـل جيـل، قـد تكـون فعالـة أيضًـا في حالـة أبيـون. انظـر د. ماجـي، الحكـم الرومانـي في آسـيا الصغـرى (مجلديـن، برينسـتون، 1950)، المجلـد الأول، ص. 32. المجلـد الثانـي، ص. 780، هامـش. 91.

(5) SEG, IX, 7, 1. 20 ، لقـد تمـت الإشـارة إلى هـذا في كثـير مـن الأحيـان، عـلى سـبيل المثـال، أوليفيريـو، وثائـق أفريقيـا الإيطاليـة القديمـة، (1933-1932)، I، ص ص. 57-56. إلى أي مـدى ينبغـي إدراج الأراضي الملكيـة في تصنيـف أراضي الريـف، يبـدو مـن المسـتحيل تحديـده عـلى وجـه اليقـين.

ملك برجامة في وصيته[6]. من المحتمل أن الأول أوصى في وصيته بأن يحرر الرومان المدن[7]. ولكن وفقًا لبيان مصدرنا، فقد مُنحت المدن حريتها بأمر من مجلس الشيوخ الروماني، وبالتالي، فلابد أنه اُستُنِد بشكل قانوني على هذا الإعفاء. سيكون أيضًا من الطبيعي، أن نتوقع أن يحذو أبيون حذو أبيه، الذي ترك المدينة والريف لروما، على عكس ما فعل أتالوس[8].

ليس من الواضح ما إذا كانت المدن قد أُعفيت من الضرائب وصارت حُرة من قبل روما. لقد أقر على أسس عامة أن منح الحرية ربما يعني ضمنياً أو يشمل منح الإعفاء من الضرائب[9]. لكن هذا لا يتبع بأي حال من الأحوال. وأشهر مثال على ذلك هو مقدونيا بعد "الحرب المقدونية الثالثة". صدر مرسوم مجلس الشيوخ لتوجيهات إيميليوس بولس والمفوضين العشرة الذين أرسلوا لمساعدته في تنظيم شؤون مقدونيا، بشرط أن تكون مملكة بيرسيوس السابقة "حرة"، لكن يجب عليها أن تدفع لروما نصف الجزية التي كانت تدفع سابقًا، تم وضع حكم مماثل لمملكة جنثيوث الإيليرية (ليفيوس. 45. 18. 1 ، 7. 8). كان علماء آخرون إيجابيين في اعتقادهم في أن قورينا قد دفعت الضريبة للخزانة الرومانية[10]. لسوء الحظ، فإن الأدلة على هذه النقطة بعيدة كل البعد عن الوضوح. بليني الأكبر (التاريخ الطبيعي، 19. 40)، يذكر في 93 قبل الميلاد، أن "ثلاثين رطلاً من عصير السيلفيوم قد تم نقلها من قورينا لروما بتفويض من الولاية"، وفي بداية الحرب الأهلية، عثر قيصر على 1500 رطلاً من السيلفيوم في الخزانة العامة. يمكن أن تدعم هذه البيانات أكثر من استنتاج. فمن الممكن أنه قد تم جلب السيلفيوم لروما كجزية عام 93، لكنها قد تمثل أيضًا هدية من

(6) OGIS، (مختارات من النقوش اليونانية الشرقية)، 337، 338. 1. 5. لوتزاتو، دراسة وتوثيق التاريخ، 7، (1941)، ص. 306، هامش. 156. يبدو أنه قد أدى إلى هذا الاستنتاج من خلال قراءة خاطئة مفاجئة لليفيوس، الحادثة، 70، حيث أوردها مرتين (ص. 278، ص. 307، هامش. 160)، فقد طبع " بطليموس... أورث الشعب الروماني مملكته، وترك المدن حرة بأمره، ومات" وبالتالي حذف كلمة "السناتو" بعد كلمة "المواطنون" وجعل "بطليموس" هو صاحب "القرار"، لا أجد أي سلطة لمثل هذا التفسير في النص، عند روسباخ أو شليزنجر. بالرغم من أن لوتزاتو، تبعه فولكمان، في الموسوعة الألمانية، الموسوعة الحقيقية للعصور الكلاسيكية، 23: 2، (1959)، 1738.

(7) أنظر: بترو رومانيلي، برقة الرومانية (96 ق.م – 642م)، فيربانيا، (1943)، ص. 42. جوردانيس، الحكم والمتعاقبين عليه، ص. 41، "ليبيا، هذه هي المدن الخمس بأكملها ...، عاشت في ظل الحرية الرومانية المعترف بها" يمكن تجاهلها، لا سيما أنها تخلط بين منح منفصل من قبل "بطليموس" و "أبيون".

(8) بالرغم من أن لوتزاتو، دراسة وتوثيق التاريخ، 7، (1941)، ص. 305، تركت وصية يورجيتيس المملكة إلى روما بشرط عدم وجود الورثة الطبيعيين، (SEG., IX, 7, II. 15–13)، والملك يناشد الرومان الإحسان والاهتمام بالمدن والريف بنفس الشروط (II. 22–18).

(9) جونز، مدن الولايات الرومانية الشرقية، (أكسفورد، 1937)، ص. 362. أيضًا باربيني، أنظر: (قورينااات) في روجيريو، قاموس علم النقوش الرومانية، المجلد الثاني، الجزء الثاني، (1910)، ص ص. 1436–1430، خصوصًا ص. 1431. رومانيلي، برقة، ص. 40. هامش.2.

(10) هومو، مجلة العالمين، 20، (مارس–أبريل، 1914)، ص. 401. ألان رو، تاريخ برقة القديمة، (القاهرة، 1948)، ص. 45. بيفان، تاريخ مصر تحت حكم البطالمة، (لندن، 1927)، ص. 332. فرنسوا شامو، تاريخ قورينا في عهد ملوكها الباتيين، (باريس، 1953)، ص. 250، وهامش، 1. ماركوارت، إدارة الدولة الرومانية، المجلد الأول، الجزء الثاني، (ليبزج، 1881)، ص. 459. أوليفيريو، وثائق أفريقيا الإيطالية القديمة، (1933–1932)، I، ص 83.

حكومة قورينا، ومثل هذه الهدية أيضًا قد تكون " نيابة عن الولاية"، ولم تكن مثل هذه الهدايا "للشعب الروماني" غير شائعة على أي حال. علاوة على ذلك، فإن تاريخ 93 قبل الميلاد (المُحدَّد بواسطة قناصل ذلك العام) كان مفاجئاً بعض الشيء، فمن الممكن أن يستنتج أن سبب تقديم بليني لهذه المعلومات عن عام 93، هو أنه في تلك السنة بدأت قوائم ودائع السيلفيوم في الخزانة الرومانية، أو لأن ودائع السيلفيوم في ذلك العام كانت كبيرة بشكل غير عادي. إذا كانت ودائع السيلفيوم هي من حصيلة الضرائب، وبدأت عام 93 فلماذا التأخير؟ إذا كانت روما قد ضمت قورينا عام 96 وقررت فرض ضرائب على السيلفيوم، فلعلنا نفترض أن 95 هي السنة الأولى للضرائب، وأن سنة 94 هي سنة الشحنة الأولى إلى روما. لكن التأخير لمدة عام إضافي هو شيء يصعب تفسيره بعض الشيء. إذا كانت الكمية كبيرة بشكل واضح، فلماذا إذاً كانت كبيرة؟ قد يكون أحد التفسيرات هو أن الحكومة المحلية في قورينا في ذلك الوقت، ربما كانت ترغب في استمالة أو استرضاء مجلس الشيوخ[11]. ومع ذلك، فإن الكمية الكبيرة التي وجدها قيصر في الخزانة، تشير إلى أن هذا كان زيادة في حجم الضريبة الاعتيادية من السيلفيوم للخزانة. إذا كان الأمر كذلك، فهل تم فرض الضريبة منذ البداية، أم فقط بعد التنظيم المؤكد للولاية عام 75 أو 74؟[12]. لعل الاحتمال الأكبر هو أنه إذا كان السيلفيوم هو حصيلة لضريبة، فقد تم فرض هذه الضريبة منذ البداية، على أساس أن الحكومة الرومانية، نادرًا ما غيرت مثل هذه الترتيبات، مثل فرض دفع الضرائب، أو عدم فرضها كعقوبة لبعض التصرفات غير المرغوب فيها (مثل تمرد أو سوء سلوك تجاه روما)، وفي الحقيقة فإن مصادرنا القليلة جداً ليس بها أثر لمثل هذه الحادثة. من ناحية أخرى، إذا كان صحيحًا كما سيُناقش أدناه، أن الجانب المالي كان هو الدافع الرئيسي لتنظيم قورينا كولاية في 75/4، فإن فرض ضريبة جديدة في ذلك الوقت هو الراجح أكثر، ومن ثمَّ فإن الثلاثين رطلاً من السيلفيوم في عام 93، ستكون هدية من قورينا.

إذا كانت هذه ضريبة، فعلى من تجبى؟ كان السيلفيوم نباتًا بريًا، وعلى ما يبدو أنه لم ينمو (بكميات تجارية على الأقل) في أراضي مدن قورينا. يبدو أنه تم العثور عليه في الأراضي شبه القاحلة من المناطق الداخلية المجاورة على طول الصحراء إلى الجنوب. تاريخياً، حصل القوريناون على هذه المادة المهمة لتجارتهم من خلال التجارة مع القبائل المحلية[13]. ومن ثم فإن الضريبة -من الناحية النظرية- كان من الممكن أن تُفرض على السكان المحليين. ولا يبدو على

(11) لا يمكننا حتى استبعاد احتمال أن السيلفيوم، جاء من ضريبة على التجارة في محطتها الأخيرة بإيطاليا، قارن: بلاوتوس، مسرحية الحبل، 631-629.

(12) هيل، الطبقة الوسطى الرومانية في العصر الجمهوري، (أكسفورد، 1952)، ص. 77، يعتقد أنه من غير المحتمل أن يتم تحصيل أي جزية على المقاطعة حتى عام 74، وأن السيلفيوم جاء من العقارات الملكية السابقة.

(13) ثوفراستوس، تاريخ النبات، 9. 1. 7؛ سترابو 17. 837؛ بطوليميوس، الجغرافيا، 4. 4. 6؛ جونز، المرجع السابق، ص 356، 485-484، هامش. 7؛ شامو، المرجع السابق، ص. 249-248.

أي حال (انظر أدناه) أن الرومان كانوا قد تعاملوا مع السكان المحليين في هذا التاريخ المبكر، لذلك فإن الضريبة، إذا كانت ضريبة فعلاً، فلا بد أنه تم فرضها على النبات، بعد أن وصل إلى أيدي سكان المدن اليونانية. ولا يمكننا الإجابة على الإطلاق، إذا ما تسألنا عمَّا إذا كانت هذه هي الضريبة الوحيدة المفروضة[14]. أخيرًا، أكد إم. كاري[15]، أن مجلس الشيوخ أرسل "مفوضًا" لتولي مسؤولية أملاك أبيون، ولجني فوائد تجارة السيلفيوم المربحة. وعليه فمن المفترض أن السيلفيوم جاء من الأراضي الملكية السابقة، وكان إيجارًا أكثر من كونه ضريبة، ولكن بصرف النظر عن حقيقة أن "المفوض" افتراضي بحت، فإن الدليل الذي لدينا، يشير إلى أن الأراضي الملكية قد تم استغلالها في المقام الأول كمزارع وعلى حساب نبات السيلفيوم البري (بليني 19. 39)، ومن ثم، إذا كانت المناقشة السابقة كافية، فكل ما يمكننا قوله بشكل صحيح، هو أن الحكومة الرومانية تلقت السيلفيوم من قورينا حتى وقت قيصر، سواء كان ذلك "هدية مجانية" (والتي كان يمكن أن "تعزز" لتصبح ضريبة فعالة)، أو كضريبة[16]. ولكن يبدو أن عائدات السيلفيوم تضاءلت بسرعة. كان النبات نادرًا في العقود الأولى من العصر المسيحي (سكريبونيوس لارجوس، 67)، وانقرض تقريبًا بحلول وقت نيرون (بليني (19. 39، وهذا راجع مناصفة بين، إهمال محصلي الضرائب الرومان، والغزوات البربرية، أو هكذا يعتقد القدماء (بليني المصدر نفسه، سترابو 17. . 837، صولين 27. 49).

لقد ورّث أبيون في وصيته ممتلكاته للشعب الروماني[17]، وكذلك الريف مع قبائله المحلية[18]. في حين تظهر النقوش أن بعض هذه العقارات ربما كانت صغيرة نسبيًا ومنتشرة حول المملكة (خاصة 166 ، 165 ، IX ، SEG)، ويبدو أن معظمها كانت مساحات شاسعة في الريف، حيث تم مسحها باستخدام وحدة تبلغ مساحتها حوالي ميل مربع[19]. من المحتمل أن معظم هذه المساحات

(14) روسبيرج، المرجع السابق، ص. 17.

(15) تاريخ كامبريدج القديم، المجلد التاسع، ص. 390-389. قارن: هيل، المرجع السابق، ص 77.

(16) أو، على ما يبدو البديل الأقل ترجيحًا، كعائدات من الأراضي الملكية. لكن هذا تلميح عن جامعي الضرائب، انظر أدناه. أيضًا، كان من الصعب على جامعي الضرائب، الإشراف على جمع النباتات البرية من قبل البدو الرحل أو شبه الرحل، حتى يتم جلبها للمدينة، ميناء الخروج للتجارة المتوسطية، وتسليمها إلى أيدي التجار المستقرين. بالتأكيد، إذا كانت المبادرة في فرض رسوم على السيلفيوم تعود إلى روما، فإن أسهل طريقة متاحة لمجلس الشيوخ هي فرض مبلغ سنوي ثابت على المدن "الحرة". لا عجب أن جامعي الضرائب، فضلوا تربية الحيوانات.

(17) شيشرون، القانون الزراعي، 2. 51. تاكيتوس، الحوليات، 14. 18. هيجينوس، حول طبيعة الحقول، ص 85 (نسخة ثولين). قارن: ملحق النقوش اليونانية (SEG)، المجلد التاسع، النقوش رقم، 165، 166، 352، 360. شيشرون، قانون مانيليا، 4. 780-779. غامضة جدًا بحيث لا تعني الكثير. فكرة مومسن (تاريخ روما، 2، 264) بأن مجلس الشيوخ قدم للمدن اليونانية حق الانتفاع بالمناطق الملكية، لا أساس لها من الصحة، وتتعارض مع ما جاء عند بليني. التاريخ الطبيعي، 19. 39.

(18) نحن واثقون في افتراضنا بوجود قبائل محلية خاضعة للمملكة في مرماريكا، وربما في أماكن أخرى، ربما يشار إليها في بوليبيوس، 31. 18. 9 (راجع 6). ماتشو، "قورينا: المدينة والحاكم في الفترة الهلنستية"، المجلة التاريخية، العدد 205، (1951)، ص ص. 55-41، في صفحة 52.

(19) هيجينوس، حول طبيعة الحقول، ص. 85 (نسخة ثولين). جونز، المرجع السابق، ص. 362.

الكبيرة، كانت شبه قاحلة ومناسبة لتربية المواشي أكثر من الزراعة المكثفة، أو لجمع نبات السيلفيوم (بليني 19. 39). على الأقل، استغلها محصلي الضرائب الرومان كمزارع على حساب جمع السيلفيوم. أما فيما يتعلق بالقبائل المحلية، فيبدو أنهم قد تُركوا وشأنهم حتى 75/4. وعلى أية حال، فبعد عدة سنوات من وفاة أبيون، تمكن أمير محلي من التدخل في الشؤون الداخلية لقورينا دون عوائق (بلوتارخ، الأخلاق 257 a–c). يبدو من المؤكد إلى حد ما، أن هذه القبائل تركتها روما "حرة" بالمعنى المطلق للكلمة، أكثر بكثير مما كان في المدن.

لعل السؤال المهم هنا هو عمَّا كان عليه الوجود الروماني في قورينا قبل 75/4 قبل الميلاد. قبل أن تتحصل على صلاحيات الولاية، أي "مجال نشاط" لمسؤول في الحكومة الرومانية، من الواضح أنه لم يكن هناك حاكم ولا موظفين تابعين له. بصرف النظر عن كاري، لا يوجد دليل على إرسال مفوض "سيلفيوم" من قبل مجلس الشيوخ. إذا كانت هناك ضريبة على السيلفيوم، فمن الممكن أن يتم تحصيلها من قبل المدن وإرسالها إلى روما، خاصةً إذا كان المبلغ ثابتًا وليس متعلقاً بقيمة التجارة كل عام[20]. تم استغلال الأراضي الملكية من قبل محصلي الضرائب، ولكن أول ذكر موجود لهذا الأخير حدث في 54 قبل الميلاد. (شيشرون. بلانكيوس. 63). من المعروف أن روما فضلت حكم الأقلية في الأماكن الخاضعة لسيطرتها أو نفوذها، لكن القلة الحاكمة في قورينا في السنوات التي تلت 96، تم عزلهم بالكامل عن مواردهم الخاصة (بلوتارخ الأخلاق 256a ، راجع 257 d: (النبلاء)). لا شك أننا في تقلبات قورينا من 96 إلى 74 لا نجد أدنى تلميح من الأدلة الضئيلة، على أن محصلي الضرائب الرومان قد واجهوا أي صعوبة، على الرغم من أن تلك الصعوبات وإن كانت موجودة بالفعل، فلا يمكن أن تكون مصالحهم قد تأثرت سلبًا. واجه مجلس الشيوخ كل أنواع الصعوبات على عائدات آسيا من وصية أتالوس. في التسعينيات، أصبحت علاقات مجلس الشيوخ مع فئة الفرسان، المسيطرين على شركات تحصيل الضرائب، أكثر توتراً من أي وقت مضى. في وقت مبكر من عام 168، عندما كان محصلي الضرائب وأصدقاؤهم المؤثرون في روما، أقل صخباً بكثير مما كان عليه الحال في 96، كان بإمكان مجلس الشيوخ، أن يعلن بوضوح في وثيقة رسمية، وجوب إلغاء زراعة الأراضي الملكية في مقدونيا، بما أنها لا يمكن أن تتم دون تدخل محصلي الضرائب، وحيث أنه كان هناك محصلي ضرائب، فإما أنه قد تم إبطال حقوق الشعب (الروماني) أو تعطيل "حرية" الحلفاء المقلقة (ليفيوس 45. 18. 18. 4-3). وعلى ما يبدو بما أن مناجم مقدونيا كانت محل اهتمام، فمن المفيد ملاحظة أن مجلس الشيوخ، غير رأيه بعد عشر سنوات (كاسيودوروس، الحوليات، 130 ،II، تحرير مومسن). باختصار، فإنه على الرغم من ضعف الحجة المعروف، جراء الصمت أي لغياب الدليل، وأن

(20) تعني: (stipendium) ضريبة أو دفع، (شيشرون، ضد فيريس، 2. 3. 12). هولز، الجمهورية الرومانية ومؤسس الإمبراطورية، 1، (أكسفورد، 1923)، ص. 124، يعتقد أن قورينا دفعت مثل هذه الضريبة الثابتة، ولكن مرة أخرى لا يوجد دليل محدد.

الحجة ليست أقوى بكثير من نزعة مجلس الشيوخ في عام 96 قبل الميلاد، فإن المرء يميل بشدة إلى الاعتقاد، بأنه لم يكن هناك لا مسؤول روماني رسمي ولا شبه رسمي، متمركزاً في البلاد قبل 74/75 قبل الميلاد[21].

يبدو من خلال هذه المناقشة، أنه من المؤكد إلى حد ما، أن مجلس الشيوخ لم تكن لديه الرغبة الشديدة في الاستحواذ على قورينا في عام 96 قبل الميلاد. إلا أنه يبدو من المشكوك فيه، أن أعضاء مجلس الشيوخ قد فوجئوا بوصية أبيون، أي بمعنى أنهم قد علموا بها فقط عند وفاة الملك[22]، سيكون من غير العملي سياسياً، ألا يحاول الملك الحليف أن يتقرب من السلطة الحامية بنشر مثل هذه الوثيقة[23]؛ فبالتأكيد لم يخفِ والد أبيون نواياه. من ناحية أخرى، لا يوجد سبب للاعتقاد بأن الوصية كانت نتاج دهاء روماني. كان يُنظر إلى روما على أنها تتبع سياسة خبيثة إلى حد ما، ومكيافيللية مناهضة للبطلمية خلال النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد[24]، وهي سياسة تهدف -على الأرجح- إلى إضعاف قوة السلالة اللاجيدية الحاكمة، لأن مجلس الشيوخ رأى فيها نوعًا من التهديد المحتمل. صحيح أن الحكومة الرومانية قد فضلت دائماً، تقسيم السلطة البطلمية تحت ملوك منفصلين، في كل من الإسكندرية وقبرص وقورينا، وكلما أتيحت لها فرصة التدخل في نزاعات العائلة اللاجيدية. ومع ذلك وبحلول نهاية القرن الثاني لم تكن روما -التي كانت تفكر ملياً في هذا الاقتتال العائلي الشرس، وكذلك الصعوبات التي واجهها البطالمة اللاحقون في السيطرة على مصر نفسها- لم تكن قد شعرت بأي تخوف حقيقي من الخطر من ذلك الجانب. كما أن الاستقبال الغامض، الذي أعطته حكومة الإسكندرية لملازم سولا لوكولوس عام 86 ق.م (بلوتارخ. لوكولوس. 2. 3-8. 1)، يعني أن استياء البطالمة من روما كان له تأثير عملي. من الأصح تفسير تصرفات بطليموس، على أنها تنطلق من الخوف من التورط في نزاع سولا وماريوس في روما ، من خلال إظهار محاباته لسولا بشكل مفرط. كذلك من المقترح[25]، أن بطليموس

(21) يبدو كما لو أن الحكومة الرومانية، لم تكلف نفسها عناء مسح الحدود، التي ربما تكون غير واضحة المعالم، للعقارات الملكية البطلمية حتى وقت فيسباسيان (هيجينوس، حول طبيعة الحقول، ص ص. 86-85. (نسخة ثولين).) بشكل عام، حتى بعد 74/75 قورينا تم التعامل معها بإهمال كبير حتى وقت أغسطس (رومانيلي، برقة، ص 64) عندما تم إدخال قواعد مستنيرة للإدارة الجيدة والعدالة.

(22) كما يعتقد، أوغست بوشي ليكليرك، (المرجع السابق، II ، 108) وتشاشيري (المرجع السابق، ص. 52).

(23) قارن أوليفيريو، وثائق أفريقيا الإيطالية القديمة، (1933-1932)، I، ص. 83.

(24) لوتزاتو، دراسة وتوثيق التاريخ، 7، (1941)، ص 286-284. قارن أوليفيريو، وثائق أفريقيا الإيطالية القديمة، (1932 - 1933)، I، ص ص. 31، 79. باريبيني، قاموس علم النقوش الرومانية، المجلد الثاني، الجزء الثاني، (1910)، ص. 1431. يقول إن الرومان يفضلون أن تكون لهم دولة صغيرة في إفريقيا الرومانية (96)، بدلاً من مصر القوية. يرى فولكمان أن الحكومة الرومانية منزعجة من تقوية وتعزيز الحكومة المصرية بعد وفاة كليوباترا الثالثة، (في الموسوعة الألمانية، الموسوعة الحقيقية للعصور الكلاسيكية، 23: 2، (1959)، 1738.)

(25) لوتزاتو، دراسة وتوثيق التاريخ، 7، (1941)، ص: 290-288، كل هذا يعتمد على التأريخ (المثير للجدل) الوارد في (SEG. IX. 5)، إلى 109/108، وبيان جوستين أن أبيون أصبح حاكم قورينا في 116. ومن ثم لابد أن بطليموس سوتر

السكندري (سوتير الثاني)، قد استولى على قورينا من أبيون، وأن روما هي من فرضت عودة قورينا لأبيون (بعد 109/8 وقبل حوالي 100 قبل الميلاد). لكن هذا الحدث- الذي لم تترك مصادرنا الكاملة إلى حد ما أي أثر له- يجب أن يكون قد حدث بينما كانت روما متورطة مع يوغرطة والشماليين، بالإضافة إلى الصراع الداخلي. في ظل هذه الظروف، من الصعب تصور أن الحكومة الرومانية تعمل ضد بطليموس؛ وإذا ما كان الأمر كذلك، فإن نشر الوصية يجب أن يكون سهلاً للغاية، بحيث لا بد أن أي خوف متبقي من مصر في روما قد تبدد تمامًا.

باختصار، يبدو أنه افتراض قوي، أن مجلس الشيوخ قد قبل وصية أبيون، من أجل الإبقاء على أراضي البطالمة مفككة، ببساطة كإجراء احترازي، وأنه لو ذهبت أراضي أبيون إلى أي شخص آخر غير سليل من عائلته، فسيكون مجلس الشيوخ راضياً بالقدر نفسه. ولكن مهما كانت الأسباب، فقد ترك أبيون مملكته لروما. مع ذلك فمن المؤكد أن مجلس الشيوخ لم يرغب في الدفاع عن مقاطعة أخرى في شمال إفريقيا، كما كان الحال في الصعوبات التي واجهها مع يوغرطة. وفي هذا كانت الطريقة أنانية لأنه -وكما هو الحال في مقاطعات غرب إفريقيا- كان الحكم الروماني المقبل في قورينا، مضطرب بشكل متقطع، بسبب ضرورة الحروب الطويلة والمكلفة مع القبائل الصحراوية المجاورة، طوال فترة السيادة الرومانية، حتى القرن السابع الميلادي. علاوة على ذلك، وكما ذكرنا أعلاه، في التوتر العام والمتزايد بين مجلس الشيوخ والفرسان في روما، خلال العقد الذي بدأ مع الانهيار العنيف لساتورنينوس وجلوسيا، وانتهى بانفجار الحرب الاجتماعية، قد يكون الشيوخ قد تركوا حتى أراضي أبيون لهم وحدهم، حتى لا يضطروا إلى تكليف محصلي الضرائب بها[26]. بعد كل هذا، كان لابد من وجود رجال أعمال من طبقة الفرسان وشركائهم في إفريقيا، وهو ما قاد بطريقة أو بأخرى، إلى تورط مجلس الشيوخ المتردد، في حرب يوغرطة بل وحتى في الصعود السريع لماريوس[27]. إذا كان هذا هو الحال، فمن المفترض، أن الفرسان لم يكونوا قد خاضوا، الكثير من النضال للحصول على الامتياز، لاستغلال قورينا لأن علاقاتهم التجارية، ستمنحهم معلومات عن فرص تحقيق الأرباح في المنطقة، وهذه على ما يبدو كانت قليلة، بما أنه في العقود الماضية، وفي ظل سوء الإدارة والنزاع الأهلي البطلمي، دخلت البلاد في انحدار اقتصادي[28].

الثاني قد طرد أبيون من مملكته قبل 109/108. انظر أعلاه، هامش 2.

(26) بشكل عام حول التوتر بين الفصائل في روما في التسعينيات، الذي كان يُعتقد أنها هادئة تمامًا، انظر باديان، "كايبيو ونوربانوس"، هيستوريا، 6. (1957)، ص. 346-318. حول علاقات الأوليغارشية والفرسان، ص: 326، -328 329، 341، 343.

(27) انظر المجلة الأمريكية لفقه اللغة (AJP)، العدد 75، (1954)، ص: 159-147. هيل، المرج السابق، ص: 118-117، 121-120. باديان، العملاء الأجانب (70-264 ق.م)، (أوكسفورد، 1958)، ص: 196.

(28) روستوفتزف، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم الهيللينيستي (SEHHW)، الجزء الثاني، 917، 907، (فسر وترجم النقش الخامسSEG, IX, 5)، لحالة التدهور التي شهدتها البلاد في أواخر القرن الثاني. وفي الجزء الأول،

يمكننا القول أنه عندما وافق مجلس الشيوخ الروماني على وصية أبيون وأعلن أن المدن "حرة"، أي في الأساس خاضعة للشعب الروماني، ولكن لم تعد تخضع للسلطة الملكية[29]، وعلى ما يبدو فقد شرع في تجاهل قورينا ومدنها الأخرى لمدة عشرين عام[30]. سيكون من المثير للاهتمام معرفة ما إذا كانت مدينة قورينا وتلك المدن الأخرى -فيما يسمى بنتابوليس (المدن الخمس) الليبية- قد تصرفت بشكل منفصل تمامًا[31] أو ما إذا كان هناك رابط اتحاد ما قائم فيما بينها كالاتحاد النقدي (كوينون) في القرن الثالث قبل الميلاد[32]. هناك رأيان (أو وجهتا نظر) رغم أنهما لا يثبتان اتحادًا من أي نوع، إلا أنهما يشيران إلى هذا الاتجاه. أولاً: أنه خلال طغيان نيكوكراتيس (الذي سيتم مناقشته قريبًا)، كان بإمكان خصومه قبول المساعدة من أي مكان[33]. قد يعني هذا -من بين أمور أخرى- أن سلطة الطاغية امتدت إلى مدن أخرى في المنطقة، وكذلك على قورينا نفسها. ثانيًا: كان النمط الرسمي للريف فيما بعد -كولاية رومانية أو جزءًا منها- كان ولاية قورينا أو بالقرب من قورينا[34]. في ضوء المحافظة الرومانية المعروفة، في الحفاظ على المؤسسات المحلية على حالها كما وجدت كلما أمكن ذلك (قارن الإسكندرية بمصر)؛ فمن المحتمل أن قورينا شكلت وحدة سياسية مع مدن أخرى في المنطقة، في السنوات التي سبقت 74 قبل الميلاد.

بالنسبة للفترة ما بين 74/75-96 ق.م، فإنه لدينا تاريخ مثبت، وهو أوائل

ص: 333، يشيد بثروتها الطبيعية في وقت سابق، (راجع رومانيلي، برقة الرومانية، في أماتوشي (وآخرون)، في أفريقيا الرومانية، (ميلان، 1935)، ص: 222). يبدو من التعميم العادل أن نقول إنه في القرن الأخير من الجمهورية، لم يكن الفرسان مهتمين بتنمية الثروة الكامنة، بقدر اهتمامهم باستغلالها، حيث كانت متاحة وباستطاعتهم الاستيلاء عليها.

(29) حول معنى (حرة – libertas)، انظر مجلة فقه اللغة، العدد 50. (1955)، ص: 110، هامش 17. وإلى الأدلة التي تم الاستشهاد بها هنا، يضاف يوسيفوس، آثار اليهود، 16. 40، و17. 227.

(30) اقترح مومسن، تاريخ روما، II ، ص: 264، أن قورينا كانت تحت إشراف الحاكم العام لأفريقيا، وهي سيادة رمزية، أكثر بكثير من تلك التي مارستها مقدونيا على زميلتها آخيا (حتمًا، لأن قورينا معزولة عن غرب إفريقيا من خلال أسوأ امتداد صحراوي على طول الساحل الشمالي للقارة). روسبيرج، المرجع السابق، ص. 16، يعتقد أن هذا قد يكون صحيحًا، لكنه يؤكد بشدة على الطابع الاسمي لهذا الإشراف. على الأقل، ليس هناك أدنى تلميح للسيادة الرومانية خلال الثورات في قورينا يمكن وصفها بإيجاز.

(31) على سبيل المثال، روسبيرج، المرجع السابق، ص. 21.

(32) لسوء الحظ، لا توجد عملة واحدة يمكن أن تعزى إلى هذه الفترة: روبنسون، كتالوج عملات برقة اليونانية، (لندن، 1927)، ص. 208. ولوتزاتو، دراسة وتوثيق التاريخ، 7، (1941)، ص. 261، هامش 7. (في صفحة 262) يعتقد أنه يستطيع تتبع بعض أوجه التشابه بين اتحاد (koinon) القرن الثالث و"هيئة" اليونانيين، المشار إليها في قرارات أوغسطس من قورينا (SEG, IX, 8، إهرنبرغ وجونز، وثائق توضح عهود أغسطس وتيبريوس، 311)، لكن هذا يمثل إشكالية كبيرة، على أقل تقدير.

(33) بلوتارخ. 256 A، و ثريدج، المرجع السابق، ص. 315، هام 6، غير متأكد ما إذا كان نيكوكراتيس حكم قورينا فقط، أو الإقليم كله، لكنه يميل إلى الرأي الأول.

(34) قرارات أغسطس في قورينا (أعلاه، رقم 32). في الموضوع كله وخاصة فيما يتعلق بمصطلح القرارات، انظر: لارسن، "قورينا والعصبة اليونانية (Panhellenion)"، دورية فقه اللغة، 57، (1952)، ص: 17-6، خصوصًا ص 8. خلال هذه الورقة، استخدمت المصطلح قورينا لتطبيقه على المدينة وعلى كل المنطقة بأكملها، التي تسمى عادةً برقة في الأعمال الحديثة. إذا أدى ذلك إلى بعض الغموض، ومن المحتمل أن يكون نفس الغموض موجودًا في المصادر.

عـام 86 عندمـا عمـل ل. ليكينيـوس لوكولـوس (L. Licinius Lucullus)، كنائـب لسـولا (Sulla))، ووصـل إلى قورينـا ليجـد الشـعب القورينـا قـد أرهقتـه الحـروب والاسـتبداد المسـتمر[35]. وصـف لنـا بلوتـارخ أحـد هـذه الأنظمـة الاسـتبدادية[36]. ولذلـك فبالتأكيـد أنـه مـن الأفضـل تحديـد وقـت وقـوع الأحـداث الموصوفـة، ومـدى الثقـة التـي يمكـن وضعهـا في روايتـه[37]. فيمـا يتعلـق بالنقطـة الأخـيرة، هنـاك سـبب للاعتقـاد بـأن مـا ذكـره بلوتـارخ يعـود إلى مصـدر معـاصر أو شـبه معـاصر. في عملـه الأخـلاق الفقـرة (E256) يقـول بلوتـارخ "هنـاك الكثـير مـن النقـاش" حـول مـا إذا كانـت أريتافيـلا قاتلـة الطاغيـة، قـد اسـتخدمت جرعـات الحـب لتعزيـز خططهـا. مـن غـير المحتمـل أن حديثـاً كهـذا يـدور في اليونـان بعـد مـضي مائتـي عـام عندمـا كتـب بلوتـارخ. لـم تـترك لنـا أريتافيـلا أي فكـرة أو انطبـاع في المصـادر الكلاسـيكية، بالقـدر الـذي نعرفـه عنهـا، إلا مـن خـلال بلوتـارخ وناسـخه بوليانـوس. إن تفاصيـل مكائـد أريتافيـلا نـادراً مـا تمـت مناقشـتها بشـغف حتـى في قورينـا زمـن بلوتـارخ. لكـن حديـث كهـذا سـيكون ذكـره طبيعيًـا تمامًـا في عمـل مكتـوب أثنـاء قيامهـا بهـذا الفعـل أو ذكـره لاحقـاً كخـبر. بالإضافـة إلى ذلـك، إذا كان هـذا العمـل قـد تـم تخيلـه إلى حـد كبـير بواسـطة بلوتـارخ أو خـلال مراحـل انتقالـه إليـه مـن المصـدر الأصـلي؛ فمـن المحتمـل أن يكـون هنـاك اختـزال كبـير للشـخصيات. بالقـرب مـن بدايـة هـذه الأحـداث، قيـل لنـا أن الطاغيـة نيكوكراتيـس (Nicocrates) قتـل ميلانيبـس (Melanippus) كاهـن أبولـو بيـده، وأنـه قتـل أيضًـا -إمـا مبـاشرة أو بشـكل غـير مبـاشر- فايدمـوس زوج أريتافيلا (الفقـرة 256F)، ثـم أجـبر أريتافيـلا عـلى الـزواج منـه. بعـد ذلـك يختفـي ميلانيبـس مـن القصـة. بمـا أن الخيـال دائمًـا أقـل تعقيـدًا مـن الواقـع، فـإن العـرض الدرامـي الأفضـل سـيكون بدمـج كل مـن ميلانيبـس وفايدمـوس في شـخصية واحـدة. في حقيقـة الأمـر، فـإن القـارئ غـير الحـذر لبلوتـارخ، والباحـث غريزيًـا عـن الدرامـا "كاهتمـام إنسـاني"، ربمـا سـيحتار مـا بـين الاثنـين، وهـو بالضبـط مـا فعلـه بوليانـوس في تسرعـه (8.38.): "نيكوكراتيـس...، بعـد أن قتـل كاهـن أبولـو ميلانيبـوس، تـزوج مـن زوجته أريتافيلا ..."

إن معـاصرة المصـدر قـد تقـدم لنـا أيضًـا دليـلًا عـلى المشـكلة الصعبـة لتاريـخ الاسـتبداد. فقصـة أريتافيـلا عنـد بلوتـارخ لـم تُوجـد في العصـور القديمـة، ولكـن وجـدت في "زمـن ميثريداتيـس". بمـا أن زمـن وقـوع هـذه الأحـداث مؤكـد بوضـوح،

(35) بلوتـارخ، لوكولـوس، 2. 4. قـارن برنهـاردت، التسلسـل الزمنـي للحـروب الميثريداتيـة، (أطروحـة. ماربـورغ، 1896)، ص. 11. التأريـخ غـير الدقيـق، ليوسـيفوس، أثـار اليهـود. 14. 114، "عندمـا عـبر سـولا إلى اليونـان" (87 قبـل الميـلاد)، بطبيعـة الحـال لا داعـي للوقـوف ضـد التسلسـل الزمنـي الأكثـر دقـة لبلوتـارخ، وأبيـان، ميثريداتيـس، 33. وغنـي عـن القـول، أنـه مـن غـير المجـدي ومـن غـير المرجـح أن نفـترض زيارتـين مـن لوكولـوس لقورينـا.

(36) بلوتـارخ، الأخـلاق، 257E-255E (فضائـل النسـاء، 19). وبوليانـوس، 8. 38 هـو مجـرد نسـخ لبلوتـارخ وليـس لـه أي أهميـة مسـتقلة عـلى الإطـلاق.

(37) هـؤلاء العلمـاء الذيـن درسـوا هـذه النقطـة في المـاضي، قـد اكتفـوا بتقريـر مـؤداه أن الروايـة سـليمة بشـكل عـام، عـلى الرغـم مـن أنـه مـن المحتمـل أن تكـون منمقـة إلى حـد مـا بعنـاصر خياليـة. عـلى سـبيل المثـال، رومانيلـي، برقـة الرومانيـة، ص: 45.

في وقت لم تكن فيه سيطرة الرومان ولا البطالمة موجودة، فهي محصورة بين 74-96 قبل الميلاد. "عصر ميثريداتيس" (كما وردت عند بابيت محرر بلوتارخ في سلسلة اللويب)، "تشير على الأرجح إلى الأول (91 أو 90 قبل الميلاد [طرد نيكوميديس من بيثينيا]، أو 89 [تورط ميثريداتيس مع أكويليوس] إلى 85 قبل الميلاد [معاهدة داردانوس]) و/ أو الثانية (82-83 قبل الميلاد) الحروب الميثريداتية. تم استبعاد الحرب الميثريداتية الثالثة، منذ أن أصبحت المنطقة ولاية في وقت اندلاعها تقريبًا. وعليه فقد وقعت هذه الأحداث المذكورة في وقت ما خلال الفترة 82-91. يبدو أن هناك بعض الاحتمالات بأن رواية معاصرة أو شبه معاصرة مكتوبة في قورينا، تشير إلى ميثريداتيس بهذه الطريقة، كانت ستفعل ذلك في وقت كان فيه ميثريداتيس يكتسح كل شيء أمامه، بشكل مثير للإعجاب في آسيا واليونان. إذا كان الأمر كذلك، فإن الإشارة تكون للجزء الأول من الفترة وليس الجزء الأخير. بدورها إذاً، يجب أن تكون سلسلة الأحداث بأكملها قد حدثت قبل وصول لوكولوس (ربيع 86)، لأن المشاكل التي أزالها كانت مختلفة، ولأن أريتافيلا قد نجحت في إدارتها دون أي تدخل من هذا القبيل. مرة أخرى، إذا وقعت هذه الأحداث بعد مهمة لوكولوس (ولكن قبل 82، لأنه لن يكون هناك أي جدوى من ذكر ميثريداتيس للفترة 74/75-82)، فإن التسلسل الزمني صعب إن لم يكن مستحيلًا للتوفيق بينها وبين حديث بلوتارخ (لوكولوس 5.2)، ومهما كان الأمر يستحق بأن القوريناين قد استسلموا بخنوع لمراسيم لوكولوس. وبما أننا قد نفترض بشكل سليم أن لوكولوس لم يكن غير مرغوب فيه بالنسبة الأقلية الحاكمة، فقد يبدو من الغريب بعد زيارته، أن الأخير كان في حيرة تامة من أمره، بشأن المكان الذي يتجه له للحصول على المساعدة، ولم يناشد روما أو سولا، وبالطبع روما وسولا كانا مشغولين كلياً من ناحية أخرى، ولكن ربما ليس تمامًا لدرجة أنه لم يكن بإمكان أي منهما أن يخصص مبعوثًا ليفعل ما فعله لوكولوس، وكانت القلة الحاكمة يائسة في ظل الحكم القاتل لنيكوكراتيس. أخيرًا، يقول بلوتارخ أن أريتافيلا وُجِدت (٧٤٧٥٧٤٧) في زمن ميثريداتيس. إن الطريقة الأكثر طبيعية لتقبل الفعل ستكون كإشارة إلى أفعالها الجريئة، لكن لا يوجد سبب لعدم بدء الاستبداد في وقت ما من قبل، حتى في وقت يعود إلى حوالي 95 أو 94.[38]

أصبح نيكوكراتيس بعد ذلك طاغية قورينا[39] ، ربما حوالي 94 أو 93 قبل

(38) - م يلتزم الدارسون السابقون في هذه الأحداث على وجه التحديد، بالتسلسل الزمني لاستبداد نيكوكراتيس والإطاحة به وكذلك علاقته الزمنية بزيارة لوكولوس، حتى أن بعضهم استخف برأي بلوتارخ، أن لوكولوس أنهى طغيان نيكوكراتيس (أو بالأحرى لياندر). بشكل عام انظر روسبيرج، المرجع السابق، ص ص. 20 -21. ألان رو، المرجع السابق، ص. 45 (يؤرخ مقتل فايدموس بعام 87 قبل الميلاد!). جيسلانزوني، الموسوعة الإيطالية، تحت عنوان: قورينا، (1931)، 10، ص ص. 435-433، و435. رومانيلي، برقة، ص ص. 45-44.

(39) - ربما من المنطقة كلها، انظر أعلاه.

الميلاد[40]. بما أن خصومه كانوا من الأرستقراطيين أو من القلة (بلوتارخ، الأخلاق، 257D)، فقد قتل بعضهم (255F-E)، بينما فر آخرون إلى المنفى، ولكي يمنع الهروب، وضع الطاغية حراس على البوابات ينخسون الجثث بالخناجر وبالمكاوي الساخنة (255F-256A)، وقد نفترض أن الاستيلاء على الممتلكات، كان من بين أعماله الأخرى (العشرة آلاف غير القانونية)، وأن القوة الدافعة وراء الاستبداد كانت الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية. كهكذا وضع كان طبيعيًا تمامًا في ظل تدهور الحالة الاقتصادية لقورينا، وبالنظر إلى ما هو معروف عن الحركات الشعبية في العالم اليوناني في ذلك الوقت[41]. إذا كان بإمكان المرء أن يعمم مما قيل في (256F) من زواج شقيق الطاغية، ومن زواج نيكوكراتيس بالإكراه من أريتافيلا، فقد يكون هناك إعادة لتوزيع النساء وكذلك الثروة، وهو إجراء له العديد من السوابق في التاريخ اليوناني.

أريتافيلا زوجة الطاغية بالإكراه في حداد على كل من زوجها المقتول وفقدان حرية وطنها (وتفهم في ذهنها أن هذا متطابق مع سقوط النظام المتميز الذي هي كانت جزءًا منه)، وصممت على التصرف بنفسها، بما أن حزب الأقلية الذي تنتمي إليه هي وعائلتها قد أصبح ضعيفًا، بسبب النفي والإعدام (والمصادرة). تم اكتشاف خطة تسميم نيكوكراتيس قبل أوانها، لكن أريتافيلا تمكنت من تجنب العقوبة من خلال البقاء صامدة حتى تحت التعذيب، على الرغم من الحدس الأنثوي لوالدة زوجها كالبيا (256A-D) (Calbia). وكان الأمل في أن تكون خطتها التالية أكثر نجاحًا، لكنها فشلت أيضًا. لقد نجحت في أن تفتن لياندر (Leander) شقيق الطاغية بابنتها، وتم الحصول على موافقة نيكوكراتيس على زواجهما. عندئذٍ عملت أريتافيلا على عقل لياندر أولاً بشكل غير مباشر من خلال ابنتها، ثم عن طريق الإقناع المباشر عندما أظهر رضاه. كانت النتيجة نجاح لياندر في تحريض خادم على قتل نيكوكراتيس (256E-F). بينما أصبح لياندر نفسه مجرد طاغية (حوالي 91 قبل الميلاد؟) ولم يلتفت لمن سيكون مستشاره، وحكم بطريقة "مجنونة وغير عقلانية" (256F). هل من الظلم ومن الخطأ الاستنتاج من هذه الفقرة تحت صبغتها المفضلة لأريتافيلا والقلة الحاكمة، أن لياندر كان يمكن أن يستمر كطاغية؟ هل كان على استعداد للحكم لصالح حكم الأقلية، ولعب دور مشابه لذلك الذي رفضته لاحقًا أريتافيلا نفسها (257D)؟

أخيرًا، اتخذت أريتافيلا الخطوة اليائسة المتمثلة في تحريض أمير محلي على مهاجمة قورينا، ثم العمل على شكوك لياندر في تابعيه، وأقنعته بالدخول في مفاوضات شخصية مع الأمير الليبي، الذي خانه مقابل رشوة كبيرة وسلمه للأقلية الحاكمة. بابتهاج عظيم، أُحرقت كالبيا وهي حية، لكن لياندر خُيط في

(40) – إذا كان سيلفيوم 93 ق. قدم كهدية، أو بشكل خاص ضريبة كبيرة جداً من القورينايين (لا يمكن إثبات أي من الفرضيات)، قد يغري المرء أن يرى فيها محاولة من نيكوكراتيس، لكسب تأييد مجلس الشيوخ.

(41) – على سبيل المثال، تارن، الحضارة الهلنستية، (الطبعة الثالثة، بالتعاون مع جي. تي. جريفيث، لندن، 1952)، ص ص.125-124.

كيس جلدي، وألقي به في البحر (حوالي 89 أو 88 قبل الميلاد؟). في حين أنه في ذلك الوقت -وعلى ما يبدو- ساد السلام في قورينا في ظل استعادة الأقلية للحكم (257A-E). لم يتم إخبارنا بذلك، ولكن من المفترض أن الزعيم الأفريقي كان راضيًا عن غنائم غاراته غير الحربية، وعاد بسلام إلى موطنه مرة أخرى. إلا أنه من المعقول أن نفترض أنه وآخرين مثله رأوا أن قورينا في حالتها الحالية فريسة سهلة في المستقبل، والافتراض الشائع بأن الحروب التي خاضتها البلاد (بلوتارخ، لوكولوس، 2.4) خلال هذه الفترة كانت مع القبائل المحلية الموجودة في المنطقة أو بالقرب من حدودها، ربما يكون له ما يبررها إلى حد بعيد.

إن الملاحظة الضمنية للتفاؤل ("لقد عاشوا جميعًا في سعادة دائمة") -التي تنتهي بها قصة أريتافيلا- تبين أنها لا أساس لها من الصحة، وبالفعل فإن الاستبداد في الوقت القصير الذي ضهر فيه، وفي أحسن أحواله، لم يفعل شيئًا يذكر لعلاج الأسباب الكامنة وراء الأزمة في قورينا، إلا أنه بالتأكيد قد شحذ العداوات الاجتماعية الموجودة مُسبقاً. على أي حال، فإنه في ربيع عام 86 كانت البلاد لا تزال تشعر بآثار الاستبداد المتواصل (نيكوكراتيس وليائدر؟) وكذلك آثار الحروب[42]. كان هذا هو الوضع الذي واجهه لوكولوس عندما وصل إلى قورينا في طلب سفن لسيده سولا، الذي أرسله في هذه المهمة في شتاء عام 87/86، أثناء الحصار الروماني لأثينا، التي كانت في يد أنصار ميثريداتيس (بلوتارخ، لوكولوس، 2.3، وأبيان، ميثريداتيس، 33). لدى سترابو (الفقرة المقتبسة عند يوسيفوس، أثار اليهود، 14. 115 = رقم 91، الفقرة السابعة في عمل جاكوب)، نسخة مختلفة إلى حد ما، وهي أن سولا قد أرسل لوكولوس إلى قورينا، لوضع حد لفتنة اليهود التي اندلعت هناك. يفضل الدارسون المعاصرون دائماً سرد بلوتارخ، لأنه أُكِّد من أبيان، ولأنهم يجدون صعوبة في تصديق أن سولا -رغم انشغاله بأنشطة أعدائه في روما، وكذلك محاربة ميثريداتيس- كان سيهتم باليهود في جزء آخر من العالم، على الرغم من أنهم يقرون دون تردد، بأن اليهود ربما شاركوا في الصعوبات التي صادف أن وجدها لوكولوس في قورينا، والتي شرع في حلها بأفضل ما أمكنه[43]. ومع ذلك، فمن المحتمل جدًا أنه -بالإضافة إلى رغبته في الحصول على سفن- فربما تلقى لوكولوس تعليمات على وجه التحديد بالقضاء على فتنة يهودية في قورينا.

(42) بلوتارخ، لوكولوس، 2. 4 لا يذكر صراحة أن قورينا كانت وقت وصول لوكولوس في قبضة "الاستبداد والحروب المستمرة"، ولكن في حالة من الفوضى النابعة من هذه الأسباب. نظرًا لأنه تم إنهاء طغيان نيكوكراتيس وليائدر بالوسائل المحلية، يبدو أنه من الأفضل أخذ بيان بلوتارخ حرفيًا، بدلاً من افتراض أن طغيانًا جديدًا قد نشأ منذ سقوط ليائدر، لذا، على ما يبدو، ثريدج، المرجع السابق، ص. 317. عكس ما يقول جونز، المرجع السابق، ص. 360، الذي يؤرخ أيضًا زيارة لوكولوس بعام 88 (كما تبنى ألان رو ذلك، ص. 45).

(43) رومانيلي، برقة، ص. 44، وهامش 2. ثريدج، المرجع السابق، ص ص. 318-317. كاري، تاريخ كمبريدج القديم، 9، ص. 390. في الواقع يتجاهل دليل سترابو. إن حديث هومو، مجلة العالمين، 20، (مارس-أبريل 1914)، ص. 401، بأن السناتو أرسل لوكولوس، هو مجرد زلة لا غير.

كان يهود قورينا جزءاً كبيرًا ومهمًا من السكان، ويقول سترابو[44] إنهم شكلوا واحدة من الأقسام الأربعة الرئيسية للسكان، وذلك إلى جانب المواطنين والمزارعين والأجانب (metics)[45]. كان البطالمة عادةً يفضلون اليهود في قورينا كما في مصر (اقتباس يوسفيوس عن سترابو، أثار اليهود، 14. 118-116، يوسيفوس، أثار اليهود، 16. 160، يوسيفوس، ضد أبيون، 2. 44، 49). في (باركي) انتظموا في تجمعات خاصة بهم (IGRR, I, 1024 = CIG, 5361) ،(politeuma)، وربما أيضًا في قورينا والمدن الأخرى. على الأقل كانت طبقاتهم العليا هيلينية على نطاق واسع (المرجع نفسه)، ولكن على أي حال، وفي وقت لاحق، يبدو أن الطبقات الدنيا فيما بينهم كانت تميل إلى ازدراء أخوانهم في الدين، الذين أصبحوا هلينيين إلى حد ما والأثرياء، والذين على الأرجح أنهم تعاونوا كلما أمكنهم ذلك مع السلطات الوثنية[46]. نظرًا للتوتر الاجتماعي، والصعوبات الاقتصادية، والنزاع المدني الذي لاحظناه، فإنه أمر مفهوم تمامًا، أن الخلاف بين اليهودي والوثني الموجود في كل مكان تقريبًا، في العالم الهلنستي والروماني اللاحق كان لابد وأن ينشب في قورينا، ربما حتى قبل هذا الوقت، كانت روما قد أطلقت سياستها المتمثلة في تفضيل اليهود، وهي السياسة التي كان عليها التمسك بها لقرون عديدة مع استثناءات

(44) اقتباس يوسيفوس عن سترابو، أثار اليهود، 14. 115. عن اليهود في قورينا بشكل عام، انظر ك. فريدمان، "أوضاع وثقافة يهود برقة في العصور القديمة"، مجلة الجمعية الإيطالية الآسيوية، سلسلة جديدة، 2، (1934-1930)، ص ص. 334-322. ك. فريدمان، "مصادر تاريخ يهود برقة في العصور القديمة"، مجموعة متنوعة من الدراسات اليهودية في ذكرى إتش بي تشاجيس، (فلورنسا، 1930)، ص ص. 55-39. ج. جراي، "النقوش اليهودية باللغة اليونانية والعبرية في توكرا وقورينا وباركي"، بعثة جامعة مانشستر في برقة، 1952 (مانشستر، 1956)، ص ص. 43- 59. روسبيرج، المرجع السابق، ص ص. 15، 24. إس دبليو بارون، التاريخ الاجتماعي والديني لليهود 2 (فيلادلفيا، 1952 وما يليها)، المجلد الأول، 169، 262، 375، هامش 16. فيما يتعلق بمسألة المواطنة اليهودية في قورينا، جستر، اليهود في الإمبراطورية الرومانية (مجلدان، باريس، 1914)، المجلد الثاني، 6، هامش 2. (مؤيد، لرأي يوسيفوس، آثار اليهود، 16. 160). تارن، المرجع السابق، ص ص. 221 – 222، (معارض بشكل عام، وأعتقد أنه محق بالنسبة لقورينا أيضًا).

(45) المعنى الدقيق لهذه المصطلحات غامض تمامًا. نص سترابو المقتبس عند يوسفيوس، اثار اليهود، 14. 115، يُسقط اسم التسمية المشتركة للمجموعات الأربع (أي، قبيلة، أو طبقة، أو حزب، أو هيأة مواطنين، أو أي شيء آخر)، ويزداد الأمر تعقيدًا من خلال السؤال عما إذا كان قورينا المدينة، أو قورينا المنطقة، هي المقصودة في النص (أعلاه، رقم 34)، بلوتارخ، (257E-255E الأخلاق) يبدو أنه يستخدم مصطلح "مواطنون" (politai) كمرادف كلي أو تقريبًا كليًا لـ aristoi، أي الأوليجاركيين. هل المزارعون القورينيون (يونانيون أو ليبيون متأغرقون) بدون جنسية كاملة أو فعلية؟ في الدستور البطلمي أواخر القرن الرابع (SEG ، IX ، 1 ، 11. 6-1)، politai هم المواطنون النشطون والمواطنون السلبيون، البوليتيما هي هيأة المواطنين النشيطين، لكن الاستخدام كان من الممكن أن يتغير بسهولة. من المفترض أن المزارعين ليسوا من السكان الأصليين الذين يعيشون خارج أراضي المدن (راجع رومانيلي، برقة، ص: 34. بعض الاختلافات في روستوفتزف، I، 333)، أي أنهم ليسوا من خارج المدن، قبائل محلية تسكن الريف. هل تم تنظيم المزارعين في قرى كما ورد في (SEG ، IX ، 354)؟ فريدمان، مجلة الجمعية الإيطالية الآسيوية، سلسلة جديدة، 2، (1930- 1934)، ص: 327-326. بيرديزيت، "سيرياكا" المجلة الأثرية، 35، السلسلة الثالثة، (1899)، ص: 53-34، خصوصًا ص: 45. جستر، المجلد الثاني، 12، هامش 2. يحتاج السؤال برمته إلى دراسة إضافية متأنية وربما المزيد من الأدلة.

(46) راجع يوسيفوس، الحرب اليهودية، الكتاب الأول، 7. 442-437، لاحظ أيضًا ارتباطًا إيجابيًا، ولكن ليس كليًا تمامًا، في يهودا، بين الأغنياء والصدوقيين وغير العبريين، مقابل الفقراء والفريسيين والقوميين. (انظر، على سبيل المثال بينتويش، الهيللينية، فيلاديلفيا، (1919)، ص: 104-102).

قليلة[47]. من دون شك أن ميثريداتيس - لأنه أراد استمالة الإغريق المعادون لليهود في آسيا بشكل متكرر، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنه رأى في روما صديقًا لليهود -قد صادر في صيف عام 88 حوالي ثمانمائة تالنت تخص اليهود من آسيا، التي كانت مودعة في جزيرة كوس[48]. احتاج سولا إلى سفن، وسيكون المال دائمًا مفيدًا للجنرال الذي لا يتوقع أي مساعدة من حكومته. سيكون من الطبيعي جدًا في ظل هذه الظروف أن يُظهر لوكولوس أو سولا صداقته لليهود على عكس ميثريداتيس. إذا كان هذا صحيحًا، فمن الواضح أنه يترتب على ذلك أن ترتيب لوكولوس كان في مصلحة اليهود في قورينا. قد يشير سترابو أو جوزيفوس (أثار اليهود، 14. 114-113)، تماماً إلى أن الفتنة اليهودية الحالية تتعلق بالعقبات الموضوعة في طريق نقل ضريبة نصف الشيقل من قورينا إلى الهيكل في القدس، وهي نقطة حساسة مشتركة مع الوثنيين، ومن المرجح بشكل خاص أن تكون محتدمة في وقت الضائقة الاقتصادية[49]. من الممكن أيضًا الافتراض أنه بقدر ما قد تكون امتيازات القلة الحاكمة قد تأثرت بهذه الاضطرابات أو الاضطرابات السابقة، أكد لوكولوس أيضًا على أن الحزب الأرستقراطي في موقعه المهيمن في البلاد تمشياً مع سياسة رومانية معروفة ومع ميوله السياسية الخاصة، فإنه وفي جميع الاحتمالات، فقد كانت "إصلاحات" لوكولوس موجهة فقط نحو الإبقاء والحفاظ على الوضع الراهن[50]. على أي حال، بعد تسوية شؤون قورينا بالشكل الذي بما يرضيه، أبحر لوكولوس إلى مصر لمواصلة جهوده لتكوين أسطول. ربما يكون قد جمع بعض السفن في قورينا، على الرغم من عدم إثبات ذلك صراحة. إن القوريناين الذين أرهقتهم المحن السابقة أرغموا على قبول القوانين المفروضة

(47) من المحتمل أن يكون هذا صحيحًا، حتى لو كان الكتاب الأول المكابي، 15: 21-16، 23، مزيف. راجع ريناخ، "ميثريداتيس واليهود" مجلة الدراسات اليهودية، 16، (1888)، 210-204، في 210-207.

(48) يوسيفوس، (الفقرة المقتبسة عن سترابو) 14. 112 = ف 6 (جاكوب). حول الموضوع برمته انظر ريناخ، "ميثريداتيس واليهود" مجلة الدراسات اليهودية، 16، (1888)، 210-204، الذي يوضح (ص 207-205) بصرف النظر عن يوسيفوس (113)، يجب أن يكون هذا المبلغ أكثر بكثير من ضريبة نصف الشيكل للمعبد، وربما يكون نصيبًا جيدًا من رأس المال السائل ليهود آسيا (جاكوب، المرجع السابق، C II ، 293 ، يعتقد أن الأموال تخص يهود الإسكندرية)، والتي أودعوها لحفظها في كوس.

(49) راجع يوسيفوس، أثار اليهود، 16. 165-162 (بشكل عام)، 170-169 (على وجه التحديد في ملك قورينا)، رسائل أوغسطس وأغريبا تمنح اليهود حرية اتباع عاداتهم الخاصة، ولا سيما السماح لهم بإرسال مساهماتهم في الهيكل دون عوائق وفقًا للثوابت الدائمة. انظر المصدر نفسه، 14. 216-213، (رسالة قيصر في إعادة يهود باروس وديلوس)، 208 (إشارة في مرسوم قيصر لسياسة روما السابقة).

(50) بلوتارخ. لوكولوس. 2. 4؛ ثريدج، المرجع السابق، ص. 319. روسبيرج، المرجع السابق، ص. 21، يظن أن تنظيمات لوكولوس جعلت قورينا أقرب إلى هيئة الولاية، أوليفيريو، وثائق أفريقيا الإيطالية، المجلد الأول، (33-1932)، 83، أنه كان يوثق الروابط مع روما. من الصعب قول ما تعنيه هذه العبارات. كانت المنطقة ولاية، مجال نشاط الحاكم وموظفيه، أو لم تكن كذلك؛ ما هي الروابط الأقرب أو الأكثر مرونة مع روما، باستثناء تنظيم الولاية، الذي من الممكن أن يكون لوكولوس قد دشنه، ومن الصعب رؤيته. لا يوجد أدنى مؤشر على أنه تدخل في النظام الضريبي، على سبيل المثال، أو أنه بدأ أو زاد من استغلال الأرض من قبل جامعي الضرائب، (من غير المحتمل في ضوء قناعاته السياسية بأي حال من الأحوال). وهو بالتأكيد لم يأخذ الوقت الكافي لوضع خطة للولاية يمكن استخدامها فيما بعد، كقانون للولاية.

عليهم بخنوع، وذلك وفقًا لبلوتارخ (لوكولوس 5-2).

ومع ذلك، من المؤكد أن لوكولوس لم يكن بإمكانه فعل أي شيء للتخفيف من الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية للبلد خلال إقامته القصيرة، ولو أن تاريخ المنطقة في الاثني عشر عامًا القادمة يكاد يخلو من أي شيء يذكر، فإننا لا نستغرب أن هناك إشارة إلى استمرار عدم الاستقرار، وأن الحكومة تصرفت بطريقة لا تعتبر حكيمة في روما (سالوست، التواريخ. 2. 43). من المؤكد أنه لا شيء فعله لوكولوس أو كان يمكن أن يفعله كان سيمنع غزوات القبائل المحلية، لكننا لا نعرف ما إذا كانت مثل هذه الغارات قد حدثت أم لا.

غير أن الحكومة الرومانية، قررت أخيراً تنظيم قورينا رسميًا كولاية يديرها مسؤول روماني رسمي مقيم. على الرغم من أنه فيما مضى عادة ما وضع الدراسون هذا الحدث في عام 75 قبل الميلاد[51]، والرأي السائد والأكثر شيوعاً الآن يفضل 74 قبل الميلاد[52]. ومع ذلك فإن الدليل للعام 75 قوي للغاية. أظهر مورينبريشر (Maurenbrecher) إن ترتيب فقرات سالوست في لوح أوريليوس يضع حتماً إنشاء ولاية قورينا في [53]75. ولكن بما أن أبيان (الحرب الأهلية، 1. 111) يزامن بشكل صريح ضم الرومان لبيثينيا مع ضم قورينا في نفس العام، وبما أنه أصبح مؤكدًا الآن أن نيكوميديس قد توفي في أوائل عام [54]74، فقد شاع اختيار الدراسون لعام 74 لتكوين قورينا ولاية أيضًا. لقد جرت محاولة للتوفيق بين التاريخين عن طريق وضع التاريخ الرسمي لجعل قورينا ولاية رسمية في عام 75، غير أن وصول لنتولوس ماركيلينيوس أول حاكم لها كان في عام [55]74، وهذا الحل الوسط يبدو مقبولاً. إلا إنه أحدث تناقضًا واضحًا بين سالوست وأبيان، وربما سيكون حله سهلًا. يقول أبيان (الحرب الأهلية، 1. 111) "أنه في العام التالي للأولمبياد 176"، استحوذت روما على قورينا وبيثينيا. من الواضح أن

(51) ثريدج، المرجع السابق، ص ص. 324-320، (انظر هنا أيضًا لمناقشة التواريخ المحتملة الأخرى، على سبيل المثال، 66/67، المرفوضة الآن بشكل عام). مومسن، تاريخ روما، الثالث، ص: 55. بيجوينو، الموسوعة الإيطالية، العاشر، (1931)، 427. باريبيني، قاموس علم النقوش الرومانية، 2: 2 (1910)، 1431. هومو، مجلة العالمين، 20، (مارس-أبريل، 1914)، ص: 402. أورميرود، القرصنة في العالم القديم، (ليفربول، 1924)، ص ص. 45-244.

(52) ماركوارت، المرج السابق، المجلد الأول، ص: 460. هامش 1. بيفان، المرجع السابق، 332. درومان، تاريخ روما، المجلد الثاني، (الطبعة الثانية، بقلم جروب، برلين، 1902)، 340. مينزر، أنظر تحت عنوان كورنيليوس (238)، في الموسوعة الألمانية، الموسوعة الحقيقية للعصور الكلاسيكية، الرابع، (1901)، 1398-1392، خصوصًا 1393. بيلوخ وكاركوبينو، من جراكس إلى صولا، (باريس، 1940)، ص: 355، هامش 171. جونز، المرجع السابق، ص: 360. كاري، تاريخ كمبريدج القديم، التاسع، 390.

(53) إضافة من سالوست، التواريخ، الثاني، 75. راجع تلخيص حججه من قبل أورميرود، المرجع السابق، ص: 245-244.

(54) ماجي، المرجع نفسه، الثاني، 1200، هامش 49. انظر أيضًا بروتون، الحكام في الجمهورية الرومانية، الجزء الثاني، ص: 106. أجبر ماورنبريشر بمنطقه الخاص على وضع وفاة نيكوميديس أيضًا في 75.

(55) روسبيرج، المرجع السابق، ص: 9-8. رومانيلي، برقة، ص: 43، 47، هامش 2. لغة سالوست، التواريخ، 2. 43، "ماركيلينيوس... أرسل إلى" يمكن التوفيق بينها وبين هذا التأريخ على أساس أن العبارة تشير إلى القرار القانوني بضرورة ذهابه.

أبيان استخدم العام الأولمبي، والذي يمتد من الصيف إلى الصيف، أي 75/4 قبل الميلاد. وبالتالي يمكن جعل قورينا ولاية في 75، وموت نيكوميديس في 74، ولكن كلا الحدثين يمكن أن يحدثا في العام نفسه، حسب الحساب الأولمبي. ومن ثمَّ يمكن أن يحدد مصدر أبيان نوع التزامن أو التسلسل المحبب إلى أذهان القدماء. وربما كانت الرغبة في إنتاج مثل هذا التوافق، هي السبب في حذف حقيقة أن وفاة أبيون كانت قبل أكثر من عشرين عامًا. المقطع بصيغته الحالية يشير بشكل خاطئ تماماً إلى أن أبيون مات في العام نفسه الذي مات فيه نيكوميديس.

والأهم من ذلك هو السؤال عن الدوافع التي دفعت الحكومة الرومانية إلى تغيير موقفها في العام [56]96، يقول سالوست[57]، في الواقع أن السبب كان الرغبة في إنهاء الاضطرابات التي تعاني منها البلاد، لكن من المحتمل جدًا أن يكون مثل هذا البيان مجرد تذكير بالتصريحات الرسمية. على أي حال، يجب على المرء أن يتساءل، لماذا قررت الحكومة الرومانية فجأة، وضع حد للصعوبات التي تهدد قورينا في هذا الوقت بالذات، بعد أن رضيت بهذا الوضع لفترة طويلة؟ السبب الحقيقي الأكثر شيوعاً هو الرغبة في قمع القرصنة. كان الضم جزءًا من التدابير المتخذة، في الوقت الذي أُرسِل فيه أنطونيوس الكريتي لقمع القرصنة بسلطات واسعة، والتي كانت مماثلة لتلك التي أعطيت لبومبي بعد سبع سنوات[58]. يمكن أن يكون هناك بعض الشك في أن القراصنة قد استخدموا قورينا أحياناً كقاعدة لأنشطتهم[59]. ومع ذلك يتساءل المرء أنه بعد كل ذلك (هل هي مجرد حماقة) أن حملة أنطونيوس كانت ضد كريت وليس قورينا؟. يقول فلوروس (1. 41 [3. 6]. 3) أن القراصنة نقلوا أنشطتهم من جزيرة كريت وقورينا إلى آخيا وخليج ماليا، لكن آخيا، على حد علمنا لم تصبح ولاية بعد في هذا الوقت. وقد أُستُدِلَّ مؤخرًا أن لوكولوس، القنصل عام 74، والخبير بمشاكل قورينا قد استخدم نفوذه لمساعدة السكان من خلال إرساء قواعد إدارة منظمة في قورينا[60]. إذا قمنا بتأريخ الحدث إلى 75 بدلاً من 74، إذاً فمن الممكن أن يستخدم لوكولوس نفوذه بصفته قنصلًا. هذه نظرية مقبولة، وليس هناك شك في أن لوكولوس يمتلك بعض قدرات رجل الدولة.

(56) في ضوء الممارسة الرومانية المعروفة في مثل هذه الظروف، يمكننا أن نفترض بثقة أن حرية المدن لم تتأثر بهذا الفعل، لكن يبدو أنهم فقدوا حقهم في سك العملة، بعد 74 تم صياغة عملات برونزية فقط في الولاية، وذلك باسم الحاكم الروماني، على الأقل في عهد أغسطس. (هيد، تاريخ العملة، ص. 872. قارن روسبيرج، المرج السابق، ص: 23).

(57) التواريخ، 2. 43 . وتبعه روسبيرج، المرجع السابق، ص: 22.

(58) على سبيل المثال: أوليفيريو، وثائق أفريقيا الإيطالية، I، (1933-1932)، 84. باريبيني، قاموس علم النقوش الرومانية، 2: 2 (1910)، 1432. كاري، تاريخ كمبريدج القديم، التاسع، 390.

(59) SEG, III, 378, B. 11-9، (قانون القراصنة من دلفي). ربما SIG, 750.، = SEG, IX, 56، قارن SEG, IX, 160.، أبيان، ميثريداتيس، 95. فلورس، 1. 41، (3.6)، 3، 9. ديودوروس، 40. 4. سيوداس، تحت اسم: بوسايدونيوس أليكس، أيضًا في جاكوبي، رقم 87 (بوسايدونيوس)، الفقرة الأولى، مشوشة جدًا بحيث لا تعني شيئًا.

(60) باديان، العملاء، ص. 140، هامش 1.

بالإضافة إلى ذلك، فإذا كانت هناك أي حقيقة في قصة الأساليب الملتوية، التي اضطر لاستخدامها، من أجل الفوز لنفسه بالقيادة الراغب فيها ضد ميثريداتيس (بلوتارخ، لوكولوس، 6. بومبي، 20. قارن، شيشرون، المتناقضات، 5. 40)، فإن السؤال الذي يطرح نفسه، هو ما إذا كان لديه التأثير اللازم، لإخراج مجلس الشيوخ من الجمود المعروف جيدًا في مثل هذه الأمور.

بما أن دوافع فرد واحد غالبًا ما تكون مختلطة، وأن مجلس الشيوخ كان يتألف من العديد من الرجال، فلن يكون من الحكمة رفض أي من هذه التفسيرات. إلا أن الاحتمال القوي هو أنه يوجد دافع آخر، وربما حاسمًا. في منتصف السبعينيات، مواجهة القراصنة، وسرتوريوس، وميثريداتيس، أضعفت مالية الدولة الرومانية إلى حد كبير (سالوست، التواريخ، 2. 46، 47)، ويبدو أن الانتصار على المدينة نفسها كان يواجه صعوبات شديدة. ذات مرة عندما كان قناصل 75، أوكتافيوس وكوتا، يسيران على طول الطريق المقدس مع متيللوس الكريتي، الذي كان يترشح للانتخاب لمنصب البرايتورية، تعرضوا للهجوم في الشارع من قبل الحشد، ومن الواضح أنهم غاضبون لفشل إمدادات القمح والمجاعة الناتجة عنها. لحسن الحظ كان الثلاثة قادرين على الهروب من خلال اللجوء إلى منزل أوكتافيوس القريب. وبناءً على ذلك، يبدو الافتراض بعيد المنال، بأي حال من الأحوال، بأن منطقة مثل قورينا تم تنظيمها كولاية في المقام الأول على أمل يائس في زيادة الإيرادات. إذا كان التخمين الوارد أعلاه بأن الأراضي الملكية السابقة لأبيون لم يتم استغلالها من قبل صحيحًا، فمن المعقول أن نفترض أيضًا أن هذا الاستغلال بدأ في هذا الوقت (بليني، التاريخ الطبيعي، 19. 39). علاوة على ذلك، بصرف النظر عن السيلفيوم، كانت قورينا ذات أهمية من حيث الثروة الطبيعية. أشاد سترابون (17. 837)، بوفرة محاصيلها وتربية الحيوانات[61]. مع الإدارة الحازمة، كانت قادرة على إنتاج فائض من الحبوب (SEG. Ix.2، قيصر، الحرب الأهلية، 3. 5. 1.)، وكانت أزمتها الاقتصادية في السنوات الأخيرة ناتجة عن أسباب اجتماعية وسياسية أكثر منها عوامل طبيعية في الانتاج. في الوقت الذي كانت فيه الدولة الرومانية بحاجة ماسة إلى الإيرادات والحبوب لشعبها وجيوشها، كانت هناك منطقة تمتلكها بالفعل بشكل قانوني، ولكن يبدو من المحتمل أنها فشلت في استغلالها. على الرغم من أن الدليل الذي لدينا يشير إلى أن قورينا كانت بالكاد مزدهرة في 75/4، إلا أنه في ظل حاجتها المالية الخاصة، فمن المتوقع أن تتشبث الدولة الرومانية بأي قشة. وعلى الرغم من أن الازدهار لم يعد إلى قورينا تحت وطأة الإهمال الإداري في أواخر الجمهورية، إلا أنه وفي ظل السلام الإمبراطوري والإدارة الجيدة لأغسطس وخلفائه، استعادت قورينا ازدهارها، واستمر هذا حتى وقت الدمار الذي أحدثته الثورة اليهودية الكبرى في عهد تراجان[62].

(61) بشكل عام، انظر روستوفتزف، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم الهيللينيستي، I، 333، 1398. جونز، المرجع السابق، ص: 356.

(62) رومانيللي، برقة، ص ص. 69، 123.

يبدو أن الحاكم الأول لقورينا (بالإضافة إلى العديد من الحكام اللاحقين) كان لينتولوس ماركيللينوس، الذي كان يشغل منصب (نائباً للحاكم؟) كوايستور بروبرايتور[63]. قد يشير إرسال كوايستور (النائب؟) مدعوماً بسلطة مُطلقة في حد ذاته، إلى اهتمام خاص بالمسائل المالية. أشهر هذه الأمثلة هو إرسال كاتو يوتيسينسيس كـ (نائباً للحاكم؟) كوايستور بروبرايتور إلى قبرص في عام 58، وكان الدافع يصب في هذا الاتجاه[64].

وبهذه الطريقة، أصبحت قورينا ولاية معترف بها في روما في 75/4 تحت إشراف حاكم روماني أو نائب حاكم[65]، والحالة في الحقيقة ليست أكثر اختلافاً عن حالة آخيا من منتصف الثاني إلى ما بعد منتصف القرن الأول قبل الميلاد، ثم تم إنهاؤها. مهما كانت الدرجة الدقيقة لتدخل أو عدم تدخل الحكومة الرومانية في شؤون قورينا إبان الفترة 74-96، فقد تم إهمالها بشكل مخزي تماماً من قبل السلطة التي كانت لها بالتأكيد مسؤولية أخلاقية، وربما مسؤولية قانونية عنها. فموافقة مجلس الشيوخ على وصية أبيون؛ ومنح المدن حريتها في القرن الأول قبل الميلاد، ربما تكون منقوصة لا معنى لها. في وقت مبكر من عام 168/7 دمَّر مجلس الشيوخ بشكل غير مسؤول سلطة رودس ولم يضع شيئًا في مكانها، هذا إلى جانب نتائج أكثر ضرراً بالنظام الجيد لمنطقة البحر الأبيض المتوسط. وبالمثل، كانت الأقلية الحاكمة الأكثر إحباطًا في القرن الأول أكثر إغراءً من أي وقت مضى -ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى خوفها المتزايد من أي تجديد أياً كان لمجرد ترك الأمور تسير بشكل مُهمل حتى اضطرت إلى التصرف بسبب حالة طوارئ أو غيرها. لذلك، فإن حالة قورينا هي حالة عرضية ليست فقط عدم رغبة من مجلس الشيوخ في مواجهة مسؤوليات الحكم الإمبراطوري، وغير راغب في أن يكتسب أي شخص آخر السلطة من خلال القيام بذلك، ولكن أيضًا بسبب اضمحلال دور مجلس الشيوخ نفسه كطرف فعال في الدستور الروماني. في النهاية وبطبيعة الحال، فقد أدى الاحتكاك والعطل في أجزائها الرئيسية إلى توقف الآلة بأكملها عن العمل، وتطلب الأمر تفكيكها وإعادة تجميعها بنظام مُختلف.

(63) جاشمسكي، أصول وتاريخ البروقنصلية والبروبرايتورية حتى 27 قبل الميلاد. (شيكاغو، 1950)، ص: 79-78. حول الحكام اللاحقين، ص: 79 -84. هوية لينتولوس هذا هي مسألة محيرة للغاية: انظر المناقشة والمراجع في جاشمسكي. دورمان-جروب، المرجع السابق، II، ص: 340. مينزر، أنظر تحت عنوان كورنيليوس (231، 238)، في الموسوعة الألمانية، الموسوعة الحقيقية للعصور الكلاسيكية.

(64) مجلة فقه اللغة، 50، (1955)، ص ص. 100-99. فضَلا عن ذلك، تم إرسال بيزو ككوايستور بروبرايتور إلى إسبانيا في 64، كشكل من أشكال الإبعاد، (جاشمسكي، المرجع السابق، ص 91 وهامش 5ـ [للإشارة الأخيرة، اقرأ "سويتونيوس، قيصر، 9. 3"]). الكوايستور البروبرايتوري الذي تركه الحاكم النظامي كمدير أعمال مؤقت، هو بالطبع مسألة أخرى.

(65) لاحقًا انضمت إلى جزيرة كريت، وهو تنظيم منطقي تمامًا، لأنها أقرب إلى تلك الجزيرة من الإسكندرية أو "إفريقيا". على هذه الأماكن تفصلها الصحراء أكثر مما يفصلها البحر عن جزيرة كريت (شامو، المرجع السابق، ص. 12). كان الاتحاد مع جزيرة كريت، بحد ذاته مشكلة معقدة لا يمكن مناقشتها هنا.

التحليل المكاني للنمو السكاني والتوسع المساحي والعمراني في مدينة طبرق "دراسة في جغرافية المدن"

إعداد:
د. سعيد حامد محمد الداهية
محاضر- كلية التربية - جامعة طبرق

أ. صلاح منصور صالح شاهين
محاضر مساعد- كلية التربية- جامعة طبرق

الاستلام: 15/ 5/ 2021 القبول: 17/ 6/ 2021

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى تحليل العلاقة بين النمو السكاني والتوسع العمراني والمساحي في مدينة طبرق؛ للتعرف على استعمالات الأرض خلال مراحل التوسع العمراني وحجمها واتجاهاتها المستقبلية. تدور الدراسة حول سؤال رئيس: هل اقترن النمو السكاني في منطقة الدراسة بالتغير في استعمالات الأرض من حيث المساحة ونوع الاستعمال؟ اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي. وأظهرت الدراسة أن استخدامات أراضي المدينة قد نمت وتوسعت مع نمو مساحة المدينة، إلا أنها تفاوتت فيما بينها في معدل النمو ولم تكن على نفس المستوى من ذاك النمو.

الكلمات المفتاحية :
التحليل المكاني النمو السكاني التوسع المساحي التوسع العمراني

Abstract :

Spatial analysis of population growth and areal and urban expansion
In the city of Tobruk
"A study in the geography of cities"

The study aims to analyze the relationship between population growth and spatial and urban expansion in the city of Tobruk. To identify the land uses during the stages of urban expansion, its size, and its future trends. The study revolves around a major question: Has the population growth in the study area been accompanied by a change in the use of the land in terms of area and type of use? The study relied on the historical and descriptive analytical

method. The study showed that the land use of the city had grown and expand–ed with the growth of the city's area, but it varied among themselves in the rate of growth and were not at the same level of growth.

Keywords :
Spatial analysis Population growth Spatial expansion Urbanization

(المقدمة)

تعدُ مدينة طبرق من أسرع المدن الليبية في النمو السكاني والتوسع المساحي والعمراني، نظراً للتحضر السريع الذي شهدته المدينة، حيث شهدت مدينة طبرق تغيرا كبيراً في استخدامات الأرض داخل مخطط المدينة منذ العقود السبع الماضية وقد ظهر هذا التغير في النمو المتزايد نتيجة لتوسع مساحة مدينة طبرق العمرانية في المناطق السكنية والتجارية والصناعية والخدمية. ويتجه هذا التوسع العمراني على طول خط ساحل بحر طبرق شرقاً وغرباً، وهذا النمو السريع يعتبر من أهم المشكلات التي تواجه المدن، نظراً لزيادة الضغط على الخدمات والمرافق العامة، إضافة إلى حدوث التكدس والاختناقات المرورية.

وعلى ضوء ما تقدم سيتم التعرض من خلال هذه الدراسة بالوصف والتحليل لواحدة من أهم مدن ليبيا، ألا وهي " مدينة طبرق " دراسة تحليلية في جغرافية المدن"، تحت عنوان " التحليل المكاني للنمو السكاني والتوسع المساحي والعمراني في مدينة طبرق– دراسة في جغرافية المدن"، بينما المحور الثاني: سنناقش من خلاله مراحل التطور التي مرت بها المدينة، في حين يعالج المحور الثالث: استخدامات الأرض في منطقة الدراسة، أما المحور الرابع والأخير: سيتعرض لكيفية قياس العلاقة بين السكان والمساحات التي تشغلها المدينة من خلال التعرض لبعض الأساليب التخطيطية، ثم تُختم الدراسة بالنتائج التي أمكن التوصل إليها، ومن ثم ستذيل الدراسة بقائمة للمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

مشكلة الدراسة:

"تعدُ مدينة طبرق من المدن التي لها أهميتها؛ كونها تحتل موقعاً مركزياً في إقليمها، مما جعلها تمثل الثقل الحضري والرئيس من حيث حجم ونوع الوظائف والخدمات التي تقدمها المدينة لسكانها، ولسكان بقية المناطق المجاورة، الأمر الذي أدى إلى زيادة سكانية كبيرة شهدتها المدينة، وما ترتب على هذه الزيادة من طفرة عمرانية سريعة أثرت بشكل واضح في تنوع وتغير شكل استخدامات أرض المدينة".

تساؤلات الدراسة:

1. كيف ساهمت الطفرة العمرانية التي شهدتها المدينة خلال فترة الدراسة على اتساعها بمعدلات نمو كبيرة، وبنمط عمراني متميز عن بقية المراكز العمرانية المجاورة؟
2. هل يوجد ارتباط بين النمو السكاني والتوسع العمراني لمدينة طبرق خلال فترة الدارسة؟
3. ما أثر التغير في نمو سكان منطقة الدراسة على تغير استعمالات الأرض من ناحية المساحة ونوع الاستعمال؟

أهداف الدراسة:

1. تحليل العوامل المؤثرة في نمو وتوسع المدينة وظيفياً ومكانياً.
2. دراسة اتجاهات التوسع المساحي والعمراني للمدينة.
3. معرفة إمكانية التوسع العمراني المستقبلي في منطقة الدراسة.

حدود منطقة الدراسة:

- الموقع الفلكي: Astronomical location: تقع منطقة الدراسة (مدينة طبرق)، عند تقاطع خط طول (27" 58' 23°) شرقاً مع دائرة عرض (05" 04' 32°)، شمالاً. يعني هذا أن المدينة تقع ضمن مناخ البحر المتوسط بمميزاته الجغرافية، وتعد منطقة الدراسة مركزاً إدارياً لإقليم البطنان الواقع شمالي شرق ليبيا وأكبر مركز حضري في شرق البلاد.

- الموقع الجغرافي: Geographical location: تقع مدينة طبرق على الشريط الساحلي في أقصى شمالي شرق ليبيا، وتعد مركزاً لإقليم البطنان، وتبلغ المساحة الكلية لإقليم البطنان (83860 كم2)، وهذه المساحة تشكل ما نسبته (4.75%)، من مساحة ليبيا [1] كما تبلغ مساحة مدينة طبرق (34.7 كم2)، وهذه المساحة تشكل ما نسبته (0.041%)، من مساحة البطنان شكل (1).

المنهجية:

تعتمد الدراسات الجغرافية على مناهج وأساليب تتحقق من خلالها أهداف دراستها ومن خلالها سوف تنتهج هذه الدراسة مجموعة من المناهج منها:

1. المنهج التاريخي: يستخدم هذا المنهج لتتبع مشكلة الدراسة تاريخياً، وذلك لفهم بعض الظواهر الجغرافية، لا سيما المتعلقة بتطور نمو المساحي والعمراني للمدينة.
2. المنهج الوصفي: وهو من الأساليب التحليلية المهمة؛ لذا سيتم الاعتماد عليه في وصف بعض ظواهر مشكلة الدراسة.
3. الأسلوب التحليلي: تم إجراء عمليات القياس الإحصائي لتحليل الظاهرة ووصفها ومقارنتها، حيث استعان الباحثان ببعض المعدلات، كمعدلات النمو السكاني، حساب النسب المئوية، بالإضافة لبعض الأساليب الرياضية، كمعدل استهلاك الأرض (Land Consumption Rate (L.C.R، ومعامل استحواذ الأرض Land Absorption Coefficient (L.A.C)، ومعدل التغير "Change of Rate" (C. R ، وذلك بالاعتماد على بعض الخرائط الجغرافية.

(1) مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس،1978، ص27.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة بالنسبة للإقليم والدولة.

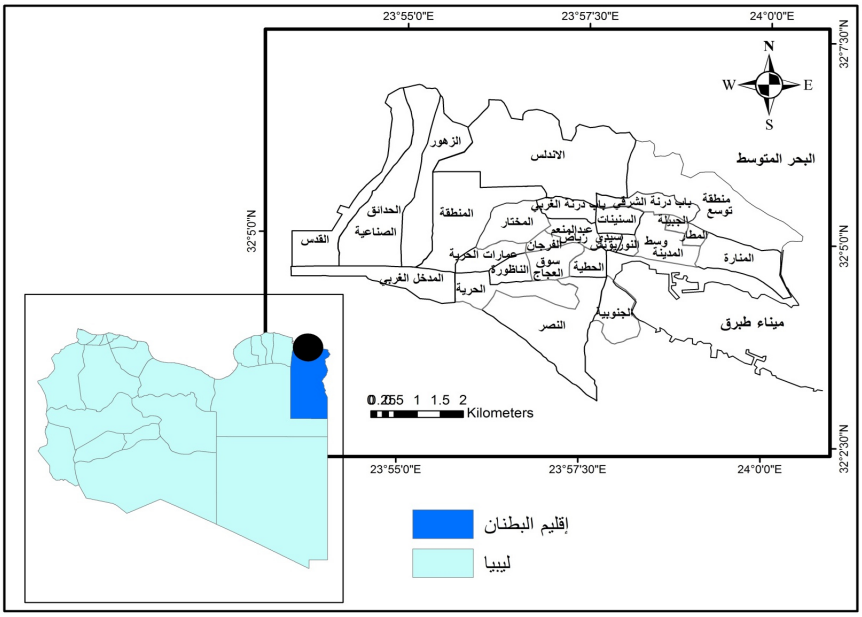

المصدر :أعداد الباحثين باستخدام ARC Map 10 اعتمادا على بيانات مصلحة التخطيط العمراني.

الدراسات السابقة:

ترجع أهمية الدراسات السابقة لأي بحث علمي في الاستفادة منها فيما قدمت إضافة من معلومات ونتائج جديدة متميزة على الظاهرة موضع الدراسة، وتجنب الأخطاء التي وقعت فيها، بالإضافة إلى معرفة أهم المراجع التي استعملت في هذه الدراسات، والتي قد يستفيد منها الباحث في موضوع دراسته؛ لذا تم الاطلاع على مجموعة من الدراسات السابقة ومنها:

- دراسة قام بها الباحث (عبد العزيز عبد الكريم بوحليقة)، عام2013م، عن جودة الحياة في مدينة طبرق، حيث تعرض في الفصل الأول من الدراسة نمط الحياة حسب النشأة التاريخية لمدينة طبرق، فتتبع نشأة المدينة من عام 1959م، مرحلة النمو العمراني قبل اكتشاف النفط حتى عام 2010م، آخر توسع شاهدته المدينة في اتجاه الشمال الغربي للمدينة[2].

(2)عبد العزيز بوحليقة، "جودة الحياة في مدينة طبرق – دراسة جغرافية "، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2013.

- دراسة أخرى قام بها الباحث (عبد الباسط مفتاح انويجي)، عام 2014م، عن مشكلة الإسكان في مدينة طبرق، حيث تعرض في أحد محاور الدراسة للاتجاهات التخطيطية للمدينة من حيث التأهيل البيئي والتوسع الأفقي للسكن وضبط العرض والطلب على الإسكان وبرامج تطوير السكن من المنظور الرسمي للدولة[3].

- وفي عام 1999م، قام الباحث (علي محمد التير)، بدراسة مدينة زليتن، تناول فيها محورين رئيسيين حيث تطرق المحور الأول: لبعض المشاكل التخطيطية التي تواجه المدينة، أما المحور الثاني ناقش فيه تقدير احتياجات المدينة لبعض الخدمات[4].

وسنتعرض من خلال هذا البحث لدراسة التحليل المكاني للنمو السكاني والتوسع المساحي والعمراني في مدينة طبرق، وذلك من خلال أربع محاور رئيسة حيث نتناول في المحور الأول: النمو السكاني للمدينة، والمحور الثاني: سيتطرق لمراحل التطور العمراني التي مرت بها منطقة الدراسة، في حين سيكون المحور الثالث: لمحة مختصرة عن استخدام الأرض بالمدينة، أما المحور الرابع والأخير: سيبحث عن طبيعة العلاقة بين السكان والمساحات التي تشغلها المدينة.

أولاً: نمو السكان في منطقة الدراسة: يعدُ نمو سكان أي منطقة دليل على نموها الاقتصادي، ونهضتها الاجتماعية، وسماتها الحضارية وفكرها السياسي، بل إن نمو السكان يؤثر على خصائص السكان كلها؛ لذا فإن دراسة نمو سكان أي منطقة أمر مهم وأساسي لفهم العلاقات الضمنية بين الظاهرات الديموغرافية، والظاهرات غير الديموغرافية [5]، وهنا سيتم التطرق لنمو سكان المدينة وإقليمها خلال الفترات التعددية المختلفة.

(3)عبد الباسط مفتاح انويجي :"مشكلة الإسكان في مدينة طبرق" (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة المنوفية، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2014.

(4)(محمد علي التير، "مدينة زليتن دراسة في جغرافية العمران" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة ناصر ، طرابلس .1999.

(5) فايز محمد العيسوي، أسس جغرافية السكان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، بدون طبعة، 2001ص 121.

الشكل (2) معدلات النمو السنوي للمدينة والإقليم وليبيا
خلال الفترة (1984 – 2020م)

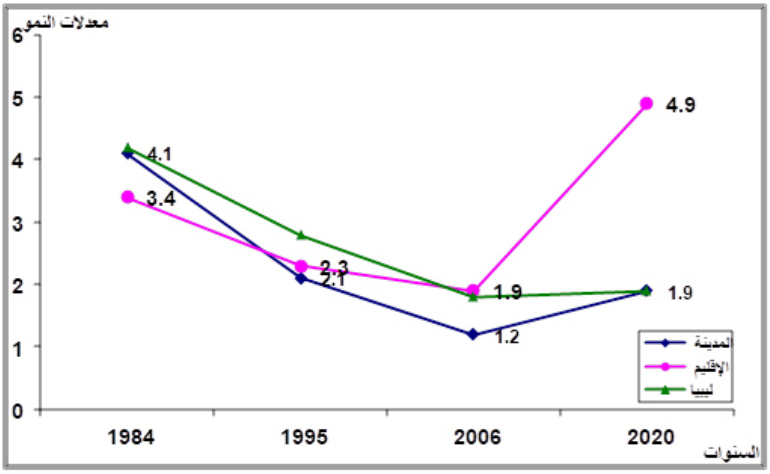

المصدر: عمل الباحثين استناداً
. للتعدادات العامة للسكان (1964، 1973، 1984، 1995، 2006).
. مكتب التسجيل المدني طبرق(2020).

نلاحظ من خلال الشكل (2)، أن عدد سكان مدينة طبرق في زيادة مستمرة، خلال الفترة من (1964 – 2006 م)، وهذه الزيادة تبدو واضحة خلال الفترتين التعدادتين التاليتين (1964 – 1973) و(1973 – 1984م)، حيث بلغ معدل النمو في الفترة التعدادية الأولى حوالي 5.8 %، للمدينة، مقابل 3.7 %، للإقليم، في حين بلغت معدلات النمو للفترة التعدادية الثانية 4.1 %، للمدينة، و3.4 %، للإقليم، وهذه المعدلات تعد أعلى معدلات شهدتها مدينة طبرق خلال العقود الأربعة. ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها ارتفاع معدل المواليد، وانخفاض معدل الوفيات، أو نتيجة لزيادة الهجرة للمدينة من أجل التعلم، والبحث عن فرص العمل التي قد تتوافر في المدينة أكثر من أي منطقة أخرى في الإقليم، إلى جانب الهجرة الدولية إلى مدينة طبرق وإقليمها، فقد سجل إقليم البطنان المرتبة الثانية بعد بلدية سبها من حيث نسبة الليبيين القادمين من خارج ليبيا وخاصة العائدون من مصر، وذلك نتيجة لوقوع الإقليم على الحدود مع جمهورية مصر العربية[6].

كما نلاحظ انخفاضاً واضحاً في معدلات نموها، فقد انخفض معدل النمو في عام 1995م، فبلغ 2.1 %، للمدنية، بينما كان معدل النمو في الإقليم 2.3%، واستمرت هذه المعدلات في الانخفاض حتى وصلت لأدنى مستوى لها في عام

(6) . منصور محمد الكيخيا، " السكان "، في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، ط 1، (ت) الهادي مصطفى بولقمة، سعد خليل القزيري، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995، ص 363.

2006م، بحيث بلغت 1.2 %، للمدينة، 1.9 %، للإقليم، وهذا التراجع الواضح في معدلات النمو خلال هذه الفترات، قد يرجع للنقص الملحوظ في المواليد، أو زيادة في الوفيات، أو بسبب الهجرة سواء كانت الخارجية أو العكسية من المدينة.

أما الفترة التعدادية ما بين 2006 - 2020م، فقد كانت معدلات نمو المدينة متماثلة مع معدلات نمو ليبيا، وهي تقريبا أكثر بقليل من الفترة -1995 2006م، حيث بلغت 1.9 %، للمدينة، بينما كانت هناك زيادة واضحة في الإقليم خلال هذه الفترة حيث بلغت نحو 4.9 %، وتعدُ هذه الزيادة كبيرة جداً إذا ما قورنت بالفترات التعدادية السابقة، يمكن أن نعزى هذه الزيادة إلي الهجرة العكسية من المدينة إلى المناطق المجاورة لها، سيما بعد انتشار الخدمات المختلفة في كافة المناطق الريفية، وازدهار وتطور حركة النقل والمواصلات في الإقليم، فضلا عن التغيرات الفجائية التي مرت بها البلاد بصفة عامة، وإقليم البطنان بصفة خاصة، والمتمثلة في المشاريع التنموية، التي كان لها أثر كبير في تحسن أوضاع السكان الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والصحية، كما قد يكون لأحداث 17 فبراير التي مرت بها البلاد أثر واضح على زيادة معدلات نمو المدينة وإقليمها، حيث شاهدت المدينة وإقليمها حركة نزوح كبيرة من مختلف مدن ليبيا وخاصة إقليمها (المناطق المجاورة للمدينة)، حيث كانت المدينة وإقليمها ملجأ آمناً لكثير من النازحين من ويلات الحرب، وكانت مناطق إقليم المدينة مكانا مفضلاً لكثير من العائلات النازحة.

ثانياً: مراحل التطور العمراني للمدينة:

وفي المراحل الاتية سنتناول سيرة المدينة الزمنية لكل مرحلة من خلال العلاقة بين النمو السكاني والتطور.

أ- المرحلة الأولى من عام 1966م، وما قبله:

لم تكن منطقة الدراسة في تلك المرحلة تتمتع ببنية أساسية مناسبة؛ إلا ما شيده الإيطاليون إبان فترة استعمارهم للبلاد؛ لما يخدم رعاياهم المقيمين بالمدينة، فمهدوا بعض الطرق وسط المدينة؛ قدر طولها بقرابة عشرة كيلومترات؛ وبقية الأحياء شوارعها غير مرصوفة، وكذلك خطوط المياه والصرف الصحي، تم التركيز فقط على وسط المدينة وإهمال باقي الأحياء التي اضطر بعض ساكنيها إلى حفر آبار رومانية لمياه الشرب، أما فيما يخص الصرف الصحي فلم تتمتع الأحياء باستثناء وسط المدينة بشبكة صرف صحي فكان يتم تجميع المخلفات في بيارات يتم كسحها بعد كل فترة عن طريق سيارات ذات مواصفات خاصة. وكذلك الأمر في شبكة الكهرباء والاتصالات. وكما ذكرنا سلفاً بالرغم من أن كل هذه الإنشاءات العمرانية كانت لأغراض الحكومة الإيطالية الاستعمارية، إلا أن فترة الحكم الايطالي تمثل بداية الإرهاصات الأولية للتخطيط العمراني بمفهومه

الحديث في ليبيا [7]، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي كانت نتائجها شديدة الأثر على النسيج العمراني للمدينة، جعلت منها مجرد أطلال باقية من آثار المعارك ودمرت بكاملها تقريباً بعد أن غادرها سكانها [8] . وبعد أن نالت ليبيا استقلالها في العام 1951م، أخذت المدينة تستعيد حيويتها من جديد؛ حتى العام 1966م، فتميزت هذه المرحلة بالتغير البطيء وعدم التركز في مكان واحد، بل كان نمواً مبعثراً على أجزاء المدينة، وتركت فراغات دون استغلال؛ بحيث نجد أن هناك حالة من عدم الترابط العضوي بين أجزاء المدينة المعمورة في هذه المرحلة، وهو نمط النمو الحضري المتدرج الذي يتم على شكل قفزات لإنشاء أجزاء المدينة دون أن يكون هناك ارتباط عمراني بمركز المدينة، فنجد المناطق المستغلة من مساحة المدينة كانت متمثلة في حي النور، وحي شاهر روحة، ووسط المدينة، وحي السنينات، والجبيلة الشرقية، وحي سوق العجاج، وحي الحطية، وبعض الأجزاء من حي المطار القديم؛ بينما بقيت الأجزاء الأخرى غير مأهولة بالسكان.

ب-المرحلة الثانية للفترة من عام 1967 إلى 1973م :

نستطيع أن نطلق عليها مسمى مرحلة النمو المخطط؛ فمع التوسع العددي والمساحي للمدينة احتاجت إلى تخطيط استعمالات الأرض فعهدت الدولة إلى مؤسسة دوكسيادس اليونانية عام 1966م، لدراسة المدينة من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والبيئية لوضع مخطط أساسي، (master plan) ، لها، وقدمت الشركة بعد المسوحات الميدانية مخططاً أساسياً للمدينة وذلك عام 1968م، لتنمية وتطوير المدينة لعشرين سنة قادمة حتى العام (1988م)، ثم قام المكتب الاستشاري للمرافق بتحديث \الخطة عام 1992م، وصدر مخطط جديد عام 1995م، فيه مقترح تطوير المدينة لغاية 2010م. وبهذا تميزت هذه المرحلة بالامتداد الطولي للمدينة باتجاه الغرب على امتداد طريق طبرق – درنة، كما استمرت في امتدادها شرقاً مع أجزاء صغيرة في الجزء الجنوبي من الخليج، حيث إن الفراغات التي كانت موجودة قد امتلأت ونمت بشكل سريع، وهذا سبب في انتشار مساحة واسعة من الأحياء على حساب الأراضي المحيطة بها، وقد شغل هذا النمو المساحي معظم أجزاء الأحياء التي كانت فارغة قبل عام 1966م، وهي: حي الحطية، وسوق العجاج، والسنينات، وباقي أجزاء حي المطار القديم، والجبيلة الشرقية، وباب درنة الشرقي، وشاهر روحه، ومركز المدينة، وحي النور، وسيدي يونس، وبعض أجزاء المنطقة الجنوبية المجاورة للخليج، وقد أدى هذا النمو إلى زيادة مساحة المدينة والتي قدرت في نهاية تلك المرحلة بـ (870)، هكتار؛ منها (438.6 هكتار مساحة سكنية)، وكان إجمالي المساحة المشيدة (760.92)، هكتار[9].

ج-المرحلة الثالثة للفترة من 1974إلى1989م:

(7)سعد خليل القزيري" التحضر"، في كتاب، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تحرير)، الهادي مصطفي أبولقمة، ط1، سرت، دار الجماهيرية للتوزيع والنشر، 1995، ص404.

(8) سليمان محمود سليمان، رومل الفيلق الإفريقي – حرب الصحراء، ط1، مصراته، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان، 1998، ص11.

(9)المملكة الليبية، وزارة التخطيط والتنمية، طبرق، التقرير النهائي حول المخطط الرئيسي لسنة 1967، ص 16.

توسعت ونمت المدينة ضمن الخطة المرسومة لها مسبقاً من قبل مؤسسة دوكسيادس اليونانية التي قامت بدراسة مدينة طبرق سنة 1966م، وقدمت تقريراً حول المخطط الأساسي للمدينة تضمن خطة تطوير المدينة لسنة 1988م، ومن خلال تنفيذ هذه الخطة امتدت المدينة في نموها المساحي باتجاه الشرق والغرب على امتداد طريق طبرق ـ درنة، وطريق طبرق ـ إمساعد ومن ثم الحدود الليبية المصرية، وفي أثناء نموها الجديد وامتدادها نحو المحاور المذكورة ظهرت أحياء سكنية جديدة، منها: حي المنارة في أقصى شرق المدينة، وحي الحرية (د)، وحي المختار، وحي عبد المنعم رياض، وحي باب درنه الغربية، وحي الفرجان، وحي العروبة، وهي من الأحياء العشوائية والمبعثرة. كما تميزت هذه المرحلة بظهور نمط عمراني جديد تمثل في الامتداد العمودي، وقد أنشئت عمارات سكنية عديدة تكونت من أربع وخمس طوابق، وخاصة في حي الحرية، وحي المختار.

د-المرحلة الرابعة للفترة من 1990إلى 2010 م:

لقد شهدت منطقة الدراسة توسعاً واضحاً في هذه المرحلة؛ ولاسيما في العشر سنوات الأخيرة ، فهناك من يصفها بمرحلة النمو السريع؛ حيث استمر التدفق السكاني على المدينة وارتفع عددهم إلى (82475)، نسمة ضمن التعداد السكاني للعام1995م؛ وبمعدل نمو قدره 3.5 بالمائة، و كان معدل نمو الإقليم 3.8 بالمائة؛ ومعدل نمو الدولة الليبية حينذاك 3.9 بالمائة، وفي تعداد 2006م، وصل عدد السكان إلى (105434)، نسمة، وبمعدل نمو قدره 3 بالمائة، وكان معدل نمو الإقليم 2.8 بالمائة، ومعدل نمو الدولة الليبية حينذاك 2.3 بالمائة، وذلك من واقع التعداد العام للسكان للعام 2006 م.

أما في آخر مسح ميداني في عام 2010م، وصل عدد السكان إلى (112544)، نسمة أي بزيادة سكانية حوالي سبعة آلاف نسمة خلال أربعة سنوات؛ وبمعدل نمو قدره 2.6%، وتزامنت الزيادة حيث نمت المدينة بالاتجاه الشمالي الشرقي لتشمل كل المنطقة الممتدة من شمال الطريق الدائري المار بشمال حي المنارة، وحي باب درنه حتى البحر. كما نمت المدينة في اتجاه الجنوب الشرقي وظهرت أحياء جديدة تمثلت في حي النصر (أ) و(ب)و(ج)، وحي الخليج، كما استمرت المدينة في امتدادها المساحي بنفس محاور التوسع العمراني على امتداد طريق درنه ـ طبرق، وظهرت أحياء جديدة مثل حي الزهور، والحدائق، وحي القدس، كما تم فرز الأرض في الاتجاه الشمالي الغربي، وتوزيعها على السكان، والتي أدت إلى ظهور حي الأندلس، فأعطى هذا النمو للمدينة شكلاً بيضوياً، وقد امتلأت الفراغات بين الأحياء السكنية باستثناء الفراغات القائمة بين كلية الهندسة شرقاً ورأس الجزيرة غرباً، وقد ارتأت مؤسسة دوكسيادس كمخطط للجيل الثاني للمدينة ، عند وضعها للمخطط ؛ أن المعيار التخطيطي لمساحة المدينة في عام 2010م، حوالي (4170 هكتار)، موزعة فيما بين الاستخدامات الحضرية

المختلفة [10] . ويعود عدم تحقيق المستهدف من المخطط المشار إليه سابقا لعدة أسباب منها: مركزية وهي: عدم دعم وتمويل المخططات، والإهمال الإداري، وعدم الرقابة الصارمة عند التنفيذ، مما جعل المدينة تعاني كثيراً من المشاكل الحضرية منها: البناء العشوائي، ونقص السكن، وعجز في الخدمات، والاعتداء على الأراضي الخضراء، وغيرها من المشاكل[11] .

أن التقلبات السياسية الأخيرة خلال الفترة من(2011 – 2020) لم تحدث تنمية مما ترتب عليها الاعتداء على منطقة التوسع من خلال البناء العشوائي وذلك لغياب مشاريع التنمية، الشكل (3) .

شكل (3): مراحل التطور العمراني لمنطقة الدراسة في الفترة (1950 – 2020م)

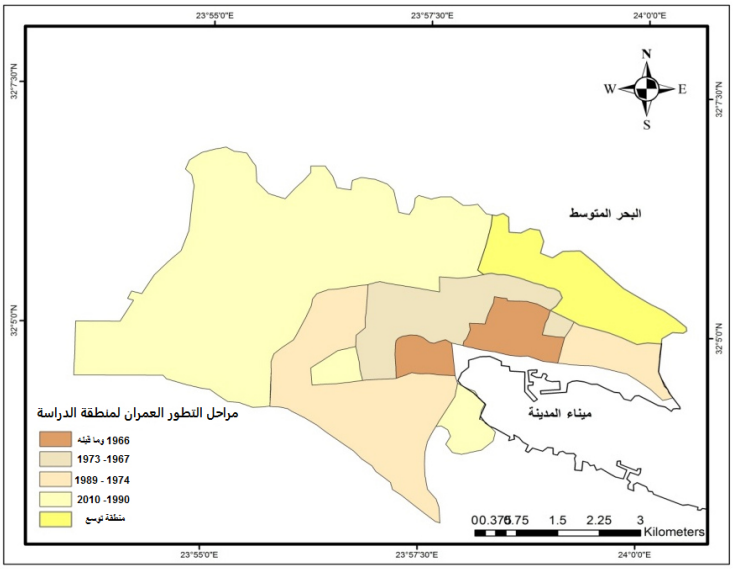

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على بيانات مصلحة التخطيط العمراني.

(10) . مصلحة التخطيط العمراني، مشروع الجيل الثالث للمخططات، إقليم بنغازي التخطيطي 3GPP 2000-2025، الإقليم الفرعي البطنان، مخطط مدينة طبرق،2009، ص ص 12، 28، 41.

(11) عبد العزيز بوحليقة، "المرجع السابق، ص41.

ثالثاً: استخدامات الأرض لمدينة طبرق:

تعدُ استعمالات الأرض من الأمور المهمة في رسم الهيكل العمراني لأي مدينة إذ أنها تمثل الوجه الطبيعي للمدينة، وهي ذات علاقة بنشاط الإنسان، ويقوم الناس الذين يسكنون المدن ويعملون فيها بأشغال وتنظيم واستخدام حيز المدينة لأغراضهم المختلفة ويخصصون ما يحتاجون إليه من حيز أو مجال لاستعمالات مختلفة، كما تختلف حاجاتهم للاستخدامات المختلفة، وتعبر أهمية استخدام الأرض في المدينة عن حقيقة: أن أي تخطيط فعال للتطوير وإعادة التنظيم المكاني للمدينة في المستقبل يجب أن يضع في الحسبان أن النمط الحالي لاستخدام الأرض في المدينة هو انعكاس ليس لمتطلبات المساحة الحالية فقط بل هو انعكاس لعوامل واحتياجات متراكمة ومتزايدة خلال فترة من الزمن نتيجة للتطور في الوظيفة أو الشكل أو النمط العمراني، والمسئول عنها عوامل الطرد والجذب المركزية .

والآن نتناول في هذا الجزء من البحث التطور الوظيفي لمدينة طبرق، وذلك من خلال تحليل الجدول (1) و(2) اللذين يوضحان التطور الوظيفي لأهم استعمالات الأرض في المدينة خلال الفترة من (1966- 2020م)، وسيتم تقسم هذه الفترة على مرحلتين الفترة الأولى من (1966-1987م)، والثانية من (1988-2020م)، كالاتي:

جدول (1) استعمالات الأرض في المدينة خلال الفترة من (1966-1987)

السنوات / نوع الاستخدام	1966-1973				1973-1987			
	المساحة بالهكتار	%	المساحة المشيدة	%	المساحة بالهكتار	%	المشيده المشيدة	%
السكني	200	% 72	53.3	% 60	438.6	% 59	57.6	% 58
التجاري	5.4	% 2	2.3	% 3	8.4	% 1	1.1	% 1
الصناعي	19.9	% 7	8.7	% 10	72	% 10	9.5	% 10
الزراعي	2.9	% 1	2	% 2	23.1	% 3	4.4	% 4
الطرق	15.9	% 6	6.9	% 8	108.7	% 15	14.3	% 14
الخدمات العامة	33.9	% 12	14.9	% 17	97.8	% 13	12.8	% 13
المجموع	278	% 100	88.1	% 100	748.6	% 100	99.7	% 100

المصدر: الباحثان اعتماداً علي:

- التعدادات العامة للسكان (1966، 1973، 1984، 1995، 2006م).

- المملكة الليبية، وزارة التخطيط والتنمية طبرق، التقرير النهائي حول التخطيط الرئيسي.

- عبد العزيز بوحليقة، "مرجع سابق.

(أ). الفترة من (1966 – 1987): من خلال الجدول (1) يتضح الاتي:

- كانت أعلى نسبة لاستخدام الأرض في المدينة خلال هذه الفترة هي الاستخدام السكني حيث بلغت خلال الفترة من(1973 – 1987م)، بحوالي 438.6 هكتار ما نسبته 59%، وكانت نسبة المشيد منها حوالي 58 % من أجمالي المساحة .

- بلغت مساحة الاستخدام الصناعي في المدينة خلال الفترة (1966 – 1973م)، 19.9 هكتار ما يعادل تقريباً 10 %، من جملة الاستخدام في المدينة وقدرت نسبته ما شيد منها بنحو 8.7 %، فقط من جملة الاستخدام الصناعي للمدينة خلال نفس الفترة بينما زادت هذه المساحة من الاستخدام في الفترة من (1973 – 1987م)، حيث بلغت نسبتها بحوالي 72 هكتار، ما يقدر بنحو 10 %، من اجمالي مساحة الاستخدام الصناعي بالمدينة، وقدرت نسبة المساحة المشيدة منها بنحو 9.5 %، من جملة الاستخدام الصناعي بالمدينة خلال هذه الفترة.
- أما استخدام الطرق فقد قدرت نسبة المساحة المخصصة لها خلال الفترة(1966 – 1973م)، بنحو15.9 هكتار، ما يعادل تقريباً 6%، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة وبلغت المشيد منها بنحو 8%، من جملة مساحة استخدم الطرق، بينما زادت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من (1973–1987م)، بحوالي 108.7 ما يعادل 15 %، من جملة استخدام الطرق، وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 14 %، من جملة استخدام الطرق.
- في حين قدرت نسبة المساحة المخصصة للاستخدام التجاري خلال الفترة(1966 – 1973م)، بنحو 5.4هكتار، ما يعادل تقريباً 2%، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة وبلغت المشيد منها بنحو 3%، من جملة مساحة الاستخدام التجاري، بينما بلغت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من(1973 – 1987م)، بحوالي 8.4 ما يعادل 1 %، من جملة الاستخدام التجاري، وشيد من هذه المساحة تقريبا ً ما نسبته 1 %، من جملة استخدام الطرق.
- أما استخدام الخدمات العامة فقد قدرت نسبة المساحة المخصصة لها خلال الفترة (1966 – 1973م)، بنحو33.9 هكتار، ما يعادل تقريباً 12 %، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة، وبلغت المشيد منها بنحو 17 %، من جملة مساحة استخدم الخدمات بالمدينة، بينما بلغت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من (1973 – 1987م)، بحوالي 97.8 ما يعادل 13 %، من جملة استخدام الخدمات بالمدينة وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 13%، من جملة استخدام الطرق بالمدينة خلال هذه الفترة.
- ونلاحظ أن أقل نسبة للاستخدام في المدينة هو الاستخدام الزراعي والذي كانت مساحته تقريباً تقدر بنحو 2.9 هكتار، خلال الفترة من (1966 – 1973م)، وهو ما يعادل 1%، من إجمالي مساحة الاستخدام في المدينة بينما كانت نسبة مساحة هذا الاستخدام خلال الفترة من (1973 – 1987م)، تقدر بنحو 23.1

هكتار، ما نسبته 3 %، من جملة استخدام الطرق في المدينة. وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 4 %، من جملة الاستخدام الزراعي بالمدينة خلال هذه الفترة.

(ب). الفترة من (1988 – 2020م)، نلاحظ من خلال الجدول (2) الآتي:

- كانت أعلى نسبة لاستخدام الأرض في المدينة خلال هذه الفترة أيضاً هي الاستخدام السكني

حيث بلغت خلال الفترة من(2009-1988م)، بحوالي 441هكتار، ما نسبته 45%، من إجمالي مساحة الاستخدام في المدينة، وكانت نسبة المشيد منها خلال هذه الفترة تقدر بنحو 46%، من جملة الاستخدام السكني، بينما زادت هذه المساحة خلال الفترة من(2020-2010م)،

جدول (2) استعمالات الأرض في المدينة خلال الفترة من (1988 – 2020)

السنوات نوع الاستخدام	2009-1988				2020-2010			
	المساحة بالهكتار	%	المساحة المشيدة	%	المساحة بالهكتار	%	المشيده المشيدة	%
السكني	441	% 45	42.4	% 46	1746	% 76	53.6	% 75
التجاري	62	% 6	5.9	% 6	40.8	% 2	1.3	% 2
الصناعي	30	% 3	3	% 3	210	% 9	6.4	% 9
الزراعي	154	% 16	14.8	% 16	90	% 4	2.8	% 4
الطرق	205	% 21	19.3	% 21	163.5	% 7	5	% 7
الخدمات العامة	86	% 9	7.4	% 8	61.3	% 3	1.9	% 3
المجموع	978	% 100	92.8	% 100	2311.6	% 100	71	% 100

المصدر: الباحثان اعتماداً علي:

-التعدادات العامة للسكان (1966، 1973، 1984، 1995، 2006).

-المملكة الليبية وزارة التخطيط والتنمية طبرق، التقرير النهائي حول التخطيط الرئيسي.

- عبد العزيز بوحليقة، مرجع سابق.

حيث بلغت مساحة الاستخدام السكني في المدينة بنحو 1746 هكتار ما يعادل تقريباً 76 %، من جملة الاستخدام السكني في المدينة لهذه الفترة، وقدرت النسبة المشيدة منها بنحو 75 %، من جملة الاستخدام السكني في نفس الفترة.

- بلغت مساحة الاستخدام الصناعي في المدينة خلال الفترة (1988 – 2009م)، 30 هكتار، ما يعادل تقريباً 3 %، من جملة الاستخدام في المدينة، وقدرت نسبة ما شيد منها بنحو 3 %، فقط من جملة الاستخدام الصناعي للمدينة خلال نفس الفترة، بينما زادت هذه المساحة من الاستخدام في الفترة من (2010 – 2020م)، حيث بلغت نسبتها بحوالي 210 هكتار، ما يقدر بنحو 9 %، من اجمالي مساحة الاستخدام الصناعي بالمدينة، وقدرت نسبة المساحة المشيدة منها بنحو 9%، من

جملة الاستخدام الصناعي بالمدينة، خلال هذه الفترة.

- أما استخدام الطرق فقد قدرت نسبة المساحة المخصصة لها خلال الفترة (1988 - 2009م)، بنحو 205 هكتار، ما يعادل تقريباً 21 %، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة، وبلغت المشيد منها بنحو 21%، من جملة مساحة استخدم الطرق، بينما بلغت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من (2010 - 2020م)، بحوالي 5.163 هكتار ما يعادل 7 %، من جملة استخدام الطرق، وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 7%، من جملة استخدام الطرق.

- قدرت نسبة المساحة المخصصة للاستخدام التجاري خلال الفترة (1988 2010-م)، بنحو 62 هكتار، ما يعادل تقريباً 6 %، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة، وبلغت المشيد منها بنحو 8 %، من جملة مساحة الاستخدام التجاري، بينما بلغت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من (2010 - 2020م)، بحوالي 40.8 هكتار ما يعادل 2 %، من جملة استخدام التجاري، وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 2 %، من جملة استخدام الطرق.

- أما استخدام الخدمات العامة، فقد قدرت نسبة المساحة المخصصة لها خلال الفترة (1988 - 2010م)، بنحو 86 هكتار، ما يعادل تقريباً 9 %، من جملة مساحة الاستخدام بالمدينة، وبلغت المشيد منها بنحو 8 %، من جملة مساحة استخدم الخدمات بالمدينة، بينما بلغت نسبة هذا الاستخدام خلال الفترة من (2010 - 2020م)، بحوالي 61.3 هكتار ما يعادل 3 %، من جملة استخدام الخدمات بالمدينة، وشيد من هذه المساحة تقريباً ما نسبته 3 %، من جملة استخدام الطرق.

- في حين نلاحظ أن أقل نسبة للاستخدام في المدينة هو الاستخدام الزراعي والذي كانت مساحته تقريباً تقدر بنحو 154 هكتار، خلال الفترة من (1988 2010-م)، وهو ما يعادل 6% من اجمالي مساحة الاستخدام في المدينة بينما كانت نسبة مساحة هذا الاستخدام خلال الفترة من (2010 - 2020م)، تقدر بنحو 90 هكتار، ما نسبته 4 %، من جملة استخدام الطرق في المدينة.

رابعاً: قياس العلاقة بين السكان والمساحات التي تشغلها المدينة.

ولقياس العلاقة بين السكان والمساحات التي تشغلها المدينة تم اعتماد بعض الأساليب التخطيطية التي لها أهمية كبيرة في تحليل الهيكل العمراني للمدن، ومن هذه الأساليب: ـ

أ ـ معدل استهلاك الأرض Land Consumption Rate (L.C.R)[12]:

هو مؤشر لنظام المدينة وتزاحمها أو توسعها وانفتاحها، فكلما كان المعدل قليلاً دل على تراص المدينة وتزاحمها، والعكس كلما زاد فإنه يدل على توسع المدينة وانفتاحها دون تخطيط، كما يشير المعدل إلى حصة الفرد من مساحة

(12) Rate+Consumption+Land=q?search/com.google.www//:https

المدينة ووحدته (م2/ شخص)، ويحسب هذا المعامل لكل سنة من سنين الدراسة ويكون كالاتي: ـ A = L. C. R / P

حيث إن A: هي مساحة المدينة أو مناطقها المبنية (م2)

P : عدد سكان المدينة في نفس السنة [13] :

حيث بلغ معدل استهلاك الأرض في مدينة طبرق لسنة 1966 (290 م2 / شخص)، وهو معدل عالٍ جداً يدل على بعثرة المدينة وتشتتها وغياب التخطيط السليم لجمعها ورصف صفوفها، وقد انخفض المعدل مع بدء التخطيط للمدينة عندما بدأت شركة دوكسيادس بوضع مخطط أساسي للمدينة للفترة من 1968 لغاية 1988م، لذا تم تنظيم الأرض لمختلف الفعاليات واستغلت المساحات البينية والفراغات وانعكس هذا الإجراء التخطيطي على معدل استهلاك الأرض والذي انخفض إلى (151) م2/ شخص، ذلك عام 2006م، كما في الشكل أدناه، أما معدل استهلاك الأرض الخاصة بالمساحات السكنية فقد انخفض من (74 م2 / شخص)، عام 1966م إلى (27 م2/ شخص)، عام 2006م.

شكل (5) معدل استهلاك الأرض (شخص/ م2)

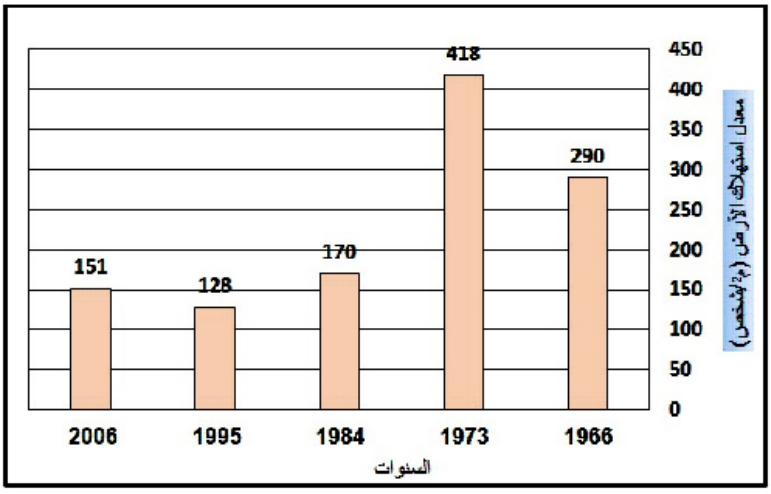

المصدر / الباحثان اعتماداً على:

ـ التعدادات السكانية للسنوات 1966، 1973، 1984، 1995، 2006ف.

ـ نتائج المسح الميداني للباحث.

ـ دوكسيادس، المخطط الأساسي لمدينة طبرق لسنة 1988.

(13) . ناصر الشمري – التطور العمراني لمراكز المدن العراقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلي مجلس كلية الهندسة – جامعة بغداد – 1993.

(14)https//:www.researchgate.net/figure/Land-Consumption-Rate-and-Absorption-Coefficient

ب ـ معامل استحواذ الأرض / Land Absorption Coefficient (L.A.C:)[14]

يقيس هذا المعامل حجم استحواذ الأرض الجديدة التي جرى عليها التوسع من قبل الزيادة السكانية الحاصلة في المدينة في نفس الفترات ووحداته (م2/ شخص) ويستخرج كآلاتي:

$$L.A.C = A1 - A2 \ / \ p1-p2$$

حيث إن: A1: مساحة المدينة في سنة الأساس.

A2: مساحة المدينة في السنة الأخيرة.

p 1 : عدد سكان المدينة في سنة الأساس.

p 2 : عدد سكان المدينة في السنة الأخيرة.

لقد بلغت قيمة معامل استحواذ الأرض في مدينة طبرق للفترة من 1966 لغاية 1988م حوالي (107م2/ شخص)، بينما في الفترة الثانية اللاحقة بين أعوام (1988 – 2006م)، زاد المعدل فبلغ (319) م2/شخص، وإن هذه الزيادة جاءت نتيجة تحسن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وزيادة الخدمات المقدمة لسكان المدينة والمتمثلة بالمساحات المخصصة للتعليم وللصحة والترفيه والطرق الخ، فضلاً عن زيادة مساحات القطع السكنية التي كانت لا تتجاوز عن 300م2 ارتفعت إلى مساحات أكبر منها وبعضها حوالي 500م2 وبالتالي ترك أثراً إيجابياً على معامل استحواذ الأرض في المدينة، وكما يشير المعدل إلى اتجاه المدينة نحو التوسع والانفتاح بدلاً من الانغلاق والانطواء.

ج ـ معدل التغير " C. R Change of Rate"[15]:

يعد هذا المعدل في المعايير التخطيطية المهمة لتقيس العلاقة بين الزيادة السكانية والتغيرات الحاصلة في مساحات المدن خلال الفترات نفسها وتحسب كالآتي: ـ

$$C.R = \frac{A1 - A2 \times 100}{A1}$$

حيث إن: A1: مساحة المدينة في سنة الأساس.

A2: مساحة المدينة في السنة الأخيرة.

إن مقدار التغير الذي حصل في الرقعة الجغرافية لمدينة طبرق خلال خمسة عقود ماضية كما هو موضح في الشكل (6), الذي يشير بأن معدل التغير في المساحة في مدينة طبرق خلال الفترة من (1966 – 2006م)، بلغ 258 %، فيما معدل التغير في السكان في المدينة لنفس تلك الفترة حوالي 1485%، أي بحدود ستة أضعاف الزيادة في المساحة المخصصة لمختلف الفعاليات الحضرية، وهذا مؤشر يعكس حاجة المدينة إلى المزيد من الأرض الحضرية لتضاف إلى المساحة الحالية

(15)https//:trading-secrets.guru-rate-change

ومخصصة لمختلف استعمالات الأرض لتواكب الزيادة الكبيرة في السكان ، وبينما بلغ معدل التغير في المساحات للفترة من(1966 – 1988م)، حوالي (123 %)، أما معدل التغير السكاني في مدينة طبرق لتلك الفترة نفسها بلغ (713 %)، أي بحدود ستة أضعاف الزيادة في الرقعة الحضرية، وأما معدل التغير في الفترة اللاحقة (1988 – 2006م)، بلغ (60 %)، من المساحات المخصصة لمختلف الاستعمالات الحضرية .

شكل(6) معدل التغير في المساحة والسكان في مدينة طبرق (1966 – 2006)

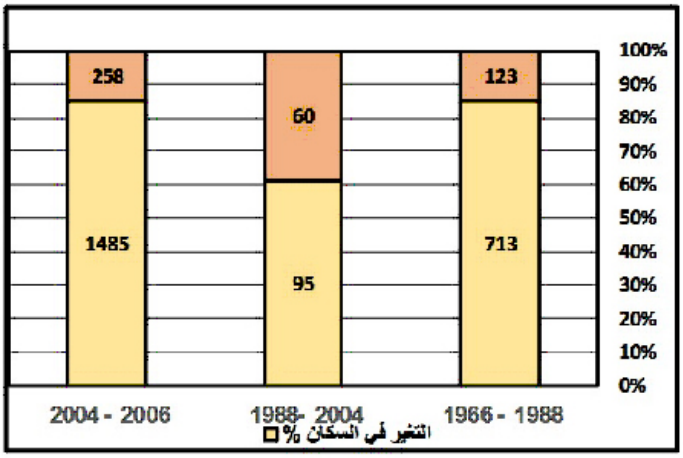

المصدر: الباحثان اعتماداً:
ـ نتائج التعدادات السكانية للسنوات 1964 ـ 1973 ـ 1984 ـ 1995 ـ 2006م.
ـ المخطط الأساسي للمدينة " دوكسيادس " 1966 ـ 1988.

النتائج:

1. نمت المدينة بشكل متسارع خلال فترة الدراسة، وكان ذلك واضحاً في الزيادة العددية لسكانها وبتوسع المساحة العمرانية التي تشغلها.
2. شهدت مدينة طبرق تغيرا كبيراً في استخدامات الأرض داخل مخطط المدينة منذ العقود السبع الماضية، وقد ظهر هذا التغير في النمو المتزايد، نتيجة إلى توسع مساحة مدينة طبرق العمرانية في المناطق السكنية والتجارية والصناعية والخدمية.
3. كان اتجاه التوسع العمراني الذي شهدته المدينة على طول خط ساحل بحر طبرق شرقا وغربا.
4. تميزت المدينة بالامتداد الطولي باتجاه الغرب على امتداد طريق طبرق _ درنة، كما استمرت في امتدادها شرقاً مع أجزاء صغيرة في الجزء الجنوبي من الخليج.
5. التباين ما بين نسبة نمو الزيادة السكانية ونسبة النمو في استعمالات الأرض داخل حدود المدينة، إذ لم تكن تنمو هذه الاستعمالات بنفس مستوى النمو السكاني.
6. وهذا النمو السريع ترتب عليه زيادة الضغط على الخدمات والمرافق العامة، إضافة إلى حدوث التكدس والاختناقات المرورية.
7. معدل استهلاك الأرض الخاصة بالمساحات السكنية انخفض من (74م2/ شخص)، عام 1966 إلى (27م2/ شخص)، عام 2006م.
8. إن مقدار التغير الذي حصل لمدينة طبرق خلال خمسة عقود ماضية يشير بأن معدل التغير في المساحة في مدينة طبرق خلال الفترة من(2006-1966م)، بلغ 258 %، فيما معدل التغير في السكان في المدينة لنفس تلك الفترة قد بلغ حوالي 1485 %، أي بحدود ستة أضعاف الزيادة في المساحة المخصصة لمختلف الفعاليات الحضرية.
9. وبينما بلغ معدل التغير في المساحات للفترة من (1966 - 1988م)، حوالي (123 %)، أما معدل التغير السكاني في مدينة طبرق لتلك الفترة نفسها بلغ (713 %)، أي بحدود ستة أضعاف الزيادة في الرقعة الحضرية وأما معدل التغير في الفترة اللاحقة 1988م (60 %)، من المساحات المخصصة لمختلف الاستعمالات الحضرية. .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية:

أ) الكتب :

1. منصور محمد الكيخيا، " السكان "، في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، ط 1، (ت) الهادي مصطفى بولقمة، سعد خليل القزيري، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995، ص 363.

2. سعد خليل القزيري" التحضر"، في كتاب، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تحرير)، الهادي مصطفي أبولقمة، ط1، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995.

3. سليمان محمود سليمان، رومل الفيلق الإفريقي-حرب الصحراء، ط1، مصراته، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان، 1998.

4. فايز محمد العيسوي، أسس جغرافية السكان، ط1، ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2017.

بـ) الرسائل العلمية :

5.عبد العزيز بوحليقة، "جودة الحياة في مدينة طبرق – دراسة جغرافية "،(رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2013ف.

6. عبد الباسط مفتاح انويجي:"مشكلة الإسكان في مدينة طبرق"(رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة المنوفية، كلية الادآب، قسم الجغرافيا، 2014.

7. محمد علي التير، مدينة زليتن دراسة في جغرافية العمران، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة ناصر، طرابلس .

8. ناصر الشمري ـ التطور العمراني لمراكز المدن العراقية، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، مقدمة إلى مجلس كلية الهندسة ـ جامعة بغداد ـ 1993.

جـ) منشورات وتقارير رسمية :

9. المملكة الليبية، مصلحة الإحصاء والتعداد، التعداد العام للسكان، مقاطعة درنة، 1954 ف.

10 . ـــــــــ ، مصلحة الإحصاء والتعداد، التعداد العام للسكان، مقاطعة درنة، 1966 ف.

11 . المملكة الليبية، وزارة التخطيط والتنمية، طبرق، التقرير النهائي حول المخطط الرئيسي لسنة 1967.

12 . الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، مصلحة الإحصاء، التعداد، نتائج التعداد العام للسكان، بلدية درنة، 1973ف.

13 . ـــــــــ ، مصلحة الإحصاء، التعداد، نتائج التعداد العام للسكان، بلدية البطنان،1984 م.

14 . ـــــــــ ، مصلحة الإحصاء، التعداد، نتائج التعداد العام للسكان، بلدية البطنان، 1995 م.

15 . ـــــــــ ، مصلحة التخطيط العمراني، مشروع مخططات الجيل الثالث (2000 /2025)، إقليم بنغازي التخطيطي والمخططات الفرعية، بنغازي، 2008م.

16 . مكتب السجل العقاري طبرق، بيانات غير منشورة، 2020 م.

17. مصلحة التخطيط العمراني، مشروع الجيل الثالث للمخططات، إقليم بنغازي التخطيطي 2025-2000 3GPP، الإقليم الفرعي البطنان، مخطط مدينة طبرق،2009،المملكة الليبية، وزارة التخطيط والتنمية، طبرق، التقرير النهائي حول المخطط الرئيسي لسنة 1967م.

ثانياً - المراجع الأجنبية :
المواقع الالكترونية:

18. https://www.google.com/search?q=Land+Consumption+Rate.
19. https://www.researchgate.net/figure/Land-Consumption-Rate-and-Absorption-Coefficient.
20.https://trading-secrets.guru-rate-change .

تقييم تجربة التحول للصيرفة الاسلامية بالمصارف التجارية في ليبيا

إعداد: د. أحمد بلقاسم تواتي
أستاذ مشارك – قسم التمويل والمصارف - الأكاديمية الليبية للدراسات العليا طرابلس

الاستلام: 2/ 4/ 2021 القبول: 28/ 5/ 2021

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم مرحلة التحول إلى الصيرفة الإسلامية بالمصارف التجارية الليبية، وتركزت على تحليل أربعة عامل أساسية لتقييم مرحلة التحول وهي: عامل الاستثمار، وعامل توظيف الودائع، وعامل الاستثمار في التمويلات الإسلامية، وعامل تسوية المحفظة الائتمانية السابقة لعملية التحول. وتمثلت عينة الدراسة في بيانات النشرات الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي خلال 10 سنوات لتحليل ودراسة العامل الأول والثاني للفترة 2008 - 2019م، مع استبعاد فترة تطبيق قانون رقم 1 لسنة 2013م بشأن منع الربا وهي سنتي 2013 و2104م، في حين تم تحليل بيانات الدراسة بعد قرار التحول بالنسبة للعامل الثالث والرابع. وتم استخدام النسب المالية في تحليل البيانات، واتضح من التحليل ضعف مسيرة التحول بالمصارف التجارية الليبية من خلال ضعف نسبة توظيف الودائع، وكبر نسبة الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية لدى المصرف المركزي، وضعف الاستثمار في المنتجات الإسلامية، والتعثر في تحصيل المحفظة الائتمانية السابقة.

الكلمات المفتاحية: تقييم المصارف، التحول للصيرفة الإسلامية، توظيف الودائع، المحفظة الائتمانية.

Evaluating the transformation experience of Islamic Banking in Commercial Banks in Libya

Abstract:

This study aimed to assess the stage of transition to Islamic banking in Libya commercial banks, and focused on analyzing four basic factors to evaluate the stage of transformation, which are: the investment factor, the factor for employing deposits, the investment factor in Islamic financing, and the settlement factor of credit portfolio prior to the transformation process. The study sample was represented in the data of the economic bulletins of the Central Bank of Libya during 10 years to analyze and study the first and second factors for the period 2008–2019 AD, excluding the period of application of Law No. 1 of 2013 regarding the prevention of interest, which is in the years 2013 and 2014 AD, while the study data were analyzed after the decision to convert for the third and fourth factor. The financial ratios were used in analyzing the data, and the analysis revealed the weakness of the transformation path in the Libyan commercial banks through the weak employment rate of deposits, the large percentage of cash reserves of commercial banks at the Central Bank, the weak investment in Islamic products, and the failure to collect the previous credit portfolio.

Key words: bank evaluation, conversion to Islamic banking, deposit investment, credit portfolio.

1.1 المقدمة

مثّل صدور قانون المصارف رقم 1 لسنة 2005 خطوة مهمة في تطوير القطاع المصرفي الليبي وتفعيل دوره في تمويل النشاط الاقتصادي لما تضمنه من مقومات استقلالية السلطات والسياسات النقدية، حيث أعطى مرونة كبيرة في توسيع النشاط المصرفي ليشمل التطورات في الصناعة المصرفية التقليدية والإسلامية، وترجع فكرة انشاء المصارف الإسلامية في ليبيا إلى عقد المؤتمرات العلمية في المصرفية الإسلامية وصدور مناشير وقرارات وقوانين التحول للصيرفة الإسلامية، حيث سعى العديد من الباحثين والأكاديميين بدعم من العديد المؤسسات المحلية والدولية أبرزها البنك الإسلامي للتنمية والمجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية إلى عقد مؤتمرات عدة وتحت إشراف أكاديمية الدراسات العليا طرابلس، ومشاركة ورعاية مصرف ليبيا المركزي، والعديد من المصارف التجارية الليبية انعقد في طرابلس المؤتمر الأول للخدمات المالية الإسلامية سنة 2008م، وعلى هامشه انعقد العديد من ورش العمل واللقاءات التي تمخضت عن توليد القناعة بأهمية المشروع والعمل في التأسيس للمصرفية الإسلامية، أصدر مصرف ليبيا المركزي المنشور 2009/9م الذي تضمن السماح للمصارف الليبية بتقديم المنتجات المصرفية البديلة، ومنها المرابحة والإجارة، وتم عقد مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني سنة 2010م وتمخض عنه صدور منشور مصرف ليبيا المركزي رقم 2010/9م في تنظيم الصيرفة الإسلامية، الذي كان أكثر عمقا وتنظيما واعتبر في تلك الفترة بمثابة لائحة خاصة لتنظيم ممارسة النشاط المصرفية الإسلامية.

وفي سنة 2012م عقد مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثالث، ونتج عنه صدور القانون رقم 46 لسنة (2012م) بشأن تعديل قانون المصارف رقم (1) لسنة 2005 بإضافة فصل خاص بالصيرفة الإسلامية وجاء التحول الجوهري في مسيرة الصيرفة الإسلامية في ليبيا بصدور القانون رقم 1 لسنة 2013م بشأن منع المعاملات الربوية، والذي فرض على المصارف التحول الكامل للصيرفة الإسلامية، الذي بدأ تطبيقه منذ صدوره بين معاملات الأفراد الطبيعيين، واستكمل تطبيقه على معاملات الأشخاص الاعتباريين بداية من 01/01 /2015م[1]

وقد أربك صدور هذا القانون مراحل تحول المصارف والتي قررت التحول جزئياً للصيرفة الإسلامية، فضلا عن توقف النشاط الاستثماري للمصارف الأخرى التي لم تدخل أصلاً في طرح خدمات ومنتجات المصرفية الإسلامية، وقد واجهت المصارف كلها التقليدية والمتخصصة مشاكل وصعوبات في تطبيق الصيرفة الإسلامية خصوصاً في تقديم الصيغ الإسلامية البديلة عن التمويل التقليدي الذي كانت تطرحه في السابق، حيث تركزت التمويلات في تقديم صيغة المرابحة للأمر بالشراء، وقد جرت العديد من الدراسات للبحث في أسباب ومعوقات هذا الإخفاق،

(1) مؤتمر الاقتصاد الاسلامي، الاقتصاد الإسلامي طريق التنمية، استراتيجيات التحول وآلياته، وزارة الاقتصاد، طرابلس 2014، ص8

وسنحاول في هذه الورقة البحثية تقييم تجربة التحول للصيرفة الإسلامية بالمصارف التجارية الليبية من خلال تحليل البيانات المالية للمصارف التجارية الليبية عن الفترة قبل وبعد التحول للوصول إلى نتائج واقعية من البيانات المالية لتقييم فعالية هذه المرحلة.

2.1 مشكلة الدراسة

نظراً لصدور قرار المؤتمر الوطني العام رقم (1) لعام 2013م بشأن منع المعاملات الربوية، الذي فرض على المصارف الليبية التحول الكامل إلى الصيرفة الإسلامية، ونظراً لعدم جاهزية المصارف الليبية لهذا التحول وتطبيق القرار مباشرة، فقد تعثرت قدرتها في تقديم الصيغ المصرفية الإسلامية البديلة عن الخدمات والمنتجات التقليدية حيث اقتصر تحولها على طرح صيغة المرابحة فقط، ولم تتمكن من طرح صيغ التمويل الأخرى، وبعد مرور هذه الفترة أصبح من الضروري تقييم قدرة المصارف التجارية الليبية للاستثمار بعد التحول للصيرفة الإسلامية من خلال تحليل بعض المؤشرات المالية للبيانات الاجمالية للمصارف لتقييم وضعها الحالي، لذلك تركز هذه الورقة على تقييم مرحلة التحول إلى الصيرفة الإسلامية ليتضح جلياً مدى فعالية المصارف في توفير التمويلات المصرفية الإسلامية للأفراد والمؤسسات لتغطية الحاجات التمويلية الاستهلاكية والاستثمارية تنفيذاً لدورها الأساسي في الوساطة المالية بين وحدات الفائض الاقتصادي ووحدات العجز الاقتصادي.

3.1 أهداف الدراسة

1 – التعريف بمتطلبات التحول للصيرفة الإسلامية وآليات أو مداخل التحول.

2 – التعرف على تقييم وضع المصارف التجارية الليبية بعد التحول للصيرفة الاسلامية

3 – محاولة إبداء توصيات مناسبة من خلال نتائج تقييم مرحلة التحول إلى الصيرفة الإسلامية.

4.1 أهمية الدراسة

تمثل المصارف التجارية أهمية كبيرة للاقتصاد بما توفره من تمويلات للمشاريع الاقتصادية المختلفة التي تدفع التنمية الاقتصادية وتخفض البطالة وتعود بفوائد على المصارف والمجتمع الأمر الذي يتطلب تقييم مدى قدرتها على أداء دورها كوسيط مالي بعد التحول للصيرفة الإسلامية من خلال تقييم فعاليتها في الاستثمار بطرحها للتمويلات المصرفية الإسلامية.

5.1 فرضيات الدراسة

تم وضع فرضيات الدراسة في شكل فرضية رئيسة وهي:

H0 ضعف قدرة المصارف في التحول للصيرفة الإسلامية

وهذه الفرضية سيتم قياسها من خلال الفرضيات الفرعية الآتية:

H01 ضعف الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الاسلامية.

H02 ضعف توظيف الودائع في الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية.

H03 ضعف الاستثمار في المنتجات المصرفية الإسلامية بعد التحول.

H04 تعثر المحفظة الائتمانية الممنوحة قبل التحول للصيرفة الإسلامية

6.1 منهج الدراسة

تم الاعتماد على المنهج التحليلي بتحليل البيانات الإحصائية للمصارف التجارية بالنشرات الاقتصادية الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي بما يتعلق بتحقيق واختبار فرضيات الدراسة.

7.1 الدراسات السابقة

1 - دراسة (لشهب وبرويش، 2015)[2] بعنوان: تحليل عوامل نجاح التجربة الماليزية في تطوير الصناعة المالية الإسلامية. هدفت الدراسة استعراض تطور ممارسات وآفاق التمويل الإسلامي في ماليزيا كنموذج رائد ساهم بشكل رئيس في تطوير الصناعة المالية الإسلامية، وذلك باستعراض تطور عدد المصارف الإسلامية، حيث تطورت من مصرفين عام 2000 إلى عدد 17 مصرفاً إسلامياً عام 2013 وتطور القوانين بداية من قانون المصارف الإسلامية عام 1983 الذي تم تحديثه ستة مرات ليلائم مستجدات الصناعة المالية الإسلامية وقانون التكافل عام 1984 وقانون الأسواق والخدمات المالية عام 2007 وإنشاء المؤسسات والمجالس الداعمة للصيرفة والمالية الإسلامية على رأسها مجلس الخدمات المالية الإسلامية IFSB وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية AAOIFI التي إنضمت له والتي تم تأسيسها عام 1990 وشركة إدارة السيولة الإسلامية الدولية IILM وغيرها من المراكز المالية بالإضافة إلى المعاهد التعليمية المتخصصة في المالية الإسلامية، وقد أوضحت الدراسة أن المنتجات والخدمات المصرفية الإسلامية بدأت بالمرابحة والاستصناع والاجارة والمضاربة والمشاركة والوكالة والصكوك والمنتجات المالية المتوافقة مع الشريعة الإسلامية وخدمات بطاقة الائتمان الإسلامية لتصل اليوم إلى أكثر من 50 منتج وخدمة ومن أهم التطورات أيضاً إنشاء السوق المالية الإسلامية التي أتاحت الفرصة للمصارف الإسلامية لتنويع استثماراتها ومصادر الدخل والتمويل فضلاً عن تعيين بنك NEGARA كمقرض للمصارف الإسلامية واستحداث أذونات الخزانة الإسلامية ITB عام 2004 الأولى من نوعها في العالم، وسيطرت ماليزيا على إصدارات الصكوك الإسلامية بقيمة 375 مليار دولار عام 2013 وبنسبة 70.5% من الصكوك المصدرة، وإنشاء الصناديق الاستثمارية الإسلامية، كما استعرضت الدراسة قيم وأنواع المنتجات المصرفية الإسلامية، وخلصت الدراسة إلى أن هناك العديد من عوامل نجاح التجربة الماليزية من أهمها:

(2) لشهب الصادق وبورياش، أحمد، تحليل عوامل نجاح التجربة الماليزية في تطوير الصناعة المالية الإسلامية، المجلة الجزائرية للدراسات المحاسبية والمالية، العدد 1، 2015م.

1 – السياسة الرشيدة للجوانب الاشرافية والرقابية من خلال وضع وتطوير وتحديث الإطار القانوني اللازم لإنجاح المصارف الإسلامية.
2 – إنشاء البنية التحتية للمصرفية الإسلامية كالمؤسسات الفنية والتعليمية ومكاتب المحاماة لصياغة العقود ومكاتب الوساطة ومكاتب التحكيم وتدريب القضاة على خصوصية المالية الإسلامية.
3 – الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة وأدوات التواصل الحديثة والانترنت للتعامل مع الدول الراغبة بالتعامل بمنتجات المالية الإسلامية ونشرها وريادتها، حيث تُعد ماليزيا الرائدة في سوق الصكوك.
4 – الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي الذي ساهم بقسط كبير في تطوير الصناعة المالية الإسلامية، وأثبت أن هذا النظام لم يكن عائقاً بل كان دافعاً لازدهار وتطور ماليزيا وداعماً في ريادتها للصيرفة الإسلامية على مستوى العالم وتجربة رائدة ناجحة لوضع نظام مصرفي إسلامي بديل ومنافس قوي للنظام المصرفي التقليدي.

2 – دراسة (الضبع والتائب، 2014)[3] بعنوان: معوقات تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية من وجهة نظر موظفي المصارف. هدفت الدراسة إلى استشراف مدى وجود معوقات تحد من تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية، كما هدفت إلى التعرف على مدى وجود فروقات بين إجابات عينة الدراسة حول هذه المعوقات، تعزى لاختلاف المصرف، أو التخصص، أو سنوات الخبرة، وتم استخدام استمارة الاستبانة وزعت على المستويات الإدارية العليا على أربعة مصارف وهي مصرف الوحدة، ومصرف الجمهورية، والمصرف التجاري الوطني، ومصرف شمال افريقيا، وذلك بفروعها العاملة في مدينتي زليتن والخمس، حيث تم توزيع عدد (80) استمارة استبيان بواقع 10 استمارات لكل فرع من الفروع المذكورة وكانت نسبة الاستجابة أكثر من 90%، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

توجد معوقات شخصية واجتماعية تحد من تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية، أهمها حداثة التجربة وضعف الخبرة لدى العملاء.

1. توجد معوقات مصرفية (إدارية وفنية) تحد من تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية، من أبرزها عدم وجود مجالات استثمار إسلامية كافية في الأسواق المالية.
2. توجد معوقات شرعية وتشريعية تحد من تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية أبرزها غياب الانسجام بين فتاوي الهيئات الشرعية حول بعض التعاملات.

(3) الضبع، محمد سالم. والتائب، عادل عبد السلام، معوقات تطبيق الصيرفة الإسلامية في المصارف التجارية الليبية من وجهة نظر موظفي المصارف، مجلة الجامعة الأسمرية، العلوم الشرعية والانسانية، العدد 28، 2014م.

3 - دراسة (أبو الهول، 2011)[4] بعنوان: تقييم أعمال البنوك الإسلامية الاستثمارية-دراسة تحليلية مقارنة. هدفت الدراسة إلى تحليل أساليب البنوك الإسلامية القائمة، واتبعت منهج دراسة المحتوى والمقابلات الشخصية والاعتماد على أراء العلماء في المذاهب الأربعة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1 -تُعد صيغة المرابحة أكثر صيغة مطبقة بالمصارف الإسلامية رغم تعرضها لكثير من الانحرافات والتحايل في التطبيق الذي يتحمله المصرف الإسلامي.

2 - تردد البنك الإسلامي الأردني في تطبيق صيغتي المضاربة والمشاركة، مع تخوف من تطبيق الصيغ الأخرى كالاستصناع والمزارعة.

3 -خسارة المصارف الإسلامية لكثير من عملاءها بسبب ممارساتها العملية مثل تحديد نسبة الربح بنسبة الفائدة المقررة بالدولة.

4 - تشير التقارير السنوية للبنوك الإسلامية وجود زيادة في الاستثمار بالمرابحة والاجارة مع تراجع خطير في المشاركة والمضاربة والتي اعتبرت البديل الشرعي للفائدة المحرمة شرعاً.

4 - دراسة (شحادة، 2011)[5] بعنوان: مدى نجاعة البنوك الإسلامية وتغلغلها في الاقتصاد الفلسطيني. هدفت الدراسة إلى تحديد وتحليل العلاقة بين الجهود المبذولة من البنوك الإسلامية في فلسطين لتطوير نفسها من جهة، ومستوى الخدمات المقدمة منها من جهة أخرى، وارتكزت الدراسة على تحليل أربعة عوامل وهي: سرعة الإنجاز، وآلية التعامل، والدقة في الإنجاز، ونوع الخدمات المقدمة، والمصداقية. وتم جمع بيانات الدراسة باستخدام الاستبيان، وتمثلت عينة الدراسة في (120) من موظفي المصارف و(550) من عملاءها، وتم تحليل البيات باستخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية وتحليل الانحدار، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1 -ضعف إدارات المصارف الإسلامية في تطوير الموارد البشرية ودعم برامج التدريب، ودعم فرص الإبداع والتطوير.

2 -ضعف الجانب التسويقي للخدمات المصرفية إسلامية.

3 -هناك العديد من الخدمات المصرفية لا تقدمها المصارف الإسلامية الفلسطينية.

4 -الوضع الاقتصادي في فلسطين يحد كثيراً من مجال توظيف الأموال.

5 -دراسة (أبو حميرة وأسويسي،2010)[6] بعنوان: تحول المصارف التقليدية في ليبيا نحو الصيرفة الإسلامية (دراسة تطبيقية عن مصرفي الجمهورية والتجارة والتنمية). هدفت هذه الدراسة إلى معرفة إمكانية تحويل المصارف التقليدية إلى

(4) أبو الهول، محي الدين يعقوب، تقييم أعمال البنوك الإسلامية الاستثمارية، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية، بانجي، 2002م.

(5) شحادة، موسى محمد، مدى نجاعة البنوك الإسلامية وتغلغلها في الاقتصاد الفلسطيني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الحرة هولندا، 2011م.

(6) أبو حميرة، مصطفى علي، و أسويسي، نوري محمد، تحول المصارف التقليدية في ليبيا نحو الصيرفة الإسلامية، مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس، 2010م.

مصارف إسلامية في ليبيا، واعتمدت الدراسة على تحليل متغير أساسي وهو مدى توافق أو اختلاف وجات النظر بين العاملين والزبائن في المصارف التجارية حول إمكانية تطبيق الصيرفة الإسلامية في ليبيا، وتم الاعتماد على صحيفة الاستبيان لبيانات الدراسة العملية، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:
1 - توافق وجهات نظر العاملين والعملاء في كلا المصرفين حول إمكانية تطبيق الصيرفة الإسلامية في ليبيا وإمكانية تحويل المصارف التجارية التقليدية إلى مصارف إسلامية.
2 - أكدت النتائج وجود رغبة حقيقية لدى العاملين والمتعاملين مع المصارف التقليدية على تطبيق ووجود المصارف الإسلامية في ليبيا، حيث يرون أن وجود الصيرفة الإسامية تسهم في تحسين الخدمات المصرفية وتطورها.
3 - أظهرت النتائج أن غياب المصارف الإسلامية في ليبيا يرجع إلى غياب المؤتمرات والندوات العلمية، بالإضافة إلى عدم تناسب السياسة التي يرسمها مصرف ليبيا المركزي مع إنشاء المصارف الإسلامية، وضعف دور المؤسسات والهيئات الدينية والمتمثلة في جمعية الدعوة الإسلامية والهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة.

6 - دراسة (مصطفى، 2006)[7] بعنوان: تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الإسلامية. هدفت الدراسة إلى تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الإسلامية من خلال تقييم تجربة البنوك السعودية في التحول الجزئي بفتح الفروع الإسلامية، واعتمدت الدراسة على صحيفة استبيان في جمع البيانات التي تم توزيعها على عينة من العاملين بإدارات الخدمات المصرفية الإسلامية في 7 بنوك تقليدية وشملت الاستبيان 11 موضوعا رئيسيا غطت ظاهرة التحول، حيث ركزت على مداخل ودوافع وعقبات التحول، ودور هيئات الرقابة الشرعية والأجهزة الرقابية، ومصادر وتوظيفات الأموال، وكفاءة الموارد البشرية، ومعايير تقييم الأداء في ضوء أهداف المصرفية الإسلامية. بالإضافة إلى الاستبيان اعتمدت الدراسة على المقابلات الشخصية مع عدد من الممارسين والخبراء في مجال المصرفية الإسلامية. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:
1 - أن الجانب الأكبر من عملاء البنوك يرغبون في وجود النظام المصرفي الإسلامي.
2 - اختلفت دوافع التحول إلى الصيرفة الإسلامية حيث كان الدافع الأول جذب شريحة من العملاء ثم الدافع العقائدي، واختلفت الآراء بين تحول كامل النظام المصرفي للصيرفة الإسلامية أو الإبقاء على النظام التقليدي والنظام الإسلامي معاً.
3 - أثرت ظاهرة التحول للصيرفة الإسلامية على أطراف عديدة سواء المساهمين أو العملاء والبنوك الأخرى والنظام المصرفي، والمجتمع. حيث زادت من إثراء فقه المعاملات واستحداث خدمات ومنتجات بديلة جديدة، وطرح المنافسة مع البنوك التقليدية وتجاوب الأجهزة الرقابية مع هذه الظاهرة.

(7) مصطفى، مصطفى إبراهيم، تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاقتصاد الإسلامي، الجامعة الأمريكية المفتوحة، القاهرة، 2006م.

7 – دراسة (ناصر، 2006)[8] بعنوان: تجربة البنوك الإسلامية في الجزائر –الواقع والآفاق. هدفت الدراسة إلى تقييم تجربة المصارف الإسلامية في الجزائر ممثلة في بنك البركة الجزائري وهو أول مصرف إسلامي بالجزائر تأسس عام 1991 مشاركة بين القطاع العام والخاص، وتركزت الدراسة على تحليل البيانات المالية للمصرف خلال 10 سنوات للفترة 2003-1993 وذلك من خلال تحليل المؤشرات المالية التالية: تطور حجم رأس المال، والعائد على الأصول وعلى الأموال الخاصة، وتطور الأنشطة حسب الأجل والصيغة والقطاع، ومدى التزام البنك لكفاية رأس المال وفقاً لمعايير الصناعة المصرفية، واستنتجت الدراسة إيجابية التجربة الجزائرية في المصرفية الإسلامية.

8.1 ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

جاءت هذه الدراسات استكمالاً وامتداداً للدراسات السابقة إلا أنها تختص عن بعض الدراسات السابقة باستخدام البيانات المالية بدلاً من الاستبيان التي تناولته بعض الدراسات، بالإضافة إلى تركيزها على تقييم أداء المصارف التجارية بعد تحول كامل القطاع المصرفي للصيرفة الإسلامية، وتغطيتها في التحليل للفترة ما قبل وبعد التحول.

ثانيا: الجزء النظري

1.2 تطور المصارف الإسلامية

كانت أول تجربة عملية لبديل مصرفي لا ربوي هي تجربة "بنوك الادخار المحلية" والتي قام بها د. أحمد العزيز النجار في سنة 1963م في مصر، وفي عام 1971م تم إنشاء بنك (ناصر الاجتماعي) على أساس عدم تعامل البنك بالفائدة أخذاً وعطاءاً، ومن ثم توالى إنشاء المصارف الإسلامية، حيث تم إنشاء بنك دبي الإسلامي عام 1975، وتم إنشاء البنك الإسلامي للتنمية عام 1976م كأول مصرف إسلامي دولي حيث تمت اتفاقية تأسيسه عام 1974م من طرف (36) دولة إسلامية، ومن ثم انتشرت المصارف الإسلامية في معظم أقطار الدول النامية والمتقدمة على حد سواء، وبذلك أصبحت هذه المصارف واقعاً مميزاً لا يستطيع أحد تجاهله، وأثبتت وجودها على الساحة المصرفية بعد أن حققت نتائج مذهلة في مجال التمويل وجذب الودائع من خلال حجم التعامل المصرفي الإسلامي والذي يصل إلى مئات المليارات من الدولارات سنوياً وحجم أصولها الذي زاد عن 140 مليار دولار، ويوضح جدول (1.2) نمو المصارف الإسلامية حتى نهاية 2017م.

(8) ناصر، سليمان، تجربة البنوك الإسلامية في الجزائر، الواقع والآفاق، مجلة الباحث، العدد 4، 2006م.

جدول (1.2) نمو المصارف الإسلامية

البيان	2016م	2017م
حجم المصارف	170 مصرف	172 مصرف
عدد النوافذ	83 نافذة	85 نافذة
إجمالي الموظفين	382,331 موظف	383,157 موظف
إجمالي الموجودات	1,391 مليار دولار	1,480 مليار دولار
إجمالي المطلوبات	1,283 مليار دولار	1,362 مليار دولار
إجمالي التمويل المقدم للعملاء	882 مليار	967 مليار دولار

المصدر: (مجلس الخدمات المالية الإسلامية)[9]

2.2 الأسس الحاكمة لأعمال المصارف الإسلامية:

1.عدم التعامل بالربا، أو ما من شأنه أن يؤدي إليه: تعتبر هذه القاعدة الأولى الأساس التي يقوم عليها هذا المصرف الإسلامي، إذا أنه وبدون هذا الأساس يصبح كسائر المصارف والمؤسسات المالية الربوية، ذلك لأن الإسلام يحرم التعامل بالربا، ويدعو إلى مبدأ المشاركة في الغنم والغرم بديلاً عن الغنم المضمون المتمثل والواضح في الفائدة الربوية المحددة والثابتة[10] وتستعين المصارف الإسلامية لتحقيق هذه الغاية بهيئة الفتوي والرقابة الشرعية التي تقوم بإيقاع الحكم الشرعي فيما يعرض عليها من مسائل مالية ومصرفية خاصة بتعاملات تلك المصارف، وتستمد هيئة الفتوي والرقابة الشرعية وجودها من الجمعية العمومية للمصرف، ولا يعينها مجلس الإدارة أو المدير العام، وذلك تحقيقاً لاستقلاليتها وحريتها في أداء واجباتها، ولا يجب على الهيئة أن تصنف الأنشطة والخدمات إلى شرعية وغير شرعية فقط، بل عليها أن تقدم البدائل الشرعية لتلك الأنشطة والخدمات غير الشريعة.[11]

2. تقدير العمل كمصدر للكسب: ذلك لأن الإسلام يري أن المال لا يلد مالاً، وإنما الذي ينمي المال ويزيده هو العمل فقط، وهذا يعني توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمار لجميع الوسائل والأساليب التي تخضع لقاعدة الحلال والحرام التي جاء بها ديننا الحنيف، وذلك عن وتعاليمه، ورفض ما يتعارض منها مع هذه المبادئ السامية التي يكون هدفها تحقيق النفع الخاص فقط والربح على حساب الأخرين.

3. الالتزام بالأولويات الإسلامية في التمويل والاستثمار: ومن هنا فإن معايير تقييم المشروعات للعمل بها داخل المصارف الإسلامية يكون من خلال إعطاء

(9) مجلس الخدمات المالية الإسلامية. https://www.ifsb.org/index_ar.php

(10) عقل، سعيد جمعة، و عريقات، حربي محمد، إدارة المصارف الإسلامية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان 2012، ص11

(11) العطيات، يزن خلف، تحول المصارف التقليدية للعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص26

أولويات إسلامية للمشروعات من ضروريات وحاجيات وكماليات، والتي تحدد بواسطة مختصين في علم الشريعة لاختيار المشروعات التي تعود بالنفع لأكبر عدد من الأحياء، في ظل توافر العامل الاقتصادي وتفضيل المشروعات الإنتاجية التي تواجه الفقر وترفع من دخل الأفراد، وتفضيل المشروعات المستقبلية، وهذا في ظل التوجه الشرعي لأولويات الاستثمار في ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي لتحقيق العدالة الاجتماعية وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة على أن يتضمن الالتزام الشرعي الأخذ بأولويات الاستثمار، وأن تكون الأهداف الاستثمارية التنموية أهدافاً مرتبطة بالمرحلة التي يمر بها المجتمع، وفقاً للمستويات الثلاثة السابقة[12]

3.2 الخصائص المميزة للمصارف الإسلامية[13]

1 - الصفة العقدية: يستمد المصرف الإسلامي الأيدلوجية أو البناء الفكري الذي يسير عليه من العقيدة الإسلامية ويستمد منها كل كيانه ومقوماته وعلى ذلك فالمتوقع أن يكون للمصرف الإسلامي خط فكري يختلف تمام الاختلاف عن الخط الفكري لغيره من البنوك الربوية، والذي يتمثل في التزامه بتعاليم الإسلام، واستبعاد الفوائد الربوية، والاستثمار في المشاريع الحلال.

2 - الصفة التنموية: ويقصد بها ليس فقط التنمية الاقتصادية ولكن التنمية الاجتماعية، فالمصرف الإسلامي باعتباره مؤسسة اقتصادية مالية مصرفية اجتماعية يقوم بتعبئة مدخرات الأفراد واستثمارها في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي خدمة لمصالح المجتمع، ومن هنا يكون ارتباط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية، مثل تجميع الزكاة وتوزيعها على المحتاجين، والمشاركة في إنشاء المشاريع بما يحقق فرص عمل جديدة للشغل وليس إقراض المال بفائدة كما تعمل المصارف التجارية الربوية.

3 - الصفة الاستثمارية: وهذه الصفة يتمتع بها المصرف الإسلامي ولا يتمتع بها غيره من البنوك التجارية التي تعتمد على منح أموال مقابل فائدة مضمونة دون أي مشاركة فعلية من قبلها في النشاط التجاري أو الصناعي أو الزراعي الذي يباشره المستثمرين.

4 - مصرف ذو رسالة ومنهج: المصارف الإسلامية مؤسسات تمويلية ذات رسالة ومنهج تستمد قواعده من قيم وقواعد الشريعة الإسلامية وهذا المنهج يقوم على:

أ- حسن اختيار القائمين على إدارة الأموال.

ب- الصراحة والصدق والوضوح في المعاملات.

ج- عدم حبس الأموال واكتنازها وإنما توجيهها للاستثمار والمساهمة في التنمية.

د- وجود هيئات رقابة شرعية داخلية وخارجية للرقابة على الأعمال المصرفية

(12) أبو شهد، عبد الناصر البراني، إدارة المخاطر في المصارف الإسلامية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص122

(13) مندور، عصام عمر أحمد، البنوك الوضعية والشرعية، دار التعليم الجامعي للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2013، ص265-260

التقليديـة والحديثـة للتأكـد مـن تطابقهـا مـع أحـكام الشريعة الإسـلامية.

4.2 التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية[14]

هناك جملة من التحديات تواجه المصارف الإسلامية يمكن تلخيصها في الأتي:

التكيـف مـع البيئـة الخارجيـة: والتـي تتجـه نحـو العولمـة لابـد أن تنهـض المصـارف الإسـلامية بعـبء التمهيـد التدريجـي للتكيـف مـع اتجـاه عولمـة الاقتصـاد، وأن تتعـاون فيمـا بينهـا لتفـادي الآثـار السـلبية للعولمـة الاقتصاديـة، وهـذا يتطلـب إجـراء عمليـات الاندمـاج وإطـلاق السـوق الماليـة الإسـلامية الدوليـة وتطبيـق معايـير الرقابـة والمحاسـبة الإسـلامية.

المنافسـة الكبـيرة مـن المصـارف التقليديـة: يتطلـب دفـع هـذا التحـدي أن تعمـل المصـارف الإسـلامية عـلى تحسـين مسـتوى إدارتهـا وعملياتهـا الفنيـة، فـلا تكتفـي بـأن تكـون مجـرد أوعيـة لتلقـي الأمـوال بـل أدوات لاسـتثمارها، الأمـر الـذي يسـتدعي توفـير منتجـات جديـدة تكافـئ في منتجاتهـا المصـارف التقليديـة وتتفـوق عليهـا.

القـدرة عـلى تحمـل المخاطـر: مـن خـلال الكفـاءة الماليـة والجـدارة الائتمانيـة لقاعـدة عملائهـا يتعـين عـلى المصـارف الإسـلامية أن تسـتخدم أفضـل الوسـائل لإدارة المخاطـر والائتمـان وتقلبـات الأسـعار في الأسـواق، وهنـاك مـن يـرى ضرورة قيـام وكالـة إسـلامية عالميـة متخصصـة في تقييـم المخاطـر وإدارتهـا فيمـا بـين المصـارف الإسـلامية.

عـدم توفـير الغطـاء القانونـي: تعانـي المصـارف الإسـلامية مـن عـدم وجـود التشريعـات والقوانـين الملائمـة لطبيعتهـا مـن قبـل الحكومـات في الـدول الإسـلامية، والمشـكلة أن القوانـين التـي تحكـم أنشـطة المصـارف الإسـلامية وخاصـة التـي تنظـم علاقتهـا بالمـصرف المركـزي مثـل معـدل الاحتياطـات والسـيولة النقديـة وقيـود التمويل قـد وضعـت عـلى نمـط القوانـين الغربيـة والتـي لا تلائـم طبيعـة الاسـتثمار الإسـلامي، ويتطلـب معالجـة هـذه المشـكلة قيـام الحكومـات الإسـلامية بسـن القوانـين الإيجابيـة التـي تلائـم طبيعـة المصرفيـة الإسـلامية.

الافتقـار إلى الكفـاءات والكـوادر المؤهلـة: يتطلـب العمـل المـصرفي تأهيـلاً خاصـاً وكفـاءات إداريـة مدربـة تكـون عـلى إلمـام بطبيعتهـا المصرفيـة عـلى اعتبـار أنهـا تختلـف عـن المصـارف التقليديـة، ويتـم عـلاج هـذه المشـكلة مـن خـلال تنظيـم الـدورات المتخصصـة وورش العمـل بالتعـاون مـع الهيئـات الدوليـة مثـل المجلـس العـام للبنـوك الإسـلامية ومعهـد التدريـب بالبنـك الإسـلامي للتنميـة.

ضعـف التنسـيق بـين الهيئـات الشرعيـة: ممـا نتـج عنـه تضـارب الفتـاوى الفقهيـة في معاملاتهـا، لـذا عـلى المصـارف الإسـلامية إيجـاد قاعـدة علميـة مشـتركة مـن خـلال النـدوات وورش العمـل التـي تضـم متخصصـين مصرفيـين وشرعيـين فيمـا بينهـا وتوحيـد الفتـاوى.

(14) سـالم، العمـاري حسـن، المصـارف الإسـلامية ودورهـا في تعزيـز القطـاع المـصرفي، مسـتجدات العمـل المـصرفي في ضـوء التجـارب العربيـة والعالميـة، مجلـة القادسـية للعلـوم الإداريـة للعلـوم والاقتصاديـة، دمشـق العـدد 2، 2005، ص12

5.2 التحول إلى الصيرفة الإسلامية

1.5.2 أصول تحول المصرف التقليدي إلى مصرف إسلامي:

يرى بعض المتخصصين أن التحول ينبغي أن يعتمد على الأصول الأربعة الآتية:

أ- الطاعة: وهي قرين الرغبة الحرة أو الاختيار في الإسلام. قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[15]﴾

ب-الدعوة: بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي بلاغ مبين يرتكز على ترغيب وترهيب، وتعتمد في الإسلام على قاعدة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[16]﴾

ج- التدرج في التحريم: ظهر هذا المنهج الإسلامي في عصر الرسالة في الحالات التي كانت المحرمات مستقرة وراسخة في المجتمع الإسلامي. مثل تدرج البيان الإلهي القرآني في تحريم الخمر والربا على مراحل ثلاث متتابعة زمنياً.

د- توفير البديل الحلال في كل أمر حرمه الله: وهو المخرج للانتقال من الحرام إلى الحلال ومن الخبيث إلى الطيب عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا[17]﴾ ولذلك يجب علينا الترويج للعقود والمعاملات غير الربوية[18]

2.5.2 مداخل التحول:

بينت تجارب الدول والمصارف التقليدية في منطقتنا العربية والإسلامية العديد من مداخل التحول، فيما يلي عرض لتلك المداخل وهي:

1 - مدخل تحول مصارف بالكامل للعمل المصرفي الإسلامي: مثل ما حدث في بنك التمويل المصري السعودي الذي كان يعمل كبنك تقليدي تحت اسم بنك الأهرام وتحول للعمل المصرفي الإسلامي تدريجيا خلال الفترة من -1984 1998م، وبنك الشارقة الوطني 2002م والبنك العقاري الكويتي عام 2004م، وبنك الجزيرة السعودي الذي اتخذت إدارته قراراً بتحويل كل أعماله للعمل المصرفي الإسلامي منذ عام 1998م وتم استكمال موافقة السلطات النقدية، وتطوير المنتجات المصرفية لتتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية وفق خطة زمنية تنتهي مع نهاية 2005م [19]

2 - مدخل تحويل فروع تقليدية لفروع إسلامية متخصصة: وهذا الأسلوب هو الأكثر شيوعاً في مجال التطبيق العملي لهذه الظاهرة، حيث يقوم البنك التقليدي بتقديم الخدمات المصرفية الإسلامية بإحدى الطريقتين التاليتين:

(15) سورة البقرة الآية 254

(16) سورة النحل الآية 125

(17) سورة البقرة الآية 264

(18) يسري، عبد الرحمن، قضايا إسلامية معاصرة في النقود والبنوك والتمويل، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003 ص321 - 323

(19) الحزيم، يوسف عثمان، تحول المصرف المركزي التقليدي إلى مصرف مركزي إسلامي، مكتبة دار السلام، الرياض 2003، ص15

أولا: إنشاء فروع جديدة ومستقلة للمعاملات الإسلامية منذ البداية، وقد ركزت كثير من البنوك التقليدية التي خاضت هذه التجربة على هذه الطريقة إذ أنها تعتبر أكثر مصداقية في جذب العملاء من الأساليب الأخرى.

ثانيا: تحويل أحد الفروع التقليدية القائمة إلى فرع يتخصص في تقديم الخدمات المصرفية الإسلامية مع إجراء التغيرات اللازمة لذلك، وهذه الطريقة تتطلب إشعار العملاء بعملية التحويل وتخييرهم بين التعامل مع الفرع الإسلامي وفقاً للأسلوب الجديد وبين التحول إلى فرع تقليدي آخر لنفس المصرف[20]

3 - مدخل إنشاء نوافذ إسلامية داخل الفروع والإدارات التقليدية: يقصد بالنوافذ الإسلامية بشكل عام قيام البنك التقليدي بتخصيص جزء أو حيز في الفرع التقليدي لكي يقدم المنتجات المصرفية الإسلامية إلى جانب ما يقدمه هذا الفرع من المنتجات التقليدية، ويهدف هذا الأسلوب أساساً إلى تلبية احتياجات بعض العملاء الراغبين في التعامل وفقا للنظام المصرفي الإسلامي حتى لا يتحولوا إلى التعامل مع المصارف الإسلامية، ومن عيوب هذا المدخل عدم الاستقلال المالي والإداري بين العمل الإسلامي وبين العمل التقليدي في المصرف.

ولقد انتشرت ظاهرة النوافذ الإسلامية بالفروع التقليدية في المصارف التقليدية العاملة في المملكة العربية السعودية، حيث يتم تخصيص نوافذ للتعامل المصرفي الإسلامي بها. وقد أخذ بهذا المدخل مجموعة سامبا المالية (السعودي الأمريكي) والبنك السعودي الهولندي والبنك السعودي للاستثمار والبنك السعودي الفرنسي[21]

4 - مدخل تطوير منتجات مصرفية الإسلامية: يهدف هذا المدخل إلى تحويل البنك التقليدي بالكامل إلى بنك إسلامي، وذلك من خلال الإحلال التدريجي للمنتجات المصرفية المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية محل المنتجات المصرفية التقليدية المشابهة لها في كل فروع وإدارات البنك دون تخصيص، ويركز هذا المدخل على دراسة المنتجات المصرفية التقليدية وإجراء التعديلات اللازمة عليها لتتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية إذا كان ذلك ممكنا أو ابتكار وتطوير منتجات مصرفية إسلامية بديلة عن المنتجات التقليدية، ويعتمد هذا المدخل على تفعيل طاقات كل العاملين في المصرف التقليدي نحو التحول للمصرفية الإسلامية كمهمة مشتركة للجميع[22]

5 - مدخل تقديم أدوات تمويل واستثمار إسلامية: في هذا المدخل يقوم البنك التقليدي بتوفير بعض أدوات أو صيغ التمويل الإسلامية كالمشاركة والمضاربة وبيع المرابحة والاستصناع والإجارة ونحو ذلك لجذب شريحة العملاء التي ترغب في التعامل وفق أحكام الشريعة الإسلامية.، وتقدم معظم البنوك التقليدية في المملكة

(20) عرفة، سعيد محمود، تحليل مصادر واستخدامات الأموال في فروع المعاملات الإسلامية للبنوك التقليدية، المجلة المصرية للدراسات التجارية، العدد 1، المجلد 11، 1987، ص238

(21) المرطان، سعيد بن سعد، تقويم المؤسسات التطبيقية للاقتصاد الإسلامي، النوافذ الإسلامية للمصارف التقليدية، المؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي، السعودية، 2005، ص5 - 7

(22) مصطفى، تقييم ظاهرة تحول البنوك التقليدية للمصرفية الإسلامية، مرجع سابق، 2006، ص94

العربية السعودية على هذه الصيغ أو المنتجات مع اختلاف مستوى وطريقة التقديم ومدى الالتزام الشرعي في التطبيق العملي لهذه الأدوات أو الصيغ[23]

الجزء الثالث: الجانب العملي

1.3 منهجية الدراسة :

1.1.3 مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل مجتمع الدراسة في بيانات جميع المصارف التجارية العاملة في ليبيا المنشورة بالنشرات الاقتصادية الصادرة عن إدارة البحوث والإحصاء بمصرف ليبيا المركزي. وتمثلت عينة الدراسة في البيانات الإحصائية لمصرف ليبيا المركزي لمدة 10 سنوات مقسمة إلى فترتين كل فترة 5 سنوات، الفترة الأولى قبل صدور القانون رقم 1 لسنة 2013م بشأن منع التعامل بالربا، وهي الفترة: من 2008 إلى 2012م والفترة الثانية تغطي 5 سنوات بعد فترة تطبيق القانون المشار إليه بشكل كامل وهي الفترة 2015 إلى 2019م، وتم استبعاد سنوات تنفيذ القرار بشكل كامل وهي سنتي 2013، و2014م لأنها كانتا فترة للتطبيق حيث نص القانون على تطبيقه على معاملات الأشخاص الطبيعيين منذ صدوره بداية عام 2013م وتم استكمال تطبيقه على معاملات الأشخاص الاعتباريين بداية من عام 2015م. وقد تم اختيار فترة الدراسة لتحقيق تساوي فترة الدراسة قبل وبعد صدور القانون رقم 1 لسنة 2013م الخاص بمنع التعامل بالربا، فيما عدا دراسة التمويل الإسلامي الممنوح من المصارف فقد تم دراسته للفترة بعد صدور القرار وكذلك تسوية المحفظة الائتمانية السابقة.

2.1.3 مصدر بيانات الدراسة: تم الاعتماد على النشرات الاقتصادية الصادرة عن إدارة البحوث والإحصاء بمصرف ليبيا المركزي التي تصدر بصفة ربع سنوية عن سنوات الدراسة وأخرها بيانات المجلد رقم (59) الربع الرابع لعام 2019م.

3.1.3 فرضيات الدراسة: تتمثل فرضيات الدراسة في فرضية رئيسة وهي: ضعف قدرة المصارف في التحول للصيرفة الإسلامية، وسيتم قياس هذه الفرضية من خلال الفرضيات الفرعية الآتية:

H01 ضعف الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية.

H02 ضعف توظيف الودائع في الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية.

H03 ضعف الاستثمار في المنتجات الإسلامية بعد التحول.

H04 تعثر المحفظة الائتمانية الممنوحة قبل التحول للصيرفة الإسلامية.

4.1.3 الأساليب الإحصائية المستخدمة :

تم استخدام اختبارات الإحصاء الوصفي المتمثلة في التكرارات والنسب المئوية والوسط الحسابي لتحليل بيانات الدراسة، مع التأكيد بأنه قد تحدث بعض الاختلافات والفروق البسيطة في قيمة متوسطات ونسب البنود بسبب تقريب الكسور العشرية.

(23) السابق ص95

2.3 اختبار فرضية الدراسة التي تنص على H0 ضعف قدرة المصارف في التحول للصيرفة الإسلامية.

1.2.3 اختبار الفرضية الفرعية الأولى التي تنص على: H01 ضعف الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الاستثمارية.

تم قياس هذه الفرضية عن طريق تحليل بيانات الاحتياطات النقدية للمصارف التجارية لدى مصرف ليبيا المركزي قبل وبعد التحول للصيرفة الإسلامية وفقا لفترة الدراسة.

أولا: بيانات الاحتياطيات المصرفية لفترة خمس سنوات قبل التحول للصيرفة الإسلامية.

يوضح الجدول 1.3 حجم الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية المودعة لدى المصرف المركزي خلال فترة الدراسة قبل التحول للصيرفة الإسلامية، ونسبة هذه الاحتياطيات لحجم الودائع المصرفية. وتم ايجادها بالمعادلة الآتية:

نسبة الاحتياطيات المصرفية = احتياطيات المصارف التجارية لدى م.ل.م ÷ حجم الودائع بالمصارف التجارية × 100

جدول 1.3 احتياطيات المصارف التجارية
مقارنة بحجم الودائع للفترة 2012-2008 (مليون د.ل)

السنة	(احتياطيات المصارف التجارية) الودائع لدى م.ل.م	حجم الودائع بالمصارف	نسبة الاحتياطيات المصرفية
2008	32470.1	41531.0	% 78.2
2009	38567.8	48672.6	% 79.2
2010	43935.0	55313.0	% 79.4
2011	46068.3	58480.1	% 78.8
2012	52941.3	68346.2	% 77.5
المتوسط	**42796.5**	**54468.6**	**% 78.6**

نلاحظ من الجدول 1.3 أن نسبة الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية لدى المصرف المركزي تتراوح بين 77 % و 79 % تقريباً وبمتوسط 78.6 % خلال الفترة، وأن الاحتياطي النقدي المطلوب 20 % فقط من حجم الودائع بالمصارف، وهي تظهر ركون المصارف إلى الادخار بإيداع الأموال لدى المصرف المركزي مقابل عائد منخفض 1.5 % بدلاً من توجيهها للإقراض لتمويل المشاريع الاقتصادية وبفائدة 7 % مما يوضح ضعف الاستثمار لدى المصارف التجارية حتى قبل التحول للصيرفة الإسلامية. ولزيادة تحليل الفائض المودع لدى المصرف المركزي والذي يمثل إيداع بفائدة وشهادات إيداع تعود على المصارف التجارية بعائد في حدود 1.5 %. سيتم عرض قيمة الودائع لدى المصرف المركزي وقيمة الاحتياطي النقدي

المطلوب، والفائض في الاحتياطي النقدي، وتحديد نسبة الفائض في هذا الاحتياطي بالمعادلة التالية:

نسبة الفائض في الاحتياطي النقدي = قيمة الفائض في الاحتياطي النقدي ÷ احتياطات المصارف المودعة لدى م.ل.م × 100 ويوضح الجدول 2.3 هذه المقارنة.

جدول 2.3 احتياطيات المصارف التجارية مقارنة بحجم الاحتياطي النقدي المطلوب للفترة 2008 – 2012 (مليون د.ل)

السنة	احتياطيات المصارف النقدية – الودائع لدى المصرف المركزي	الاحتياطي النقدي المطلوب (20 % من حجم الودائع لدى المصارف التجارية)	الفائض عن الاحتياطي النقدي بفائدة مقابل سعر الخصم 1.5 %	نسبة الفائض في الاحتياطي النقدي
2008	32470.1	8306.1	24164.0	% 74.4
2009	38567.8	9734.5	28833.4	% 74.7
2010	43935.0	11063.6	32872.4	% 74.8
2011	46068.3	11696.0	43372.3	% 94.1
2012	52941.3	13669.2	39272.1	% 74.2
المتوسط	42796.5	10893.9	33702.8	% 78.8

يلاحظ من الجدول 2.3 ارتفاع حجم الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية لدى المصرف المركزي، حيث أن نسبة الاحتياطي النقدي القانوني المطلوب ايداعها من المصارف التجارية محددة بنسبة 20 % من الودائع الموجودة لديها والتي تمثل قيمة 10893.9 مليون دينار في المتوسط خلال الفترة، وأن فائض احتياطيات المصرف لدى المصرف المركزي والتي تمثل الزيادة عن قيمة الاحتياطي النقدي القانوني مرتفعة جداً وهي تمثل قيمة 33702.8 مليون دينار في المتوسط خلال الفترة، ويتضح من الجدول أيضاً أن نسبة الأموال الفائضة المودعة لدى المصرف المركزي مقابل عائد 1.5 % تمثل حوالي 78.8 % من اجمالي الاحتياطيات (الودائع) المصارف المودعة بالمصرف المركزي مما يؤكد توجه المصارف للادخار لدى المصرف المركزي مقابل عائد 1.5% بدلاً من توجيه الأموال للاستثمار في السوق لتمويل المشروعات وبعائد أعلى ويحقق وظيفة المصارف في الوساطة المالية من خلال التمويل لوحدات العجز.

ثانيا: بيانات الاحتياطيات المصرفية النقدية لخمس سنوات ما بعد التحول للصيرفة الإسلامية

يوضح الجدول 3.3 حجم الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية المودعة لدى المصرف المركزي خلال فترة الدراسة بعد التحول للصيرفة الإسلامية، ونسبة هذه الاحتياطيات لحجم الودائع المصرفية.

جدول 3.3 احتياطيات المصارف التجارية
مقارنة بحجم الودائع للفترة 2015-2019 (مليون د.ل)

السنة	احتياطيات المصارف) التجارية) الودائع لدى م.ل.م	حجم الودائع بالمصارف	نسبة الاحتياطيات المصرفية المودعة لدى م.ل.م إلى حجم الودائع
2015	45122.9	71257.1	% 63.3
2016	53814.7	83407.6	% 64.5
2017	79551.7	95938.5	% 82.9
2018	77102.3	93657.5	% 82.3
2019	69475.9	88954.1	% 87.1
المتوسط	65013.5	86642.9	% 75.0

نلاحظ من الجدول 3.3 أن نسبة الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية لدى المصرف المركزي تتراوح بين 63 % و 87 % تقريبا وبمتوسط 75% خلال الفترة، وأنها تظهر اتجاهاً تصاعدياً، وأن الاحتياطي النقدي المطلوب 20% فقط من حجم الودائع بالمصارف، وباقي النسبة حوالي 55% هي أموال فائضة مودعة بالمصرف المركزي دون أية عوائد بسبب إيقاف التعامل بالفائدة بعد صدور قانون منع التعامل بالربا مما يوضح ضعف قدرة المصارف في الاستثمار بعد التحول للصيرفة الإسلامية لدرجة أنها تحتفظ بأموال ضخمة لدى المصرف المركزي دون وجود أي مردود مقابلها. ولزيادة تحليل الفائض المودع لدى المصرف المركزي والذي يمثل إيداع بدون أية عوائد بعد التحول سيتم عرض احتياطيات المصارف النقدية المودعة لدى المصرف المركزي وقيمة الاحتياطي النقدي القانوني المطلوب، والفائض في الاحتياطي النقدي، وتحديد نسبة الفائض في هذا الاحتياطي بالمعادلة التالية:

نسبة الفائض في الاحتياطي النقدي = قيمة الفائض في الاحتياطي النقدي ÷ احتياطات المصارف المودعة لدى م.ل.م × 100

ويوضح الجدول 4.3 هذه المقارنة.

جدول 4.3 احتياطيات المصارف التجارية
مقارنة بحجم الاحتياطي النقدي المطلوب للفترة 2019-2015 (مليون د.ل)

السنة	احتياطيات المصارف التجارية النقدية - الودائع لدى المصرف المركزي	الاحتياطي القانوني النقدي المطلوب (20 % من الودائع الموجودة بالمصارف التجارية)	قيمة الفائض في الاحتياطي النقدي	نسبة الفائض في الاحتياطي النقدي
2015	45122.9	14251.4	30871.5	% 68.4
2016	53814.7	16681.5	37133.2	% 69.0
2017	79551.7	19187.7	60364.0	% 75.9
2018	77102.3	18731.5	58370.8	% 75.7
2019	69475.9	17790.8	51985.1	% 74.8
المتوسط	65013.5	17328.6	47744.9	% 73.4

يتبين من بيانات الجدول 4.3 ارتفاع حجم الاحتياطيات النقدية للمصارف التجارية لدى المصرف المركزي بعد التحول، حيث أن نسبة الاحتياطي النقدي القانوني المطلوب ايداعها من المصارف التجارية محددة بنسبة 20% من الودائع الموجودة لديها والتي تمثل قيمة 17328.6 مليون دينار في المتوسط خلال الفترة، وأن فائض احتياطيات المصرف لدى المصرف المركزي والتي تمثل الزيادة عن قيمة الاحتياطي النقدي القانوني مرتفعة جداً وهي تمثل قيمة 47744.9 مليون دينار في المتوسط خلال الفترة، ويتضح من الجدول أيضاً أن نسبة الأموال الفائضة المودعة لدى المصرف المركزي بدون اية عوائد تمثل حوالي 73.4 % من إجمالي الاحتياطيات (الودائع) المصارف المودعة بالمصرف المركزي مما يؤكد توجه المصارف التجارية لإيداع الأموال لدى المصرف المركزي بدون وجود أي مقابل بدلاً من توجيهها للاستثمار في السوق لتمويل المشروعات، وهذا يدل دلالة قطعية على ضعف قدرة المصارف للاستثمار بعد التحول للصيرفة الإسلامية نتيجة الضعف في طرح منتجات الصيرفة الإسلامية البديلة عن استثماراتها المعتمدة على الفائدة قبل التحول وذلك للعديد من الأسباب التي تناولتها العديد من الدراسات والأبحاث.

ولقياس الفرضية الأولى التي تنص على ضعف الاستثمار لدى المصارف التجارية بعد التحول تم استخدام متوسط القيم بين المتغيرات خلال فترة الدراسة قبل وبعد التحول، ويوضح الجدول 5.3 هذه النتائج

جدول 5.3 مقارنة بيانات المصارف التجارية خلال فترة الدراسة (مليون د.ل)

البيان	خمس سنوات قبل التحول 2008 – 2012	خمس سنوات بعد التحول 2015 – 2019
متوسط الودائع لدى المصارف التجارية	54468.6	86642.9
متوسط ودائع المصارف التجارية (الاحتياطات النقدية) لدى المصرف المركزي	42796.5	65013.5
متوسط الاحتياطي النقدي المطلوب	10893.9	17328.6
متوسط الفائض في الاحتياطي النقدي	33702.8	47744.9
نسبة متوسط الفائض الاحتياطي النقدي	78.8%	73.4%
معدل العائد على فائض الاحتياطي النقدي	1.5%	0.00

نلاحظ من الجدول 5.3 ضعف الاستثمار بالمصارف التجارية الليبية بعد التحول حيث يلاحظ ارتفاع متوسط قيمة الودائع لدى المصرف المركزي، وارتفاع الفائض عن الاحتياطي النقدي القانوني التي وصلت 73.4 % رغم عدم وجود أية عوائد مقابلها بدلاً من توجيهها للاستثمار وتمويل الاقتصاد بما يعود بالنفع على الاقتصاد الوطني وعلى المصرف. وبذلك نستنتج صحة الفرضية الأولى للدراسة التي تنص على: ضعف القدرة الاستثمارية للمصارف التجارية بعد التحول للصيرفة الإسلامية.

2.2.3 اختبار الفرضية الفرعية الثانية التي تنص على: H02ضعف توظيف الودائع في الاستثمار بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية.

يوضح الجدول رقم (6.3) نتائج اختبار الفرضية الثانية والتي تم قياسها من خلال إيجاد نسبة توظيف الودائع بالمعادلة الاتية:

نسبة توظيف الودائع = إجمالي الائتمان ÷ إجمالي الودائع × 100

أولا: بيانات توظيف الودائع قبل التحول للصيرفة الإسلامية

يوضح الجدول 6.3 بيانات إجمالي الائتمان وإجمالي الودائع ونسبة توظيف الودائع خلال فترة الدراسة قبل التحول للصيرفة الإسلامية.

جدول 6.3 نسبة توظيف الودائع قبل التحول للصيرفة الإسلامية
للفترة 2008 – 2012 (مليون د.ل)

السنة	إجمالي الائتمان	إجمالي الودائع	نسبة توظيف الودائع
2008	10544.9	41531.0	% 25.4
2009	11812.7	48672.6	% 24.3
2010	13044.6	55313.0	% 23.6
2011	12786.5	58480.1	% 21.9
2012	15899.5	68346.2	% 23.3
المتوسط	12817.6	54468.6	% 23.5

يلاحظ من تحليل البيانات بالجدول 6.3 أن نسبة توظيف الودائع في انخفاض مستمر تقريباً ما عدا عام 2012 حيث تراوحت بين 25.4 % في 2008 و21.9 % عام 2011 وبمتوسط عام 23.5 % خلال الفترة وهي نسب متدنية مقارنة بنسب التوظيف المقررة بمصرف ليبيا المركزي بنسبة 65 % من الخصوم الإيداعية (إجمالي الودائع) موزعة بنسب متفاوتة على بنود السلف الاجتماعية والقروض العقارية والتسهيلات الائتمانية قبل التحول.

ثانيا: بيانات توظيف الودائع بعد التحول للصيرفة الإسلامية

يوضح الجدول 7.3 بيانات إجمالي الائتمان وإجمالي الودائع ونسبة توظيف الودائع خلال فترة الدراسة بعد التحول للصيرفة الإسلامية.

جدول 7.3 نسبة توظيف الودائع بعد التحول للصيرفة الاسلامية للفترة 2015-2019
(مليون د.ل)

السنة	إجمالي الائتمان	إجمالي الودائع	نسبة توظيف الودائع
2015	20212.8	71257.1	% 28.4
2016	18770.3	83407.6	% 22.5
2017	17446.7	95938.5	% 18.2
2018	16448.3	93657.5	% 17.6
2019	16912.7	88954.1	% 19.0
المتوسط	17958.2	86643.0	% 20.7

يلاحظ من تحليل البيانات بالجدول 7.3 أن نسبة توظيف الودائع في انخفاض مستمر تقريباً ما عدا عام 2019 حيث تراوحت بين 28.4 % في 2015 و17.6 % عام 2018 وبمتوسط عام 20.7% خلال الفترة وهي نسب متدنية مقارنة بنسب

التوظيف المقررة بمصرف ليبيا المركزي بنسبة 65% من الخصوم الإيداعية (إجمالي الودائع) المقررة قبل التحول.

ولتقييم توظيف الودائع والذي يعبر عن تقييم استثمارات المصارف التجارية بعد التحول للصيرفة الإسلامية سيتم المقارنة بين متوسط فترتي الدراسة قبل وبعد التحول اعتماداً على نسب توظيف الودائع لدى المصارف التجارية الموضحة بالجدولين

جدول 8.3 مقارنة نسبة توظيف ودائع المصارف التجارية خلال فترة الدراسة

البيان	متوسط خمس سنوات قبل التحول 2008 – 2012	متوسط خمس سنوات بعد التحول 2015 – 2019
متوسط نسبة توظيف الودائع	% 23.5	% 20.7
النسبة المعيارية	65 % موزعة بين أنواع الإقراض الثلاثة	65 % بدون تنويع على المنتجات
العجز / الفائض	41.5 % – عجز	44.3 % – عجز

نلاحظ من الجدول 8.3 ضعف نسب توظيف الودائع سواءً قبل التحول أو بعد التحول للصيرفة الإسلامية، إلا أنها زادت بعد التحول بشكل خطير لأن جزء كبير من الودائع كما يتضح بالجداول السابقة محتفظ بها لدى المصرف المركزي بدون مقابل على عكس ما كان قبل التحول، حيث كان الإيداع الفائض لدى المصرف المركزي مقابل عائد 1.5%، وما يؤكد خطورة الوضع بعد التحول أن النسبة المذكورة بالجدول تمت مقارنتها بإجمالي الائتمان الذي يضم أرصدة الائتمان الباقية بالمحفظة الائتمانية السابقة للتحول، ولتأكيد ضعف القدرة الاستثمارية للمصارف بعد التحول من المفترض أن يتم مقارنة نسبة توظيف الودائع بأرصدة التمويلات والاستثمارات الإسلامية بعد التحول، حيث توقف الائتمان المصرفي وتوجهت كل الاستثمارات للتمويل المصرفي الإسلامي، ولإظهار النتائج بشكل أصح وواقعي، وهذا ما سنتناوله في الفرضية رقم (3) التالية.

3.2.3 اختبار الفرضية الفرعية الثالثة التي تنص على: 3H0 ضعف قيمة المبالغ المستثمرة منذ التحول للصيرفة الإسلامية.

وقد تم قياس هذه الفرضية من خلال تحليل قيمة التمويل الإسلامي إلى إجمالي الودائع، وذلك بعد صدور قرار منع التعامل بالربا خلال الفترة 2013 وحتى 2019م، ونظراً لعدم توفر بيانات التمويل الإسلامي لعدم إدراجها ببند خاص بها في احصائيات المصرف المركزي، بل تم إدراجها ضمن بند السلف الاجتماعية (*) ولأغراض التحليل افترضنا تفاؤلاً أن بند السلف الاجتماعية يمثل قيمة التمويلات الإسلامية مع أن القيمة واقعياً أقل بكثير من ذلك. ويوضح الجدول 9.3 نتائج التحليل.

جدول 9.3 التمويل المصرفي الإسلامي بعد صدور قرار منع التعامل بالربا خلال فترة الدراسة (مليون د.ل)

السنة	التمويل الإسلامي (*) سلف اجتماعية	إجمالي الودائع	نسبة التمويل الإسلامي (السلف الاجتماعية) إلى الودائع
2013	6726.0	83562.7	% 8.0
2014	7158.9	78910.4	% 9.1
2015	6608.6	71257.1	% 9.3
2016	5901.1	83407.6	% 7.1
2017	4912.5	95938.5	% 5.1
2018	3988.6	93657.5	% 4.3
2019	3125.5	88954.1	% 3.5
المتوسط	5488.7	85098.3	% 6.4

(*) النشرة الاقتصادية، م ل م المجلد -59الربع الرابع 2019 ملاحظة تحت الجدول رقم (10) بالنشرة تفيد بأن التمويل الإسلامي (المتمثل في صيغة المرابحة للأمر بالشراء) يتم إدراجه ضمن بند السلف الاجتماعية.

من الجدول 9.3 يتضح ضعف نسب التمويل الإسلامي حيث لم يتعدى 10% رغم أن القيمة تشمل رصيد السلف الاجتماعية قبل التحول والتي افترضنا تفاؤلاً أنها تمثل التمويل الإسلامي الممنوح بعد التحول، ويتضح بالجدول أنها تراوحت بين 9.3 % عام 2015 لتصل الى 3.5 % عام 2019م وبمتوسط عام 6.4 % وهي نسب متدنية جداً ونؤكد بكل ثقة أنها أقل من ذلك لان المصرف المركزي يدرجها ضمن بند السلف الاجتماعية ولم يضع لها بند مستقل وفق الاجراء الصحيح، وحيث أن المصارف التجارية خلال هذه الفترة توقفت عن التمويل الربوي المعتمد على الفائدة ولم يبقى لها إلا توجيه أموالها إلى الاستثمارات التمويلات المصرفية الإسلامية لتحقق معدلات نمو وتحافظ على استمراريتها فضلاً عن تحقيق وظيفتها الأساسية المتمثلة في تمويل الاقتصاد، ويظهر جلياً ضعف نسب توظيف الودائع التي تُعد المصدر الأساس للتمويل والاستثمار مما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الثالثة للبحث التي تنص على 3H0 ضعف قيمة المبالغ المستثمرة منذ التحول للصيرفة الإسلامية.

4.2.3 اختبار الفرضية الفرعية الرابعة التي تنص على: H04 تعثر المحفظة الائتمانية الممنوحة قبل التحول للصيرفة الإسلامية.

تم تحليل تعثر المحفظة الائتمانية بعد التحول للصيرفة إسلامية من خلال تحليل أرصدة إجمالي الائتمان بعد التحول وذلك خلال الفترة (2015 – 2019) مخصوماً منها بند السلف الاجتماعية –اعتباره جدلاً يمثل صيغ تمويل إسلامي (المرابحة) – بعد التحول للصيرفة الإسلامية.

من المفترض أن تكون المحفظة الائتمانية القائمة على الفائدة في انخفاض كبير ومستمر سواء بالسداد الكامل أو قلب الديون وفقاً للقانون رقم (3) لسنة 2016م وتحل محلها التمويلات الإسلامية نظراً لتوقف التمويل المعتمد على الفائدة بعد التحول الكامل بداية من عام 2015م وفقا للقانون، أما إذا اتضح العكس فهذا يدل على وجود ديون متعثرة في التمويلات التقليدية الممنوحة، ويوضح الجدول 10.3 أرصدة الائتمان بعد التحول الكامل للصيرفة الإسلامية، وقد تم حساب قيمة ومعدل تسوية المحفظة الائتمانية السابقة بعد سنة من التحول عن بيانات 2016 وما بعدها، مع خصم بند السلف الاجتماعية لافتراض أنه يمثل قيمة التمويلات الإسلامية كما افترضنا آنفا لعدم توفر بيانات التمويلات المصرفية الإسلامية.

جدول 10.3 تعثر تسوية المحفظة الائتمانية السابقة (مليون د.ل)

السنة	إجمالي الائتمان بعد خصم التمويل الإسلامي (السلف الاجتماعية)	قيمة التغير	نسبة التغير
2015	20212.8	.....	.....
2016	18770.3	1442.5-	- % 7.1
2017	17446.7	1323.6-	-% 7.1
2018	16448.3	998.4-	-% 5.7
2019	16912.7	464.4-	-% 2.8

نلاحظ من الجدول 10.3 ضعف تسوية المحفظة الائتمانية السابقة المتمثلة في التمويلات الربوية القائمة على الفائدة المحرمة شرعاً، فكانت نسبة السداد بداية الفترة في حدود 7 % خلال سنتي 2016 و 2017 بعد سنة من التحول الكامل للصيرفة الإسلامية وهي نسبة ضعيفة ثم تدنت نسبة تسوية المحفظة بشكل كبير لتصل إلى أقل من 3% في سنة 2019 وهذا يوضح تعثر تسوية المحفظة السابقة وضعف قدرة المصارف التجارية الليبية في تسويتها وفقاً للقانون رقم (3) لسنة 2016 الذي أجاز للمصارف قلب الديون إلى تمويلات وصيغ إسلامية أو اعتبارها مستحقة السداد بالكامل، حيث أن توقف حساب الفائدة على التسهيلات والقروض السابقة شجع أصحابها للمماطلة بالسداد لانعدام تراكم الفوائد وكذلك عدم قيام المصارف بإقرار غرامات التأخير وتقدير حالات التعدي والتقصير التي تبيح تغريم الموسرين الذين يماطلون في السداد لدفعهم لسداد التزاماتهم. وهذا يؤكد صحة الفرضية الفرعية الرابعة التي تنص على: H04 تعثر المحفظة الائتمانية الممنوحة قبل التحول للصيرفة الإسلامية.

الخاتمة

ومن خلال نتائج تحليل البيانات اتضح ضعف أداء المصارف التجارية بصفة اجمالية بضعف قدرتها على الاستثمار وتوفير المنتجات المالية الإسلامية لتمويل الاقتصاد بعد التحول إلى الصيرفة الإسلامية وقصورها في أداء الوظيفة الأساسية لها المتمثلة في الوساطة المالية بين وحدات الفائض ووحدات العجز، حيث اتضح من خلال تحليل بيانات المصارف الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي ضعف نسبة توظيف الودائع، وتركزها في حسابات احتياطيات المصارف لدى المصرف المركزي رغم أنها لا تدر أية عوائد بدلاً من توجيهها لتمويل الاقتصاد ومتطلبات الأفراد والشركات للأغراض الاستهلاكية والاستثمارية، وأظهرت النتائج ضعف الاستثمار الموجه للصيرفة الإسلامية رغم توقف التمويل التقليدي فضلاً عن تعثر تحصيل المحفظة الائتمانية السابقة لضعف قدرة المصارف في إيجاد الحلول لحث العملاء لتسوية ديونهم وخصوصاً توقف حساب الفوائد على هذه الديون بعد التحول مما شجع العملاء على المماطلة في السداد لثبات قيمة الدين، وضعف قدرة المصارف في قلب الديون السابقة أو تسويتها بالكامل وفق ما أجازه القانون رقم 3 لسنة 2016

ومن خلال النتائج والتحليلات السابقة نورد التوصيات الآتية:

1 - ضرورة وضع قانون للصيرفة الإسلامية حتى يضبط العمل بها على الوجه الصحيح، بحيث يتم تضمين عقود الصيغ والمنتجات المصرفية الإسلامية المختلفة به ليضمن حقوق المصرف والعميل، ويضع معايير تقدير حالات التعدي والتقصير وحالات فرض الغرامات واتخاذ الإجراءات القانونية لوضع الجدية وعدم التهاون في تحصيل حقوق المصارف بما يمكنها من أداء وظيفتها الضرورية للاقتصاد، وكذلك يعطي الخصوصية للمصرفية الإسلامية مثل تعديل أدوات السياسة النقدية، وإدارة السيولة المصرفية بما يتناسب مع طبيعة ومتطلبات النشاط المصرفي الإسلامي.

2 - ضرورة قيام إدارات المصارف التجارية بالتعاون مع الجهات المختصة بالدولة وبرعاية المصرف المركزي لوضع حلول ناجعة لمشكلة المحافظ الائتمانية المتعثرة وذلك باتخاذ ما يلزم من إجراءات قانونية وإدارية ضد أصحاب القروض السابقة المتعثرة بقلب الديون ومعالجتها وفقا رقم (3) لسنة 2016م أو تطبيق إجراءات الحجز الإداري والقضائي، وإعدام الديون الردئية التي يتضح عدم إمكانية تسويتها.

3 - التركيز على إعداد الخطط الاستراتيجية لتدريب العاملين بالمصارف وإقامة البرامج والندوات وورش العمل للرفع من مستوى المعرفة في أوساط العاملين والمتعاملين حتى تؤدي إلى وعي أكثر بالمعاملات المالية الإسلامية.

4 - الاهتمام بالجانب التسويقي والإعلامي لنشر الخدمات والمنتجات التي تقدمها الصيرفة الإسلامية باستخدام المؤتمرات والملتقيات وورش العمل وخصوصاً

مع قطاعات رجال الأعمال الليبيين كمركز رجال الأعمال واتحاد الصناعة وغرفة التجارة وغيرها، لتثقيفهم بأدوات الصيرفة الإسلامية المتاحة لتوفير التمويل لأعمالهم ومشاريعهم وفق شريعتنا الإسلامية وبما ينمي التنمية الاقتصادية ويحرك الاقتصاد ويوفر فرص عمل ويعود بالنفع على المجتمع.

5 - التعاون بين المصارف التجارية مجتمعة والهيئات المشرفة عليها كمصرف ليبيا المركزي وجمعية المصارف الليبية، وهيئة الرقابة الشرعية المركزية، والجهات الراعية والمهتمة بالمشروعات الصغرى مثل البرنامج الوطني للمشروعات الصغرى، وصندوق ضمان الائتمان لوضع آليات وبرامج لاستفادة المشروعات الصغرى من التمويلات المصرفية الإسلامية بما يدعم هذه المشروعات ويحقق فرص عمل وخصوصاً مشاريع الشباب والريادة بما يدفع للتحول للقطاع الخاص ويخفف من ثقل وهيمنة الوظائف العامة ويرفع من المستوى المعيشي للأفراد.

6 - الاستفادة من الخبرات العربية والإسلامية التي لها باع طويل في تطبيق الصيرفة الإسلامية مثل تعيين مستشارين ومديرين في المصارف للدفع بها لتطبيق منتجات الصيرفة الإسلامية، مع الاستفادة من عوامل نجاح تجارب بعض الدول مثل تجربة دولة ماليزيا.

7 - إعداد المعايير والأدلة الشرعية والمحاسبية اللازمة لأنشطة المصارف المختلفة كالأوعية الادخارية، وابتكار وتطوير منتجات بديلة من الصيغ الإسلامية عن الصيغ التقليدية، وذلك لتوسيع مجالات الاستثمار في مختلف السلع والخدمات لصيغ التمويل المصرفية الإسلامي.

8 - العمل على توفير أحدث التقنيات الداعمة لعملية التحول وتوفير منظومات إلكترونية موحدة تتماشى مع مجال العمل المصرفي وعملية التحول للصيرفة الاسلامية، ودعم الكوادر المتدربة على عمل هذه المنظومات وكيفية تشغيلها.

9 - تعديل عرض البيانات الإحصائية الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي بحيث توضح التمويلات الاسلامية بحيث يتم فصلها عن بند السلف الاجتماعية ووضعها في بند منفصل ويكون لها جدول مفصل وفق نوع المنتجات الاسلامية (المرابحة، المشاركة، وكالة استثمار ...الخ) على غرار بيانات الائتمان المصرفي التقليدي الموضحة بالإحصائيات كالسلف الاجتماعية والتسهيلات الائتمانية.

10 - تتطلب الصيرفة الاسلامية اهتمام المصرف المركزي وقناعة المسئولين بذلك حيث يتضح عدم القناعة بذلك من خلال الاطلاع على محتويات النشرات الاقتصادية مثل عدم تسمية البنود بالشكل الصحيح، حيث أن مصرف ليبيا المركزي يطلق تسمية قروض المرابحة الإسلامية على صيغة المرابحة عند الإشارة لها في الإحصائيات الصادرة عنه رغم أنها عملية شراء وبيع مقسطة وفقاً لصيغة المرابحة وليس لها علاقة بالإقراض، فضلاً عن ضرورة التعريف بمنتجات الصيرفة الإسلامية في العرض التمهيدي لإحصائيات المصرف المركزي حيث أنها لازالت تحتفظ بنفس التقديم القديم قبل الصيرفة الإسلامية، وكأن النظام المصرفي لم

يتحـول بالكامـل بموجـب القانـون إلى الصيرفـة الإسـلامية الشـاملة.

11 - ضرورة قيـام المـصرف المركـزي بحـث المصـارف لطـرح المنتجـات المصرفيـة الإسـلامية لتناسـب الحاجـات التمويليـة المختلفـة للأفـراد والـشركات، وممارسـة العمـل المـصرفي الإسـلامي المتنـوع والشـامل وعـدم التركيـز عـلى صيغـة المرابحـة فقـط، بتطبيـق حـدود أو سـقوف متنوعـة للصيـغ مثـل السـقوف الائتمانيـة التـي طبقهـا المـصرف المركـزي في النظـام التقليـدي قبـل التحـول.

المراجع

أولاً: الكتب:

1.أبـو شـهد، عبدالنـاصر برانـي، إدارة المخاطـر في المصـارف الإسـلامية. دار النفائـس للنـشر والتوزيـع عمـان، 2013م.

2.الحزيـم، يوسـف عثمـان، تحـول المـصرف المركـزي التقليـدي إلى مـصرف مركـزي إسـلامي، مكتبـة دار السـلام، الريـاض، 2003م.

3.العطيـات، يـزن خلـف، تحـول المصـارف التقليديـة للعمـل وفـق أحـكام الشريعـة الإسـلامية، دار النفائـس للنـشر والتوزيـع، عمـان، 2009م.

4. عقـل، سـعيد جمعـة، وعريقـات، حربـي محمـد، إدارة المصـارف الإسـلامية، دار وائـل للنـشر والتوزيـع، عمـان، 2012م.

5. منـدور، عصـام عمـر أحمـد، البنـوك الوضعيـة والشرعيـة. دار التعليـم الجامعـي للطباعة والنشر. الإسـكندرية، 2013م.

6. يـسري، عبدالرحمـن، قضايـا إسـلامية معـاصرة في النقـود والبنـوك والتمويـل، الـدار الجامعيـة، الإسـكندرية، 2003م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

1. أبـو الهـول، محـي الديـن يعقـوب، تقييـم أعمـال البنوك الإسـلامية الاسـتثمارية -دراسـة تحليليـة مقارنـة، رسـالة دكتـوراه منشـورة، كليـة الدراسـات الإسـلامية، الجامعـة الوطنيـة الماليزيـة، بانجـي، 2001م.

2. شـحادة، مـوسى محمـد، مـدى نجاعـة البنـوك الإسـلامية وتغلغلهـا في الاقتصـاد الفلسـطيني، رسـالة دكتـوراه غـير منشـورة، كليـة الدراسـات العليـا، الجامعـة الحـرة هولنـدا، 2011م.

3. مصطفـى، مصطفـى إبراهيـم، تقييـم ظاهـرة تحـول البنـوك التقليديـة للمصرفيـة الإسـلامية، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، قسـم الاقتصـاد الإسـلامي، الجامعـة الأمريكيـة المفتوحـة، القاهـرة، 2006م.

ثالثاً: الدوريات والمؤتمرات العلمية:

1.أبوحمـيرة، مصطفـى عـلي، و أسـويسي، نـوري محمـد، تحـول المصـارف التقليديـة في ليبيـا نحـو الصيرفـة الإسـلامية، مؤتمـر الخدمـات الماليـة الإسـلامية الثانـي، أكاديميـة الدراسـات العليـا طرابلـس، 2010م.

2.الضبـع، محمـد سـالم، والتائـب، عـادل عبـد السـلام، معوقـات تطبيـق الصيرفـة الإسـلامية في المصـارف التجاريـة الليبيـة مـن وجهـة نظـر موظفـي المصـارف، مجلـة الجامعة الأسـمرية، العلـوم الشرعيـة والإنسـانية، العـدد 28، 2014م.

3. المرطـان، سـعيد بـن سـعد، تقويـم المؤسسـات التطبيقيـة للاقتصـاد الإسـلامي، النوافـد الإسـلامية للمصـارف التقليديـة، المؤتمـر العالمـي الثالـث للاقتصـاد الإسـلامي، السـعودية، 2005م.

4. سـالم، العمـاري حسـن، المصـارف الإسـلامية ودورهـا في تعزيـز القطـاع المـصرفي. مسـتجدات العمـل المـصرفي في ضـوء التجـارب العربيـة والعالميـة، مجلـة القادسـية للعلـوم الإداريـة والاقتصاديـة، دمشـق، العـدد 2، 2005م.

5. عرفة، سعيد محمود، تحليل مصادر واستخدامات الأموال في فروع المعاملات الإسلامية للبنوك

التقليدية. المجلة المصرية للدراسات التجارية، العدد 1، المجلد 11، 1987م.
6. لشهب الصادق، و بوريش، أحمد، تحليل عوامل نجاح التجربة الماليزية في تطوير الصناعة المالية الإسلامية. المجلة الجزائرية للدراسات المحاسبية والمالية، العدد 1، 2015م.
7. ناصر، سليمان، تجربة البنوك الإسلامية في الجزائر الواقع والآفاق. مجلة الباحث، العدد 4، 2006م.
8. مؤتمر الاقتصاد الإسلامي، مؤتمر الاقتصاد الإسلامي طريق للتنمية، استراتيجيات التحول وآلياته، وزارة الاقتصاد، طرابلس، 2014م.

رابعا: التقارير والاحصائيات:

- النشرات الإقتصادية، مصرف ليبيا المركزي، الصادرة عن: إدارة البحوث والاحصاء. مجلدات متعددة من المجلد رقم 50 وما بعدها للسنوات 2014 إلى الربع الرابع 2019م.
-النشرة الاقتصادية/cbl.gov.ly
- مجلس الخدمات المالية الإسلامية https://www.ifsb.org/ar_index.php